

الأستاذ الدكتور منير العجلاني

تاريخ البلاد العربية السعودية

الجزء الأول

الدولة السعودية الأولى

القسم الأول

سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته

سيرة محمد بن سعود وعمره



تاريخ البلاد والعرب السعوية

الجزء الأول

الدولة السعودية الأولى

القسم الأول

سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته
سيرة محمد بن سعود وحروب

تأليف

الدكتور منير العجلاي

عضو مجمع العالمني العربي بدمشق

أستاذ تاريخ الحقوق في الجامعة السورية

(سابقاً)

الطبعة الثانية
١٤١٣ هـ ~ ١٩٩٣ م

حقوق الطبع محفوظة



اسم الكتاب

لم تكن كلمة « السعودية » أو « العربية السعودية » معروفة في زمان مؤسس الدولة محمد بن سعود ، ولا في زمان خلفائه ، حتى جاء الملك عبد العزيز ، فسمى بلاده : « المملكة العربية السعودية » .

ومن يقرأ تاريخ ابن بشر يتبين له أنهم كانوا يسمون ملك محمد بن سعود : الدرعية ، ثم العارض ، وكانوا يسمون شعبه : أهل الدرعية ، وأهل العارض .
ولما توسعت البلاد المنضوية تحت لواء الدعوة ، في عهد عبد العزيز بن محمد ، استعملوا كلمة : « نجد » و « أهل نجد » ، وكانوا يسمون البلاد العربية الأخرى التي تنضم الى الدعوة بأسمائها الخاصة ، وربما عمت الجميع كلمة « المسلمين » ، بمعنى خاص اصطلاحوا عليه .

اخترنا لهذا الكتاب اسم : « تاريخ البلاد العربية السعودية » ، كما فعل فؤاد حمزة من قبلنا ، لأننا وجدنا هذه التسمية أوفى بالغرض من قول ابن بشر ، مثلاً : تاريخ نجد ، وذلك لسببين :

الأول – أن المصطلحات تختلف باختلاف الأزمان ، وقد أصبحت كلمة العربية السعودية معروفة مألوفة ، و (نجد) تدخل في عمومها .

الثاني – أن البلاد التي حكمها الأئمة السعوديون كانت أقل من نجد حيناً ، وأكثر من نجد أحياناً .

... وكنا نستطيع تسمية الكتاب : « تاريخ المملكة العربية السعودية » ،
باسمها الحاضر ، لأنه أولى بالاعتبار .. ولكننا خشين أن يقول قائل : ان هذا
الاسم مختص بالدولة الحديثة التي أنشأها الملك عبد العزيز على أسس جديدة .

ومهما يكن الأمر ، فان استعمال كلمة تاريخ نجد قد يكون صحيحا في التعبير
عن حياة جزء من هذه البلاد في فترة ماضية ، ولكنه لم يعد صالحاً ، للتعبير عن
تاريخها العام ، بعد ظهور المملكة العربية السعودية ، التي تجاوزت هذا المدلول
كثيراً .

كلمة المؤلف

عن رحلاته في طلب المصادر

لما عزمت على تأليف هذا الكتاب ، لم أكتف بما تجمع لدي من المصادر ، وما اشتريت من الكتب ، وإنما عزمت على الرحلة في طلب الكتب والمراجع النادرة إلى المكتبات الخاصة ودور الكتب المعروفة .

وسأذكر ، هنا ، أهم المكتبات التي زرتها وأمت بين جدرانها ، باحثاً وقارئاً :
في الرياض ، زرت مكتبة سمو الأمير الجليل عبد الله بن عبد الرحمن ، وهي مكتبة خاصة غنية ، تدل على مبلغ عناية صاحبها بالكتب وتبذره للعلوم ، وذلك غير مستغرب من أمير عرف بسعة علمه وعقله ، وحرصه على خدمة المصلحة العامة وبذل النصح للحاكمين ، مع الزهد الكامل في المناصب .

ولم تكن محبتي للمكتبة هي التي تدفعني إلى زيارتها ، ولكن حرصي على لقاء الأمير والإستماع إلى حديثه الممتع والإفادة من ذرع معرفته وإطلاعه على تاريخ الدولة ، وخصوصاً أخبار أبيه عبد الرحمن وأخيه عبد العزيز وابن أخيه الفصيل .

ثم أكتثرت من مراجعة الكتب في مكتبة وزارة المعارف ، وفي مكتبة « الدخنة » التي تشرف عليها دائرة الفتوى .

وقرأت فيها كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده ، وكتب سليمان بن سحبان ، وكثيراً من كتب الفقه والتاريخ والأدب .

وقرأت في مكتبة « معهد الإدارة العامة » في وزارة المالية ، بمجموعي « أم القرى » و « القبة » وغيرهما .

وفي جدة ، زرت غير مرة مكتبة خاصة غنية جمعها لنفسه الوجيه العالم الشيخ محمد نصيف ، في جدة ، وقد أهدى إلي صاحبها الفاضل كتاب « سمط النجوم العوالي ، للعصامي ، وغيره من الكتب .

ووجدت في مكتبة شركة « الأرامكو » في الظهران كتباً كثيرة قيمة ، ومنها كتاب « أنكيري » عن حملة ابراهيم باشا ، وأخذت عنها طائفة من الصور ومقتطفات ..

وفي بيروت ، زرت مكتبة الجامعة الأميركية ، وطالعت فيها كتباً كثيرة نادرة ، كما زرت « دار الكتب الوطنية » و « المكتبة اليسوعية » وقرأت فيها كتباً تاريخية ومجموعات من المجلات كالشرق ولغة العرب والأبحاث .

أول كتاب ظهر في أوروبا عن الوهابية

HISTOIRE DES WAHABIS,

DEPUIS LEUR ORIGINE

JUSQU'À LA FIN DE 1809;

PAR L. A. ***,

Membre de la Légion d'honneur.



DE L'IMPRIMERIE DE CHAPELET.

A PARIS,

Chez CHAPART, Libraire, rue et hôtel Serpente,
n° 16.

1810.

صورة فوطوغرافية لغلاف كتاب كورانسيز

في استانبول

اطلعت في مكتبات استانبول على وثائق خطية نادرة ، وصورت شيئاً منها ، وقرأت كتب جودت باشا وأيوب صبري وغيرهما من الأتراك ، وكنت أستعين على فهمها ببعض الأصدقاء الذين يجنون العربية والتركية .

في باريس

كنت أكثر من زيارة المكتبة الوطنية ومكتبة السوربون وأقضي فيها أكثر أوقاتي . وقرأت فيها كثيراً من الكتب ونقات مقاطع من بعضها ومن كثير من التقارير الرسمية وصورت طائفة منها . ومن الكتب التي صورتها كتاب كورانسيز.

في لندن

وفي مكتبة المتحف البريطاني ، في لندن ، قرأنا مخطوط « لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب » ، فنصورناه ، وقد نقلنا منه في هذا الجزء صفحات كثيرة ! وهو مخطوط له قيمته ، وإن كان في أخباره شيء من الدس والكذب .

ويقول المستشرقون إن مؤلف الكتاب مجهول ، ولكننا وجدنا في ذيل صفحة منه ، ألحقت به ، محتوية على آخر الأخبار التي وصلت إلى المؤلف عن حروب عبد الله بن سعود ، هذه الكلمات :

« وقع الفراغ من تحرير هذا الكتاب في يوم السبت السادس والعشرين من شهر محرم الحرام سنة ١٢٣٣ .

كتبه العبد الجاني :

حسن بن جمال بن أحمد الربكي

وعندنا أن « حسن الربكي » هو مؤلف الكتاب ، لا ناسخه .

لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مبين الفضلات وكاشفها ومنشئ

الخليقة وبارئها والصلوة والسلام على من

ارسله من اهل العرب واشرفها وعلى آله

وصحبه التابعي الفضيل احمدها وبعث

فلا يخفى على ذوي الالباب والبصائر واهل

الذكور

نقل عن هذا الكتاب أكثر المستشرقين ، ثم أخذ عنهم كثير من كبار المؤلفين العرب ؛ ومن المؤسف أنهم تعلقوا بروايته الكاذبة عن رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العجم ، ولكنك لا تجد في أي كتاب عربي نقولاً صحيحة مأخوذة عن هذا المخطوط ، مباشرة ، بينما أوردنا نصوص اللمع بمخاديفها ، ما خلا كلمات قليلة لا يؤبه لها ، في الجزأين ، الأول والثاني ، من كتابنا !

وبعد هذا الكتاب ، بعد تاريخ ابن بشر ، أكثر كتاب رجعنا إليه في حديثنا عن تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ولم نحل دون ذلك أكاذيب فيه ... لأننا أشرنا إليها ، والحنات يذهبن السيئات .

واطلعنا في مكتبة المتحف البريطاني أيضاً على مجموعة صحيفة «الخليج الفارسي» وصورنا كثيراً من صفحاتها ، وعلى مجموعات وثائق حكومة بومباي ، وطائفة من التقارير الرسمية ، والكتب المهمة وبعضها مفقود أو نادر .

وقد يحسن بي أن أضيف إلى أسماء هذه المكتبات ، دار الكتب الظاهرية ومكتبة الجامعة بدمشق ، ودار الكتب بالقاهرة ومكتبة الاسكندرية ، وإن كان العهد بها أقدم من البدء بوضع هذا الكتاب .

فإلى القائمين على هذه المكتبات وإلى موظفيها الشكر الخالص ، والتقدير العميق ، فإن كنت لم أذكر أسماءهم ، فذلك لجلي ببعضهم ، فلم أحب أن أفرق بينهم ، بتسمية فريق وإغفال فريق ، وكلهم سواء في الفضل .

مَدْخَل

الى

الجزء الأول

نتحدث الجزء الأول من كتابنا عن تأسيس الدولة السعودية الأولى ، في
الدرعية .

وقد رأينا أن نضع بين يديه مدخلًا يتألف من ثلاثة فصول :

١ - الفصل الأول : كلمات مختصرة في التعريف بالملكة العربية السعودية
ومراحل تكوينها . ذلك ليعرف أننا إنما نتحدث ، في الحقيقة ، عن تاريخ هذه
المملكة نفسها ، لا عن تاريخ دولة سعودية أخرى تتصل بها بصلة نسب ، قريب
أو بعيد !

إن الحديث عن تاريخ الدولة السعودية الأولى حديث ذو بال ، ولكن مكانة
المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر ، تزيد الناس شوقاً إلى قراءة تاريخها
القديم وتربيق عليه بهاء جديداً .

٢ - الفصل الثاني : كلمة في جغرافية المنطقة التي نشأت فيها الدولة
السعودية الأولى وكان اسم هذه المنطقة : «اليمامة» ، بمعنى ، و « نجد » بمعنى أوسع .

٣ - الفصل الثالث : كلمة عن الدعوة السلفية الإصلاحية .

الفصل الأول

المملكة العربية السعودية

- ١ -

مكاتها في العالم

للمملكة العربية السعودية مكانة بارزة مرموقة في العالم ، لأسباب كثيرة ،
منها :

١ - أنها الوطن الروحي للمسلمين ، الذين يؤمنون سدس سكان العالم تقريباً .
والأرض المقدسة التي تضم المدينتين المقدستين : مكة المكرمة والمدينة المنورة .
ففي مكة ، بيت الله الحرام : « الكعبة » ، قبله المسلمين التي يتجهون إليها في
صلواتهم خمس مرات في اليوم وأكثر ، ويطوفون حولها في حجهم وعمرتهم .
وفي مكة وما حولها : مناسك الحج ، الذي فرض على كل مسلم أن يؤديه مرة
في حياته على الأقل .

لذلك ينفذ إلى المملكة كل عام مئات الآلاف من المسلمين ، من مشارق الأرض
ومغاربها ، ليحجوا ، ويتعارفوا ، ويتذكروا أمورهم في أكبر مؤتمر إسلامي

يعقدونه كل سنة .

ومكة ، الى ذلك : مسقط رأس النبي (ص.) ومهد الدعوة ومهبط الوحي الأول وفيها المسجد الحرام الذي تشدّ اليه الرحال .

وأما المدينة ، فهي مهاجر النبي (ص.) ومهبط الوحي الثاني ، ومنطلق الفتح ومقر الحكومة النبوية ، وفيها المسجد النبوي الذي تشدّ اليه الرحال أيضاً ، وفيها الضريح الطاهر ، فلا عجب اذا توافد المسلمون على مدينة النبي ليصلوا في مسجده ويزوروا قبره ويسلموا عليه ، صلى الله عليه وسلم .

٢ - أنها مهد العرب ومستودع اصالتهم ، تشاركها ذلك سائر الجزيرة العربية ، فهي ، كما قال الفيصل : « قلب العروبة النابض » ومهد الحضارة التي جمعت العرب حول قيمها الروحية ووحدت مشاعر أبناء الأمة العربية وآمالهم ، فان العربي مهما اختلفت أوطانه يرجع بأصوله الى شبه الجزيرة العربية . . .
لهذا يعدها العرب ، مهما تعدد بلادهم : البلاد - الأم .

٣ - تعد المملكة من أغنى دول العالم ، بما اكتشف فيها من آبار البترول ، ومناجم الحديد وغيرها من المعادن وأشباه المعادن .

٤ - حقق زعياً المملكة العربية السعودية العظيمة : الملك عبد العزيز ثم ابنه الملك فيصل ، تحولاً عجباً في حياة البلاد ، كان حدثاً فذاً نال عناية العلماء وتقديرهم ولفت اليه أنظار العالم كله .

كانت المملكة دولاً بل طوائف وقبائل متفرقة ، ضعيفة ، جاهلة ، فقيرة ، تسيطر على بعضها الدولة العثمانية ، ويتلاعب ببعضها متغلبة فاسدون ، وتطمع بها دول الاستعمار .

فقام عبد العزيز بتحريرها وتوحيدها ، وجعلها دولة كبيرة قوية غنية ، وأنشأ فيها المجر لتحضير البدو وأقام فيها المدارس وأدخل اليها التخرجات الحديثة وفتح أبوابها وعقول أبنائها لحضارة القرن العشرين .

وكان فيصل يساعد والده في حياته وينهض ببعض مهامه ، ثم دعي إلى رئاسة

الوزراء فالملك ، فأنقذ البلاد من أزمات وأخطار أفرغت خزينتها وتهددت سلامتها وكادت تؤدي بسمعتها ، وأخرجها من الحوف إلى الأمن ومن الهدم إلى البناء ومن القلق إلى الاستقرار ، وأعطاهما تنظيمًا حكومياً نقلها من أفق إلى أفق ، وطبق فيها قواعد اقتصاد سليم حرّ ، في ظل الأخوة والعدالة الاجتماعية والمناهج التقدمية الرزينة المدروسة ، فشاع في كل مكان الرخاء والأمل المشرق .^(١)

١ - يقول « منجر » ، معلقاً على كلمة المؤرخ البريطاني الكبير « توينبي » عن تأثير الحضارة الغربية على بلاد العرب :

« ليس ثمة مكان ظهر فيه هذا التأثير أكثر مما ظهر في الجزيرة العربية ...
فبعد فترة جود استمرت اثني عشر قرناً بدأت تتحرك مرة ثانية وتسير مع الزمن ...
وثمة عوامل دفعت الى هذا التغيير ، منها السيارات والطائرات واجهزة الراديو والحربان العالميتان ...

ولكن أكثر العوامل دفعا هما بلا ريب اثنان :
الاول - وحدة الجزيرة في اغلبها تحت حكم قوي واحد (المملكة العربية السعودية)
والآخر - تدعيم الحاكم لمملكته ...
ونتيجة لذلك بدأ المجتمع القبلي ، الذي كان يعيش حياة مغلقة تقليدية ، يتفتح . . .)
ويختتم منجر بحثه بهذه الكلمات :
« لقد كان هذا الركن من العالم العربي قوة فعالة قرابة ستة قرون بعد ظهور الاسلام ، ثم خبت الجفوة ...

واذا استطاع ان يستوعب العلوم التقدمية ، مع احتفاظه بهويته الكافي ، فان مستقبله سيكون احياء لماضيه التليد ، ولن يكون مجرد صدى ... »
- مقتبسة من محاضرات سيد نوفل عن « الارضاح السياسية للخليج العربي » -

علم المملكة وشعارها

علم المملكة : اللون الأخضر ، كتبت في وسطه بخط أبيض كبير ، شهادة :
« لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . » .
وتحتها : سيف - يرمز إلى القوة في خدمة الحق ، والجهاد .
وشكل العلم مستطيل ، ضلع قاعدته ضعفا ارتفاعه .
وهو نفس الراية التي كانت تظلل جنود الدولة السعودية الأولى في عهد مؤسسها
الأولين : محمد بن سعود ، ومحمد بن عبد الوهاب . وجنود الدولة السعودية الثانية
في عهد زعيمها الكبيرين : تركي بن عبد الله ، وفيصل بن تركي .

١- وكانها أقوى الرموز إشارة إلى وحدة الدولة ، عبر الأزمان والحوادث !

٢- شعار المملكة : نخلة بين سيفين .



عاصمة المملكة وأماكن إقامة الملك

عاصمة المملكة العربية السعودية هي مدينة : الرياض .
والرياض الآن مدينة حديثة ، بشوارعها الواسعة ، ومبانيها الكبيرة ،

وقصورها الجنية ، وعدد سكانها حوالي مئتي ألف نفس ، ويدخلها كل يوم عدد غير قليل من أهالي المملكة والأجانب للتجارة والعمل في الدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة والأعمال الحرة .

وما تزال فيها بقية من طرقها الضيقة القديمة ومبانيها الطينية ، وكأنها تحدث الناس عما كانت عليه وما صارت إليه ...

*

ويمكننا القول ، تجوزاً ، ان للملكة أربع عواصم أخرى :
أولاً - عاصمة دينية ، وهي : مكة ، ويقيم فيها الملك خلال موسم الحج ويستقبل كبار الضيوف ويعقد فيها المؤتمر الاسلامي .

ثانياً - عاصمة دبلوماسية ، وهي : جدة ، على البحر الاحمر ، وفيها يقيم السفراء والوزراء المفوضون والقناصل ، وكثيراً ما يستقبلهم الملك فيها .

ثالثاً - عاصمة الاصطياف ، وهي : الطائف ، قرب مكة ، في أعالي جبال الحجاز ، ويقيم فيها الملك والوزراء ، خلال اشتداد الحر لارتفاعها وجودة هوائها^(١)

رابعاً - عاصمة البترول ، وهي : الظهران ، حيث أقيمت منشآت البترول الضخمة وفيها أيضاً مطار دولي .

الشرق الاوسط

كنا نقول قديماً ، في تحديد مكان المملكة العربية السعودية من الأرض : إنها قطعة من جزيرة العرب ، أو إنها دولة آسيوية !
أما اليوم ، فلا بد لنا من استعمال مصطلح آخر ، حتى نلتقي بالغربيين على صعيد مفاهيمهم الحديثة .

لقد فرضوا علينا اسمين جديدين ، وهما : « الشرق الأوسط » و « الشرق

١ - يقول الاصمعي : دخلت الطائف فكأنني كنت أبشر ، وكان قلبي ينضج بالسرور ، وما أجد لذلك علة الا انفاس جوها وطيب نسيمها .

الأدنى .

والمملكة العربية السعودية هي جزء من كلتا المنطقتين ، ولكن اسم الشرق الأدنى لم يكتب له الانتشار والاشتهار ، فحسبنا أن نقول إن المملكة جزء من الشرق الأوسط .

تقول مجلة العالمين ان كلمة « الشرق الأوسط » ، اصطلاح حديث ، جغرافي وسياسي ، أوجدته القيادة البريطانية خلال الحرب العامة ، وكان مركزها في القاهرة ، وكان نشاطها يتناول أراضي مصر وليبيا وسورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والعربية السعودية وامارات الخليج العربي وايران ، فأنتهى بها الأمر الى تسمية هذه البلاد كلها باسم : « الشرق الأوسط » .

أما الأمريكان ، فكانوا يستعملون اسمين :

أولاً - الشرق الأدنى ، وكانوا يطلقونه على منطقة تشمل تركيا واليونان وسورية وفلسطين والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية وغيرها ..

ثانياً - الشرق الأوسط ، وكان يشمل عندهم منطقة تمتد من افريقية الى اقاصي الهند .

ويمكننا أن نقول اليوم ان المصطلح البريطاني هو الذي كتب له البقاء .

« ان الشرق الأوسط هو محور العالم القديم ، وملتقى الطرق التجارية بين القارات الثلاث : أوروبا وآسية وإفريقية ، ومهد الحضارات ، بل كان أكثر من ذلك ، كان ، هو وحده .. العالم المتمدن ، قبل أن يشركه غيره في هذه الصفة ، ويعود ، هو ، مرحلة من مراحل الحضارة فقط !

والشرق الأوسط ، الى ذلك ، مهد الديانات السماوية كلها : اليهودية والنصرانية والاسلام^(١) . » .

١ - أنظر « لا روفود دوموند » - عدد الشرق الأوسط الخاص عام ١٩٥٨ وتضمي المجلة قائلة : « ان ابراهيم ، وموسى ، وداويوس ، والاسكندر ، وبطليموس ، وكليوباتره ، والصليبيين ، وتجار البندقية ، وفاسكوده غاما ، وبوناپارت ، وده ليسيبس ، والكولونيل لورنس ، والمارشال روميل ، وامراء العرب .. كل أولئك يقص علينا في اطار من الأساطير والحقائق - اطار الشرق الأوسط - قصصاً متممة عن فترات عجيبة من تاريخ الانسانية . »

الحضر والبدو

يقول « ليسكي » ان عدد سكان المدن في المملكة : (٢٢ بالمئة) والزراع : (١٢ بالمئة) وعدد البدو (٦٦ بالمئة) .

وفي اعتقادنا أن نسبة البدو إلى مجموع السكان أقل من ذلك ، فكثير من البدو أصبحوا زراعاً في القرى أو عمالاً أو تجاراً أو جنوداً أو موظفين . وقد جذب رخاء المدن البدو إلى الحياة المدنية ، بالإضافة إلى الحافز الديني الذي بحث على الهجرة إلى المدن والقرى ، وهناك أيضاً عامل سلبى لعب دوراً كبيراً في تحول البداوة إلى الحضارة وهو : قلة الأمطار التي لازمت البلاد خلال سنوات طويلة ، فأهلكت الماشية إلاً قليلاً وجعلت رعاية الماشية ، التي هي قوام الحياة البدوية ، أمراً متعذراً ، إلا بقياس ضيق ، وهكذا تخلى البدوي مكرهاً عن مألوف حياته . هذا إلى أن الدولة نشطت في تحويل البدو إلى حياة الحضارة والاستقرار بما أنشأت لهم من « الحجر » ، وما وفرت لهم من أسباب الاستقرار .

والبدو ، في المملكة ، على كل حال ، لا يتمتعون بامتيازات خاصة ولا يستثنون من تطبيق قوانين الدولة ، كما هي حالتهم في بعض الدول العربية الأخرى ، ولكنهم مواطنون كسائر المواطنين ، تطبق عليهم الأنظمة ويخضعون لأحكام القضاء كغيرهم ، وكل فضيلتهم أنهم ينتقلون في الصحراء طلباً للكلأ ، ويعيشون تحت الخيام ، لا في بيوت الحجر والطين !

أما صورة الحياة البدوية التي كانت تعيش في خيالات بعض الغربيين - أعني صورة الغزو والسطو والتمرد على القانون - فهذا شيء لا وجود له في المملكة ! وحتى الجبل ... رفيق البدوي وأحد أعمدة الحياة البدوية ، الذي وصفه « سانجر » بقوله : ان العربي يمتطي ظهره ، ويلبس « وبره » ، ويفترش جلده ، ويستعمله في الصناعة ، ويستخدمه للحمل ، ويستخرج به المياه ، ويأكل كل لحمه ... هذا الجبل نفسه ، تعاونت عليه : قلة الأمطار والسيارات ، فهو اليوم يتراجع ، أمام تقدم الحضارة الآلية .

مراحل تكوين المملكة السعودية

في مطلع هذا القرن ، كان « جبل شمر » امارة مستقلة يحكمها ابن الرشيد ، حليف الترك ، وكانت « الاحساء » ولاية تركية ، يحكمها والي تركي ، وكانت « القصيم » تحت حكم ابن الرشيد ونفوذ الترك ، وكان « وادي السرحان » يحكمه ابن شعلان .. وكانت « عسير » تحت سلطان الادارة ، وكانت « الحجاز » تحت حكم الملك حسين بن علي ، وكانت بلاد « العارض » نفسها تحت سلطان ابن الرشيد .. فكيف تحررت هذه البلاد من جنود الترك ونفوذهم؟ وكيف توحدت ، مع اختلاف « أوضاعها » وتباعد أطرافها .. لتؤلف بين عشية وضحاها : أول دولة عربية حرة موحدة ، مهيبة الجانب ؟

تلك معجزة حققها عبد العزيز !

ان عبد العزيز ، هو ، مؤسس « المملكة العربية السعودية » ، وبفضل الله ، ثم بفضل ، تحررت أقطارها ، وتوحدت ..
وها نحن نذكر الخطوات التي خطاها عبد العزيز ، منذ ابتداء معركته الأولى ، حتى حقق وحدة بلاده ، في تسلسلها الزمني :

- ١ -

في عام ١٣١٩ هـ = ١٩٠٢ م . فتح عبد العزيز الرياض ، وكانت وحدها ، خلال أشهر الدولة !

ثم انضمت إليها الحرج ، والأفلاج ، والحوطة ، والحريق ، والدواسر .
وفي عام ١٣٢١ هـ = ١٩٠٣ م . استولى عبد العزيز على بلاد الوشم وسدير والمحمل

- ٢ -

وفي الاعوام ١٢٢٢ هـ ، الى ١٣٢٦ هـ أتمّ عبد العزيز تحرير بلاد القصيم من الترك وابن رشيد والمتغلبة المحليين .

- ٣ -

وفي عام ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م . حرّر عبد العزيز « الأحساء » من الترك وضمها إلى نجد . وهكذا اتسعت رقعة البلاد التي يحكمها عبد العزيز وزادت مواردها وتجاوزت ما كان يملكه والده الإمام عبد الرحمن ، قبل استيلاء ابن الرشيد على بلاده . وكان من ثمرات هذه الانتصارات الباهرة التي حققها عبد العزيز ، أن تنادى علماء نجد ورؤساء القبائل وحكام الأقاليم والوجوه الى مؤتمر عقد في الرياض « عام ١٩٢١ م . » نادوا فيه بأميرهم الشجاع العبقري ، عبد العزيز ، الذي حرّره من نير الترك والمتغلبين وردّ عليهم كرامتهم الوطنية : « سلطاناً » على نجد .

- ٤ -

وفي عام ١٣٤٢ هـ . - ١٩٢٣ م : تمّ اخضاع عسير

- ٥ -

وفي عام ١٣٤٤ هـ . - ١٩٢٥ م : تمّ فتح الحجاز . وفي يوم الجمعة ٢٥ جمادى الثانية عام ١٣٤٤ هـ . - ١٠ يناير ١٩٢٦ م . بايع أهل الحجاز لعبد العزيز بالملك ، وأصبح لقبه :

« ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها »

وفي عام « ١٩٢٧ » م . نادى أهل نجد بعبد العزيز ملكاً على نجد وملحقاتها ، فأصبح ملكاً على الجميع .

- ٦ -

وفي عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣٠ م : انضمت نهامة عسير « بلاد الأدارسة » إلى ملك عبد العزيز ، وكانت من قبل مجرد حليفة أو « محمية » !

توحيد البلاد وتسميتها :

المملكة العربية السعودية

وفي ١٧ جمادي الأولى عام ١٣٥١ هـ - ١٨ ، أيلول عام ١٩٣٣ م . أصدر الملك عبد العزيز أمراً ملكياً بتوحيد البلاد في دولة واحدة ، موحدة ، تدعى : المملكة العربية السعودية .
وقد نشر هذا الأمر في الجريدة الرسمية وأبلغ إلى الدول الأجنبية . وهذا نصه :

الأمر الملكي رقم ٢٧١٦

بعد الاعتماد على الله .
وبناء على ما رفع إلينا من كافة رعايانا في مملكتي الحجاز ونجد وملحقاتها ونزولاً على رغبات الرأي العام في بلادنا .
وحباً في توحيد أجزاء هذه المملكة العربية .
أمرنا بما هو آت :
المادة الأولى - يحول اسم المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها إلى اسم :

« المملكة العربية السعودية »

ويصبح لقبنا بعد الآن :

« ملك المملكة العربية السعودية »

المادة الثانية - يجري مفعول هذا التحويل من تاريخ اعلانه .

المادة الثالثة - لا يكون لهذا التحويل أي تأثير على المعاهدات والاتفاقات والالتزامات .

المادة الرابعة - سائر النظمات والتعليقات والأوامر السابقة والصادرة من قبلنا تظل نافذة المفعول بعد هذا التحويل .

المادة الخامسة - تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة ، سواء في الحجاز أو في نجد وملحقاتها ، على حالها الحاضر موقتا الى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد .

المادة السادسة - على مجلس وكلاتنا أن يضم إلى أعضاء الوكلاء أي فرد أو أفراد من ذوي الرأي حين وضع الأنظمة السالفة الذكر للاستفادة من آرائهم والاستشارة بمعلوماتهم .

المادة السابعة - اتنا نختار يوم الخميس الواقع في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥١ ، الموافق لليوم الاول من الميزان يوماً لاعلان توحيد هذه المملكة العربية .

ونسأل الله التوفيق

صدر في مقرنا في الرياض

هذا اليوم السابع عشر من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٥١

التوقيع : « عبد العزيز »

بأمر جلالة الملك :

نائب جلالة : « فيصل »

خطورة هذا الامر الملكي

هذا هو الأمر الملكي التاريخي الخطير ، نقلناه عن « أم القرى » ، وما زلنا نتعجب من اهمال كثرة المؤلفين له ، مع أنه وثيقة تاريخية بالغة الخطر ، عظيمة

القدر ، بل يكاد يكون شهادة « ولادة » المملكة ، في شكلها الحديث ، على الأقل .

قد يقال : ان المملكة كانت قائمة من قبل ، ولم يزد هذا الأمر الملكي على أن أعطاها اسماً جديداً ، فهو تغيير اسم ، وليس تغييراً في الأصول والأعماق ! وفي اعتقادنا : إن هذا الأمر الملكي أخطر من ذلك كثيراً ، فهو لم يغير اسم المملكة وحده ، وإنما غير صفتها أيضاً ، فقد كان كل من نجد والحجاز مملكة مستقلة - وإن كان « شخص » عبد العزيز يجمعهما ويشدّ بعضها إلى بعض - فجاء هذا الأمر التاريخي يقيم الرابطة « الوطنية » مقام الرابطة « الشخصية » ، ويجمع البلاد في دولة « موحدة » ، لا « اتحادية » ، وينشئ حكومة نظامية حديثة ، ويعطي البلاد اسماً جديداً ، تغيب فيه النزعات الإقليمية ، بحيث يختم مراحل تكوين المملكة من الداخل ، ولا يمنع من توسعها في المستقبل ، مع احتفاظها باسمها ، لأنه ليس اسماً إقليمياً !

قيمة هذا الأمر الملكي واتخاذ يوماً وطنياً

لم تغب عن الناس قيمة هذا القرار التاريخي العظيم وآثاره ، وزادهم تقديراً له ، أنهم شهدوا ، قبل صدوره ، فتناً قام بها جماعات من طلاب الزعامات والظهور ، أرادوا فصل الحجاز وعسير وتهامة عن الدولة ، وكانوا يجردون في استبقاء الأوضاع والأسماء الإقليمية السابقة غذاء لفتنتهم ، فلما صدر الأمر الملكي ، ووجد البلاد توحيداً كاملاً ، لا موضع فيه لنصرة إقليمية أو عصبية محلية ، استقبله الناس في كل مكان بالفرح والغبطة والأمل ، وتداعوا إلى الاحتفال به في كل مدينة وقرية ، وتبأشروا به ، وتبادلوا التهاني ، وجرى له في مكة المكرمة احتفال كبير ، في دار الحكومة ، خطب فيه نائب الملك ، سمو الأمير فيصل فقال :

لا أستطيع أن أعبر لكم عما يخالجي من السرور في هذا اليوم ، الذي منّ الله به على هذه الأمة العربية المسلمة ، بتوحيدها ضمن مملكة واحدة ، وزوال جميع الفوارق بين أبنائها .

نم شكر للجواهر باسم أبيه الملك غيرتها وإخلاصها، وتلا صورة الأمر الملكي، وأطلقت المدفعية مئة طلقة تحية لهذا اليوم المجيد .

وفي عام ١٩٦٥ م . بعد مبايعة جلالة الفيصل بالملك ، لم يشأ أن يكون يوم جلوسه عيداً وطنياً ، وأمر بأن يكون يوم توحيد البلاد وتسميتها باسم « المملكة العربية السعودية » هو اليوم الوطني الذي يحتفل به وتتقبل فيه التهاني .

تاريخ المملكة .. والتاريخ السعودي

رأينا ، قبل ، أن اسم « المملكة العربية السعودية » إنما ظهر في عام (١٩٣٢) م .
فهي دولة حديثة ، لها من العمر اليوم أربعة وثلاثون عاماً !
ولسائل أن يسأل : لماذا نتحدث عن دولة نشأت عام ١٩٣٢ م . وما هي صلتها
بتاريخ المملكة ؟

والجواب إن المملكة العربية السعودية لم تولد فجأة ، وعلى غير مثال !
فهي جديدة ، قديمة .

جديدة باسمها وتنظيمها الحكومي الحديث .
ولكنها قديمة بتاريخها ، عريقة بأبجاده .
وجذورها تمتد إلى فجر التاريخ العربي !

ولكننا إذا أردنا الوقوف عند دلالة اسمها ، ورايتها ، وأسرتها الحاكمة ، قلنا :
لأنها تبدأ منذ عام (١١٥٧ هـ . . .)

ففي هذا العام ، جاء إلى « الدرعية » الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، المصلح
الديني ، الذي كانت دعوته إلى التوحيد ومكافحة الشرك تنتشر في شيء من الضعف
وتكتسب إليها طائفة من الأنصار في سائر نجد ، واتفق مع صاحب الدرعية :
الأمير محمد بن سعود ، على حماية الدعوة ونشرها ، ووضعاً معاً أسس حكم إسلامي
خالص من كل شائبة ، وبذلك نشأت : الدولة السعودية الأولى في نجد .
ثم هزم محمد علي هذه الدولة ، ولكنه لم يستطع القضاء عليها ، فعادت إلى

الوجود.. يزعمه أمير سعودي مناضل، هو : تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود.
ثم حارب العثمانيون والمصريون هذه الدولة ، ولكن فيصل بن تركي استطاع
استرداد ملك أبيه وتقويته

استطاع الترك وصنائعهم القضاء على الدولة السعودية مرة ثانية ، أو ثالثة ،
ولكن البطل الأسطورة : عبد العزيز : أعاد الدولة السعودية ، بعد أن يش
الناس من عودتها ، ولم يعدها في حدودها الضيقة ، كما كانت في عهد أبيه ، وإنما
أعادها كما كانت في أعظم أيامها من حيث المساحة ، وأكثر قوة ووحدة وتنظيماً .
فتاريخ المملكة العربية السعودية ، لا يقف ، كما ترى ، عند عام ١٩٣٢ م !
وقد أردنا أن نزيل الإلتباس الذي نشأ عن اسم المملكة ، فأسمينا كتابنا :
تاريخ البلاد العربية السعودية .

ولو أننا أسميناه : تاريخ المملكة العربية السعودية ، لما منع ذلك من احتوائه
على نفس المواضيع .

الفصل الثاني

نجد

(يقولون : نجد .. لست من شعب أهلها
وقد صدقوا .. لكنني منهم حبا)
- الشريف المرتضى -

نشأت الدولة السعودية الأولى في منطقة كانوا يدعونها : اليامة ، ثم غلب اسم
« نجد » على هذه المنطقة وغيرها .

الحج إلى نجد

A Pilgrimage To Nejd

زارت الكاتبة الأنكليزية « لادي بلنت » ، قبل تسعين سنة تقريبا ، اماره آل رشيد في حائل ، ولما عادت الى لندن ، نشرت كتاباً أسمته : « حج الى نجد » ، لقي رواجاً كبيراً ، ولكن بعض الناقدين أخذ عليها أنها غلطت في عنوان كتابها وحده غلطتين : الأولى قولها : « الحج الى نجد » ، مع أن المسلمين إنما يحجون إلى مكة ، والثانية أنها زارت بلاد شمر ، وجبل شمر ليس من نجد ! .. وردت اللادي بلنت على ناقدها ، فكان ردها مرفقاً رائعاً ..

وبما قالته ، في ردها على « الملاحظة » الأولى : « إن نجداً تثير في النفوس شعوراً عاطفياً يشبه الشعور الديني الذي يغمر المسلم المتعبد وهو في طريقه الى مكة ، فالحج الى نجد عاطفي ، ولا يقصد به معنى آخر .

ان بلاد نجد ، في عيون العرب وخصوصاً البدو ، هي مسرح الشعر والخيال ، ومهد الآباء والأجداد ، وأرض الفروسية والكرم ، منذ عهد « عنتره » الذي قام بأروع أعمال الشجاعة والبطولة ، و « حاتم الطائي » الذي كان آية في السخاء والكرم ، الى اليوم ! ،

ثم ردت على دعواهم ان حائل ليست من نجد قائلة :
« أهل البلاد أعرف منا ببلادهم ..

ان أهل شمر يقولون عن أنفسهم انهم نجديون ، بل هم يقولون : شمر .. قلب نجد .

ويقول « غوارماني : ان جبل شمر أحد أقسام نجد السبعة ، أو النجود السبعة ، وقد سماها له شيخ عنزة هكذا :

في الجنوب : « العارض » و « الأحساء » و « الحريق »
في الوسط : « الوشم » .

في الشمال : « القصيم » و « مدير » و « جبل شمر » .

وقال لي الشيخ « حمد » من القصيم : ان نجد ، في المعنى الواسع ، هي جزيرة العرب الوسطى كلها .

ويعرف « والين » نجد ، بأنها البلاد التي ينبت فيها الغضا ، وقد أخذ هذا التعريف الطريف عن البدو ، والغضا .. إما يوجد في جبل شمر ووادي سرحان والنفود ، وسائر بلاد نجد .

و « كازيميرسكي » ، في معجمه الانكليزي العربي يقول ، هو أيضاً ،
إن أهل الفضا .. هم أهل نجد .

ويعرف بلغريف نجد ، من الناحية اللغوية ، بأنها الأراضي التي تمتد من جبل شمر في الشمال الى الصحراء الكبرى في الجنوب ، ومن سلسلة جبل طويق في الشرق الى جوار طريق الحج ، (أو درب الحج) في الغرب .

ويقسم أهل نجد بلادهم الى قسمين ، فأكثرهما ارتفاعاً يسمونه « عالية نجد » أو نجد العليا ، وأما القسم الآخر فقد يسميه بعضهم نجد السفلى ، أو يتروك من غير وصف .

وإذا كان معنى نجد الأرض المرتفعة ، فجبل شمر أحق من غيره بهذا الاسم .. ولكن جبل شمر استقل تحت إمارة آل الرشيد ، ولذلك لم يعبده أهل نجد من بلادهم . أما الأحساء والجوف ، فلا تستحقان لغوياً اسم نجد ، فالجوف ، مثلاً ، واطئة ومنعزلة بحيث يصح أن تعد مدخلاً الى جزيرة العرب لا قطعة منها ، ومع ذلك يعبدها من نجد .

والحسا ، تمتد صهولها الواطئة الى البحر ، وليس فيها مرتفعات تذكر، ولكنهم يعدونها من نجد أيضاً .. بل الأعجب من ذلك أن الترك ، حين استولوا على الأحساء ، دعوها ، هي وحدها : ولاية نجد .

والواقع ان ظهور الدولة السعودية أعطى كلمة «نجد» ، مدلولاً جديداً ، أو معنى سياسياً ، تغير بتغير الأزمنة ، وكان يتبع أحوال الدولة السعودية ، توسعاً وانكماشاً ، ولم تعد كلمة نجد تعبيراً جغرافياً ، وإنما أصبحت تعبيراً أو مصطلحاً سياسياً .

جغرافية نجد

نجد أكبر مناطق المملكة مساحة وأكثرها سكاناً ، وهي كذلك أكثرها صحارى ، ففيها :

١ - الصحراء الكبرى ، التي تسمى « الربع الخالي » ، ومساحتها حوالى ربع مليون ميل مربع ، وتقع في القسم الجنوبي من نجد ، بين المملكة وعمان وحضرموت واليمن .

وفي كتاب آرامكو : أن طول الربع الخالي نحو (٧٥٠) ميلاً ، وعرضه حوالى (٤٠٠) ميل ، ومساحته تقريباً (٢٥٠٠٠٠٠) ميل مربع ، أي مساحة ولاية « تكساس » تقريباً ، ولعله أكبر بقعة رملية مجتمعة في العالم كله . والربع الخالي ، كاسمه ، خال من السكان ، إلا في الشتاء ، فيأتيه الرعاة . والبدو يسمونه : « الرملة » أو الرمال .. وفيه كثبان من الرمل ، ثابتة ومتحولة .. وأعلى ارتفاع فيه ما بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قدم .

٢ - صحراء النفود ، أو النفود الكبرى ، وتقع في القسم الشمالي من نجد ، ومساحتها (٢٢٠٠) ميل مربع وتخرج من النفود خطوط رملية ، تتصل بمجبل طويق .

٣ - صحراء الدهناء ، وهي بين الصحراء الكبرى والنفود الكبرى ، وتمتد الدهناء ، في قوس طوله (٨٠٠) ميل ، من النفود الكبرى في الشمال ، الى الربع الخالي في الجنوب .

وبين « الدهناء » وساحل الخليج العربي يمتد : « الصمان » ، وهو قفر صخري ، يبلغ عرضه ما بين (٥٠) و (١٥٠) ميلاً . ويكون مرتفعاً أحياناً ، والعرب لا يسمون هذه المرتفعات جبلاً ، ولكن يسمونها « الهزم » أو « الذيل » ، وربما سموا التلال الرملية « برقاناً » جمع أبرق ، وبرقة .. ويسمون الرأس الداخل في البحر : « خشماً » أي أنفاً ..^(١)

١ - انظر كتاب آرامكو ، الذي أخذنا عنه أكثر هذه المعلومات .

أقسام نجد

- ١ - العارض : وأشهر بلدانه « الرياض » ، عاصمة المملكة .
واشتهرت من بلدانه ، في التاريخ الحديث :
« الدرعية » ، عاصمة الدولة السعودية الأولى ، التي خربتها حملة محمد علي وجعلتها أثراً بعد عين ، وهي الآن مزارع وفيها مركز للتنمية الاجتماعية .
وكانت فيه أيضاً : « العيينة » ، التي ولد فيها صاحب الدعوة الإصلاحية الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد خربت تماماً ، وكانت من أجمل بلدان نجد وأغناها .
- ٢ - الحرج ، وتعدّ من أنصب أراضي نجد وأغناها بالمياه ، وقاعدتها : « الدلم » ، ومن بلدانها التي اشتهرت في تاريخ نجد الحديث : منفوحة ، نعجان ، السلية ، اليمامة .
- ٣ - الحريق ، وقاعدته : الحريق .
- ٤ - الأفلاج ، وقاعدته : ليلى .
- ٥ - وادي الدواسر ، وقاعدته : الدام .
- ٦ - الوشم ، وقاعدته « الشقراء » ، ومن بلدانه ثرمداء .
- ٧ - سدير ، وقاعدته : الجمعة ، ومن بلدانه الزلفي ، جلاجل .
- ٨ - القصيم ، من أكبر المقاطعات النجدية وأمرها ، ومن بلدانها المشهورة : « بريدة » ، « عنيزة » ، ثم « الرس » و « الخبر » ..
- ٩ - جبل شمر ، وقاعدته بلدة « حایل » ، وتمتد بين جبلي أجأ وسلمى .
- ١٠ - الجوف في أقصى الشمال ، فيه واحات صغيرة خصبة ، مثل سكاكة ، والطوير النخ ..
- ١١ - الفرع ، ومركزه : الحوطة .
- ١٢ - المحمل ، ومركزه : ثادق .
- ١٣ - الشعيب ، ومركزه : حريلاء .

الفصل الثالث

رأى المؤلف في حركة ابن عبد الوهاب ومُتفعلها

قصة تأسيس الدولة السعودية الأولى في الدرعية ، هي قصة كفاح رجلين عظيمين ، وهما :

١ - الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢ - الأمير محمد بن سعود .

لذلك كان هذا الجزء من كتابنا وقفاً عليها ، وهدهما !

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب عالماً مناضلاً ، من طراز ابن تيمية ، ولا ابن تيمية عليه فضل سبق ، إلى علم أغزر وأملوب في الكتابة أنضر ، ولكن الشيخ - ونعني بكلمة الشيخ مجردة : : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - كان أجمع لصفات الزعامة وموهبة التحدث إلى الخاصة والعامة ، من ابن تيمية !

ولسنا الآن في مجال المفاضلة بين الرجلين الكبيرين ، فما أحب الشيخ أحداً من العلماء الذين جاؤوا بعد الإمام أحمد ، كما أحب ابن تيمية ، ولكننا أردنا أن نود بهذا على فكرة انتشرت في كل مكان : وهي أن ابن تيمية أخفق في دعوته ، لأنه ظهر في بلاد الشام ، المتحضرة ، الغارقة في النعيم ، وابن عبد الوهاب انتصر ،

لأنه ظهر في بلاد نجد ، البدوية ، المتخلفة !
وليس هذا « التفسير » في نظرنا صحيحاً ، وإن كان فيه بعض الحق ؛
فالصعوبات التي لقيها الشيخ في « البيئة » النجدية التي ادعوا سرعة استجابتها
للدعوات الدينية كانت عظيمة ؛ ولكن الشيخ أوتي من صفات الزعامة وحلاوة
الحديث فوق ما أتى الله ابن تيمية ، وشبه آخر جليل القدر جداً ، ضمن لدعوته
النجاح بعد أن زلزلت الأرض تحتها ، هو :

إيواء محمد بن سعود ، أمير الدرعية ، للشيخ في بلده ، وحماته لدعوته ونصرته
لها وجهاده في سبيل نشرها جهاداً موصولاً لا هوادة فيه !

ومن هناك شبهوا هجرة الشيخ الى الدرعية ، بعد أن أخرجه أمير العيينة من
بلده ... بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، حيث حماه
الانصار ومنعوه وجعلوا اليه زعامتهم العليا .

إن فضل الأمير محمد بن سعود في حماية الدعوة ونصرتها ، فوق الكلمات القليلة
التي « صرفها » اليه ابن غنم وابن بشر ، وكان من حق هذا الأمير أن يتحدث
عنه مؤرخا نجد حديثاً أطول وأفضل ... فكان شدة تلالؤ كوكب ابن عبد
الوهاب في تلك الأيام قد حجبت شيئاً من حسنات هذا الأمير الباهرة !

ولسنا نعني بهذا أن محمد بن سعود أعظم من محمد بن عبد الوهاب ، أو مثله ،
فالشيخ هو صاحب الدعوة الدينية الإصلاحية التي حققت انقلاباً معجزاً في حياة
نجد وبلاد العرب كلها .

ما في ذلك شك !

وكتابنا هذا يصف لك حياة الشيخ وجهاده ودعوته في مراحلها المختلفة .

ونحب الآن أن تدارس مسألتين تشغلان الأذهان :

الأولى - هل صحيح أن بلاد نجد كانت ، عند ظهور الشيخ ، في ظلام

حالك ، لا يكاد يتبين فيه الانسان « بصيص » نور ؟

الثانية - هل تستطيع حركة الشيخ ، بعد أن أدت رسالتها في الماضي ، أن

تستمر ... وتحقق مطالب الزمن و « التطور » والأجيال الصاعدة ؟

المسألة الأولى

نقلنا أقوالاً وآراء لابن غنّام وابن بشر ومؤلفين أجانب تصور حالة نجد ، في عصر الشيخ ، صورة مخيفة ..

فابن غنّام وابن بشر يقولان إن الشرك طغى على الناس حتى عادوا الى عهد الجاهلية ، قبل الإسلام .. ولم يبق من الدين إلا اسمه ، بعد أن زال رسمه !

ونجد لأقوالهما صدى في كلام الرحالة الأنكليزي « بلغريف » الذي يقول :
« أصبح الدين .. ذكرى بعيدة غامضة .. وظهرت عبادة الجن ، في ظل شجرة أو في أعماق كهف ؛ وقدس الناس الموتى ونذروا للقبور .. وأحيوا عادات قديمة وثنية سبئية .. وأهملوا القرآن ، وتناسوا الزكاة ، والصيام ، والحج .. وما عادوا يعرفون أين تقع القبلة ! »

هكذا كان الدين .. أو « اللادين » !

أما في السياسة : فبداوة تسلب وتقتل وتقرض على المدن المتفرقة « الاخاوة » وتهدد سلامتها .. وتقطع الطرق .. وحروب متصلة .. وغدر ..

وقد استعنا بكلمة للطبري ، نصوّرها بفرق بلاد نجد الى « دويلات » لا يحصى لها عدد ؛ ضعيفة ، متخاذلة ، متحاربة ، بحيث كانت نجد نجسداً لقصة « ملوك الطوائف » الرهية ، قال الطبري :

« كل منهم كان ملكه قليلاً ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق ، وعدوه قريب منه ، له من الأرض مثل ذلك ونحوه ، يغير أحدهم على صاحبه ، ثم يرجع كالخطفة » !

إن هاتين الصورتين القامتين ، لحياة نجد الروحية و « الدنيوية » ، قد يكون فيها بعض المبالغة ، فلا بد للصورة الفنية ، أحياناً ، من الإسراف والتبذير في الخطوط والألوان ، لتلفت إليها الأنظار والأفكار ...

وقد يرى بعضهم أن بلاد نجد كانت ، أيام الشيخ ، في بدء تفتح ، من ناحية الأقلية المتعلمة ، لأن فتياناً وكهولاً من نجد كانوا يدرسون الفقه الحنبلي وغيره ، ويرحلون في طلب العلم إلى الاقطار .

ولكن أثر هذه الاقلية في تهذيب الناس لم يكن عميقاً ، لأنهم كانوا يسايرون الناس في معتقداتهم الباطلة ، ويخوضون فيها مع الحائفين ، إلا النذر اليسير منهم ، وقد آثروا العزلة والعافية !

ولنسلم بأنه كان بين رجال الدين طبقة يفهمون الدين على حقيقته ، ولنسلم كذلك بأن البلاد لا تخلو من رجال يؤدون فرائض الدين ، فهل نستطيع أن نذهب أبعد من ذلك ، فندعي أن الجهل لم يكن غالباً .. وأن مظاهر الشرك والبدع لم تكن متفشية بين الخاصة والعامة ؟
والجواب : لا !

لذلك كان كفاح الشيخ لتعليم الناس وتخليصهم من الشرك والبدع والشعوذة والحرافة والانحطاط الخلقي كفاحاً مجيداً ، وكانت آثار دعوته عظيمة جداً ، لم تلقف عند الناحية الدينية وحدها ، وإنما تجاوزتها إلى الناحية القومية ، ففضل محمد ابن عبد الوهاب ومؤازرة محمد بن سعود له ، تألفت أول دولة عربية اسلامية قوية حرة في شبه الجزيرة العربية ، وقد عرف المؤرخون الغربيون المنصفون قدر الدعوة الوهابية فقالوا إنها تعدّ بدء تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، بل بدء تاريخ الشرق الأوسط !

إن الصفة المميزة الأولى للدول السعودية كلها هي تمسكها بالإسلام واتخاذها نظاماً لها ، والصفة الثانية تمسكها بعروبتها ، ولا تناقض بين الصفتين ، ورحم الله الشيخ حسن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب الذي قال :
« نعرف للعرب حقها وسابقتها وفضلها ونحبهم لحديث رسول الله (ص) :
« حب العرب من الايمان » . وبفضضهم نفاق .

ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالى الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل ، فإن قولهم بدعة .

وكان لهذه الدعوة أثرها العظيم في تغيير الأخلاق ..
بل إنك تجد خصوصاً للوهابية ، كعثمان بن سند ، لا يملك نفسه عن التحدث بحسن آثارها في الناس ، فيقول :
« من محاسن الوهابيين أنهم أماتوا البدع ومحوها .

وأمنوا البلاد التي ملكوها ، وصار كل ما كان تحت حكمهم من هذه البراري
والقفار يسلكها الرجل وحده بلا خفر ..
ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض ..
وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام كأنهم
إخوان ، أولاد رجل واحد ..
وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش إلى الإنسانية ..
وتجد في بعض الأراضي .. بيت «عزي» ، ويجنبه بيت «عتبي» ، وبقره
بيت «حربي» ، وكلهم يرتع .. كلهم إخوان ، ولا تجد أحداً يقول :
هذه ديرتي ، ولا يطأها الغريب !
كما هو ، مشاهد الآن ، مثلاً - في بعض البلاد ..

المسألة الثانية

لا ينكر أحد على حركة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية عظيم فضلها ، وأنها
أحدثت انقلاباً خيراً في حياة نجد والعرب ، بل وصل أثرها إلى المسلمين في الهند
فقام فيهم من يدعو الى مثل دعوة الشيخ ، ولكن هناك مؤلفين غربيين وشرقيين
يقولون إن حركة محمد بن عبد الوهاب أدت رسالتها العظيمة في مرحلة من مراحل
التاريخ ، ولا يجوز أن نستمر في تطبيق أفكار صاحبها في هذا العصر ، بعد أن
تبدلت الدنيا وما عليها ، لأن معنى ذلك الجمود ، أو بتعبير آخر : «إرجاع
عقارب الساعة - أو الزمن - الى الوراء» !
وهنا وجه الخطأ.

وسبب الخطأ : عدم التفريق بين فكرة الشيخ الأساسية ، وبين أساليب
تطبيقها .

ثم عدم التفريق بين الدين الإسلامي السمع ، وبين موقف الغلاة ، الذين لا
يخلو منهم دين ، ولا مذهب ، ولا عصر ولا بلد !
وهذه المملكة العربية السعودية ، إنها تسلك في سياستها ، سواء في عهد مؤسسها

الملك عبد العزيز ، أم في عهد زعيمها وملكها القائم الملك فيصل سياسة تقدمية ، في الداخل ، وسياسة متفتحة في صلاتها مع البلاد الإسلامية وغير الإسلامية ، فهل وقفت دون ذلك أفكار محمد بن عبد الوهاب ؟

لقد زعم بعضهم ان سياسة المملكة العربية السعودية سياسة وهابية ، وأنها تخاطب الناس من باب الإسلام الواسع ، لا من باب مذهبي محدود ، ضيق .

والحق ، إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يعلن دائماً إنه لا يدعو الى عالم ولا إلى مذهب ، وإنما يدعو إلى الإسلام وحده ، وسياسة الحكومة العربية السعودية ليست نقضاً لفكرة الشيخ الأساسية وإنما هي تأييد ونصر لها !

وقد يكون صحيحاً قولهم ان ابن عبد الوهاب أخذ بالشدة في أول ظهوره ، وفي بلده ، ولكنه كتب بعد انتشار حركته أقوالاً في آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفي حرية الناس باتباع اجتهادهم في أمور الدين ، وفي التفريق بين العادات والعبادات ، لا تدع مجالاً للشك في قدرة الآخذين برأي الشيخ ، الراعين لرسائله ، وعياً صادقاً ، على السير في الحضارة والتقدم إلى المدى الأبعد . وقد نهى الشيخ نفسه عن التقليد ، فلو افترضنا - جداراً - أنه أخطأ في بعض آرائه ، فهو لا يلزمنا بها ، لأنه كان داعياً إلى التحرر والتطور ، فكيف يجوز أن ينسب اليه الجلود أو التأخر ؟

إن العالم اليوم تغمره موجة من الأفكار المادية والإلحادية التي تهدد الديانات كلها ، وتعضف بقلوب الشبيبة ، فينبغي لأصحاب الديانات المختلفة فضلاً عن أصحاب الديانة الواحدة ، أن يتقاربوا ، للدفاع عن العقيدة والمثل الروحية العليا ، لأن زمان التنازع والتعصب ، والتمسك بجزئيات الأمور قد انقضى تماماً ، وهذا مما يدركه رجال الدين العقلاء ، في كل مكان .

وإن كلمة الإمام الأشعري ، تبدو اليوم ، أصدق من يوم تصعدت من أعماق نفسه ، بعد أن كان يتهم المخالفين له ويكفرهم ، قال ، قبيل وفاته :

« أشهدوا علي ، إنني لا أكفر أحداً من أهل القبلة ، فالجميع يشيرون إلى معبود واحد . وإنما هو اختلاف العبادات » .

الجزء الأول

تَارِيخُ الْإِسْلَامِ الْقَدِيمِ

يبحث هذا الكتاب في تاريخ الدولة السعودية ، منذ ظهورها في عهد محمد بن سعود ، وليس من أغراضنا تدارس تاريخ البلاد القديم .. ولكننا نعرف أن التاريخ سلسلة ، تترايط حلقاتها وتتداعى ، وإذا فقدت منها حلقة صعب على الانسان أن يفهم حلقاتها الباقيات ويستقصي أخبارها وحقائقها ..

لذلك رأينا أن نقدم بين يدي هذا الجزء من كتابنا « توطئة » صغيرة ، نعرض فيها عرضا سريعا وجيزا ، تاريخ اليمامة القديم ، وأما بقية مناطق المملكة ، كالحجاز وعسير ، مثلا ، فسنعرض لها متى تكلمنا عن العهد الذي انضمت فيه الى الدولة السعودية .

وسبب ابتدائنا بتاريخ اليمامة ، هو أن امارة الدرعية - منطلق الدعوة الوهابية ومهد الدولة السعودية الاولى - انما تأسست في هذا القسم من جزيرة العرب ، الذي كانوا يسمونه : « اليمامة » .

فما هي « الادوار » التاريخية التي مرت بها اليمامة ، قبل ان تقوم فيها الدولة العربية الاسلامية الصاعدة ؟

ذلك سؤال يرد على خاطر الرجل المثقف ، عند أول نظرة يلقيها على تاريخ نشوء الدولة السعودية ..

فاجيبنا ان نضع له الجواب مختصرا ، ما امكنا ذلك ..

غموض التاريخ العربي القديم

هل تمكنا الكشف الأثرية بأخبار الماضي المجهول ؟

استطاع المؤرخون ، بفضل النقوش والآثار القديمة التي وجدت في اليمن والسواحل الجنوبية من جزيرة العرب وفي أماكن أخرى ، أن يضيفوا أشياء جديدة كبيرة القيمة الى ما كان معروفاً ، قبل ، من أخبار اليمن وعرب الجنوب ، في العهود العريقة في القدم ، وأن يصححوا الكثير من الروايات السابقة أو يبطلوها .

وتاريخ اليمن كان ، فوق ذلك ، موضع عناية المؤرخين القدامى من الرومان واليونان ، لأن اليمن تحضرت قبل سائر بلاد الجزيرة العربية وكانت لها تجارة واسعة مع الشعوب الأوروبية ، تصدر إليهم منتوجاتها المحلية وتستورد لهم أيضاً من الهند والصين ما يرغبون فيه ويقبلون على شرائه . وكان لليمن سمعة ثراء عريضة ، فطمع بخيائرتها الرومان ، ولذلك جهزوا حملة لغزوها ، سنة ٢٤ ، قبل الميلاد ، قادها واليهم على مصر « ايليوس غالوس » ، ولكن الحملة المؤلفة من عشرة آلاف مقاتل أخفقت اخفاقاً كاملاً بسبب جهلها بالطرق والمساالك وقسوة الطبيعة ، فعادت من حيث أتت ، بعد أن خلفت وراءها خسائر كبيرة في الأنفس والأموال .

ومهما يكن من أمر هذه الحملة فقد لفتت أنظار الرومان بقوة نحو اليمن وجعلت المؤرخين الرومان يولون تاريخ اليمن وجغرافيتها مزيداً من عنايتهم .

أما تاريخ نجد ، بل تاريخ الجزيرة العربية الوسطى والشمالية ، فلم يزل

بجھولا ، لأسباب كثيرة ، قد يكون من أبرزها :
أولاً - أن هذه المناطق كانت أقل اتصالاً بالشعوب الأخرى القديمة من
اليمن .

ثانياً - أن انتقالها إلى دور الحضارة وبناء المدن جاء متأخراً عن جاراتها
الجنوبيات ، ولعلها لم تكن مثل عنايتهم بتخليد وقائعها وأيامها ، بنقشها على
الحجر أو غيره .

ثالثاً - لم تجرِ كُشوف أثرية تذكر في هذه البلاد . بعد ...
وتقول دائرة المعارف الإسلامية « النسخة الانكليزية » إن «أورانيوس»
ألف خمسة كتب عن بلاد العرب ، لو قدر لها البقاء لعرفنا بها شيئاً عظيماً عن
تاريخ العرب القديم ، ولكنها ضاعت ، وبذلك انحصرت مصادر التاريخ
العربي القديم بما حفظ من أخباره في « السجلات الآشورية » ، والنقوش
والكتابات النبطية والعربية ، إلى ما تناقلته الروايات العربية التي يصعب
علينا التفريق بين حقائقها وأساطيرها ، على فقرها وهزالها ...

كشوف جديدة :

قام علماء أمريكيان - ساعدت أكثرهم شركة أرامكو وقامت هي نفسها
باستدعاء بعضهم للتنقيب عن الآثار - بكشوف أثرية في مناطق النفط وأبعد من
ذلك قليلاً ، وما تزال هذه الكشوف المحدودة موضع دراسة العلماء المختصين .

جنة الله على الأرض

وقد أثبتت الدراسات الجيولوجية ، والكشوف الأثرية ، التي ظهرت حتى
الآن ، أن الجزيرة العربية كانت ، في الأزمان العريقة في القدم ، قطعة من
الفردوس منشورة على وجه الأرض ، تغمرها الأشجار والأزهار ، وتندفق فيها
العيون والأنهار ، ويتكاثر فيها الحيوان والطير ، ويمجد فيها الإنسان رزقه بأهون

سبب ، بينما كانت أوروبا ، في تلك العصور ، بلاداً ميتة، ترقد تحت طبقات كثيفة من الجليد الدائم ، كالذي يشاهد في أقاصي القطب الشمالي .
ثم أخذت الطبيعة تتحول ، بفعل القادر على كل شيء ، فأصبحت الجزيرة بلاداً جافة حارة ، وغاضت ينابيعها ونضبت أوديتها وعادت جنتها صحارى مقفرة ..
وكان الفردوس انتقل عنها الى أوروبا ، فاذا المناطق الأوربية الميتة تبعث حياة ، تفيض بالنعم والخيرات ، والأنهار والبحيرات ، وترتدي حللا سندسية من العشب النضير ، وتقوم فيها الرياض والغابات العجيبة .

في العصر الحجري

اكتشفت في « الدوادمي » أدوات من الصوان ، كالفؤوس وغيرها ، كان يستعملها السكان في العصر الحجري ، واستدل بذلك على أن الجزيرة العربية كانت ، في العصر الحجري الأول ، موطناً للصيادين ، كما اكتشفت في الربع الخالي أدوات ترجع الى العصر البرنزي^(١) .

حضارة الجنوب والأنباط

وتدل الكشف الأثرية التي جرت في « جاوان » و « ثاج » وغيرها على أن حضارة عرب الجنوب وحضارة العرب الأنباط كانتا تتعاقدان أو تتلاقيان ويمتزجان في سواحل الخليج العربي وعلى أرض نجد واليهامة ، في القرن الخامس للميلاد وقبل ذلك ، ولكننا لا نستطيع منذ الآن أن نجزم بشيء .. ولا بد لنا من انتظار فترة من الوقت لتثبت من محتويات الكشف الأثرية ..

١ - دائرة المعارف الاسلامية « الطبعة الانكليزية » .

اليمامة قبل الإسلام

طسم وجديس

لا نجد في كتب التاريخ العربية القديمة ، من أخبار اليمامة ، قبل الإسلام ، إلا شيئاً بسيطاً ، نقل أكثره من روايات ابن الكلبي ، التي تغلب عليها الصبغة الأسطورية .

وسنقل الآن شيئاً مما وجدناه في هذه الكتب ، وإن كانت النفس لا تطمئن إليه ، مضيفين إليه ما وجدناه في المصادر الغربية ، ولعل الدراسات التاريخية والأثرية الجديدة تكشف لنا غداً ، إن شاء الله ، عما نجعله اليوم من أحوال اليمامة . قالوا : كان اسم اليمامة قديماً : جوا ، والقرية ، والعروض ، وكانت منازل له طسم ، و « جديس »^(١) . ويزعم القلقشندي أنها كانت لبني هزان من العرب البائدة ، ثم غلبهم عليها طسم ، وهم من العرب البائدة أيضاً ، وينسبون في الأزده ، من قبائل اليمن .

أما الدينوري ، فيقول ، في « الأخبار الطوال » ، إن « طسم » هو ابن ارم بن سام بن نوح ، و « جديس » أخوه ، وأنها أتينا من بابل ، فسكن طسم عمات

(١) أنظر معجم البلدان لياقوت . ويقول الجاسر إن (جو) ليس اسم اليمامة ، والقرية اسم سدوس ، وعندنا أن اسم (جو) أطلق على اليمامة في الشعر ، واسم القرية أطلق أيضاً على اليمامة ، كما أطلق على سدوس ، والله أعلم .

والبحرين ونزل جديس اليامة .
ويقول الهمداني في كتابه « صفة جزيرة العرب » : « كانت جديس تسكن
الحضرمة ، وكانت طسم تسكن الحضراء » ، وهو يعني بالحضراء بلدة حجر ،
وكلتا الحضرمة وحجر في اليامة .

أسطورة اليامة

عاشت قبائل طسم وجديس فترة من الزمان متحابّة متعاونة في ظل ملك
واحد ، ثم ثارت بينهم الحرب ، وكانت سبب دمار بلادهم وزوال دولتهم .
يروى لنا « ابن الكلبي » قصة هذه الحرب - ولعلها أسطورة قديمة - فيفيض
عليها ما شاء من شاعريته وخياله ، فهي إن لم تكن تاريخاً ، عُدّت من روائع الفن
القصصي عند العرب ^(١) !

^(١) وخلاصتها : أنه كان لطسم ملك ظالم ، مستهتر ، لا يسكه شيء عن هواه ،
يدعى : « عمليق » .

قالوا : تنازع رجل وامرأة - وكنا من جديس - في مولود لهما أراد أبوه أن
يأخذه ، فأبّت عليه ذلك أمه ، فارتفعا إلى الملك عمليق ، وأدلى كل منهما بحجته ،
فأمر الملك بالغلام أن يقبض منهما ويجعل في غلمانة ...

فقال المرأة ، وكان اسمها هزيلة :

« أتينا أخا طسم ليعكم بيننا فأظهر حكماً في « هزيلة » ظالماً !

لعمري لقد حكمت لا متورعاً ولا كنت فيما يلزم الحكم حاكماً ،

فبلغت أبياتها إلى عمليق ، فنقم على نساء جديس كلهن ، وأمر أن لا تزوج بكر
من جديس حتى تدخل عليه ، فلقوا من ذلك هولاً وذلاً .. حتى تزوجت
« عفير » ، فحملوها ، قبل أن يدخلوها على زوجها ، إلى الملك عمليق ، فامتعت
عليه ، فوجأها بمجدبة في أسفل بطنها ، وخرجت والدم يسيل منها ، فمرت بأخيها
سيد جديس ، وهو في جمع من قومه ، وأنشدت ، وهي تبكي :

« لا أحد أذل من جديس أهكذا يفعل بالعروس ؟ »

ثم قالت تخاطب قومها :

« أيجمل أن يؤتى الى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد الرمل ؟
فلو أنثنا كنا رجالاً وكنتم نساءً لكننا لا نقر على الذل
فموتوا كراماً أو أميتوا عدوكم وكونوا كنارشب بالحطب الجزل »
قالوا : ثم دعا « الأسود » ، أخو عفيرة ، الملك عمليق وأشراف قومه الى
مأدبة ، فلما حضروا وأكلوا ، وثب الأسود على الملك عمليق فقتله ، ووثب رجال
جديس على ضيوفهم فقتلهم ..

.. وفر رجل من طسم ، يقال له ، « رياح » ، الى الملك « حسان » الحميري ،
يستغيث به فلقبه في نجران ، وقيل بمكة ، فأغاثه ، وزحف حسان بجيش كبير الى
جو .. ، فلما كان على مقربة ليلة من جو ، عند جبل هناك ، قال له رياح : توقف
أيها الملك : فان لي أختاً متزوجة في جديس ، يقال لها البامة ، وهي أبصر خلق الله
على بعد ، فانها ترى الشخص من مسيرة يوم و ليلة ، وإني أخاف أن تراثا وتذربنا
القوم !

فأمر الملك رجلاً أن يصعد الجبل فينظر ما يرى ، فلما صعد الجبل دخلت شوكه
في رجله فأكب عليها يستخرجها ، فأبصرته البامة ، وأندرت قومها ، فلم
يصدقوها ^(١) ..

ثم أمر الملك أصحابه أن يقطعوا من الشجر أغصاناً ويتستروا بها ، ليشبهوا على
البامة ، كما أمرهم أن يكون مسيرهم ليلاً .. فقطعوا الشجر ، وأخذ كل رجل بيده

١ - وفي ذلك يقول الشاعر الأعشى :

« اذ أبصرت نظرة ليست بفاحشة اذ رفع الآل رأس الكلب فارتفعا
قالت أرى رجلاً في كله كتف ار يخصف النمل لها أية صنعا !
فكذبوها بما قالت فصبحهم فرآ آل حسان يزجي السمر والسلمعا »

وهناك امرأة أخرى عرفت بحدة البصر ، في الجاهلية ، وهي حذام ، وفيها يقول الشاعر :

« اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام . »

غصناً حتى إذا دنوا من « جو » نظرت اليامة ، فقالت :
إني أرى شجراً من خلفها بشر لأمرٍ اجتمع الأقوام والشجر...
ولم يصدقها قومها هذه المرة أيضاً... وصحبهم خيل حمير ، واستولوا على
البلد ، وأمر الملك باليامة أن تقلع عيناها وتصلب على باب « جو » ، ثم بدا له فأمر
أن تسمى البلدة : « اليامة » .
قالوا : « وخربت اليامة من يومئذ ، وبقيت خراباً حتى جاءها بنو حنيفة » .



ذاك تاريخ اليامة القديم ، كما تقضه علينا كتب التاريخ والأدب العربي ،
وهو ، كما قلنا ، أشبه بالأساطير . ويحددون زوال ملك طسم بالقرن الخامس
للميلاد .

قلاع اليامة وقصورها :

في كتب الأدب والتاريخ القديمة ذكر لبعض قلاع اليامة وقصورها ، في عهد
طسم وجديس ، ولعل الكشف الأثرية ، في المستقبل ، تظهر لنا من أخبارها
ما نجهله .

وقد ذكر « ياقوت » من هذه القلاع والقصور : الشمس والمشرق والمعنى ،
قال :

الشمس ، من أجود قصور اليامة ، يقال إنه من بناء جديس وهو محكم البناء .
معنى ، قصر عبيد بن ثعلبة بجعر اليامة ، وهو أشهر قصور اليامة ، يقال إنه
من بناء طسم ، وهو على أكمة مرتفعة وفيه وفي الشمس يقول الشاعر :

أبت شرفات من شمس ومعنى لدى القصر منا أن تضام وتضهدا
المشقر ، كأنه مأخوذ من الشقرة وهي الحفرة ، أو من الشقر وهي شقائق
النعمان .

قال ابن الفقيه : هو حصن بين نجران والبحرين ، يقال انه من بناء طسم وهو
على تل عال ، ويقابله حصن بني سدوس ، ويقال انه من بناء سليمان بن داود عليها
السلام .

وقال غيره : المشقر حصر البحرين ، عظيم ، لعبد القيس .. قال الشاعر :
(تركت قريشا أن أجاور فيهم وجاورت عبد القيس أهل المشقر)
ويقول جرجي زيدان :

« من أشهر مدن طسم وجديس : القرية في اليمامة ، ويقال لها خضراء حجر ،
وهي حاضرة طسم وجديس ، فيها آثارهم وحصونهم وبتلهم ، الواحد بتيل ، وهو
بناء مربع مثل الصومعة ، مستطيل في الساء ، من طين ، وقد رآه المسلمون في
القرن الثالث أو الرابع ، وذكر أحدهم أنه أدرك بتيلا طوله (٥٠٠) ذراع ،
ولعل زرقاء اليمامة نظرت جيش تبّع من أحدها .

وفي اليمامة بلد إسمه (جعدة) فيه قصر يعبرون عنه بالعادي ، لقدمه ،
ويذكرون أنه من بناء طسم وجديس وأنه حصن منيع .^(١)

(١) جعدة إسم رجل لا إسم بلد ، وكانت البلدة مقرأ له ، فيصح القول إنها بلد (جعدة)!

عزّة وحيفة

قال الدينوري ، في « الاخبار الطوال » :

(بقيت اليمامة والبحرين ، بعد مقتل جديس ، ليس بها احد ، السى ان كثرت ربيعة وانتشرت وتفرقت في البلاد ، فسارت عزّة بن اسد بن ربيعة تتبع مواقع الفيت ، وتقدمها عبيد العزي بن عمرو العنزي ، حتى هجم على (اليمامة) ، فرأى بلادا واسعة ونخلا وقصورا .. فاقام (في اليمامة) اياما ، ثم تيرم بمكانه ، فمضى سائرا حتى سقط السى البحرين ، فرأى بلادا اوسع من اليمامة ، وبها من ولد كهلان حين هربوا من سيل العرم ، فاقام معهم .) .

ويقول ياقوت ، في معجم البلدان : « خرجت بنوحيفة ... يتبعون الريف ويرتادون الكلا ، حتى قاربوا اليمامة ، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بسن حنيفة ، منتجما باهله وماله يتتبع مواقع القطر ، حتى هجم على اليمامة ، فنزل موضعا يقال له : (قارات الحبل) ، وهو من « حجر » على يوم وليلة ، فاقام به اياما .. فخرج راعي عبيد حتى اتى قاع حجر ، فرأى قصورا ونخلا وأرضا ، وعرف ان بها شانا ، وهي التي كانت لتطمع وجديس فبادوا .. فرجع الراعي حتى اتى عبيدا ، فقال :

والله اني رايت اطاما طوالا ، واشجارا حسانا ، هذا حملها ..
واتى بالتمر معه ، مما وجده منتشرا تحت النخل ، فتناول منه عبيد واكل ، فقال :
- هذا والله طعام طيب !

واصبح ، فامر بجزور ان تنحر ، ثم قال لبننيه وغلمايه : احتزوا حتى آتيكم .
وركب فرسه ، واردف الغلام خلفه ، واخذ رمحه ، حتى اتى حجرا ، فلما رآها لم يحل عنها ، وعرف انها ارض لها شان ، فوضع رمحه في الارض ، ثم دفع الفرس ، واحتجر ثلاثين قصرا وثلاثين حديقة ، وسماها (حجرا) ، وكانت تسمى اليمامة .. ثم ركز رمحه في وسطها ، ورجع الى اهله ، فاحتلمهم حتى انزلهم بها ..
وتسامعت بنو حنيفة ، ومن كان معهم من بني بكر بن وائل ، بما اصاب عبيد .. فاقبلوا فنزلوا قرى اليمامة . » .

دَوْلَةُ عَرَبِيَّةٍ نَبْطِيَّةٍ فِي الْقَدَمِ الرَّابِعِ بَعْدَ الْمِيلَادِ

يقول ابن الكلبي : إن ملك حمير أزال دولة طسم وأقام مكانها دولة كندة . ولكن يبدو أن بلاد اليمامة ونجد خضعت ، قبل استيلاء الكنديين عليها ، إلى ملك عربي كبير ، هو : « امرؤ القيس بن عمرو » الذي امتدت مملكته من نجد واليمامة إلى نجران إلى تخوم الشام ، كما ثبت ذلك بكتابة نبطية ، جليّة القيمة ، وجدت على قبر امرئ القيس بن عمرو ، بالقرب من حصن النارة ، من الشام ، وهذه صورتها « الفوطوغرافية » :

1. تي نפש مراكش بر عمرو ملك آل-عرب كذا ذو אשר آل-حز
2. وملك آل-أشدين ونمرو وملوكهم وهرج مدحكو عكدي ونا
3. 3. بوزي (?) في حزن نجران مدينت شمير وملك معدو ونزل بنينا
4. آل-شعوب ووكلا لفرش ولأروم فلم يبلع ملك مكلعة
5. عكدي دلخ سنة 200 + 20 + 8 يوم 7 بكنسلول بلشعد [د] ولدا

ترجمة النص

وقد قام الآثاريون بترجمة هذا النقش إلى اللغة الافرنسية ، ونشر « دوسو » النص والترجمة في كتابه : « العرب في الشام قبل الاسلام » ، وهذا تعريبه :

١ - هذا هو قبر امرئ القيس بن عمرو ، ملك جميع العرب ، ذلك الذي كلل بالتاج .

٢ - ذلك الذي أخضع قبيلتي أسد وقبيلة نزار وملوكها ، هذا الذي شنت

شمل مذبح حتى يومنا هذا ، وقال

٣ - نجاحاً في حصار نجران ، مدينة شمر ، ذلك الذي أخضع قبيلة معد ، ذلك الذي ولّى أولاده .

٤ - على القبائل ، وندبهم لدى الفرس والرومان . لم يصل ملك إلى مجده .

٥ - حتى يومنا هذا . ومات عام ٢٢٣ ، في السابع من كسول . لتنعيم ذريته بالسعادة .

ويقول « درسو » ، اعتماداً على هذا النقش وعلى روايات تاريخية أخرى ، إن أمراً القيس بن عمرو ، كان ملكاً عربياً ، من الأنباط ، ألفت دولة عربية كبيرة ، في أوائل القرن الرابع للميلاد ، تضم تحت رايتها عرب الشام ونجد وممتد إلى حدود اليمن ، وقد رأس كل ولد من أولاده على قبيلة من القبائل العربية الخاضعة لسلطانه ، واستطاع الظفر برضاء الدولتين المتنافستين ، فارس وبيزنطة ، لأن الفرس هم الذين كلّوه بالتاج ، والعرب لا يعرفون ذلك ، ومع هذا رضي عنه الرومان وقبلوا سيادته ورثاسة أولاده على القبائل المقيمة في أراضي الشام ، التي كانوا يسيطرون عليها !

أما وصفه ، في النقش ، بأنه ملك جميع العرب ، ففيه مبالغة ظاهرة ، والمقصود هو أنه ملك عرب الحيرة ، ونجد ، والشام .

ولا يسعنا ، على كل حال ، أمام هذا الكشف الأثري ، الذي يثبت لنا قيام دولة عربية في نجد في القرن الرابع ، إلا أن نعيد النظر في رواية ابن الكلبي .. وقد يكون التفسير المعقول لما حدث في اليمامة ، في نهاية ملك طسم ، هو أن جنود حمير وكندة غزت بلاد اليمامة ونجد ، في طريقها إلى الحيرة ، ولكنها لم تؤسس دولة هناك فور هزيمة (طسم) ، وإنما تأسست الدولة بعد ذلك بفترة من الزمن .

وربما انتهزت القبائل العدنانية فرصة انهيار ملك طسم ، فتغلغت في بلاد اليمامة ونجد أكثر فأكثر ..

ومها يكن الأمر ، فسكان نجد واليمامة ، الذين تولى عليهم ملوك كندة لم يكونوا رجال طسم المهاجرين من اليمن ، وإنما كانوا عرباً من ربيعة ومضر ..

مملكة كندة

نشأت مملكة كندة في نجد واليامة ، بمؤازرة الدولة الحميرية اليمنية ، ولذلك كان ملوك كندة حلفاء طبيعيين لليمن .

ويقول « حتي ، إن رؤساء كندة هم أول من تلقب من حكام العرب بلقب « الملك » ، فقد جرى العرب عادة على إطلاق هذا اللقب على الملوك الأجانب »^(١) . وكانت الدول العربية الشمالية في عصر كندة ، هي :

١ - دولة الغساسنة ، في الشام .

٢ - دولة اللخمين ، في العراق .

٣ - دولة الكنديين ، في اليامة ونجد .

وكان ولاء كندة لحمير ، وولاء الغساسنة للرومان « البيزنطيين » ، وولاء اللخمين في الحيرة لفارس ، وكانت هذه الدول تتنافس وتتعارب .. ولم تكن مستعمرات أو محميات ، ولكن ظروفها كانت تستوجب منها في بعض الأحيان محالفة الدول الكبيرة ، والقتال معها ، وقد ثور عليها متى سنحت لها الفرصة . أما دولة كندة ، فبقيت حتى النهاية على ولائها لليمن ، لصلات القربى التي تصل بينها ، فهما شعب واحد .

وبما يلاحظ أن هذه الدول الثلاث « الغسانية واللخمية والكندية » التي تأسست

١ - فيليب حتي : تاريخ العرب (المطول) .

في الجزء الشمالي من جزيرة العرب الذي نعتبره موطناً للعرب العدانية ، كانت كلها « قحطانية » ، كما يزعم المؤرخون والنسابون . ويتشكك الكاتب جرجي زيدان في « قحطانية » هذه الدول ، لأن لغتها عدنانية لا حميرية ..

مؤسس مملكة كندة

كانت عشائر كندة ، تقيم في حضرموت ، وقصبتهم فيها : بلدة « دمون » ، ويزعم بعض المؤرخين ان أصل كندة من البحرين ، ولكنها أجليت عنها الى حضرموت ، وكان عدد رجالها ثلاثين ألف نفس . وقيل إن كندة اضطرت الى التزوح عن حضرموت اضطراراً ، بعد هزيمتها في المعارك مع عشائر حضرموت ، فهاجرت الى الشمال ونزلت في مكان من الجنوب الغربي من نجد يعرف باسم « نمر ذي كندة » .^(١)

وفي القرن الخامس للميلاد غزا تبع اليمن « حسان » بلاد الحيرة وحلفاءها في نجد واليامة ، فغزت معه عشائر كندة ، وكتب له النصر ، فأقام رئيس كندة ، واسمه « حجر آكل المرار » رئيساً على عشائر اليامة ونجد كلها ولقبه بلقب الملك ، وكان حجر أخاً لحسان من أمه ، وخادماً مخلصاً له ، وبذلك نشأت « مملكة كندة » . وقيل إن عشائر اليامة ونجد هي التي أرسلت وفداً منها الى اليمن وطلبت من حسان ، ملك اليمن أن يولي عليها حاكماً من قبله ، فاستجاب لطلبها ، وملك عليهم أخاه « آكل المرار » ، لقب بذلك « لكشر كان فيه » ، كأنه أكل من العشب المر ، الذي تنقلص له ، عادةً ، مشافر الابل .^(٢)

ويقول جرجي زيدان ، ملخصاً بعض الروايات العربية ، إن سفهاء بكر بن وائل « غلبوا على عقلائها ، وغلبهم على الأمر ، وأكل القوي الضعيف ، فنظر العقلاء في أمورهم فرأوا أن يملكوا عليهم ملكاً يأخذ للضعيف من القوي ، ورأوا

١ - دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانكليزية)

٢ - فيليب حتي : تاريخ العرب .

مع ذلك أن هذا لا يستقيم بأن يكون الملك منهم إذ يطيعه قوم ويخالفه آخرون ، فأجمعوا على أن يسيروا الى تبع اليمن « حسان » ، وكان التبابعة للعرب بمنزلة الخلفاء للمسلمين ، وطلبوا إليه أن يولي عليهم ملكاً ، وكان « حجر » المذكور ذا رأي ووجهة فولاته عليهم ..

فقدم حجر الى نجد ونزل « بطن عاقل » ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من بلاد نجد ، ولا سيما بلاد بكر بن وائل ، فنهض حجر بهم وحارب اللخميين وأنتدأ أرض بكر منهم ، فأجمعت كلمة العرب على احترامه . ولا يستبعد العقل أن تكون قبائل كندة هي التي استدعت العرب الجانيبة لنجدها ضد دولة الحيرة وحليفاتها في نجد .

ملوك كندة

حجر آكل المرار

كان حجر آكل المرار أول ملوك كندة ، ويقول « القرماني » في تاريخه : « ذكر صاحب البحر الزخار أن أول ملوكهم : « حجر » ، بضم الحاء المهملة ، وهو من أولاد سبأ ، وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليهم ، بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجر سدّد أمورهم وساسهم ، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل أحسن العشائر والقبائل . »

عمرو بن حجر

خلف حجراً ، بعد موته ، ابنه « عمرو » وكان لقبه : « المقصور » ، ولم يطل ملكه ، فقد قتله الحارث بن أبي شمر الغساني . ويقول صاحب « الأغاني » ، إنه كان لعمرو أخ يدعى « معاوية » ، ولاته على « البجامة » .

الحارث بن عمرو

خلف الحارث أباه عمراً ، بعد مصرعه .

ووجدنا في المعجم الكنسي ، الذي يبحث في تاريخ الكنائس المسيحية في كل بلاد العالم ، أن « الحارث بن عمرو ، كان وثنياً شديد التعصب لوثنيته ، وأنه اكتسح فلسطين عام ٤٩٧ م . وعذب كثيراً من المسيحيين فيها .

وفي عام ٥٠٢ م . عقد البيزنطيون صاعاً معه ، وقعه الحارث وأفراسيون ، نيابةً عن الأمبراطور انسطاس ، ولما أمن الحارث جانب الرومان ، انصرف الى محاربة المنذر ، وحلّ في عرش الحيرة محله ، ولكن فتنة نشبت في بعض قبائله في فلسطين اضطرتّه الى مغادرة الحيرة والعودة الى فلسطين ، فلحق به المنذر وتغلب عليه ، ويقال إن جماعة من بني كلب هم الذين قتلوا الحارث .

ويقول القرماني: لما عاد المنذر إلى ملك أبيه زمن « أنوشروان » ، هرب الحارث الى ديار بكر ، ثم فرق البلاد التي بقيت في ملكه بين أولاده .

ويقول مؤلف « الأغاني » إن الأشراف من قبائل ربيعة ومضر ، جاؤوا الى الحارث ، وقالوا له : « إننا في دينك ، ونحن نخاف أن نتفانى ، فيما يحدث بيننا ، فوجه معنا بنيك ينزلون فينا ، فيكفون بعضنا عن بعض » .

فلك ابنه حجر ، على بني أسد بن خزيمه ،

وملك ابنه شراحيل ، على بكر بن وائل ،

وملك ابنه مسلمة ، على تغلب .

وملك ابنه معدي كرب ، على قيس عيلان .

زوال مملكة كندة ، وكانت : أول محاولة لتوحيد القبائل

يقول المؤرخ الكبير « حتي » إن أبناء الحارث اختلفوا فيما بينهم ، فكان ذلك سبب زوال ملك كندة ، لأن كل واحد منهم كان يتزعم قبيلة ، فأدى خلافهم الى انحلال وحدة كندة وتلاشي الدولة ... أما الباقون من أبناء كندة فرجعوا الى

منازلهم بحضرموت، وبذلك انقضت معالم دولة نشطت الى مناظرة الحيرة، فكانت هي وغسان الدولتين اللتين نازعتا الحيرة البقاء ...
.. ولا تنحصر أهمية كندة فيما أتى به أبناؤها من الأعمال، وما حازوه من مجد وسؤدد، ولكن بما لها من الفخار العائد الى كونها تمثل أول محاولة قام بها عرب الجزيرة الوسطى، لجمع شمل القبائل تحت زعامة واحدة مركزية يتولاها سيد واحد، فكانت محاولتها من هذه الناحية سابقة أفاد منها أهل الحجاز والنبي محمد .

حجر بن الحارث وابنه امرؤ القيس

كان حجر، أعظم أولاد الحارث وأكثرهم شهرة بين القبائل .
ويقول المعجم الكنسي إن حجراً حارب القائد الروماني « رومانوس » فانتصر عليه القائد الروماني وأسرهم، كما أسر أخاه معدي كرب ..
وفي كتب الأدب أن حجراً فرض على بني أسد إتاوة ثقيلة، وأرسل اليهم جباة ليحصلوها، فامتنعوا عن أدائها لهم، وضربهم ومثلوا بهم، فسار اليهم حجر في كتيبة من جنده وأخذ يقتلهم بالعصا، فسموم : « عبيد العصا » .
ثم هدأت الأمور، بعد وساطة الشاعر عبيد بن الأبرص، ولكن كاهن بني أسد أبى إلا تحريض قومه على حجر، ففاجأوه وهو في قبته وقتلوه ! وبموته زالت مملكة كندة .

وكان مقدراً لابن حجر : امرؤ القيس، الشاعر الجاهلي الكبير، الذي لقبوه بالملك الضليل، أن يتولى الملك بعد أبيه، ولكن بني أسد، الذين كان يرجى أن يكون ملكاً عليهم، أصبحوا أعداء له .. فحاربهم وفعل بهم الأفاعيل ولكنه لم يملكهم، ثم قتل المنذر إخوته، وأراد قتل امرئ القيس نفسه فهرب إلى الروم، ومات من قروح انتشرت في بدنه .

العرب والفرس

ربيعة ومضر

لم تنفرد ربيعة بسكنى اليامة وما حولها ، وإنما كانت تجاورها في مساكنها ، أو تقاسمها بعضها ، قبائل من مضر ، كتميم وقيس عيلان .

انتشرت ربيعة بفرعيها الكبيرين : بكر بن وائل وتغلب بن وائل ، الى البحرين والعراق والشام وغيرها ، ولكن بقيت بطون وجاعات منهم كبيرة في اليامة ونجد ، وخصوصاً « بني حنيفة » ، فقد استقروا كلهم في اليامة ولم يرحل أحد منهم الى غيرها .

وأما مضر فقد انتشرت قبائلها ، هي أيضاً ، من اليامة الى غيرها من البلاد ، ولكننا نستطيع القول ان تميم - وهي أعظم تلك القبائل المضربية - لم تهجر بقضها وقضيضها ، كما فعلت تغلب ، وإنما بقيت منها في اليامة ونجد أعداد ضخمة تساوي بني حنيفة أو تفوقهم .

و « بنو حنيفة » ، و « بنو تميم » هما ، على كل حال ، أعظم القبائل العدنانية في اليامة ، ومثلان فيها ربيعة ومضر ، وإن كانتا لا تنفردان بذلك ، ففي اليامة قبائل أخرى عدنانية ، وهناك أيضاً قبائل قحطانية ، ولكنها لم تكن ذات شأن في اليامة عند ظهور الاسلام .

قبائل العرب والفرس

كانت القبائل العربية في اليمامة ونجد ، وفي سائر البلاد التي انتشرت إليها ، ما عدا الشام ، موالية للفرس وللدول العربية المتحالفة معهم . وذلك ، طبعاً ، بعد زوال مملكة كندة ، الموالية للحمير .

استخدم ملوك الحمير ، وخصوصاً النعمان بن المنذر ، في جيوشهم رجالاً من بكر ابن وائل وغيرهم من العرب ، وكانت عنده كتيبة منهم ، يقال لها : « الصنائع » .

وقعة ذي قار .. ترفع سيطرة الفرس !

اصطدمت قبائل بكر بن وائل بالفرس مرتين : مرة في عهد شاپور ، ومرة بعد البعثة النبوية ، في معركة مشهورة عرفت باسم : « وقعة ذي قار » ، أو « يوم ذي قار » .

لم تشترك حنيفة في هذه المعركة ، لانقطاعها عن قومها في اليمامة ، بل قيل ان حنيفة كانت معزولة عن بكر بن وائل ، لا تنصرهم ولا ينصرونها .

واشتبك في صفوف الفرس مقاتلة من ميم ومن اياد ، ولكنهم انسحبوا عند التحام المعركة .

ويقول الطبري ان سبب المعركة أن كسرى قتل النعمان ، وكانت حلقة النعمان عند بكر بن وائل ، فطلبها كسرى فأبوا أن يسلموها اليه ، فعزم كسرى على استئصال شأفة بكر بن وائل فأشاروا عليه أن يفجأهم عند ذي قار ، لأنهم في القيز يتساقطون على ماء ذي قار تساقط الفراش في النار ..

وهكذا أقبل الفرس ومعهم الفيول ..

وتوزعت بكر فيما بينها حلقة النعمان - يعني أسلحته - وحلوا حملة صادقة ، وتقدمت « عجل » ، وأبليت بلاء حسناء ، وكانت امرأة منهم تقول ، تحض الرجال :

إن تَهَزِمُوا نَعَاتِقُ ونفرش الخمارق

أو تهربوا نفارق فراق غير واثق .

ثم أرسلت « اياد » ، وكانوا في صف كسرى ، سراً الى بكر : أيها أعجب

إليكم ، أن نفرّ تحت ليلتنا فنذهب ، أم نقيم ثم نفر منى لاقيم القوم ؟
قالوا : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم ..
وعند اللقاء ، انهزمت إباد ، كما وعدتهم .

النبي (ص) يدعو لربيعة

كانت معركة ذي قار معركة رهبة ، تخوضها قبيلة عربية بدوية ، ضد دولة
الفرس الأكاسرة ، التي كانت من دول العالم المعدودة
وشاء الله سبحانه أن تنتصر القبيلة على الدولة . ولعل ذلك كان بشيراً بانتصار
الإسلام ، فيما بعد ، على دولتي الفرس والروم .
روي أن النبي محمد (ص) ، مثلت له وقعة ذي قار ، وهو بالمدينة ، فقال :
« اليوم انتصفت العرب من العجم » ، وفي رواية : « وبي نصروا » .
وقيل إنه (ص) رفع يديه إلى السماء ، وقال :
« ليهن بني ربيعة . اللهم انصر بني ربيعة » .
ويزعم صاحب « الأغاني » أن بني ربيعة كانوا إذا حاربوا دعوا بشعار النبي
(ص) ودعائه لهم ، وقال قائلهم : « يا رسول الله وعدك ! »
وقد خلد الشعراء ذكر يوم ذي قار ، فقال الأعشى ، من قصيدة :
فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي وراكبها يوم اللقاء وقلت
هم ضربوا بالخنو خنوقراقر مقدمة الهامرز حتى نولت

ديانة العرب

وكان في البجعة ، في عهد طسم وجديس : « بتل » ، جمع بتيل ، أو بيت ايل ،
أي بيت الله ، وكانوا يتجهون إليه بالعبادة ، ويقول الممداني ، عند كلامه على القرية
الحضره ، يعني حجر البجعة ، التي قامت الرياض على أرضها :
« هي حضور طسم وجديس ، وفيها آثارهم وبتلهم - جمع بتيل ، وهو من
مربع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء من طين .
قال أبو مالك : لحقت منها بناء طوله مائتا ذراع في السماء ، وقيل كان منها ما

طوله خمسمائة ذراع .

وبعد فناء طسم وجديس ، بقيت الديانة المتفشية في اليامة ونجد ، بين القبائل العربية النازلة بها : الوثنية ، ديانة سائر العرب .

وكان فيهم عدد قليل من النصارى ، ويقول المعجم الكنسي : ان الدعوة المسيحية لم تلقَ أذنًا صاغية في جزيرة العرب ، باستثناء نجد ، فقد تربت اليها المسيحية في القرن السادس للميلاد .

وكانت قبائل تغلب بن وائل أكثر قبائل العرب نصارى .

ويقول صاعد الأندلسي ، نقلًا عن ابن قتيبة : كانت النصرانية في ربيعة وغان وبعض قضاة .. وكانت الجوسية في ميم .

ويقال ان قبائل ميم عبت : « الدبران » ، وان إباد وبكر بن وائل عبتا صنما اسمه : « ذو الكعين » و « كعبة سنداد » .^(١)

وقبل انه كان لبني حنيفة صنم يعبدونه من حيس - أي من تمر - فلحقهم في بعض السنين مجاعة فأكلوه ، فقال الشاعر :

أكلت حنيفة ربهـا عام التلعم والجماعة

لم يحذروا من ربهـم سوء العواقب والتباعة

وأكبر الظن أن هذا ضرب من التندر وأن شأن حنيفة كان كشأن قبائل ربيعة الأخرى ، في عبادة الأوثان .

وعبادة العرب للأوثان لا تعني ، على كل حال ، أنهم لم يكونوا يعبدون الله تعالى ، فقد كان جميع عبدة الأوثان من العرب ، كما يقول صاعد ، (موحدة لله تعالى ، وإنما كانت عبادتهم لها ضرباً من التدين بدين الصابئة ، في تعظيم الكواكب والأصنام الممثلة بها في الهياكل ، لا على ما يعتقد الجاهل بديانات الأمم وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى الأوثان هي الخالقة للعالم ، ودليل ذلك قوله تعالى : « ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » .)

١ - قسم صاعد الأندلسي عبادة الكواكب بين القبائل العربية .. فقال : « كانت حير تعبد الشمس ، وكنانة القمر ، وقيم الدبران ، ولخم وجذام المشاري ، وطى سبلا ، وقيس الشمري ، وأسد عطار . »

اليامة في الاسلام

كانت صلات بني حنيفة بالفرس حسنة ، حتى أن كسرى نوح «هوذة بن علي» ، من رؤسائهم ملكاً ، وكان مقره في موضع الحضرة أو اليامة في الحرج . وكان في اليامة ، بالمعنى الواسع ، زعيم آخر ، يدعى : «يامة بن أقال» ، وكان مقره في بلدة «حجر»^(١) - أي «الرياض» اليوم . وتذكر لنا كتب السيرة والتاريخ أن النبي محمد (ص) أرسل إلى هوذة بن علي كتاباً يعرض فيه عليه الاسلام ، فأبى إلا إذا جعل له من الأمر شيء .. أما ابن أقال فجهأ الى مكة للعمرة ، فأسرّه المسلمون ، فعرض على النبي (ص) أن يقتدي نفسه بال ، ولكن النبي مَنَّ عليه وأطلقه بغير شيء ، فأسلم ، ورجع إلى بلاده ، فتابعه على الاسلام عدد من سكان القرى ، ثبتوا على إسلامهم معه الى النهاية .

وفود بني حنيفة

وفي عام الوفود ، جاءت الى النبي جماعات من بني حنيفة وغيرهم ، من اليامة ونجد ، فأسلموا وعادوا إلى بلادهم .

١ - انظر مقالات العالم المحقق الاستاذ حمد الجاسر في جريدة «اليامة» عن تاريخ مدينة الرياض .

مسيلة الكذاب

كان بين وفود بني حنيفة الى النبي (ص) رجل منهم ، اسمه : مسيلة بن حبيب ، أسلم وباع وعاد الى البامة ، ولكنه لم يكذب بصلها ، حتى زعم لقومه أن النبي محمد (ص) قبل مشاركته في النبوة ، وشهد له على ذلك الرجال بن عنفوة ، الذي كان معه في الوفد ، وتبعه فريق من الناس خدعوا به أو تخادعوا له ، وتقول « تخادعوا » ، لأن بعضهم ما تابعوه إلا ليتخلصوا من دفع الزكاة ..

وربما مال اليه آخرون لمجرد أنه حنفي ، فقد روي عن طاحه النمري أنه جاء مسيلة ، فقال له : أنت مسيلة ؟ قال : نعم ! قال : من يأتيك ؟ قال : رحمان ! قال : في نور أم في ظلمة ؟ قال : في ظلمة .

قال : أشهد أنك كاذب ، وأن محمداً صادق ، ولكن كذاب ربيعة أحب البنا من صادق مضر !

ويقال إنه كان لمسيلة مؤذن يدعى « حجيرا » ، فكان إذا أذن يقول : أشهد أن مسيلة يزعم أنه رسول الله .. فقال له مسيلة : أفصح حجيرا ! فذهبت مثلاً .. لم يصب مسيلة نجاحاً كبيراً في حياة الرسول (ص) ، وقد حذر الرسول (ص) الناس منه وأسماء « مسيلة » ، بصيغة التصغير تحقيراً له ، ونعته بـ « الكذاب » ، فصار يعرف باسم « مسيلة الكذاب » ..

ومن الخطأ الظن أن بني حنيفة تابعوه كلهم ، بعد وفاة النبي محمد (ص) ، فقد ذكر الطبري وغيره أن العلاء بن الحضرمي ، لما ذهب الى قتال أهل الردة في البحرين ، انضم اليه « ثمامة بن أثال » ، في من معه من مسلمي بني حنيفة ، الذين ثبتوا على إسلامهم .

ويقول الألويسي في كتابه بلوغ الأرب ، إن مسيلة ادعى النبوة قبل هجرة محمد (ص) الى المدينة ، « فما زال يخفى ويظهر ، ويقوى ويضعف ، وأهل البامة فرقتان : احدهما تعظمه وتؤمن به ، والاخرى تسخفه وتضحك منه ..

وكان يقول : أنا شريك محمد في النبوة ، وجبريل ينزل علي كما ينزل عليه .. وكان يقول أيضاً : يا بني حنيفة ، ما جعل الله قريشاً أحق بالنبوة منك ،

وبلادكم أوسع من بلادهم وسوادكم أكثر من سوادهم؟! ولما قدم النبي (ص) المدينة ، وجد الناس يتذاكرون مسلمة وما يبلغهم عنه من قوله وقول الناس فيه ، فقام يوماً خطيباً ، فقال : « أما بعد .. فهذا الرجل الذي تكثرون فيه فكذاب ، بثلاثين كذاباً قبل الدجال » .

فسماه المسلمون : مسيلة الكذاب ، وأظهروا شتمه وعيبه وتقصيره ، وهو باليامة ، يركب الصعب والذلول في تقوية أمره .. وكان يقرأ ما يزعم إنه وحي ، يريد به تقليد محمد (ص) مثل قوله : « والشمس وضحاها ، في ضوئها وبجلاها ، والليل إذا عداها ، يطلبها ليغشاها » .

وكتب مسيلة الى النبي (ص) كتاباً يقول فيه : « أما بعد ، فاني أشركت معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكن قریش قوم يعتدون ولا يعدلون » .

فأجابه الرسول (ص) : « سلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده الصالحين » ^(١) .

حروب الردة

قويت شوكة مسيلة ، بعد وفاة النبي (ص) ، وتجمع حوله كثير من الناس كانوا يكرهون دفع الزكاة .

وكان أبو بكر قد اعتبر الامتناع عن دفع الزكاة ارتداداً عن الاسلام ، لأن الزكاة ركن من أركان الاسلام من جعده لم يعد مسلماً ، ووجب قتاله ، ولذلك جهز أبو بكر الجيوش وأرسلها إلى البلاد الممتنعة عن أداء الزكاة لقتالها ، وسميت الحروب التي جرت بين المسلمين وبين الممتنعين عن الزكاة : حروب الردة . ومنها الحروب التي جرت في اليامة بين المسلمين وأنصار مسيلة الكذاب .

١ - كما ظهر في حنيفة مسيلة ، ظهرت في تميم « سجاح » ، امرأة ادعت النبوة ، وظهر في أسد طليعة ولم يطل أمرها .

الحرب بين المسلمين ومسيمة

قال البلاذري ، في فتوح البلدان :

« ... لما توفي رسول الله (ص) واستخلف أبو بكر (ر) بعث خالد بن الوليد إلى اليمامة وأمره بمحاربة مسيلة الكذاب ، فلما شاربها ظفر بقوم من بني حنيفة فيهم مجاعة بن مرارة بن سلمى ، فقتلهم واستبقى مجاعة ، وحمله معه موثقاً ... وعسكر خالد على ميل من اليمامة ... »

ثم التقى الناس ، فكان أول من لقيهم الرجال بن عنفة ، فقتله الله ، واستشهد وجوه الناس وقراء القرآن ، ثم إن المسلمين فاءوا وثابوا ، فأنزله الله عليهم نصره ، وهزم أهل اليمامة ، فاتبعهم المسلمون يقتلونهم قتلاً ذريعاً ، وأجأوا الكفرة إلى الحديقة ، فسميت يومئذ : « حديقة الموت » ، وقتل الله مسيلة في الحديقة . فبنو عامر يقولون : قتله خداش ... من بني عامر .

وقال بعضهم : قتله عبدالله بن زيد .

وكان وحشي بن حرب الجشي ، قاتل حمزة (ر) ، يدعي قتله ، ويقول : قتلت خير الناس وشر الناس .

وقال قوم : إن هؤلاء جميعاً شر كوا في قتله ...

وكان معاوية بن أبي سفيان يدعي أنه قتله ، ويدعي ذلك له بنو أمية .

وقيل : كان شعار المسلمين يومئذ : « يا أصحاب البقرة »^(١) .

الصلح مع أهل اليمامة

قالوا : وكانت الحرب قد نهكت المسلمين وبلغت منهم ، فقال مجاعة لخالد :

١ - للمؤرخ فيليب حتي رأي خاص في حروب الردة ، فهو يرى أن الإسلام لم تبلغ دعوته ، في زمن النبي (ص) . إلى كل أفراد العرب في الجزيرة ، لسعة البلاد وقلة المواصلات وصعوبتها ، والرؤساء الذين بايعوا عن اقوامهم لم يكونوا يمثلون العرب كلهم ، ولا يستطيعون تبليغ رسالة الإسلام إلى كل شعوبهم ، ولذلك أسفرت حروب الردة عن انتشار الإسلام في بلاد لم ترد أهاليها ، لأنهم لم يدخلوا الإسلام من قبل ...

« ان أكثر أهل اليمامة لم يخرجوا لقتالكم ، وإنما قتلتم منهم القليل ، وقد بلغوا منكم ما أرى ، وأنا أصالحك عنهم » .

فصالحه على نصف السبي ، ونصف الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع .

ثم ان خالد توثق منه ، وبعثه إلى أهل اليمامة .

فلما دخل « مجاعة » اليمامة ، أمر الصبيان والنساء ، ومن باليمامة من المشايخ أن يلبسوا السلاح ويقوموا على الحصون ، ففعلوا ذلك ، فلم يشك خالد والمسلمون حين نظروا اليهم أنهم مقاتلة ، فقالوا : لقد صدقنا مجاعة .

وكان ذلك خدعة من مجاعة ورحمة بقومه ، وقد تبين خالد ذلك فيما بعد ، ولكنه أمضى الصلح .

وتذكر كتب التاريخ أن الحديقة التي لجأ اليها مسلمة كانت بأرض « عقرباء » ، وان عدد الذين استشهدوا من المسلمين في معارك اليمامة كان كبيراً جداً ، وكان في مقدمة الشهداء : « زيد بن الخطاب » الذي يقول فيه أخوه عمر بن الخطاب : « ما هبت الصبا من نحو اليمامة إلا خيل إلي أنني أشمّ ربيع أخي زيد » .

ويذكر المؤرخون أيضاً أن عمر بن الخطاب ما وافق على كتابة القرآن إلا لكثرة من استشهد من القراء في معارك اليمامة .

ويقال ان عدد قتلى بني حنيفة كان أربعة عشر ألفاً .

ولما صالح خالد أهل اليمامة ، اشترط عليهم الدخول في الاسلام ، فأسلموا ، وولى خالد عليهم « سمرة بن عمرو العنبري » ، وكان ذلك في السنة الثانية عشرة للهجرة .

اليمامة في زمن الأمويين والعباسيين

كانت اليمامة ، في زمن الخلفاء الراشدين الأربعة ، مرتبطة بهم ، يولون عليها من أرادوا .

ولما جاء الأمويون ، فالعباسيون ، صاروا يرسلون الولاة الى اليمامة والبحرين من قبل أمرائهم في مكة أو المدينة أو العراق ، وربما جمعوا اليمامة والبحرين لوال واحد .

وذكر كتاب « الأغاني » كثيراً من أسماء ولاة الأمويين والعباسيين في اليمامة ،

كالمهاجر بن عبد الله الكلبي - وكان الشاعر جرير صديقاً له - وأبي حفصة، الوالي من قبل مروان ، و« سفيان بن عمرو » ، و« محمد النوفلي » و« القثم بن عباس » . وفي « معجم البلدان » : « العقيير باليامة .. وبها قبر الشيخ ابراهيم بن عربي ، الذي كان والياً على اليامة في أيام بني أمية . » وذكر معجم الأدباء جملة من أسماء ولاية اليامة، كعمارة بن حمزة، ومروان بن أبي الجنوب، والمعلّى بن طريف الخ.. ذكرنا كل هذا ، ليعلم فساد قول بعضهم .. انهم لم يعثروا على اسم وال واحد أرسله الأمويون الى نجد أو إحدى مة اطعائها^(١) وربما التبس عليهم الأمر من جهة اسم اليامة .

بنو الاخضر

في أواسط القرن الثالث الهجري ظهر بنو الاخضر في الحجاز ، وأعلنوا استقلالهم عن الخلافة العباسية ، ويقول « القرماني » إن المعتز أرسل جيشاً إلى محمد ابن يوسف من بني الاخضر، فهرب محمد ، وصار إلى « اليامة » ، فملكها ، وملك أولاده بعده ، فيقال لهم « الاخضرون وبنو يوسف أيضاً » . ويقول القلقشندي في صبح الأعشى إن استيلاء بني الاخضر على اليامة إنما كان في زمن المستعين ، الخليفة العباسي ، أي قبل سنة ٢٥٥ للهجرة ، وإن ملكهم استمر حتى غلب عليهم القرامطة^(٢) سنة ٣١٧ .

١ - انظر تاريخ الدولة السعودية ، الجزء الاول ، لأمين سعيد .

٢ - في الطبري ان اول ظهور القرامطة ، كان في سواد الكوفة في اواخر القرن الثالث ، وينسبون الى « قرمط » ، وانما سمي كذلك لشدة حمرة عينيه ومعنى قرمط بالنبطية احمر العينين - وأصل اسمه « حمدان » ، وقرمط لقبه ولكنه صار يعرف به ، احدث ديناً غير الاسلام ، وكان يرى السيف على امة محمد. وزعموا ان القرامطة يقولون في أذانهم، بعد الله اكبر: « أشهد ان ابراهيم رسول الله ، أشهد ان موسى رسول الله ، أشهد ان عيسى رسول الله ، أشهد ان محمداً رسول الله ، أشهد ان احمد بن محمد الخليفة رسول الله . » . وقيل عن القرامطة اشياء كثيرة ... ولكنها غير ثابتة .

وقد زعوا الحجر الاسود من الكعبة ، ثم اعادوه اليها بعد فترة من الزمان ... وعظم سلطانهم وخافهم الناس ووصلوا في غزواتهم وحروبهم الى مصر نفسها ...

اليامة .. وأشراف مكة

تفرقت بلاد نجد واليامة ، بعد القرن الرابع بين عدد كبير من الامراء والشيوخ ، وكانوا يسمون اسماء الدول الإسلامية الكبيرة ، التي حلت في السلطة محل الخلفاء العباسيين ، وربما جعلوا امرة بلاد نجد الى امير المدينة ، او امير مكة ، ولما صارت الخلافة الإسلامية الى سلاطين ال عثمان ، اهلوا امر نجد ، لفقرها وبُعدها وصعوبة الوصول اليها ، ولكن شرفاء مكة كانوا يعتبرون بلاد اليامة ونجد من مناطق نفوذهم ، وكانوا يأخذون من شيوخها الاموال ، ويفيرون عليهم اذا امتنعوا عن ادائها ، ويمكننا القول ان الفترة التي تمتد من القرن الرابع حتى ظهور الدولة السعودية الاولى كانت فترة مضطربة في حياة نجد ، فلم تقم فيها اية امارة قوية ، مما حيا لامراء الاحساء واشراف مكة ان يسطوا نفوذهم على كثير من امراء نجد المتفرقين ، بسل المتعادين .

ولكن بلاد نجد واليامة ، على كل حال ، بقيت حرة من النفوذ الاجنبي ، فلم يدخلها جنود الترك ولا غيرهم ، وقد زار الرحالة التركي المعروف « حاجي خليفة » بلاد اليامة وتمجب من امرائها وشيوخها .. لانهم لا يدينون بالولاء للسلطان العثماني .. ولا يعرفونه ! (١)

نجد شركة بين أميرين

ومن اطراف الاخبار ، التي رواها المقرئ في كتابه « السلوك » ، ان امير المدينة المنورة الشريف مقبل بن جواز بن شبيحة ، قدم الى القاهرة عام (٧٠٩) ، فواله الملك المظفر نصف الامرة بنجد ، يظهر ان امرة نجد كانت شركة بينه وبين اخيه منصور .
ولما قوي شأن شرفاء مكة ، بسطوا سلطانهم على ما يستطيعون الوصول اليه من الاراضي النجدية ، وكان سلطانهم يتمثل : في جباية الاموال واخذ الهدايا ..

(١) حاجي خليفة : « جهان نما » . صلاح العقاد : الدولة السعودية الاولى .

نجد تحت نفوذ الأشراف

لا نعرف متى بدأ نفوذ أشراف مكة يتغلغل في نجد ، ولعله بلغ قمته في عهد الشريف أبي نبي ، الذي يعد من أعظم الامراء الذين تولوا منصب الامارة في مكة .
وينقل ابن بشر من تاريخ العصامي وغيره أخبارا تدلنا على تدخل الأشراف في أمور نجد ، وهذا بعض ما يرويه في مواضع مختلفة :

في عام (٩٨٦) ، سار الشريف حسن بن أبي نبي الى نجد ، وحاصر « مكال » ، المعروف في الرياض ، ومعه الجند نحو خمسين الفا ، وطال مقامه فيها ، وقتل فيها رجالا ، ونهب أموالا ، وأسر منهم أناسا من رؤسائهم ، وأقاموا في حبسه سنة ثم أطلقهم ، على أنهم يعطونه كل سنة ما يرضيه ، وأمر فيهم محمد بن فصل .

وفي عام (٩٨٩) ، سار الشريف حسن بن أبي نبي الى ناحية الشرق من نجد ، فسي جيش كثيف ومدافع كبار ، ففتح مدنا وحصونا تعرف بالبديع والخسرج والسلمية واليمامة ، ومواقع في شوامخ الجبال ، ثم عين من رؤسائه من ضبطها ، على أمور اقتراحها واشترطها ، وعاد راجعا ..

وفي عام (١٠١١) ، ظهر الشريف أبو طالب على نجد ،
وفي عام (١٠١٥) ، ظهر الشريف محسن ، وقتل أهل (القصب) ، ونهبهم ، وفعل
الافاعييل العظيمة ..

وفي عام (١٠٦٩) ظهر الشريف زيد بن محسن على نجد ، ونزل قرى التويم ، وقدم في
سدير واخر ، واخذ واعطى ..

وفي عام ١٠٨٨ ظهر محمد الحارث الى نجد وقتل غانم بن جاسر .
وفي عام ١٠٩٦ (او ١٠٩٧) : « ظهر احمد بن زيد على نجد ونزل عنيضة وفعل باهلها
ما فعل) .

وفي عام (١١٠٧) ظهر سعد بن زيد الى نجد ونزل بلد اشيقر المعروف وحاصر اهلها وطلب
ان يخرج اليه الشيخ حسن .. ابا حسين .. ومحمد القصير ، فخرجوا اليه فحبسهما .
وفي عام (١١٠٩) ظهر سرور بن زيد على نجد ونزل روضة سدير وفعل فيها ما فعل نسم
رحل منها ونزل قرى جلالج وربط ماضي بن جاسر امير الروضة ثم نزل الفاظ .

كل هذه النقول التي اخذناها من ابن بشر ، وهي في (العصامي) وغيره ، تدلنا على ان
أشراف مكة لم ينقطعوا من القرن العاشر الى القرن الثاني عشر عن التدخل في شؤون نجد ،
وغزر بعض بلدانها ، ونهبها ، وحبس طائفة من ابنائها ، وقد تجاوزت حملاتهم منطقة اليمامة الى
غيرها من اقاليم نجد ، ونلاحظ ، في كثير من الاسف ، ان سيرة الأشراف مع اهل نجد لم تكن
حسنة ، وانما كانت نهبا وتقتيلا واذلالا .

ضعف شرفاء مكة وتخالفهم

لم يتدخل الشرفاء ، ابتداء من القرن الثاني عشر ، في أمور نجد ، وانقطعت عن تلك

المنطقة غزواتهم ورحلاتهم .. ولم يكن ذلك تعففا منهم . ، ولكنهم كانوا فسي شغل شاغل من منازعاتهم او « حروبهم » ، التي كانت تقوم بين الاخ واخيه ، والعم وابن اخيه ، وتهدر فيها الدماء ، وتستحل الحرمات ، فكان (معدل) ولاية الامير على مكة سنة او سنتين ، لكثرة الاغتياال ، والفدر ، والخلاف !

يذكر (جيرالد ده غودي) في كتابه (حكام مكة) قصة الشريف مسعود (وهو الذي حج رببعة امير الدرعية ، واخوه مقرن ، جد آل سعود ، في زمانه ، وكان السيل قد غمر مكة وهدم الكعبة قبل ذلك بقليل) ، قال ما ترجمته :

(في عام ١٦٣٠ م . وصل مكة ، حاكم اليمن الجديد ، قونصوه باشا ، في طريقه الى اليمن على راس جيش كبير ، وكان تلقى امرا بمعاينة شريف مكة ، الشريف احمد ، بسبب قتله مفتي مكة !

ولما بلغ الشريف مسعود بن ادريس بن حسن قرب وصوله ، خاف من انتقام الشريف احمد منه ، كما فعل مع غيره ، فهرب الى ينبع .

وذهب الشريف احمد للقاء قونصوه باشا ومعه ثلاثة من اقربائه الشرفاء ، فادخلوا على معسكر الباشا وصدحت لهم الموسيقى ، ودعوا الى لعب الشطرنج ، وفي المساء ، فوجئوا .. بدخول من قطع راس الشريف احمد ، ثم قيل للباقيين : اذهبوا الى مكة وقصوا على الناس ما رايتهم !..

وذهبوا الى مكة فوجدوا أن الشريف مسعود قد اصبح حاكما على مكة !
ويقول المؤلف ، في مكان آخر :

ارسل السلطان مراد الرابع مهندسا هو (رضوان آغا) ، الخصي ، لاصلاح الحرم ، ولما مات مسعود ، تولى رضوان آغا الحكم في مكة ، ريثما يتفق الشرفاء على اختيار امير منهم خلفا لمسعود !

تدخل السلطان والباشا في امور الحجاز

ويظهر ان السلطان العثماني كان يوكل احيانا امر الاشراف على حكم الحجاز السي واليه على مصر ، فكان يعزل ويولي من يشاء ، باسم السلطان ، ويذكر لنا (العصامي) أن باشا مصر ارسل كتابا الى مكة ، بولاية الشريف احمد بن غالب ، وكان امير مكة يومئذ الشريف سعيد ، ففوجيء بذلك ، واستنكره ، وقال :

(ان كان بيد احمد بن غالب .. امر سلطاني ، فلياتوا به ونحن مطيعون للامر السلطاني ، ران كان غير سلطاني فحكم الباشا على مصر وصميدها ، يعزل فيه ويولي من شاء وما دون مكة الا السيف !)

وكان جزاء سعيد اھم قتلوه ، ولولا الشريف احمد مكانه قبل ان يدفنوه .

منصب الشرافة !

وبدل المرسوم الخاقاني الذي يرسل الى الشريف على ان مهمته أصبحت قاصرة على السهر على راحة الحجاج وحماية الامن من عدوان العربان ، وهذا شيء مما في المراسيم السلطانية المتضمنة ولاية الشرفاء :

« قد انعمنا بولاية الحرمين الشريفين عليكم واسندنا حماية المحليين المنيطين اليكم ، والحث على القيام بواجب السادة الاشراف .. والوصية بالعلماء والصلحاء والمجاورين وحماية الحجاج والزوار والمسافرين ، والاتفات الى تامين الطرق والبلدان وقمع اشقياء العربان .. »

ثلاثون شريفا خلال قرن واحد !

لقد تعاقب على امارة مكة ، خلال القرن الثاني عشر وحده ، نحو ثلاثين شريفا ، لم ينعم واحد منهم بالاستقرار ، وتقول « جاكين بيرين » : (1)

« احسن (نيبور) تصوير الحالة المؤسفة التي آلت اليها المدينتان المقدستان ، تلك الحالة التي اثارَت سخط محمد بن عبد الوهاب ودفعته الى الاقدام على الاصلاح ، وهو يقول ان شريف مكة.. فقد سلطته الروحية في نظر المسلمين .. وبما أن المدعين الشرعيين لحكم البلدة ، وهم فرع من سلالة النبي .. المتحدرة من الحسن .. يبلغ عددهم ثلاثمائة ، غدت السلطة مثار نزاع لا نهاية له ، يفرض اقوامهم على الآخرين ، ويتدخل السلطان التركي احيانا في النزاع ليجلس على العرش احد الاخصام ، ولا يتورع هؤلاء الامراء المتنازعون عن ان يصلوا بمعاركهم الى قلب الاماكن المقدسة ، مخالفين بذلك نصوص القرآن » .

شرفاء ضعفاء ، ولكنهم يمنعون الوهابيين من الحج !

تلك حالة شرفاء مكة ، في اول ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ما كانوا قادرين على اي عمل ضد نجد او غيرها من البلدان ، لضعفهم وتخاذلهم وخوف بعضهم من بعض ، ولكن هذا لم يمنعهم من اتخاذ « تدابير سلبية » في مكة نفسها ضد الوهابيين ، فقد اعتبروهم خصوما للدين .. ومنعوه من الحج !

ولعلمهم كانوا يظنون انهم في مامن تام من انتقام الوهابيين ، لضعفهم وبعدهم وصعوبة وصولهم الى مكة .

(1) انظر كتابها « اكتشاف جزيرة العرب » ترجمة الاستاذ قنري القلمجي .

أجزاء الأول الدولة السعودية الأولى

ينقسم هذا الجزء ثلاثة أقسام :

القسم الأول - عهد التأسيس . وهو عهد محمد بن سعود ، بعد اتفاقه مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

القسم الثاني - عهد التوسع . وهو عهد عبد العزيز بن محمد وابنه سعود ابن عبد العزيز .

القسم الثالث - عهد النكسة والفوضى . وهو عهد عبدالله بن سعود ومن جاء بعده من الحكام والمتغلبة ، حتى ابتداء ولاية تركي بن عبد الله .

القسم الأول

عن النّاس

تتألف مباحث هذا القسم من مقدمة وخسة أبواب، هي:

١ - المقدمة :

أ - في ظهور الدعوة السلفية وأنها مبدأ تاريخ نجد الحديث ..

ب - في أن مؤسسي الدولة السعودية الأولى هما :
محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب .

٢ - الباب الأول : في تاريخ أمراء الدرعية قبل الدعوة.

٣ - الباب الثاني : رئاسة محمد بن سعود وعشيرته
وآبائهم ونسب آل سعود .

٤ - الباب الثالث : اللقاء التاريخي بين محمد بن عبد
الوهاب ومحمد بن سعود، وتأسيس الدولة في الدرعية

٥ - الباب الرابع : سيرة محمد بن سعود. مراحل انتشار
الدعوة . معارك الدعوة .

٦ - الباب الخامس : سيرة محمد بن عبد الوهاب .

٧ - الباب السادس : الدعوة السلفية، وآثارها، وما كتب
عنها .

المقَدِّمَة

ظهور الوهابية مبدأ تاريخ نجد الحديث والهجريّة العربيّة والشرق الأدنى

- ١ -

مبدأ تاريخ نجد الحديث

« يبدأ ابن بشر تاريخ نجد الحديث بالسنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، ففيها بدأت نجد .. تكتشف نفسها ، وتعي رسالتها ، وتضع وحدتها ، وتبني نهضتها .

وقبل ذلك ، وحتى القرن الثاني عشر ، كانت « نجد » تعبيراً تاريخياً أو جغرافياً ، ، في الكتب القديمة ، وأما « في الواقع » ، فما كان شيء يذكر بوحدتها أو وجودها .. وإنما كانت هناك مجموعة كبيرة من الإمارات والمشيخات ، تتفرد كل واحدة منها بسلطانها ، وتعتز باسمها ولا ترى شيئاً فوقه ، وقد تحالف

أحياناً لقتال الآخرين واستباحة ديارهم وأموالهم ، ولكنها متى فرغت من قتال عدوها ، عادت تتقاتل فيما بينها ، ولما يجفّ مداد عهدها ، ودم جندها .

كانت كل عشيرة في نجد دولة ، وكل بلدة إمارة أو مشيخة ، بل حدثونا أن بلدة واحدة صغيرة قسمت أرباعاً ، فكان يتولى كل ربع فيها رئيس .^(١)

وكانت الحرب ، بين هذه الدويلات الصغيرة العجيبة قائمة موصولة ، كأنها جزء من طبيعتها ، فكانت البلاد تعيش في رعب دائم ، بين عدو يأخذها بالقهر ، وحليف يأخذها بالغدر ، وما كانت تعرف السكينة والأمن والحرية إلا قليلاً ، ففي الحرب يُقتل أبناؤها ، ويدمر بناؤها ، ويجرق نخيلها ويتلف زرعها ، وفي فترات السلم يُحبس الناس في بلدانهم ، فما يستطيعون إلا ابتعاد عنها الا بغامرة ... لأن الطرق مرصودة ... بالجن ... وقطاع الطرق ... وطلاب الغرة !

هكذا كانت نجد ... تجديداً وتجديداً لقصة ملوك الطوائف ، الذين قال فيهم المؤرخ الكبير « الطبري » :

« كل منهم كان ملكه قليلاً ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق ، وعدوه قريب منه ، له من الأرض مثل ذلك ونحوه ، يغير أحدهم على صاحبه ، ثم يرجع كالخطفة »^(٢)

وقال صاحب « لمع الشباب » يصف نجداً في تلك الأيام :

« ليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم ، بل كل من الحكام حاكم بلده .. والبداءة إذ ذاك قبائل شتى ... وحكومة كل شيخ في قبيلته برضاها ، وكل من تقدم كرمًا وشجاعة رضوا به كبيراً لهم ، وفيهم مشايخ صغار

١ - قال ابن بشر : « قتل صاحب التويم ... فقسموا البلد أرباعاً ، كل واحد شاخ في ربع قسموا المربعة ... وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها نعمة الاسلام والجماعة ، فان هذه القرية ضعيفة الرجال والمال ، وصار فيها أربعة رؤساء ... »

٢ - يطلق اسم ملوك الطوائف أيضاً على رؤساء الدويلات الاندلسية ، الذين أضعوا بلادهم ، لتفرقهم وتحاذلهم وتحاسدهم ، وكانوا مع حقارة شأنهم على جانب كبير من الفرور ، حتى قال شاعرهم :
ألقاب مملكة في غير موضعها كالمهر يحكي انتفاخاً صولة الاسد .

في نفس القبيلة الواحدة يخالفون رأي المشايخ الكبار ، وكان البدو يتحكون في قضاياهم الى العرف ، لا الى الشرع ، وقد يأخذ العرف منهم الرشوة ، وهي ... ما يعطى لإبطال الحق ...

والحكام طاغون ، يصدّون الناس عن أحكام الشرع ... وكان أهل المدن ، من أهل نجد ، دائماً يحارب بعضهم بعضاً ... ،

قالت لادي بلنت :

« لم تكن الجزيرة العربية خاضعة للسلطنة العثمانية المركزية ، وكانت كل بلدة تبدو مستقلة بذاتها .

وكانت الديانة - الا في شكلها البدوي البدائي - قد زالت من الجزيرة .

وكان عنصر البداوة هو المسيطر ، فكانت كل مدينة ، بل كل قرية في جزيرة العرب ، تعدّ ملكاً أو اقطاعاً لأحد شيوخ العشائر ، الذي يقيم على حدودها وتدفع اليه (الإخاوة) - أي الضريبة - لقاء ما يدعيه من حماية لها ! ...

وقد يتخذ الشيخ لنفسه قصرأ ضمن أسوار البلدة - وإن بقيت خيامه وخيام عشيرته منشورة في البادية - ويجعله داراً للضيافة ، ثم يفرض نفسه حاكماً على سكان البلدة ، يمارس السلطة ، ويقيم العدل ، ويؤلف من الفتيان حرساً ، ويجبي الضرائب .. فيخاطبه الناس ، لا باسم الشيخ ، ولكن باسم : « الأمير » .

خلاصة القول : إن حالة نجد ، في تلك الأيام ، كانت شبيهة ، من الناحية السياسية ، بمحالة ملوك الطوائف ، وأما من الناحية الدينية ، فكانت تشبه حال الجاهلية ، إلا من عصم ربك ، ولم يكن الرحالة « بلغريف » مسرفاً حين وصف الدين ، في الديار النجدية قديماً ، بأنه « ذكرى بعيدة غامضة ، تحتها الأيام ... ذلك أن عبادة الجن ، في ظل شجرة ، أو في أحماق كهف ، وتقديس الموتى ، والنذر للقبور ، كل أولئك كان يختلط عند أهل نجد بعبادات « للصابئة » قديمة أحبوها ، بينما أمهلوا القرآن ، وما عادوا يعرفون في أية جهة تقع القبة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج ...

تلك كانت « ديانة » نجد ، لما وصل اليها المصلح محمد بن عبد الوهاب ، ليعت فيها أجل أيام الإسلام ،^(١)

نجد بعد الدعوة

كانت نجد ، في تفرق كلمتها وضعف عقيدتها ، تحتاج الى زعيم ملهم ، يعلمها الدين ويحملها على اتباعه ، ويطوي أعلام التفرقة ، وينشر راية الوحدة ، ليجمع الناس في ظلها .

وقد حقق الله ذلك لنجد ، فجعل هدايتها إلى الإمام محمد بن عبد الوهاب ، وقيادتها إلى الأمير محمد بن سعود ، وكانا كالرجل الواحد ، أو الروح الواحدة في جسد ، ما اختلفا قط .

ففي عام ١١٥٧ هـ . ، جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية ، وما كاد ينزل في دار من أوائل دورها ، حتى سار إليه أميرها محمد بن سعود بنفسه ، وبدأه الزيارة ، وبالغ في تكريمه ، ووعده الحماية والنصرة ، وتعاهدا على ميثاق ، ان يكن غير مكتوب ، فقد وعته الضائر والقلوب ، وهو التناصر بصدق وقوة في الدعوة إلى اخلاص العبادة لله وحده ، ومكافحة الشرك والبدع ، واقامة حكم الشرع . قال أرمسترونغ :

« كان ابن سعود ، أمير الدرعية ، طموحاً ، وعرف منزلة ابن عبد الوهاب وقدره ، فاتفق معه ، واستطاعا حمل العرب على الدخول في الدين ، ببركة الدعوة وقوة السيف .

وكان نجاحها سريعاً .
كان ابن سعود زعيماً وقائداً ،

١ - انظر كتاب ندره مطران : « سورية الفد »

1) Nadra Moutran - La Syrie de demain

وكان ابن عبد الوهاب هادياً وداعياً الى الله ، تسيطر كلماته على خيال العرب .
وبفضل تعاونها : حُطِّمَت الأوثان ، وهدمت الأبنية المقامة على أضرحة
الأولياء ، ونُفذت أوامر القرآن ، وأُكره الناس على الصلاة خمس مرات في اليوم ،
وعلى صوم رمضان ، ومُنِع شرب الخمر والدخان ، وخضعت القبائل ، واحدة
بعد الأخرى ، لدولة التوحيد .

وقال « كونزاد ملتبورن » :

« أظهر محمد بن عبد الوهاب دعوته ، فتبعه ابن سعود ، وتقوى كل واحد منها
بالآخر ، قوتى ابن عبد الوهاب دعوته بسيف محمد ، وقوتى ابن سعود إمارته بدعوة
ابن عبد الوهاب ، فكان الأول هو الزعيم الديني ، وكان الثاني الحاكم والزعيم
السياسي ، ثم استمر ذلك بعدهما ، فصارت ذرية كل منهما تتولى عمل أسلافها .

تحوّلت الدرعية بعد هجرة الشيخ من بلدة ضعيفة فقيرة ، الى مدينة كبيرة
غنية ، صارت قاعدة دولة عظيمة ، بسطت سلطانها ، في عهد محمد بن سعود ، على
أكثر بلدان العارض ، وبعض بلاد نجد ، ثم ضمت اليها ، في زمن عبد العزيز وابنه
سعود ، بلاد نجد كلها ، والأحساء ، وجبل شمر ، وأجزاء من اليمن وحسير وبلاد
الحجاز وامتد نفوذها الى الخليج .

قالت لادي بلنت ، تصف الدولة السعودية : « انها أول دولة عربية ، تنشأ بعد
عصر الرسول ، وتوحد تحت رايته جزيرة العرب على أساس من الشرع والتنظيم
الاداري المعكم » .

لذلك كان ابن بشر على حق ، حين بدأ كتابه في تاريخ نجد ، بالسنة التي
هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، وقد استنتج بعض المؤرخين من
ذلك أنه يشبه هجرة الشيخ بهجرة النبي (ص) . الى المدينة المنورة ، وليس كل الناس
يستحسن هذا التشبيه ...

والحق إن أبعاد المجرتين مختلفة ، فليس شيء يماثل هجرة النبي (ص) . ولكن
التشابه لا يعني التطابق والتساوي ، وحسبنا من أوجه الشبه أن دعوة الشيخ كانت ،
قبل هجرته الى الدرعية ، دعوة خافتة مضطهدة ، ولكنها أصبحت بعد هجرته دعوة

قوية ، لها رايثها ، ولها جيشها ، ولها دولتها ، ولها منعته . . . فلا يستطيع أمير أو سلطان أن ينفي الشيخ من بلده ، أو يسجنه ، أو يحمله على الصمت ، فالأمر في الدرعية للشيخ نفسه ، ودعوته هي دستور الدولة ومادة حياتها !

لم تكن في نجد دولة لها قوتها التي يرهبا أعداؤها ، ولها مثلها العليا التي يلتف حولها أبناؤها ، ويقدمون بين يديها التضحيات ويصنعون أحداث التاريخ ، فلما تأسست دولة الإسلام في الدرعية ، أخذت الصفوف تتجمع ، والبلدان تتوحد ، فنشأت وحدة في العارض ، ثم وحدة في نجد ، ثم توسع مدلول نجد نفسه ، فنشأت دولة نجد الكبرى – إن صح هذا التعبير !

مبدأ تاريخ الجزيرة العربية .

لم تكثف الدولة السعودية بتحرير نجد وحدها ، وإنما تجاوزت ذلك كثيراً ، وكانت لحركتها الإصلاحية ، وحروبها الظافرة ، ونجديها للدولة السلاطين العثمانيين ، آثار باهرة في سائر البلاد العربية والإسلامية ، فليس من الانصاف أن نعتبر ظهورها فاتحة تاريخ نجد وحده .

في عام ١١٥٧ هـ . كان محمد بن سعود أميراً على بلدة واحدة : الدرعية . ولما توفي ابنه عبد العزيز - أي بعد ستين سنة - كان ملكه أكبر من الدرعية ألف مرة .. وأكبر من العارض .. وأكبر من نجد ..

وفي عهد سعود الكبير ، توسعت دولة نجد توسعاً جديداً ، فضمت إليها الحرمين (مكة والمدينة) وسائر الحجاز ، وجبت الزكاة من بوادي العراق والشام .

وكان آل سعود في طريقهم الى تحقيق حلم .. دولة عربية واحدة ، من البحر المتوسط الى الخليج ، ولكن الترك حسدوم وخافوم ، فاستعدوا أنصارهم عليهم ، وحاربوهم واستطاعوا تدمير عاصمتهم الدرعية ، وقتلوا أميرهم عبد الله بن سعود .

قال طه حسين : « .. لولا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب ، وحاربوه في داره بأسلحة لا عهد لأهل البادية بها ، لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة ، كما وحد ظهور الاسلام كلمتهم في القرن الأول » .

ظن الأعداء ، بعد انهيار الدولة السعودية الأولى ، أن حركة احياء الدين والعروبة التي بدأت في الدرعية قد انطفأت شعلتها وهدمت جذوتها ، ولكن الله سبحانه أبى الا ان يتم نوره ، فعادت الدولة السعودية سيرتها الأولى ، وصمدت للدسائس والمكائد والحروب الحاقدة ، وانتصرت في النهاية نصراً مؤزراً .

وتقديراً للآثار التي ترتبت على نهوض الدولة السعودية من كبوتها ، بهذه السرعة الحارقة ، وللاتنصارات التي حققتها والأفكار التي نشرتها ، ذهب غير واحد من المؤرخين الى أن ظهور الوهابية لا يُبعد مبدأ تاريخ نجد فحسب ، ولكنه .. مبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث .

قالت صحيفة « الخليج الفارسي » :

« ان تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، وليس تاريخ نجد وحدها ، يبدأ بظهور الوهابية ، لأنها غيرت مجرى الحوادث في الجزيرة تغييراً أساسياً .

كانت الوهابية في أول أمرها حركة دينية خالصة ، غايتها اصلاح عادات المسلمين والرجوع بهم الى بساطة الاسلام الأول وصفائه ، وكانت رد فعل ضد البدع والخرافات والترف في المعيشة ، ومتى عرضت الوهابية على مقياس القرآن والحديث الصحيح وجدت مطابقة للأصول المجمع عليها .

ان اعتناق عدد محدود من سكان الجزيرة العربية للوهابية ، دون غيرهم من المسلمين ، أراق على الحركة الوهابية في نجد صبغة سياسية وقومية ، وجعل لها خطورة عسكرية . وقد مهدت وحدة العقيدة طريق الخضوع الى سلطة ادارية مشتركة ، فأطاع الأفراد القانون ، وتوحدت البلدان والقرى - التي كانت من قبل في قتال دائم - تحت سلطان امارة واحدة قوية ، حسنة التنظيم ، وبعد أن تحققت هذه الوحدة الداخلية ، نشطت الدعوة الى نشر مبادئها في الخارج ، ولم يكن ذلك غريباً عن الرغبة التي استيقظت في النفوس لتتخلص من الحكم الجبازين والباينين .

ويمكن القول ان الخلافات الدامية التي وقعت بين الوهابيين وبين جيرانهم ، كانت ناشئة عن أخطاء ارتكبها كلا الفريقين ، فقد كان الوهابيون يعتبرون

مناظرهم - من الترك خاصة - مخالفين في سلوكهم للإسلام ، بينما كانت الترك ، مع اعترافيهم أحياناً بصحة العقيدة الوهابية ، يكرهون تشدداتها وميل أتباعها إلى تكفير الآخرين ، وبالنسبة ... أخذ كل فريق يزعم إن الآخر خرج عن دائرة الإسلام ...

والحق أن معارضة الناس للوهابية ، كان يغذيها أشخاص كثر في مكة تأثرت مصالحهم المادية بإبطال الوهابية لتقديس القبور وزيارة المقامات والمشاهد ، ونحو ذلك ، يضاف إلى هذا تشدد الوهابيين في أمور طفيفة جعلوها ذات بال ، كتحريم الدخان والحريز والذهب ، والسبحة .

ويقول الدكتور فيليب حتي ، في كتابه « تاريخ العرب » :

« لا يبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث ، حتى ظهور الموحدين في منتصف القرن الثامن عشر ، وكانت حركتهم حركة إحياء للدين وتمسك شديد بنصوصه ، بدأها محمد بن عبد الوهاب . فبعد أن طاف في الحجاز والعراق وسورية ، عاد إلى وطنه ، وقد تأثر بفكرة . . . وهي أن الإسلام ، كما يمارسه معاصروه ، قد انحرف كثيراً ، علمياً ونظرياً ، عن طريق السنة التي استنها القرآن والنبي ، وقرر أن ينقيه هو بنفسه ، ويعيده إلى حالته البدائية زمن السلف الصالح ، وقد استمد إلهامه من ابن حنبل ، كما شرحه ابن تيمية .

وجد هذا المصلح الجديد الملهم في محمد بن سعود خير نصير ، وكان هذا زعيماً من زعماء أواسط الجزيرة وأصبح صهراً لابن عبد الوهاب . وهذه حادثة أخرى يقتون فيها الدين والسلطة ، وقد نتج عنها انتشار سريع لحركة الموحدين ونفوذ ابن سعود في كل وسط الجزيرة العربية وشرقيها .

وكان خصوم الحركة يدعون أتباعها : (وهابيين) ، فلصق بهم هذا الاسم . وفي غير هؤلاء واندفاعهم لتنقية الإسلام من عقيدة تكريم الأولياء وغيرها من البدع ، اجتاحتهم كربلاء عام ١٨٠١ ، وفتحوا مكة عام ١٨٠٣ ، والمدينة عام ١٨٠٤ ، وهدموا القبور وكل ما يشتم منه رائحة الوثنية ، وفي السنة التالية

هاجموا سورية والعراق ووسعوا ملكهم من قدامر حتى عمان ، فكان أكبر ملك في الجزيرة ، منذ أيام النبي ، وقد فسر نجاحهم بأنه إشارة من الله سبحانه وتعالى الى انه غير راض عن الترك .

مبدأ تاريخ الشرق الأدنى

كتبت دائرة المعارف الاسلامية - النسخة الانكليزية - الطبعة الجديدة -
فصلاً عن الوهابية^(١)، تجاوزت فيه قول حتي وصحيفة الخليج الفارسي ، اذ اعتبرت
الحركة الوهابية بداية تاريخ الشرق الأدنى كله ، في الزمن الحاضر .
قالت الأنسكلوبيديا المذكورة :

« ان دعوة ابن عبد الوهاب الذي جعل وحدانية الله فوق كل شيء ، وجرد
الديانة من البدع ، قد تجاوزت أصدائها في كل العالم الاسلامي ، من افريقية
الغربية الى الهند الشرقية ، وهزّت أفكار السلفيين الجدد ، وكان لها - كمحركة
عربية مناهضة للسلطنة العثمانية البعيدة الفاسدة - أثر كبير في الحركات القومية التي
نشأت عند العرب ، في القرنين التاسع عشر والعشرين .

أما في الجزيرة نفسها فقد تمّ ، بفضل الوهابية ، تحقيق وحدة سياسية ، حلت
محل الاقليمية الضيقة ، ونشأت فيها حكومة نظامية تؤدي رسالتها في صورة حسنة
لم تعرف الا قليلاً في الماضي ، .

(١) التعبير بالوهابية أو (الحركة الوهابية) عندما ننقلها من المصادر فإننا ننقل مصطلحاً لتقريب المعنى من
باب خطأ شائع أفضل من صواب لا يدرك ، وإلا فليست الوهابية مذهباً ولا طريقة وإنما دعوة لتصحيح
الممارسات الدينية .

مؤسس الدولة السعودية الأولى

من هو مؤسس الدولة السعودية ؟
يتفق أكثر المؤرخين على أن مؤسس الدولة السعودية الأولى في نجد هو :

محمد بن سعود

ويشركون معه في شرف التأسيس : الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وهناك من يزعم أن مؤسس الملك السعودي ، هو :

سعود بن محمد بن مقرن

وآخرون يقولون أنه :

عبد العزيز بن محمد

فالمؤلفون – كما ترى – موزعون بين محمد ، وأبيه ، وابنه .. وها نحن نرد على أصحاب الرأيين الأخيرين .

سعود بن محمد :

يقول فؤاد حمزة ، في كتابه « قلب جزيرة العرب » ، أن سعود الأول .. هو « مؤسس الحكم السعودي » وأنه ، كان مقيماً في الدرعية ويمكن بدهائه وحنكته من تثبيت أمارته في الدرعية وما جاورها من الواحات الصغيرة ، ووضع بعمله هذا أساس مملكة آل سعود .

وفي اعتقادنا أن سعود بن محمد لا يستحق لقب « مؤسس » ، لأنه لا يختلف في شيء عن رؤساء الدرعية الذين سبقوه .

والقول بأن سعود هو مؤسس السعودية ، كالقول بأن عبد الوهاب هو مؤسس الوهابية ، ومنشأ ذلك خطأ في فهم النسبة .. والصواب هو أن السعوديين منسوبون الى « ابن سعود » لا الى سعود ، والوهابيين منسوبون الى « ابن عبد الوهاب » ، لا الى عبد الوهاب .

ان تاريخ الدولة السعودية ، بل تاريخ نجد الحديث ، إنما يبدأ بهجرة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الى الدرعية ومبايعة محمد بن سعود له على اخلاص العبادة لله وحده واتباع حكم الاسلام الصحيح في سياسة البلاد ، و « سعود » مات قبل ذلك ، في فترة يشبهونها بالجاهلية ، فكيف تنسب دولة الدعوة .. الى رجل لم يعرف الدعوة ولا صاحبها ؟

عبد العزيز بن محمد :

القائلون بأن مؤسس الملك السعودي هو عبد العزيز بن محمد بن سعود ، يحتجون لرأيه بأن الفتوحات العظيمة جرت في عهده ، فبلغت الدولة من سعة الرقعة وكثرة الموارد وقوة الجيش وعظم الهيبة واستقرار الحكم وشيوع الأمن مبلغاً كبيراً ، فخرجت من دائرة « المشيخات » الضيقة الى مجبوحة الدولة ...

جاء في كتاب « عرض البريمي » ، الذي قدمه الزعيم العربي عبد الرحمن باشا عزام ، باسم الحكومة العربية السعودية ، الى لجنة التحكيم الدولية ، ما يأتي :

« ... مات محمد بن سعود ، أول حاكم من آل سعود نشط لنشر الدعوة الى التوحيد في سنة ١١٧٩هـ ، في وقت كان فيه نفوذ الحركة ينتشر تدريجاً ، واقتصرت فتوحاته على بعض المناطق في نجد ، وأصبح ابنه عبد العزيز ، الإمام الجديد في الدرعية : مؤسس الدولة السعودية الأولى ، التي دان لها بالطاعة والولاء انقسم الأكبر من جزيرة العرب » .

وهذا كلام صحيح ... من حيث اتساع الدولة في زمن عبد العزيز ، ولكننا نرى أن كل دولة تكون في أول أمرها ضعيفة ، محدودة الموارد ، بل هذا شأن كل دولة ناجحة ، تبدأ صغيرة ثم تكبر ، بفعل الزمن و « زخم » الحميرة الأولى ، وما كان التأسيس ، على أي حال ، ليعني الفراغ من البناء والتزيين ، وإنما هو وضع الأساس ، والأساس : رسالة مقدسة ، وإيمان بها ، وجهاد في سبيلها . وذلك ما توافر لمحمد بن سعود ، فكان هو المؤسس ، وكان ابنه عبد العزيز ثم حفيده سعود مكملين لرسالته ، ولكل نصيبه من الفخر .

ومتى ذكرنا اسم ابن سعود ، وجب علينا أن نذكر أيضاً اسم إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الذي وضع معه أسس الدولة ، فكان شريكه في التأسيس ، وإن لم يشاركه في الملك ، وقد عاش بعده ، وشهد كثيراً من الفتوحات التي تمت في عهد عبد العزيز !

البَابُ الْأَوَّلُ

أُمَرَاءُ الدَّرْعِيَّةِ قَبْلَ الدَّعْوَةِ

- ١ -

مانع المريدي

تأسيس الدرعية

كانت الدرعية ، في منتصف القرن التاسع الهجري ، اسماً لقربة في نواحي القطيف ، يسكنها فرع من عشيرة يقال لها : « الدروع » ، وكان رئيس هذا الفرع يدعى : « مانع » .

وفي عام ٨٥٠ هـ . كتب اليه ابن عم له ، يتزعم فرعاً آخر من الدروع في البامة ، وهو ابن درع ، صاحب « حجر » و « الجزعة » ، قرب الرياض ، يعرض عليه القدوم عليه والنزول في جواره وأملاكه ، فقبل ذلك مانع ، وربما كان سبب قبوله ضيق المعيشة في ناحيته ، وهاجر بأولاده ورجاله من القطيف ، وأتى ابن عمه في حجر ، فأعطاه أرض « الملبيد » و « غصية » المعروفتين ، فتزلهما هو ومن معه .

قال ابن بشر : « .. واتسع بالعمارة والغرس في نواحيها ، وعمرها ذريته من بعده وجيرانهم .. وكان ما فوق الملبيد وغصية لآل يزيد - آل دغثير اليوم - وما فوق ذلك من سمحة ومن الوصيل الى بلد الجليية الى الأبكين ، الجبلين

المعروفين في تلك الناحية ، الى موضع حريلا : لحسن بن طوق - جد آل معمر .

وهكذا زالت بلدية الدرعية من القطيف ، بعد أن هجرها أهلها ، ولكنها بعثت وجددت في أرض اليمامة ، في نجد ، حيث بنى مانع وانبأؤه بلدة جديدة ، فأطلق عليها اسم قريتهم القديمة : « الدرعية » ، وكانت في أول أمرها منزلاً متواضعاً لعشيرة الدروع ، ولكنها أصبحت ، فيما بعد ، أعظم بلدان نجد ، وقاعدة مملكة كبيرة ، ومنطقة دعوة جليلة ، وعنوان تاريخ جديد !

فهل كان شيء من ذلك يدور في خلد « مانع » ، وهو يضع أساس أول بيت بناه في الملبيد ؟

لا ندرى ! ومهما يكن الأمر .. فقد كان مانع مؤسس الدرعية وأول رئيس فيها .

هل كان مانع ملكاً ؟

لا يذكر لنا ابن بشر من أخبار مانع سوى أنه كان رئيس الدروع ، في القطيف ، وأنه كان أول من بنى وغرس في الأرض التي عرفت باسم عشيرته وبلدتها القديمة : الدرعية .

وتقول لادي بلنت : « ان الأمير مانع كان ملكاً على الأحساء والقطيف وقطر وعمان في القرن الخامس عشر للميلاد .. » .

ويقول أمين الريحاني : « .. ومن كبار أجداد مقرن الأولين : الأمير « مانع » ، الذي بسط سيادته على الأحساء والقطيف وقطر . وهو جد (الموانعة) الأسرة المعروفة في نجد ومؤسس الدرعية . ولكن ملكه الذي تجاوز حدود نجد لم يدم طويلاً .. »

ويقول سليمان الدخيل ، الذي قرأ كتاب « منير الوجد » ، في أنساب ملوك نجد ، - وهو مصدر الرجائي أيضاً - : « إن مانعاً هو الذي وضع أساس الدرعية وبنائها ، وجدّد بناء الأحساء والقطيف وقطر وعمان ، وهو أول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون المكيّنة والأسوار الشائعة ، وكان مستقلاً بالإمارة في سنة ٨٥٠ هـ . (١٤٤٦ م .) ، ومن ذريته « المنانعة » ، الموجودون اليوم في نجد ، وهم أسرة كبيرة شريفة متفرقة في كثير من الديار العربية وغيرها . »

وقد رجعنا الى تاريخ الأحساء ، في القرن التاسع ، فوجدنا أمراءها ، في تلك الأيام ، أبناء زامل العقيلي الجبوري ، وكان أولهم « سيف » ثم شقيقه « أجود » ، ثم أولاد أجود .. ولم نجد ذكراً لإمارة مانع ، وبذلك تنهت رواية لادي ومن قال بقولها ، فمانع لم يكن قط أميراً على الأحساء ، فضلاً عن عمان وقطر ..

وأما آل مانع ، فاسم أسرة ثمينة ، من الأحساء ، لا تربطها صلة قرابة بمانع المريدي ، مؤسس الدرعية .

٢ - ربيعة بن مانع

لما مات مانع ، خلفه ابنه ربيعة ، واستفاضت شهرته ، وحارب آل يزيد^(١) .

٣ - موسى بن ربيعة

ظهر موسى في حياة أبيه ، وتولى قيادة المعارك والغزوات ، وصار - كما يقول ابن بشر : « أشهر من أبيه » ، واستولى على الحكم في حياة والده ، واحتال على قتل أبيه ربيعة ، فجرحه جراحات كثيرة ، وهرب « ربيعة » الى حمد بن حسن بن طوق ، رئيس العيينة ، فأجاره وأكرمه ، لأجل معروف سابق له عليه .

(١) - انظر ابن بشر . ويقول سليمان الدخيل ان ربيعة أخضع الأحساء والقطيف وقطر ، وهذا الزعم ، فيما نعتقد ، باطل لا أساس له .

ثم ان موسى جمع قومه المرّة ، وضم اليهم « الموالفة » ، وغزا آل يزيد ، في النعمية والوصل ، وقتل منهم ثمانين رجلاً ، وأجلام عن أراضيهم ، وكانت يضرب بهذه الواقعة المثل في زمانهم ، فيقال : « صبحهم مثل صباح الموالفة لآل يزيد » . !

وكانت النتيجة الطبيعية لهذه المعركة الظافرة : الاستيلاء على ملك آل يزيد وضمه الى الدرعية .

ويقال إن سبب المعركة كان شدة التزاحم بين آل يزيد وأهل الدرعية على عيون الماء في وادي حنيفة ، وإن موسى استنجد بأمير العينة ، فأنجده (١) .

٤ - ابراهيم بن موسى

مات موسى ، فخلفه ابنه ابراهيم . وكانت لابراهيم ذرية كثيرة العدد من أولاده الأربعة : مرخان وعبدالله وعبد الرحمن وسيف (٢) .

٥ - مرخان بن ابراهيم

تولى مرخان رئاسة الدرعية ، بعد وفاة أبيه ابراهيم . وفي زمانه ضاقت الدرعية بذرية ابراهيم لكثرتهم ، ففكر قسم منهم بالهجرة الى أماكن أخرى أوسع ، بينا أثر الآخرون البقاء ، فمن الذين اختاروا البقاء : مرخان ، الذي أصر على الاحتفاظ بملك الآباء والأجداء ، وتابعه على ذلك أخوه

(١) - انظر مخطوط (الدولة السعودية الاولى) ، باللغة المرينية ، لصالح العقاد .
(٢) - يقول سليمان الدخيل ، في مجلة لغة العرب ، ان الأمير ابراهيم كان في عهد المباسين أميراً قائماً بنفسه ، صاحب الأمر والنهي في جزيرة العرب . ولم نظفر بنص يؤيد هذا الزعم .
(٣) - يقول ابن بشر : « كان لابراهيم عدة اولاد : عبد الرحمن ، وعبد الله ، وسيف ، ومرخان .

فأما عبد الرحمن ، فهو الذي استوطن بلد (ضرمي) ونواحيها ، وذريته آل عبد الرحمن المعروفون بالشيوخ .

وأما سيف فمن ذريته آل ابي يحيى ، اهل بلد ابا الكباش المعروف .
وأما عبد الله ، فمن ذريته الوطيب وآل حسين وآل عيسى وغيرهم .

عبدالله، وأما أخواه عبد الرحمن وسيف ففضلا الانفصال عن أخيها وذهبا بأولادهما ومن معها الى ضرمي وأبا الكباش ..

ويظهر أن هجرة الأخوين ساعدت على تثبيت إمارة مرخان ، وسنرى ان إمارة الدرعية ، بعده ، انحصرت في ذريته ، دون ذرية إخوته . ويقول فيليبي إن هجرة أخويه عبد الرحمن وسيف كانت مشروطة بتنازلهما عن حقوقها وحقوق ذريتهما في إمارة الدرعية ، وربما كان هذا الزعم باطلاً ، ويرجع عندنا بطلانه أن أخا مرخان الرابع (عبد الله) لم يهاجر .. ومع ذلك لم يكن له ولا لأولاده أي نصيب في إمارة الدرعية . ولعل أفضل تعليل لانحصار الإمارة بذرية مرخان هو تكاثر أولاده وقوتهم وشهرتهم واشتغالهم بالغزوات والأمور العامة ، بينما انصرف الآخرون عن ذلك زماناً ، فسقط حقهم أو تنوسي بتقادم العهد .

أنجب مرخان عدة أولاد ، ولكن إمارة الدرعية انحصرت في عقبه من ولديه :

١ - ربيعة

٢ - مقرن

وربيعة هو الابن الأكبر ، ولكن ذريته عرفوا باسم ابنه (وطبان) ، فيقال لهم : « آل وطبان » ، لأن وطبان كان له أربعة عشر ولداً أو أكثر ، غير البنات .. وعرفت ذرية مقرن باسم « آل مقرن » . وكان يتعاقب على حكم الدرعية الأكبر من هذين الفرعين ، لأن قاعدة السن كانت كالسنة المتبعة في تنصيب أمراء نجد وشيوخها .

٦ - ربيعة بن مرخان

بعد وفاة مرخان ، خلفه أكبر أولاده ربيعة ، ولا نعرف متى كان ذلك ، ولكن ابن بشر نقل من بعض الكتب التاريخية أن ربيعة حج عام (١٠٣٩ هـ) ، وكان يومئذ أميراً للدرعية .

فترة مضطربة وحكم أجنبي

لا يذكر لنا ابن بشر أسماء أمراء الدرعية بعد ربيعة ، تاركاً فراغاً كبيراً بين ربيعة ومحمد بن سعود ، ولكننا نستطيع سداد بعض هذه الثغرة ، بما نستخرجه من النقول التي يوردها ابن بشر في أماكن مختلفة من كتابه باسم : « سابقة » ، وبما كتبه مؤلفون آخرون ، ولكننا ملزمون بالقول ان الفترة التي تمتد بين ربيعة ومحمد المذكورين ما تزال غامضة في نظرنا ، ومعلوماتنا عنها قابلة للشك ..

مرخان بن مقرن بن مرخان

لم يشر أحد من المؤرخين ، الذين اطلعنا على كتبهم ، الى أن مقرن بن مرخان تولى إمارة الدرعية ، فلهذه مات في حياة أخيه ربيعة . ويقول بعض المؤلفين ان مرخان بن مقرن تولى إمارة الدرعية ، بعد ممه ربيعة .

وطبان بن ربيعة

لم يرض أبناء ربيعة عن ولاية مرخان ، وعدّوه مغتصباً ، لأن كبير أبناء ربيعة : وطبان بن ربيعة ، كان أحق منه بخلافة ربيعة ، فقاموا على مرخان ، وقتلوه ، ويقال ان وطبان نفسه هو الذي قتله وحلّ محله .

محمد بن مقرن

لا يذكر لنا ابن بشر شيئاً من أخبار محمد بن مقرن ، بعد مقتل أخيه مرخان ، وفي بعض الكتب أن محمد بن مقرن ثار لأخيه مرخان ، فقتل وطبان بن ربيعة وتولى مكانه .

ناصر بن محمد بن وطبان

يذكر ابن بشر في سابقة : أن ناصر بن محمد أمير الدرعية قتل عام ١٠٨٤ هـ .

ويقول فيليبي ان ناصر بن محمد حكم الدرعية خلال حياة أبيه ، ويقول غيره من المؤلفين ان محمد بن مقرن تخلى عن حقه في ولاية الدرعية الى ابنه ناصر ، وقد يستتج من ذلك أن ابنه ناصر هو الذي تولى امرة الدرعية بعد مقتل وطبان .

محمد بن مقرن

تولى محمد بن مقرن بن مرخان ، بعد مقتل ابنه ناصر ، امارة الدرعية ، وبقي فيها حتى وفاته عام ١١٠٦ .

أبناء وطبان

بعد وفاة محمد بن مقرن انتقلت امارة الدرعية الى آل وطبان ، فتولاها كبريم : « مرخان بن وطبان بن ربيعة ، ويظهر أن الخلافات استحكمت بين أبناء وطبان ، فقتل أحدهم واسمه « ابراهيم » مرخان ، فتولى الامارة مكانه أخوه : « ادريس بن وطبان » .

لم يستطع ادريس بن وطبان التغلب على فساد اخوته وشقاقهم ، فكان حكمه ضعيفاً متخاذلاً ، فطمع بامارة الدرعية الطامعون .. بعد أن سيطرت الفوضى على البلد .

الحكم الأجنبي

يذكر ابن بشر ، في سابقة له ، مقتل « سلطان بن حمد القيس » ، أمير الدرعية ، عام (١١٢٠) ثم يذكر مقتل « عبد الله بن حمد القيس » أمير الدرعية ، عام (١١٢١) ، ولكنه لا يضيف الى ذلك شيئاً من أخبارهما ..

ويسمي فيليبي هذه الفترة ، التي امتدت من سنة (١١٠٧) الى سنة (١١٢١) : فترة « الحكم الأجنبي » ، ويقول ان سلطان بن حمد رجل مغرور ، من بني خالد ، من الاحساء ، وقد استطاع أهل الدرعية قتله ، بعد أن طال حكمه وكرهه الناس ، فتولى مكانه أخوه عبد الله فقتل في العام التالي لولايته . وبمقتله ، كما يقول فيليبي ، انتهت فترة الحكم الأجنبي ، في الدرعية وعادت البلد

الى «حكامها الشرعيين» .

موسى بن ربيعة بن وطبان

في عام ١١٠٧ ، بعد مصرع عبد الله بن حمد القيس ، تولى إمارة الدرعية كبير فرع آل وطبان : «موسى بن ربيعة بن وطبان» ، وبقي في الإمارة إحدى عشرة سنة .

وفي عام (١١٣٢) ، ثار عليه أهل الدرعية ، وربما كان على رأس الثائرين سعود بن محمد بن مقرن ، وخلعوه من الإمارة ، ونفوه من البلدة ، فذهب الى «العينة» ، حيث عاش لاجئاً أو «جلوياً» ، كما كانوا يقولون في تلك الأيام ، وفي عام ١١٣٩) أصابته رصاصة طائشة فمات منها .

سعود بن محمد بن مقرن .

بعد خلع موسى بن ربيعة ونفيه عام ١١٣٢ ، تولى الإمارة في الدرعية كبير فرع آل مقرن : «سعود بن محمد بن مقرن» ، وبقي فيها حتى وفاته في ليلة عيد رمضان عام ١١٣٧ هـ .

وقد خلف سعود أربعة أولاد : محمد ، وثنيان ، ومشاري ، وفرحان ^(١) .

زيد بن مرخان .

تولى الإمارة بعد وفاة سعود كبير آل وطبان : زيد بن مرخان بن وطبان .

مقرن بن محمد .

كان زيد بن مرخان ضعيف الرأي ، سيئ التدبير ، فاستطاع مقرن بن محمد ،

(١) يقول فيليبي في كتابه (اليوبيل العربي) Arabain Jubilee صفحة (٢٥٥) ان سعود بن محمد بن مقرن ، توفي عام ١٧٤٧ م . كما حكم فعلي للدعوة ، بعد قليل من ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية وعام ١٧٤٧ . يقابله عام ١١٦٠ هـ . وهذا خطأ فاحش ، لأن سعود المذكور مات عام ١١٣٧ هـ . اي عام ١٧٢٤ هـ . وفي هذا التاريخ ، لم تكن الدعوة الإصلاحية قد ظهرت بعد في نجد لأن الشيخ لم يكن قد عاد من رحلته ..

أخو سعود بن محمد ، انتزع الإمارة منه ، وانفرد بحكم الدرعية ، ثم بدا له أن يصالح زيدا ، فطلب منه أن يزوره « لتام الاستئناس به والثقة ، فخاف منه زيد ، وقال : لا آتيك حتى يكفل لي محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله بن مقرن ، فكفلا له . فأتاه زيد في جماعة ، فهِمَّ مقرن بقتله وبدت منه شواهد الغدر ، فوثب محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله .. وحملوا عليه فألقى بنفسه .. فأدركوه (وقتلوه) ، وردّوا زيدا إلى مكانه (١) » .

وهكذا شارك محمد بن سعود في قتل عمه مقرن ، استنكاراً للغدر ووفاء بعهده لزيد ودفاعاً عن حياة رجل مظلوم ، وقد عدّوا عمله مكرمة لا إثم ، لأن الظروف التي كانت تحيط به لم تترك له حرية الاختيار : كان بين أن يهرب ويتنكر لعهده ويدع مكفوله يلقي مصرعه ، وهذا معناه القبول بالغدر والذل ، وبين أن يقف بوجه الغدر ويكافئ الشر ، فاختار القتال دون عهده وكرامته ، وشاء القدر أن ينتهي الصراع بقتل المعتدي .

ولاية زيد الثانية ومصرعه

أعيد زيد بن مرخان ، بعد مصرع مقرن بن محمد ، إلى إمارة الدرعية ، فأراد القيام بعمل باهر ، يكسبه مالاً كثيراً وسمعة ، فبدا له أن يغزو العيينة ، لأن الرباء فتك بأهلها فمات رئيسها واكثر رجالها ولم تعد قادرة على الدفاع عن نفسها ، وفيها أموال كثيرة طمع بنهبها !

جمع زيد جموعه من الحاضرة وأشرك معه البدو ، وسار إلى العيينة ، فلما دنا منها ، أرسل إليه أمير العيينة الجديد ، واسمه محمد ، وكان يلقب « بخرفاش » ، رسولاً يقول له : لماذا تريد إشراك البدو في نهب العيينة ؟ دعهم ، وأقبل إلي ، وأنا أعطيك حتى ترضى !

لقمى عرض محمد خرفاش هوى في نفس زيد ، لأنه يرضي جشعه ونهمه ، فجهأ إلى العيينة في أربعين من رجاله ، وأحسن خرفاش استئصالهم وأجلسهم في مكان معد

(١) ابن بشر .

لهم ، ثم تركهم فجأة - وكان قد بيّت أمراً - فإذا رجال خرفاش المسلحون
يصوبون بنادقهم إلى زيد ويقتلونه !
ولما رأى ذلك محمد بن سعود ورجاله ، التمسوا موضعاً أميناً ، وصعدوا إليه ،
وتحصنوا فيه ولم ينزلوا منه حتى جاءتهم (الجوهرة) بنت عبد الله بن معمر ،
وأمنتهم ، وعادوا إلى الدرعية !

البَابُ الثَّانِي

رِئَاسَةُ

مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ

وَعَشِيرَتِهِ وَأَبَاؤُهُ وَنَسَبُ آلِ سَعْدٍ

رئاسة محمد بن سعود وعشيرته وآبائهم ونسب آل سعود

التف أهل الدرعية ، بعد مقتل رئيسهم زيد ، حول محمد بن سعود ، وبابعد
بالرئاسة ، وكان ذلك عام ١١٣٩ هـ .

وبقي محمد بن سعود رئيساً للدرعية ، قبل هجرة الشيخ إليهم ، نحو عشرين
سنة - أي منذ عام ١١٣٩ إلى عام ١١٥٧ - ولنا نعرف شيئاً من أخبار هذه
الفترة الطويلة ، ولعله لم يكن فيها شيء يستحق الذكر . ولكن استمرار ولايته
كل هذه المدة يدل على الاستقرار والأمن ، وقد يدل كذلك على حكمة الرجل
ودهائه ، لأنه استطاع القضاء على دسائس المنافسين في الداخل ، والدفاع عن بلاده
ضد الأعداء والطامعين من الخارج !

وكان من أعظم جيرانه ، في ذلك الوقت : أمير «العينه» ، وأمير «الرياض» ،
وأبعد من ذلك أمير «الأحساء» .

ويبدو أن محمداً كان على صلة حسنة بالعينه ، لأنه زوج ابنه عبد العزيز بنت
أمير العينه عثمان بن معمر .

أما رئيس الرياض ، دهم بن دواس ، فيقول لنا ابن فنام إنه كان مديناً

لمحمد بن سعود ببقائه في الإمارة ، لأن أهل الرياض كرهوه وأرادوا الخلاص منه .
فاستجعد بأمير الدرعية ، فأنجده بعدد من الجنود ، وبذلك أخضع الثائرين واستقر
له الحكم !

كان شرفاء مكة يعدّون نجداً واليامة من مناطق نفوذهم ، ويجبوت منها
الأموال ويأخذون الهدايا .. ويؤدبون المتمردين .. ولكننا لم نسمع بشيء من
أخبارهم في « الدرعية » ، ولعل الدرعية كانت يومئذ من الفقر بحيث لا تغريهم
فحفظها منهم فقرها ، الى شجاعة أبنائها ، والله أعلم !
ويظهر أن أمراء الأحساء خلفوا شرفاء مكة في بسط نفوذهم على دويلات نجد
وجباية الأموال منها .. أو شاركوهم ذلك أحياناً ..

عشيرة ابن سعود وأسرته .

الدروع والمردة

كانت عشيرة (مانع) ، الجسد الأعلى لمحمد بن سعود ، ومؤسس الدرعية ،
تعرف باسم (الدروع) ، وكانت مواطنهم في اليامة والقطيف ، كما ذكرنا ذلك
من قبل ..

ويطلق ابن بشر وابن عيسى على (مانع) ، رئيس دروع القطيف لقب
(المريدي) ، نسبة الى (المردة) ، ولم نظفر بنص يبين لنا وجه تسميتهم بالمردة ،
ولعلمهم انما سموا كذلك لجسامتهم وطولهم وقوتهم ، وما ندري إن كان هذا اللقب
خاصاً بهم ، أم يعم أيضاً دروع اليامة .

والدروع اسم يطلق اليوم على عشيرة يقيم أفرادها في واحات البريمي وعمان ،
ولكنها عشيرة قحطانية ، فليس بينها وبين دروع اليامة والقطيف صلة ، وانما هو
تشابه الأسماء .

ويذكر فيليبي ان الدروع كانت عندم اهل ممتازة ، استفاضت شهرتها في سائر
بلدان الخليج ، ولكنه لا يشير الى مصدره .

آل مقرن

في القرن الحادي عشر ، على الأرجح ، اختص فرع من « أبناء مانع ، رئيس الدروع » ، باسم : (آل مقرن) ، نسبة إلى جدهم (مقرن بن مرخان) ، ومميزاً لهم عن أسرة (آل وطبان) ، الذين ينتسبون إلى (وطبان بن ربيعة بن مرخان) ، وقد تناوب أفراد من هاتين الأسرتين الحكم في الدرعية ، ثم استقر الأمر أخيراً في آل مقرن ، وحدهم .

وتقول صحيفة الخليج الفارسي : « إن صيغة آل مقرن التي كانوا ينتخون بها في الحرب هي :

« خيال العوجا .. انا ابن مقرن » .

أو :

« راعي العوجا ، انا ابن مقرن » .

وكانوا ينطقون قاف « مقرن » ، كالجم المصرية ، ويعنون بالعوجا : (الدرعية) ، لأن وادي حنيفة يتعوج عندها ويتعرج^(١) .

(١) من يرجع إلى قواميس اللغة يجد أن (العوجاء) هي الضامرة من الابل ، ولذلك قال أحد الكتاب في جريدة (ام القرى) ان نخوة اهل العارض كانت :

« اهل العوجا . اهل العوجا » .

وزعم ان العوجا اسم للقطيع من الابل ، وان هذه الكلمة كان لها (تأثير الكهرباء ، لأن العرب اشتهروا بالدفاع عن انفسهم وانعامهم .) ثم حلت محل هذه النخوة نخوة دينية ، بعد ظهور الوهابية ، وهي : « خيال التوحيد ، اخو من اطاع الله » .

نَسَب آلِ سُعود

محمد بن سعود

هو محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع .

هذه هي سلسلة النسب التي نجدها في كل كتاب يبحث في تاريخ الدولة السعودية ، لأنها قرية العهد ، وأما ما فوق مانع من الآباء ، فبعض المؤلفين يهمله ، وبعضهم ينقص منه ، وبعض يغلط فيه ، ولكن المؤلفين يجمعون على أن (مانع) يتحدر من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وبذلك يلتقي نسب ابن سعود بنسب النبي محمد (ص) في جدما المشترك : (نزار) .

ولو أنك سألت كثيراً من أفراد آل سعود عن أسماء أجدادهم ، بعد مانع ، اعجزوا عن تسميتهم لك ، لأن أسماءهم - أو طائفة منها ، على الأصح - بقيت غير مدونة ، لأسباب مختلفة من الحروب والهجرات وقلة العناية بالتدوين وتقادم العهد . وهذا غير مستغرب ، فأسماء آباء النبي (ص) ، فوق جده الأعلى (عدنان) ، بقيت مجهولة لنفس الأسباب .. ولما عرض النسابون على النبي (ص) سلسلة كاملة بأسماء آبائه حتى اسماعيل ، رفضها وكذب النسابين ، فاكفى المؤرخون بذكر أسماء آباء النبي (ص) حتى عدنان ، ثم قالوا إن عدنان هو من سلالة اسماعيل بن ابراهيم .

فهل نفعل مثل ذلك ، فنقول - بعد تعداد أسماء آباء ابن سعود حتى مانع - :
ومانع من سلالة ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ؟
قد يكون هذا الرأي أسلم الآراء .. ولكنه لا يعفينا من جهد نبذله في استقصاء

نسب (مانع) ، فإن لم نوفق إلى معرفة أسماء آبائه كلهم ، عرفنا طائفة منها على الأقل !

حنفيون

يقول ابن بشر إن مانع ، جد آل سعود : (مريدي) ، أي أنه من قبيلة « المردة » ، من بني حنيفة ، من قبائل بكر بن وائل ؛ وقد نقل ابن بشر ذلك من كلام محمد بن سلوم ، الذي نقله بدوره ، من كلام راشد بن حنين ، قاضي الحرج .

فإذا صح لدينا أن (مانع) مريدي حنفي ، عرفنا بذلك أسماء آبائه من « حنيفة » حتى « عدنان » ، لأن نسب حنيفة معروف ومدون في كتب الأنساب . وهذه هي أسماء آباء حنيفة :

« حنيفة بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن ربيعة بن تزار بن معد بن عدنان » .

عنزيون

يذهب كثير من المؤلفين الغربيين - وبجاريهم في رأيهم كثير من المؤرخين العرب - إلى أن آل سعود .. عنزيون ، من قبيلة عنزة .

والكلمة « عنزة » مدلولان مختلفان .. ولعل أكثر الذين نسبوا آل سعود إلى عنزة يجهلون ذلك ، فهم لا يعرفون إلى أية عنزة نسبهم !

يعني بعض المؤلفين بعنزة أو العنزيين : سلالة عنزة بن أسد .

ويعني بها آخرون : سلالة عنز بن وائل .

والمعنى الأول هو الذي نجده في أكثر الكتب القديمة ، ولكن المعنى الثاني هو الأحدث والأشهر بين رجال العشائر اليوم .

ويقول العلامة البكري في كتابه « معجم ما استعجم .. » إن اسم « عنز » ،

في الأصل ، هو : « عبد الله » ، و « عنز » لقب لقبوه به ، لأن رأسه كان محدداً يشبه رأس العنزة .

عنز بن وائل

فمن المؤلفين الذين ينسبون آل سعود في عنز بن وائل :

١- الأستاذ عباس العزاوي ، الذي يقول في كتابه « عشائر العراق » :
« قبائل عنزة .. من قبائل العرب الكبرى .. والمعروف أنها من أولاد
عنز بن وائل . »

وأما قبيلة عنزة بن أسد ، فيرجع المؤلف أنها اندمجت في قبيلة عنز بن وائل
أو درجت .. لأن عنزة اليوم « تحفظ أنها من وائل ، وأن جدّها «عناز» - والتقارب
في اللفظ ظاهر بين عنزة وعناز - ومن مؤيدات هذا ما جاء في أنساب «الجواني» ،
المنقول عن « نهاية الأرب » ، قال :

« وأما وائل بن قاسط بن هنب ، فأعقب من أربعة : تغلب ، وبكر ، وعنز ،
ومرو . فمن عنز بن وائل بن قاسط فخذان وهما : (١) رفيدة بن عنز ، (٢) أراشة
ابن عنز ، وفيها عدة أفخذ أو عشائر . »

ثم يقسم الأستاذ العزاوي قبيلة عنزة الى جذمين كبيرين : بشر ومسلم ، فمن
قبائل بشر : ضنا عبيد (الاسبعة والفدعان) والعمارات ، ومن قبائل مسلم أو
ضنا مسلم :

(١) الجلاس « رولة ، محلف » . (٢) الزهب - ويعرفون الآن باسم « ولد
علي » ومن فروعهم المناجبة والمسايلخ - وكفاهم فغراً أن ابن سعود ملك الحجاز
ونجد منهم .

٢ - أحمد وصفي زكريا ، الذي يقول ، في كتابه « عشائر الشام » :
« عنزة : أعظم القبائل العدنانية بل العربية عدداً ، وأعلاها شأنًا ، وأمنعها
جانباً ، وأكثرها انتشاراً . ويرتقي نسبها الى عنز بن وائل ، من جدية بن أسد
ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . »

وفي أسطورة يتناقلونها عن سبب تسميتهم بعنزة ، أن جدّهم الأعلى قتل رجلاً بعنزة ، وهي الرمح القصير .

والمعروف .. ان عنز بن وائل .. هو أخو بكر بن وائل وتغلب بن وائل .. وان بني وائل هم بطن من ربعة .. وهم كثيرون لا يكادون يحصون ، وكل فرع منهم يماثل في عدده أكبر العشائر .

... وجمالة الملك عبد العزيز آل سعود هو من فرقة المسايخ من «الأحسة» ، وهو يحمل قدراً الوافدين عليه منهم .

و «الأحسة» ، «عشيرة عنزية صغيرة من ضنا مسلم وبطن الوهب وفخذ المناجبة» ، فهم بذلك أبناء عم الرولة والحلف وأشقاء الولد علي .

وأفخاذ الوهب وعشائره يتمرجحون بين نجد والشام ، وكثرتهم الغالبة اليوم في المملكة العربية السعودية .

(٣) فؤاد حمزة الذي يقول : «ان آل سعود ينتمون الى قبيلة «ولد علي» من عنزة التي جدّها عنز بن وائل ، ومن عنزة بعض العشائر المتحضرة في نجد وأهمها في العارض والحريق والحوطة والافلاج وسدير والقصيم ، وبعضهم يسكن في هجر أنشأها لهم الملك عبد العزيز ، وهم عشائر عديدة لا يؤلفون وحدة سياسية بينهم ، وليس لهم نخوة عامة .

٤ - الشيخ حسين .. خزعل ، الذي يقول ، في كتابه «تاريخ الكويت السياسي» : «عنزة وهم بنو عنز بن وائل .. ومن عنز تنحدر بكر بن وائل التي التي تنسب اليها البيوت الثلاثة : آل سعود وآل خليفة وآل الصباح» .

وقد نورط هذا المؤلف في تناقض غريب : فكيف يتحدر أبناء بكر من عنز ، هم ، لا من أبيهم بكر ؟

عنزة بن أسد

المفهوم القديم لعنزة ، كما قلنا ، هو : عنزة بن أسد .

جاء في « لسان العرب » :

« عنزة قبيلة من العرب ينسب اليها ، فيقال : العنزي ، والقبيلة اسمها « عنزة » .
وعنزة أبو حمي من ربيعة ، وهو : « عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد
ابن عدنان » .

ويتفق « صبح الاعشى » و « العقد الفريد » و « تاريخ ابن خلدون » في
نسبة عنزة الى أسد بن ربيعة .

وفي معجم القبائل ، لعمر رضا كحالة ، ما تلخيصه :
« عنزة بن أسد ، أكبر قبائل العرب في وقتنا الحاضر ، تنسب الى عنزة بن
أسد بن ربيعة بن نزار بن معد ، وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز فوادي السرحان
فالحداد فبادية الشام حتى حمص وحماة وحلب .
ويمكن تقسيم هذه القبيلة الى ثلاثة بطون كبيرة : (مسلم) ، (وائل) ،
(عبيد) .

وتقسم عنزة بحسب مواقعها الجغرافية الى : عنزة الحجاز ، وعنزة العراق ، وعنزة
الفرات والجزيرة وعنزة حماة وعنزة حمص (الأحسنة) وعنزة دمشق وهوران :
(الولد علي) ، (الرولة) ، (المحلف) .

ومن القائلين بنسبة آل سعود الى عنزة بن أسد :
(١) حمد بن إبراهيم الحقيقل ، مؤلف كتاب (زهر الآداب في معرفة الانساب
ومفاخر العرب) الذي يقول :

« ومن ربيعة : الهازم : وهم عنزة بن أسد بن ربيعة ، وعجيل بن لجم وتم
الله وقيس الخ .

ومن عنزة : بعض العشائر المتحضرة أهمها الابطال المجاهدون والائمة المجاهدون
الملوك العظام والسادة الكرام : آل سعود ، الذين غنم من قال :

« والسابقون الأولون السادة آل سعود الكبراء القادة

هم الغيوث واليوث والشنف ونصرة الاسلام والشم الأنف ،

(ب) أمين سعيد الذي يقول ، في كتابه « تاريخ الدولة السعودية » : يعد

الشيخ مانع المريدي العنيزي ، المؤسس الأول للبيت السعودي ، وهو في الأصل من شيوخ قبيلة عنيزة بن أسد ^(١) .

(ج) مؤلف « تاريخ الاحساء » الذي يقول : إن نسب آل سعود يتصل الى عنزة بن أسد .

نسبة آل سعود الى عنزة ، عند الانكليز

يجمع المؤلفون الانكليز ، تقريباً ، على نسبة آل سعود الى عنزة ، ومصادرهم التي يرجعون اليها في تقرير ذلك ، هي ، فيما نعلم :

(١) كتاب دوتي : « أرييا ديزيرتا » : وقد جاء فيه أن « وائل » تزوج امرأة قسطنطية وأنجبت له أولاداً منهم « عنز » و « معز » وهما جدا قبيلة عنزة ، وأن عنز ولد له « مسلم » .. ومنه ينحدر المناجبة ومن فروعهم اليوم « الأحسنة » وهم العرب الضاربون في شمالي الشام ، قرب حلب ، ومن « الاحسنة » الاسرة الشهيرة من أمراء نجد الشرقية : أبناء سعود .

(٢) كتاب بوركلوت « مواد لتاريخ الوهابيين » : وقد قال فيه : ان آل سعود هم من المسالينخ ، من عنزة .

(٣) صحيفة الخليج الفارسي ، التي تقول في مجموعتها التاريخية الشهيرة : ان محمد بن سعود ، من أسرة معروفة باسم آل مقرن ، من المسالينخ ، من ولد علي ، من عنزة .

(٤) كتاب مختصر تاريخ الوهابيين ، للسير هـ . ج . بريد جس ، وفيه يقول أيضاً ان القبيلة التي ينتمي اليها محمد بن سعود ، هي : عنزة .

(٥) تقرير حديث وضعته المخابرات البريطانية عام ١٩١٧ باسم « شخصيات - الجزيرة العربية - جاء فيه ، في معرض الكلام عن الملك عبد العزيز : أن جده الاعلى محمد بن سعود « من عشيرة الاحسنة ، من عنزة : نسب عريق نبيل » .

(١) يظهر أن ورود كلمة العنزي بهذه الصيغة « العنيزي » انها مو خطأ مطبعي وكذلك « عنيزة » ، فالصحيح انها « عنزة » ..

عزّة عند الافرنسيين

لا ينظر المؤلفون الافرنسيون القدامى الى « عزّة » نظرهم الى قبيلة من أب واحد ، وانما يعدونها مجموعة قبائل ، أو اتحاداً كبيراً من القبائل المتباينة الانساب . يقول أوغست دونسيا في رسالة له صغيرة عن العرب وفرقة الروهايين طبعت عام ١٨١٨ م ما يأتي :

« لا أتحدث عن القبائل والعشائر ، فهي تتغير دائماً .. ففي كل فترة من الزمان تنشأ عشائر جديدة ، وتتوحد عشائر مختلفة تحت زعامة رجل يلعب اسمه . .. ان عشرين قبيلة ، لعلها كانت في أول أمرها مجموعة من الاسر ، تعرف اليوم باسم « عزّة » ، وهي تنتقل في رحلاتها المستمرة بين الفرات والبحر الاحمر حتى نجد - ونجد مهدها .

ومنهم : شيخ الدوعية « محمد بن سعود ، ومنهم أيضاً شيخ عربان الرولة ، الذين يؤلفون قسماً من القبيلة الكبيرة : « الفدعان » . ويقول كورانسي في كتابه « تاريخ الروهايين » :

« ينحدر محمد بن سعود ، من قبيلة صغيرة « لعلها المردة » كانت تعيش مع عزّة و « عتيبة »^(١) وهذه القبائل الثلاث اتحدت بالمصاهرة مع أن القبائل العربية لا تتزاوج عادة الا فيما بينها ، كما قبلت أن ينضم اليها المتشردون^(٢) ، وهكذا أصبحت قوية ، ونشأ منها شعب جديد ، وجد في بؤسه سر عظيمته » . ويقول المستشرق لاوست :

« ينتمي محمد بن سعود الى اتحاد القبائل الكبير ، الذي أطلق عليه اسم « عزّة » . »

(١) رسم المؤلف الفرنسي عتيبة في كتابه هكذا : « عتوب » ، ولعله سمعها بهذه الصيغة من البدو او حرفها ..
(٢) لعل المؤلف يعني بالمشردين او اللثائين : « الموالفة » الذين كانوا مع قبيلة المردة ، والله اعلم !

من ذهل بن شيبان

إن كان المؤرخان النجديان (ابن بشر) ، و (ابن عيسى) ينسبان آل سعود في بني حنيفة ، والمؤرخون الغربيون وبعض العرب المحدثين ينسبونهم في عنزة ، بعينها ، فهناك مؤرخون يرجعونهم الى ذهل بن شيبان ، لأن مؤلف كتاب « مثير الوجد في أنساب أهل نجد » زعم ذلك !
ومن هؤلاء المؤرخين :

١ - سليمان الدخيل ، صاحب جريدة « الرياض » التي كانت تصدر في مدينة البصرة ، قبيل الحرب العامة ، وهو نجدي المولد والمنشأ ، ويدعي لنفسه قرابة بآل سعود ، فقد كتب في مجلة « لغة العرب » البغدادية سلسلة مقالات عن جزيرة العرب ونجد ، خلال الأعوام ١٩١١ و ١٩١٢ و ١٩١٣ وهذا بعض ما كتبه عن نسب أمراء آل سعود :

الأمير « سعود » ، هو ابن الأمير « محمد » بن الأمير « مقرن » بن الأمير « مرخان » - وقد كان أميراً مستقلاً - بن الأمير « إبراهيم » - الذي كان في عهد العباسيين أميراً قائماً بنفسه صاحب الأمر والنهي في جزيرة العرب - وهو ابن الأمير « موسى » - الذي كان مستبداً بنجد ، وربما تولاهما في آخر أيام الدولة العباسية وهو ابن الأمير « ربيعة » ، وقد كانت تخضع له الأحساء والقطيف وقطر ، وهو ابن الأمير « مانع » ، الذي وضع أساس الدرعية وبنائها ، وجدّد بناء الأحساء والقطيف وقطر وعمان وأول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون المكيّنة والأسوار الشاحخة ، وكان مستقلاً بالإمارة في سنة ٨٥٠ هـ . (١٤٤٦ م .)
ومن ذريته المتنانة الموجودون اليوم في نجد . وهم أسرة كبيرة شريفة متفرقة في كثير من الديار العربية وغيرها .

وهو ابن « المسيب » بن « المقداد » بن بدران بن مالك بن سالم بن مالك بن حسان بن ربيعة بن مر بن متقذ بن الحارث بن سعد بن همام بن سعد بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ابن هنب بن دهم بن جديلة بن معد بن عدنان .

فنسب الأمير سعود يتصل بعدنان ، وفي غير كتب خطية يتصل نسبه بإبراهيم ، لكننا نعتمد على الأول لوضوحه وجلاله . « (١) »

٢ - أمين الرجائي ، الذي نشر في كتابه « تاريخ نجد وملحقاته » سلسلة نسب الملك عبد العزيز كما يأتي : « الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن مانع بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن بكر بن وائل ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن زار بن عدنان ، وأضاف في الحاشية هذه الكلمات : محذوف من أجداده أكثر من (١٥) ! » (٢) »

٣ - خير الدين الزركلي ، الشاعر الكبير وصاحب : « قاموس الأعلام » ، فقد ذكر في قاموسه الجليل أن مانع جد السعوديين ، هو « مانع بن المسيب بن المقداد بن بدران ، المري ، الذهلي ، الوائلي ، أمير نجد وأطرافها .. كان مستقلاً في إمارته سنة ٨٥٠ هـ . ومن ذريته المناعة من سكان نجد ، وكان عمرانياً كثير الآثار في الأحساء والقطيف وقطر وعُمان ، وهو أول من بنى فيها القلاع المنيعة والحصون والأسوار ومن آثاره الدرعية بنجد » .

ويشير الزركلي إلى مجلة « لغة العرب » كمرجع من مراجعه .

٤ - الشيخ عبد العزيز خلف ، مؤلف كتاب « دليل المستفيد » ، الذي يقول ، في كتابه ، إن صاحب كتاب التقي والإعلام ، في ذكر النجباء الفخام ، حكى عن نسب آل سعود الأوائل .. فقال .. « مانع بن المسيب بن المقلد بن بدران ، المري الذهلي الوائلي ، أمير نجد وأطرافها ، كان مستقلاً في إمارته منذ سنة ٨٥٠ هـ . »
الغ ..

٥ - الشيخ أمين التميمي . وهو رجل فاضل ، متبوع لأخبار أسرة آل سعود ،

١ - راجع مجلة « لغة العرب » لصاحبها الأب انستاس ماري الكرمل ، الجزء الخامس من السنة الثالثة عدد ذي الحجة ١٣٣١ . وعنوان المقال : (جزيرة العرب) .

٢ - من أعجب الأشياء أن جريدة (أم القرى) الرسمية ، نشرت هذه السلسلة يوم وفاة الامام عبد الرحمن بن فيصل ، عام ١٣٤٦ هـ ..

في الزمن الحاضر ، ويكاد يكون ، فيما بلغنا عنه ، « سجلاً » حياً لأخبار ولاداتهم ووفياتهم ومصاهراتهم ، وكأنه « ضابط أحوال مدنية » لهذه الأسرة الكريمة ، وله عناية خاصة بأخبار المغفور له الملك عبد العزيز .

وضع الشيخ التيمي شجرة نسب للملك عبد العزيز ، تنتهي إلى عدنان ، وقد انخدع بهذه الشجرة بعض المستشرقين ، وصورها بيلي ويندر في صدر كتابه « العربية السعودية » في القرن التاسع عشر .

ولعل ويندر لا يؤمن مثلنا بهذه الشجرة ، التي لا يستطيع أحد قراءة الأسماء « المطموسة » .. التي تحملها أغصانها وأوراقها . ولكنه أراد أن يزين كتابه بقطعة فنية زخرفية تربق عليه صبغة شرقية .

وهذه هي شجرة التيمي : « عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع » ...

وإلى هنا لا يجادل أحد من صحة هذه الأسماء ، فهي معروفة مشهورة ، مدونة من كل كتاب التواريخ ..!

ولكن التيمي يتابع هذه السلسلة فيقول :

« .. مانع بن المسيب بن المقلد بن بدران بن مالك بن سالم بن مالك بن غسان بن ربيعة بن منقذ بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيان ابن بكر بن وائل بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان » .
ويلاحظ أن هذه السلسلة تشبه السلسلة التي أوردها سليمان الدخيل ، ولكنها تنقص منها أربعة أسماء بل وخمسة ، وهي « ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي » وسعد بن مرة ...

وفي اعتقادنا أن شجرة التيمي هذه غير صحيحة ، لاننا لم نجد أحداً من مؤرخي نجد الأثبات يذكر ذلك ، والشجرة ، بعد ، تنادي على نفسها بالكذب .. لأنها تجعل بين « مانع » ، الذي عاش في القرن التاسع للهجرة ، وبين « سعد بن همام » الذي عاش في الجاهلية : عشرة آباء ... وبين مانع وسعد فترة من الزمان

تجاوز ألف سنة ، فهل يعقل أن يعيش كل واحد من هؤلاء الآباء أكثر من
مائة سنة ؟ !

شجرة « لمع الشهاب »

وفي كتاب « لمع الشهاب » ، المخطوط المحفوظ في مكتبة المتحف البريطاني
بلندن ، شجرة نسب لآل سعود ، نثبها لجرد العلم بما يقال ، مع معرفتنا بطلانها ،
وهذه هي ، ابتداء من محمد بن سعود :

« محمد بن سعود بن محمد بن عمر بن فيصل بن أحمد بن سعدان بن عبدالله بن
عثمان بن ياسر بن جبر بن عبدالعزيز بن عمر بن سليمان بن زيد بن عبد الرحمن بن
سليم بن عدوان بن صالح بن فضل بن حميد بن ضاحي بن نعيم بن معمر بن علي
ابن سيار بن زامل بن حيان بن سمرة بن عويمر بن داعس بن هلال بن زاهر بن
سمعان بن مسجل بن زيد بن دارم بن ضيبة بن بكر بن مدالج بن وهب بن زمعة
ابن بكر بن وائل بن داحس بن عمرو بن قضاة بن مصعب بن مطعم بن جبير
ابن ربيعة بن مضر . . »

ومن عيوب هذه الشجرة الصارخة أن صاحبها يخطئ في آباء بكر بن وائل ،
مع أن كتب الأنساب والتاريخ لا تترك له مجالاً لهذا التخليط العجيب الذي وقع
فيه ، وختمه بأن جعل ربيعة ابناً لمضر ، وهو أخوه !

حنفيون أم عنزيون أم ذهليون ؟

سألت صاحب السمو الملكي ، الأمير الجليل عبدالله بن عبد الرحمن ، عميد
أمرآة آل سعود اليوم ، ومن أفقهم وأعرفهم بالتاريخ ، عن رأيه في نسبة
آل سعود إلى عنزة ، فكان جواب سموه : « نحن حنفيون . . » !

قلت : وقصة عنزة ؟

فقال سموه : « ان كانت « عنزة » ، عند بعضهم ، مرادفة لربيعة أو
« وائل » ، فيمكن القول ، نجوزاً ، إننا من عنزة ... بمعنى أننا من ربيعة ! . »

وما يقوله سموه ، في اعتقادنا ، هو الحق ، وفيه إشارة واضحة إلى تطور مدلول « عنزة » وتوسعه ، بحيث استغرق عشائر ربعة كلها ، ولم يعد قاصراً على عشيرة « عنزة » وحدها !

وكثير من أمراء آل سعود ، إذا سألتهم عن نسبهم القبلي ، أجابوك أنهم من عنزة ، وربماذكروا لك كلمة حفظوها عن مؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة ، المغفور له الملك عبد العزيز ، تؤكد هذه النسبة ! يقول أمين الريحاني ، في كتابه : « ملوك العرب » :

« أما العمارات والرولا ، فهما فخذان من أفخاذ عنزة ، وكانوا يكتنون نجداً ، خصوصاً القصيم ، ومشايخهم بنو الهذال وبنو الشعلان . وبنو الشعلان : هم أبناء عم آل سعود ومن رعاياهم كثيراً ما سمعت السلطان يقول : هم رعايا آبائنا وأجدادنا ، بل هم أبناء عمنا .

... وعنزة - كما هو مدون في كتب الأنساب - أخو وائل من ربعة ، ونسب ابن سعود « السلطان عبد العزيز » يتصل بيكر بن وائل ، فقبيلة عنزة إذن هي كلها ، جمعاء ، ابنة عمه ، وله عليها حق الرعاية .. أخطأ الريحاني بقوله إن عنزة ، « والأصح عنز » هو أخو وائل .. فهو « ابنه » ، وليس أخاه .. ولكنه أصاب كثيراً بإشارته اللطيفة إلى أن أبناء بكر بن وائل ، سواء أكانوا من عنز أم من حنيفة هم أبناء عمومة !

ويرفع المستشرق الانكليزي « دوتي » التناقض بين النسبة الحنيفية وبين النسبة العنزية ، بقوله : إن بني حنيفة في واد يحمل اسمهم منذ زمن النبي (ص) . وهم عرب قدامى ، من عنزة ، وجدهم المشترك هو وائل ! وهكذا يدخل « دوتي » ، حنيفة كلها ، في « عنزة » ، مطلقاً هذا الاسم الأخير على كل من كان من ولد وائل !

المخالصة :

إن المؤرخين - وإن اختلفوا في بعض الطرق - متفقون ، في كثرتهم ، على أن آل سعود من وائل ، من ربيعة ، من عدنان .

أما نسبتهم إلى «عنزة» ، فليست نسبة بنوة ، ولا نسبة قرابة - مع أن القرابة قائمة ، ولكنها بعيدة - وإنما هي نسبة «سياسية» ، فقد توسعت «عنزة» كثيراً بما انضم إليها من القبائل والاسر والأفراد ، فأصبحت شعباً كبيراً جداً أو «اتحاد قبائل» ، ولم يعد الانتساب إليها يعني حتماً قيام صلة نسب بين كل فرد من أفرادها وبين شيخ القبيلة الأول .

إن النسبة العنزوية أشبه «بالجنسية القومية» أو السياسية ، منها برابطة النسب والدم .

وكان يرجى للنسبة القبلية أن يعظم خطرهما ، ولكن قيام الدول العربية الحديثة ومساعدتها الموصولة في سبيل تحضير البدو ، ووضع الحواجز أمام تنقلهم من دولة الى دولة ، كل ذلك من شأنه تفكيك الروابط القبلية والاكتفاء برابطة الأمة والوطن والأسرة !

آل سعود

لم يظهر اسم « آل سعود » ، فيما نعتقد ، إلا بعد وفاة محمد بن سعود ، وتوسع الدولة التي أنشأها ، وتلك سنة من سنن الكون ، فتي تكاثرت أفراد الأسرة ، وظهر بينهم كركب لامع جديد ، تجمع حوله إبنائه وأحفاده ، وانتسبوا إليه واختصوا به ، وانفصلوا بذلك عن أبناء عموماتهم الآخرين ..

ومن الخطأ القول بأن الأسرة السعودية تنسب إلى سعود ، والد محمد ، فرأس الأسرة السعودية المالكة ، هو محمد بن سعود ، وإليه ينسب أفرادها (١) .

إن مناداته الرجل بأبن فلان أو أبي فلان ، عادة مألوفة عند العرب وعند غيرهم من الشعوب ، ولكنهم حين ينسبون إليه تحذف كلمة « الابن » و « الأب » من صيغة النسبة فيقال ، مثلاً ، « حنبلي » ، في النسبة إلى « ابن حنبل » ، لا إلى حنبل ، و « وهابي » ، في النسبة إلى ابن عبد الوهاب لا إلى عبد الوهاب و « سعودي » ، في النسبة إلى « ابن سعود » لا إلى سعود ، وربما كان سبب ترجيحهم استعارة اسم الأب في النسبة إلى كل من « محمد بن سعود » و « محمد بن عبد الوهاب » : الخوف من الالتباس والخروج من الخصوص إلى العموم : ذلك أن النسبة إليهما

(١) قد يقال ان ابناء سعود من غير ولده محمد يتسمون هم ايضاً باسم آل سعود ، ولا نستطيع حرمانهم من الانتساب الى جدهم ، وهذا حق .. ولكننا هنا انما نبحث الأمر من ناحية الأسرة المالكة ونشوء النسبة تاريخياً .

« محمدي » ، وكل مسلم محمدي ! ^(١) .

ابن سعود

انطلق الناس في الشام والعراق وفي سائر البلاد العثمانية ، يتحدثون عن « ابن سعود » في معرض كلامهم على ظهور الدعوة الوهابية ، وهم إنما يعنون به طبعاً : « محمد بن سعود » .

ثم تحدث الناس عن « ابن سعود » بعد الحملة التركية المصرية التي قادها محمد علي باشا وولده طوسون وإبراهيم ، وكانوا يعنون به : « عبد الله بن سعود الكبير » . ثم أطلقوا اسم « ابن سعود » على تركي بن عبد الله ، ثم على ابنه « فيصل » ، من بعده .

وأخيراً ، جاء مالىء الدنيا وشاغل الناس ، الملك عبد العزيز ، فدعاه الناس وخاصة رجال الغرب : « ابن سعود » ، كأن « ابن سعود » ، لقب كل أمير من أمراء هذه الأسرة الكريمة ، ولم تكن لعبد العزيز في ذلك حيلة ، فقد فرضَ عليه اسم « ابن سعود » فرضاً ، لأن قصص البطولة الحارقة وأحاديث العبقريّة الغدّة ، كلها ، تعلّقت بهذا الاسم ، ولم يكن شيء يدعوّه الى تغييره ، فهو اسم أصيل ، عريق ، وهو ، إلى ذلك ، مُضمّنٌ بعبير اليمن والبركة والسعد .. والسعود ! لذلك ارتضى عبد العزيز هذا الاسم ، لنفسه ، ولأسرته ، ولملكته ^(٢) !

(١) قد يقال ، هنا أيضاً ، انهم كانوا يستطيعون دعوتهم آل محمد .. على وجه من وجوه الاختصاص .. ولكنك متى تصورت امكان دعوة أسرة آل الشيخ واسرة آل سعود بال محمد ادركت ما يثير ذلك من الملاحظات .

(٢) تقول صحيفة الخليج الفارسي : « الأسرة المالكة هي آل سعود ، والحاكم منهم يسمى « ابن سعود » . ومن حق الزعيم الوهابي ان يلقب بالامام ، ولكن طفيان السياسة على امور الدين جعلتهم يلقبونه بالامارة .

●
● ————— ●
ووشم آل سعود ، الذي يوضع على ابلهم وماشيتهم هو :

ويظهر ان هذا الوشم الذي ذكرته صحيفة الخليج كان لال مقرون ، لأن وشم آل سعود

المعروف هكذا :
● | ●

البَابُ الثَّالِثُ

اللقاء والنزحى بسين الشيخ والأمير
وتأسيس الدولة في الدرعية

اللقاء التاريخي

خرج الدين ، يطلب سيفاً مجمه .
وانطلق السيف ، ينشد ديناً يديه .
وتلاقيا ، عام (١١٥٧) ، في «الدرعية» !

قال الدين للسيف : أعطيك الملك والنصر !
وقال السيف للدين : أعطيك الجهاد والصبر !
.. وكان العهد المسؤول !
.. وكان الجهاد الموصول !
.. وكان المجد المأمول !

تلك قصة اللقاء التاريخي :
بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ،
وبين الأمير محمد بن سعود .

.. ففي هذا اللقاء :
وضع ميثاق الدرعية ،
وولدت الدولة السعودية ،
وبدأ تاريخ نجد الحديث ،
.. بل تاريخ الجزيرة العربية !

الفصل الأول

اللقاء التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وميثاق الدرعية

رواية ابن بشر

يصف لنا « ابن بشر » قدمه الشيخ الى الدرعية وصفاً شعرياً ، بمنح الأخيّة ، فيقول إن أمير العينة ، بعد أن طلب من الشيخ الخروج من بلده ، أمر فارساً عنده ، يقال له « الفريد » ، مع خيالة معه منهم طوال الحراني ، وقال :

اركب جوادك وسر بهذا الرجل الى ما يريد !

فقال الشيخ : أريد الدرعية .

فركب الفارس جواده ، والشيخ يشي راجلاً أمامه ، وليس معه إلا المروحة ، وذلك في غابة الحر في فصل الصيف .

فقال ابن معمر لفارسه ، إذا أنت وصلت إلى أخيه يعقوب ، فاقتله عنده !
- وكان يعقوب هذا رجلاً صالحاً ، قتل ظمأً بين الدرعية والعينة ، وجعل

في غار جبل هناك ، على قارعة الطريق ، ونسب الشيخ الى اخوته لأجل الصلاح -
فسار الفارس ، والشيخ أمامه ، وهو لا يلتفت ، ويلهج بقوله تعالى :
« ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » .
وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله أكبر !
والفارس لم يكلمه ، فلما همّ بقتله ، كفّ الله عنه يده وأبطل كيده وقذف
الله سبحانه في قلبه الرعب حتى ما استطاع أن يمشي قدماً ، فعرف جواده وانصرف
الى العينة ، وقال لعثمان : إنه أصابني رعب عظيم حتى خفت على نفسي !
وأما الشيخ فإنه صار الى الدرعية ، فوصل إلى أعلاها وقت العصر ، فقصد الى
بيت محمد بن سويلم العربي ، فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من
ابن سعود ، فوعظه الشيخ وأسكن جاشه ، وقال : سيجعل الله لنا ولك فرجاً
ومخرجاً .

فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خفية ، فقرّر لهم التوحيد واستقر في
قلوبهم ، فأرادوا أن يجربوا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنصرته فهابوه ، فأتوا الى
زوجته موسى بنت « أبي وهطان من آل كثير »^(١) ، وكانت ذات عقل ومعرفة ،
فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه ، فوقر في قلبها معرفة التوحيد
وقذف الله في قلبها محبة الشيخ ، فلما دخل عليها زوجها محمد ، أخبرته بمكانه ، وقالت
ان هذا الرجل أتى اليك ، وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتم نصرته !
فقبل قولها ، وألقى الله سبحانه في قلبه للشيخ المحبة ، فأراد أن يرسل اليه ،
فقالوا : سر إليه برجلك في مكانه ، وأظهر تعظيمه والاحتفال به ، لعل الناس أن
يكرموه !

فسار إليه محمد فدخل عليه في بيت ابن سويلم ، وقال :
« ابشر ببلاد خير من بلادك ، وابشر بالعز والنعمة » .
فقال الشيخ :

(١) في الأصل بياض . والزيادة من كتاب « الحيدري » : عنوان المجد في بيان أحوال بغداد
والبصرة ونجد .

وأنا أبشرك بالعز والتمكين . وهذه كلمة « لا إله إلا الله » ، من تمسك بها وعمل بها ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد ، وهي كلمة التوحيد وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

ثم أخبره الشيخ بما كان عليه رسول الله (ص) . وما دعا إليه وما عليه أصحابه رضي الله عنهم من بعده ، وما أمروا به وما نوا عنه وأن كل بدعة بعدم ضلالة ، وما أعزم الله به بالجهاد في سبيل الله ، وأغنام به وجعلهم إخواناً ، ثم أخبره بما عليه أهل نجد اليوم من مخالفتهم ، بالشرك بالله تعالى ، والبدع والإختلاف والجور والظلم . فلما تحقق ، (محمد) معرفة التوحيد ، وعلم ما فيه من المصالح الدينية والدينية ، قال له :

— يا شيخ ! إن هذا دين الله ورسوله ، الذي لا شك فيه . وابشر بالنصرة لك ولما أمرت به ، والجهاد لمن خالف التوحيد !
ولكن أريد أن أشرط عليك اثنتين :

١ — نحن اذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله ، وفتح الله لنا ولك البلدان ، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا !

٢ — والثانية أن لي على الدرعية قانوناً آخذه منهم ، في وقت الثار ، وأخاف أن تقول : لا تأخذ منهم شيئاً !
فقال الشيخ :

أما الأولى ، فأبسط يدك . الدم بالدم والهدم بالهدم ^(١) .

(١) « جاء في لسان العرب » : « وفي الحديث أن أبا الهيثم بن التيهان ، قال لرسول الله (ص) :

ان بيننا وبين القوم حبالاً ونحن قاطعوها ، فنخشى ان الله أعزك واطهرك ان ترجع الى قومك .. فتبسم النبي (ص) . ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم . انا منكم وانتم مني !
فأهدم القبر ، يعني اقبر حيث تقبرون ، وقيل هو المنزل اي منزلكم منزلي .
والهدم بالسكون وبالفتح ايضاً هو اهدار دم القتل ، والمعنى : ان طلب دمك فقد طلب دمي ، وان هدر دمك فقد اهدر دمي !

عن ابن الاعرابي : العرب تقول : دمي دمك وهدمي هدمك ، وهذا في النصرة والظلم .
قال ابن الاثيري : ومن رواه الدم الدم والهدم الهدم ، فهو على قول الحليف ، تطلب بدمي وانا اطلب بدمك ، وما هدمت ، اي عفوت عنه واهدرته ، فقد عفوت عنه وتركته !

أما الثانية ، فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها .

« فوق تحقيق ظنه رحمه الله تعالى ، فإنه أتى إليه غنيمة عظيمة ، فقال له الشيخ : هذا أكثر مما أنت أخذته على أهل بلدك ! فتركها بعد ذلك » .
ثم إن محمداً بسط يده ، وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد في سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده !

نقد رواية ابن بشر

تلك قصة اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، كما قصها ابن بشر ، وهي لوحة فنية معبرة ، تستحق البقاء والخلود ، وقد تناقلها الناس في الشرق والغرب ، لروعتها وبراعتها .

وفي رأينا ، أن هذه القصة ، على براعتها وحسنها ، تريد نسج هالة « أسطورية » حول اسم الشيخ ، ليس الشيخ محتاجاً إليها ، لأنه صنع لمجد الإسلام وللمجد العرب ما يغنيه عن « الأساطير » والروايات الموضوعة !

أسطورة « الفريد » .. وخوف ابن سويلم !

وأول ما يؤخذ على رواية ابن بشر أنه جعل الشيخ يخرج من العينة ، في فصل الصيف ، وفي غاية الحر وماشياً على قدميه ..

وعلى هذ الصورة أيضاً أخرجه ابن بشر ، قبل ذلك ، من البصرة ! ..
ثم هو اصعبه بفارس ثم بقتله مراراً ، تنفيذاً لأوامر سيده ابن معمر ، ولكن الله سبحانه ألقى في قلب الفارس الرعب وحرف عن الشيخ كيده ..

وأخيراً يدخل « ابن بشر » الشيخ في مدينة الدرعية ، على حين غفلة من أميرها ، وينزله في دار رجل من أنصاره ، امتلاً قلبه رعباً من قدومه عليه ، لما يخشاه من غضب الأمير .. ولولا « وساطة » زوجة الأمير .. لما صلت الأحوال .. ولما

استطاع أن يقرّر للأمير التوحيد .. ويجعله من أشد أنصاره !

كل أولئك مبالغ فيه إن لم نقل : غير صحيح !

وفي اعتقادنا أن الشيخ ، لم يخرج من العينة ، الا بعد أن دعت الدرعية إليها ، ولم تكن الدرعية غريبة عن دعوة الشيخ ، فقد كان الشيخ قبل التجائه الى الدرعية ، على صلة وثيقة بعدد غير قليل من كبار رجالها ، يكتب إليهم ويكتبون إليه ويفدون عليه ، بل دخل بعضهم في دعوته وأصبحوا من أشد أنصاره ، كالأميرين ثنان ومشاري من إخوة الأمير محمد بن سعود ، وأولاد سويلم ، وغيرهم ، وقد نستطيع أن نضم الى جدول أصدقاء الشيخ اسم مطوع الدرعية نفسه ، ولده - وإن تقلبت ببعضهم الأحوال - ، وقد نستطيع أيضاً أن نضم إلى أنصار الشيخ الفتي عبد العزيز ، ابن أمير الدرعية ، الذي كتب الشيخ ، من أجله واستجابة لطلبه ، تفسيراً لسورة الفاتحة ، شرح له من خلاله عقيدة التوحيد ؛ وكذلك زوجة الأمير محمد !

فهل كان الأمير محمد بن سعود ، يجهل كل ذلك ؟ ولو أنه كان - كما زعموا - عدواً للشيخ ولدعوته .. فهل كان يترك ولده عبد العزيز يرأسل الشيخ ؟ ان المنطق يدعونا إلى الشك في أقوال ابن بشر !

ويزيدنا تشكيكاً في روايته ، ما قرأناه في كتاب المؤرخ الافرنسي الكبير « مانجان » ، الذي استقى معلوماته من آل الشيخ وآل سعود ، الذين كانوا منفيين في مصر ، فقد نقل عنهم أن أنصار الشيخ في الدرعية ، لما عرفوا حرج موقف الشيخ في العينة وتنكر أميرها له ، أبلغوا أمير الدرعية ذلك ، فأرسل الى الشيخ مع بعضهم رسالة قد تكون « رسالة شفوية » ، يدعوه فيها للجهي الى الدرعية ، ويعدده الحماية والمنعة .

ويضيف المؤرخ الإفرنسي الى ذلك :

« إن الأمير محمد أبلغ سلفاً باليوم الذي سيقدم فيه الشيخ على الدرعية ، فأرسل إليه عدداً من الفرسان ، لاستقباله ومواكبته على مسافة طويلة من البلدة » . ويقول « هوتسا » ، إن الشيخ صحب معه الى الدرعية عائلته وأمواله ، وكانت

شيئاً عظيماً .

ويقول مؤلف « لمع الشهاب » ، وهو مصدر هوتسا وغيره ، « إن الشيخ خرج من العينة بعياله وخدامه وأمواله ، وإن أخاه هو الذي طلب منه الخروج ، فقال الشيخ إنه لا يخرج إلا بأمان ، له ولعياله ولأمواله ، فأعطوه ذلك ، » فهاً نفسه وعياله ومن يتبعه للخروج ، فخرجوا ذلك اليوم ، قبيل غروب الشمس ، فاتوا .. قرية محمد بن سعود .. ولما وصلوا قريباً منها بنصف ساعة ، أخبر به محمد بن سعود ، فخرج يتلقاه ، هو وابنه عبد العزيز وكثير من أهل بيته وأهل بلده ، بالقبول والإكرام ، فأنزله أعلى مقام ، وأخلى بيته لأجله .

قد تكون رواية اللمع غير صحيحة ، في بعض تفاصيلها ، ولكنها في مجملها أدنى الى المنطق من رواية ابن بشر ..

أما أمير العينة ، عثمان بن معمر ، الذي جاء الى الدرعية ، بعد مدة قصيرة من هجرة الشيخ اليها يطلب منه الرجوع الى العينة ، فهل يعقل أن يأتي اليه ويطلب منه هذا الطلب .. لو أنه كان أمر فارسه بقتله ، كما زعم ذلك ابن بشر ؟

يقول صاحب اللمع ، في إحدى رواياته ، إن عثمان بن معمر طلب من الشيخ الخروج من العينة لمدة سنة أو سنتين ، ثم يعود ، متى خف غضب أمير الأحساء . وهذا ما وقع فعلاً ، فقد جاء ابن معمر الى الدرعية وطلب من الشيخ العودة الى العينة .

إننا لا نجد عند ابن غنام هذه المخاطر والأهوال التي أحاط بها ابن بشر خروج الشيخ من العينة ومسيره الى الدرعية ، فابن غنام يقول لنا ببساطة ان الشيخ نزل في أوائل الدرعية في بيت تلميذه ابن سويلم ، فلما سمع به الأمير محمد بن سعود قام من فوره مسرعاً اليه ، وسلم عليه ، وأبدى له غاية الاكرام ، ووعدته الحماية والمنعة ، وطلب منه العهد والميثاق « أن يبقى في الدرعية ولا يرحل منها الى غيرها من البلدان » .

لا شك عندنا في أن رواية ابن غنام أقرب الى الحقيقة من رواية ابن بشر ، ولكنها ، مع الأسف ، بسيطة جداً ومختصرة جداً ، ونكاد نقول : باردة .. وهذا

اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير ، يستحق وصفاً حاراً شعرياً ، ووصف ابن بشر ،
وان أنكرنا بعض تفاصيله ، أحب الى قلوبنا من وصف ابن غنام ..
ولعل عذره .. أن قصته تكلم بلسان الحال ، ان لم تكن بلسان المقال .

رواية شاذة .. عن فتور اللقاء الأول

وجاء في مخطوطة « الدولة السعودية الأولى » ، لصالح العقاد :
« هناك كتاب مخطوط ، في دار الكتب الوطنية بباريس ، لا عنوان له ،
تحت رقم : (١٠٦٦) ، ولا يعرف مؤلفه ، ذكر فيه ، أن لقاء ابن سعود للشيخ
أول الأمر كان فاتراً . » .

وصف اللقاء في رواية اللع

يقول صاحب « لمع الشهاب » :
« .. لما اجتمع الأمير بالشيخ ، قال له :
هذه القرية قريتك ، والمكان أنت واليه ، فلا نخش أعداءك .
والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا . »
فقال الشيخ للأمير :

أنت كبيرهم وشريفهم ، أريد منك عهداً على أنك تجاهد في هذا الدين ، والرياسة
والامارة فيك وفي ذريتك بعدك ، وان المشيخة والخلافة في الدين فيّ وفي آلي من
بعدي أبداً ، بحيث لا ينقض أمر ولا يقع صلح ولا حرب الا ما نراه كذلك ،
فان قبلت هذا فإخبرك أن الله بطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك
والسلاطين ، وتكون عاقبة أمورك محمودة عند الله ، لأنك اتبعت الدين ونصرته ،
ولم تقصر رتبك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصرُوا رسول الله (ص) . وأي
منزلة أعلى من هذه المنزلة ؟

فقال محمد بن سعود : قبلت وبايعتك على ذلك .

فتبايعا ، واشترط كل منها على صاحبه .
وبضيف صاحب الملع الى ذلك ، في مكان آخر من كتابه ، ان مبايعة محمد
ابن سعود للشيخ على اقامة الشرع وترويج الدعوة ، ومبايعة الشيخ للأمير على
الزعامة والملك ، قد أكدت « بالهلف والعهود والمواثيق ، واتخذ على ذلك
شهود .. فصفا الأمر بينهما باطناً وظاهراً »

وفي اعتقادنا أن الشيخ لم يشترط لنفسه ولا لعقبه شيئاً من المناصب ، وان
كانت رئاسة الشؤون الدينية ، كالفتوى والقضاء والتدريس ونحوها ، لا منصب
الامامة ، كانت بيد الشيخ في حياته ، ثم صارت الى أولاده بعد موته ، غير ان
ذلك لم يكن بفضل الشروط والمعاهدات .. وانما وقع التسليم به بطوائع الأشياء ،
لمكانة الشيخ وخلفائه من بعده في نفوس القوم ، ولقوتهم وأمانتهم وعلمهم
وصلاحهم .

الفصل الثاني

الدرعية في عهدِها الجَدِيدِ

الدرعية قبل هجرة الشيخ اليها

كانت الدرعية ، قبل وصول الشيخ اليها ، بلدة صغيرة ، ويقال ان عدد بيوتها ما كان يتجاوز السبعين ، وكان رئيسها محمد بن سعود يديرها على أسلوب عشائري ابتدائي ، ويأخذ من أهلها ضريبة كانوا يسمونها : « القانون » أو الأخوة أو « الحوة » - ولعلها تحريف للأخوة - وذلك لقاء حمايته لهم وإقامته الأمن والعدل بينهم ..

وكان أهل الدرعية حنابلة ، ولكن اسماً لا حقيقة ، وكان لهم « مطوع » ، ولكنه لم يكن مطوعاً يدعو الى الدين الصحيح ، وإنما كانت ، كسائر المطوعين في نجد ، منعماً في البدع ، يكتب للناس الحجب والطلاسم ، ويتقبل منهم النذور لغير الله ، وكان الناس يؤمنون بقدرة أوليائهم المحليين على جلب الخير اليهم ودفع الضرر عنهم ، وكانوا يعتقدون مثل ذلك ببعض الأشجار والأحجار . قال ابن غنام: « ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد بن الخطاب ، فيدعونه لتفريج الكرب .. وكان ذلك في الجيلة مشهوراً .. »

وكذلك « قرية » ، في الدرعية ، يزعمون ان فيها قبوراً أصبح فيها بعض الصحابة مقبوراً ، فصار حظهم في عبادتها موفوراً ، فهم في سائر الأحوال عليها يعكفون .. وكان أهل تلك التربة أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة .
وفي أسفل الدرعية غار كبير .. يزعمون ان الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى : « بنت الأمير » ، أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت ، فانطلق لها الغار .. فكانوا يرسلون اليه اللحم والخبز .
وعندهم رجل من الأولياء يسمى « تاج » .. صرفوا اليه النذور والدعاء ، واعتقدوا فيه النفع والضرر .. ويأتي اليهم من بلدة الحرج الى الدرعية ، لتحصيل ما له من النذور .. يزعمون انه أعمى ، وانه يأتي من بلدة الحرج من غير قائد يقوده .. »

الدرعية بعد هجرة الشيخ

سنة هجرة الشيخ

يختلف المؤرخان ابن غنام وابن بشر في تحديد السنة التي هاجر فيها الشيخ الى الدرعية ، فابن غنام يقول إنها كانت عام ١١٥٧ وابن بشر يجعلها عام ١١٥٨ ، ونحن نرجح رواية ابن غنام ، لأنه يؤيدها بقوله إن الشيخ بقي في الدرعية سنتين يدعو الى الدين بالنصح والوعظ ، سلماته . ثم بدأ الجهاد بعد انقضاء السنتين ، وكان هذا عام ١١٥٩ .

أصحاب السابقة من الأنصار

يذكر ابن غنام أسماء طائفة من أصحاب الشيخ الذين آزره في الدرعية مؤازرة صادقة وأعانوه في نشر دعوته وقاموا بذلك أحسن قيام ، منذ الأيام الأوائل وهم : اخوة محمد بن سعود الثلاثة (ثنيان ومشاري وفرحان) ، والشيخ أحمد بن سويلم والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغثير وسليمان الوشيقري ومحمد بن حسين وأخوه ، وغيرهم .

هجرة الانصار

ولما استقر الشيخ في الدرعية وجهر بالدعوة ، أخذ كثير من انصاره وتلامذته ،

في مختلف بلدان نجد ، يقدمون عليه ويهاجرون اليه ، وكان في مقدمتهم جماعة من رجال العينة .

ولما رأى ذلك عثمان بن معمر ، أمير العينة ، جاء بنفسه الى الشيخ ، وألح عليه في العودة الى العينة وبأبعه على السمع والطاعة ، ووعدته المنعة والنصرة ، ولكن الشيخ أثر البقاء في الدرعية ، لما مضى من عهده لمحمد بن سعود .

وفي ابن بشر أن الشيخ قال لعثمان : « ليس هذا اليّ » ، انما هو الى محمد بن سعود ، فان أراد أن أذهب معك ذهبت ، وان أراد أن أقسم عنده أقمت ، ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره الا أن يأذن لي .

فأتى عثمان الى محمد ، فأبى عليه ، ولم يجد الى ما أتى اليه سبيلاً ، فرجع الى بلاده .

وكان الشيخ ينفق ، ما استطاع ، على المهاجرين من أنصاره ، وكان عددهم يتكاثر يوماً بعد يوم ، وكانوا في كثير منهم فقراء ، وكان أهل الدرعية أنفسهم يومئذ في ضيق يقرب من الفقر فما يستطيعون مساعدتهم ، لذلك كان المهاجرون ، كما يقول ابن بشر : « في أضيّق عيش وأشد حاجة ، وابتلوا بلاء شديداً ، فكانوا في القليل يأخذون الأجرة ويحترفون ، وفي النهار يجلسون عند الشيخ في درس الحديث والمذاكرة » .

بناء مسجد كبير وفرشه بالخصا

ويقول صاحب « اللع » :

« قال محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز : ابنوا لنا مسجداً كبيراً ، ليحضر جميع رجال القرية فيه عند كل صلاة .

فأمر محمد بن سعود ببنائه ، وهم أهل الوادي بالبناء حتى تمّ .

فقال الشيخ : ينبغي أن لا يفرش في هذا المسجد الا الحصيات ، لأن مسجد الرسول (ص) . كان كذلك » .

الصلاة في المساجد الزامية

فأخذ يأمر الناس بالذهاب الى المسجد للصلاة جماعة ، وكان يقول :
« كل من لا يحضر الصلاة ، مع قدرته عليها ، عزرائله » .

دروس للرجال والنساء

ثم انه وضع درس التوحيد في المسجد صباحاً ومساءً ، كل يوم .
وكان يأمر النساء والصبيان بحضور الدرس لستمعوا قواعد التوحيد منه .
وقد نقل الينا أن رجلاً من اهل الوادي ، ما كان يحضر الدرس ، فامر محمد بن
عبد الوهاب باحضاره ، فقال له : لم لا تحضر مع الجماعة للدرس ؟
فاخذ الرجل يتعذر ، فقال محمد بن عبد الوهاب : لا بد لقبول نوبتك من أن
تخلق لحيتك أو تقصرم مائة ذهب .
وكان الرجل متوسط الحال فرضي بادهاء المال ، لأن خلق اللحية أقبح ما
يكون شرعاً وعرفاً عربياً .

التوحيد وثلاثة الاصول

ويقول ابن بشر إن الشيخ بدأ بتعلم الناس التوحيد ، فأمرهم بتعليم معنى
« لا اله الا الله » وأنها نفي وأثبتات ، « فلا اله » تنفي جميع المعبودات .
و « الا الله » ، تثبت العبادة لله وحده ، لا شريك له .
ثم أمرهم بتعلم ثلاثة الأصول ..
فلما استقر في قلوبهم معرفة التوحيد .. أشربت قلوبهم محبة الشيخ ، وأحبوا
المهاجرين وآوؤهم .

اجماع اهل الدرعية

استطاع الشيخ خلال سنة واحدة أن يدخل أهل الدرعية كلهم في الدين الحق

ويعلمهم جوهر التوحيد ، ويقول مؤلف « اللمع » في ذلك : « كان الشيخ يجلس للدرس .. ومضى على هذه الحالة سنة ، يرغب أهل الوادي في ذلك المذهب ، ويجرضهم على الصبر على عداوة من يخالفه ، فلما تمت السنة صار أهل الوادي كلهم ، كبيرهم وصغيرهم ، ذكراً وأنثاهم ، على دينه وتحت طاعته ، الا أربعة رجال .. فانهم خرجوا بأهاليهم .. فسكنوا بلداً في الوشم يقال لها ثرمداء » .

مكاتبة أهل البلدان

وأرسل الشيخ كتباً إلى العلماء والمطوعين في بلدان نجد ، وكانت رسائله « أو نشراته وبياناته بلغة اليوم » ، تصل الى مختلف المدن والقرى ويتداولها الناس ، فيرضى عنها فريق ويسخط عليها فريق ، شأن كل دعوة اصلاحية .

الشيخ يخترع أسلحة نارية

ومن أعجب ما يرويه صاحب « اللمع » أن الشيخ اخترع أسلحة نارية حديثة ، قال :

« كان محمد بن عبد الوهاب .. عاقلاً مدبراً متأملاً في الأشياء ، عارفاً بجميع العلوم ومن جملة نكته التي تشعر بتدبير الحروب أنه كان يأمر أهل الدرعية بتعلم رمي البندق ، وهو الذي استخرج لهم هذه البنادق التي عندهم ، وكانوا قبل ذلك ، في نجد ، لهم « تفقان » دون هذه ، على طور ما لأهل اليمن .. »

اكرام محمد بن سعود وأولاده للشيخ

ويشير صاحب اللمع الى اكرام الأمير للشيخ ، فيقول : « كانت العادة جارية بأن محمد بن سعود يزور الشيخ كل يوم مرتين ، صباحاً ومساءً ، هو وابنه عبد العزيز وبقية أولاده ، وكانوا يجلسون عنده متأدبين صامتين ، لا ينطقون بشي ما لم يجادلهم به أولاً ، ويدرسون على يده علم التوحيد الذي صنفه ، لكن يدرسونهم درساً خاصاً في مجلس على حدة » .

وَصَفَّ التَّغْيِيرَاتِ الْمُدْرَسَةِ الَّتِي طُرِئَتْ عَلَى الدَّرْعِيَّةِ

تغيرت الدرعية بعد هجرة الشيخ اليها تغييراً كاملاً ، وقد نستطيع تلخيص مظاهر هذا التغير بما يأتي :

أولاً - أبطلَ الأسلوب « العشائري » الذي كان يُحكَّم به الناس ، وحل محله حكمٌ نظامي ، مدني ، دستوره الإسلام .

ثانياً - أبطلت الإخاوة ، أو « القانون » ، وأصبحت موارد الدولة هي الموارد الشرعية من الزكاة والغنائم ، ونحوها من الموارد التي أحلها الله .

وكان الناس يسمون رجال الأمير الذين يأخذون منهم الأموال مكاساً وعشاراً ، ولما دخلت الدرعية في الدعوة صار الأمير يرسل « العمال » لقبض الزكاة وخرص الثمار .

ثالثاً - أقيم قضاء لفصل الخصومات بين الناس بالحق ، ولم تعد القوة حكماً في الخلافات التي تقوم بين الناس ، وبذلك تنعم الجمهور بنعمة الأمن والاستقرار والعدل ، وكان محروماً منها ، لأن القوي كان يعتدي على الضعيف ويأخذ منه ما أراد ، فلا يجد من يشكو إليه ليرد عليه حقه .

رابعاً - نشطت حركة التعليم نشاطاً عظيماً ، وتولى الشيخ بنفسه مهمة التدريس والإشراف على المدرسين في الدرعية ، وفي سائر البلدان التي تنضم إلى الدعوة ، فأصبحت الدرعية « مدينة جامعية » ، يتوافد إليها الطلاب من كل مكان ، ويجتمع

إليها العلماء من مختلف البلدان .

قال الفقيه : « كان من أهم ما خدم به الشيخ ابن عبد الوهاب الناس ، أن رفع عن قلوبهم غشاوة الجهل .. فعارب الأمية بكل ما استطاع من قوة ، وكان يلزم كل واحد من أتباعه تعلم القراءة والكتابة مهما كانت سته ، ومهما كانت منزلته ، حتى كان الأمراء يقرأون مثل بقية الناس ، فصار منهم العلماء المدرسون ، كالإمام سعود الكبير ، .

وكان تعليمه لإمام بتعليم كتابة القرآن وحفظه ، كما يصنع مع صبية المكاتب ، ثم وضع الرسائل السهلة العبارة ، القريبة إلى عقول البسطاء ، في بيان التوحيد . وكان يلزم الناس أن يحفظوا القرآن ، ثم يطالعوا هذه الرسائل ويحفظوها ، فكان ذلك من أقوى الأسباب لانتشار هذه الدعوة وسرعة انتقالها إلى ما وصلت إليه من بقاع الأرض .

وذلك طبعاً كان يستند إلى سيف آل سعود ونصرتهم .

خامساً - حمل الناس على تنفيذ أوامر الدين والالتقاء عن نواحيه ، وكانوا يكرهون بالقوة على حضور الصلوات في الجوامع .

ويقول ابن بشر : « اجتمع الناس على الصلوات والدروس والسؤال عن أصل الاسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها ، وتعلمها الصغير والكبير ، والقارئ والأمي ، بعد أن كان لا يعرفها إلا الحصاص .

وانتفع بعلمه أهل الآفاق ، لأنهم يسألون عما يأمر به وينهى عنه ، فيقال لهم : يأمر بالتوحيد وينهى عن المنكر ، ويقال لهم : إن أهل نجد يمتنونكم لذلك . فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواحيه ؛ وهدم المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بنيت على القبور وغيرها من جميع المواضع الشركية ، في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن ونهامة والأحساء ونجد وغير ذلك ، حتى لا تجد في جميع من شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر فضلاً عن غيره ، حاشا الرياء ، الذي قال فيه النبي (ص) « إنه أخفى من دبيب النمل على صفاء سوداء في ظلمة الليل ،

وأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي ، يسألون الناس في المساجد كل يوم ، بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة أصول ، وهي : معرفة الله ، ومعرفة دين الإسلام ، ومعرفة أركانه ، وما ورد عليها من الأدلة من القرآن ، ومعرفة محمد (ص) . ونسبه ومبعثه وهجرته وأول ما دعا إليه ، وهي : « لا إله إلا الله ، ومعرفة معناها ، والبعث بعد الموت ، وشروط الصلاة ، وأركانها وواجباتها وفروض الوضوء ونواقضه ، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد ، في أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله ، كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والرغبة والتوكل والإجابة ، وغير ذلك .

سادساً - حل الجهاد لإعلاء كلمة الدين ، محل الغارات العشائرية القديمة ، التي كان يقصد منها مجرد السلب والنهب والعدوان .

ويقول هوتسا : « إن الشيخ كان يشرف على تعليم الناس فن استعمال الأسلحة

النارية » .

ويقول ابن بشر : « إن الشيخ كان يجهز الجيوش ويبعث سرايا ، فلم يزل مجاهداً حتى أذعن أهل نجد وتابعوا » .

سابعاً - أصبحت الدرعية مركزاً للدعوة ، ينطلق منه الدعاة ، وترسل الكتب ، وتأتي إليه الوفود والضيوف ، وكان الشيخ يقوم باستقبال الوافدين وإكرامهم ، وقد يتحمل الشيخ من ماله الخاص ، أو يستدين أحياناً ، للانفاق على ضيوف الدرعية .

وقد جاء إلى الدرعية عدد غير قليل من أنصار الشيخ وقلامذته ، الذين لم يستطيعوا البقاء في بلدانهم لظلم متغلبتها ، أو طلباً للعلم عند الشيخ ، فكانوا ، أول الأمر ، في غابة الضيق ، وكانوا يعملون ليلاً^(١) ويدرسون نهاراً ، ثم وسع الله عليهم في الرزق ، بما يأخذونه من الغنائم ، وقد دفع عبد العزيز مرة غنائم إحدى

(١) ابن بشر

المعارك كلها - بعد أن تخلّى المقاتلون عن حقهم فيها - إلى الشيخ ، لينفقها على طلابه المحتاجين .

لم تكن الدرعية مركزاً للدعوة فحسب ، ولكنها كانت كذلك قاعدة الدولة ، فأخذت تتسع في رقعتها ، وفي عمرانها ، وفي عدد سكانها ، وبدأت تظهر عليها دلائل الرخاء ، وأصبحت « مدينة » ، بعد أن كانت « قرية » .

البَابُ الرَّابِعُ

سيرة محمد بن سعود
ومراحل انتشار الدعوة ومعارك الدعوة

محمد بن سعود

الاسم : محمد

اسم الأب : سعود

اسم الأسرة : آل مقرن

مكان الولادة : الدرعية

سنة الولادة : ١١٠٠ هـ - ١٦٨٧ م . (تخميناً) .

سنة رئاسته للدرعية : ١١٣٩ هـ

سنة الوفاة : ١١٧٩ هـ - ١٧٦٥ م .

مدة حكمه : ٤٠ سنة (نصفها قبل الشيخ ، ونصفها معه) .

أولاده الذكور : فيصل وسعود (استشهدا في حياته) وعبد العزيز
وعبد الله .

من زوجاته : ١ - موضى بنت أبي وهطان ، من آل كثير .

٢ - بنت الإمام محمد بن عبد الوهاب .

أولياته : مؤسس دولة نجد . رأس الأسرة السعودية المالكية .

لقب يستحقه : أبو الشهداء .

الفصل الأول

سيرة محمد بن سعود في الكُتب العربيّة

في كتابات مؤرخي نجد

يقول ابن غنام :

« كان الأمير محمد بن سعود في جاهليته بحسن السيرة معروفاً ، وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفاً ، مشهوراً بذلك ، دون من هنالك . »

ويقول ابن بشر ان محمد بن سعود آوى الشيخ ، « ولم يخش لوم اللاتين ولا كيد الأعداء المحاريين .. فشر في نصرة الاسلام بالجهاد وبذل الجِد والاجتهاد ، فقام في عداوته الأصغر والأكبر وجروا عليه المدافع والقناير ، فلم يثن عزمه على ما قاله المبطلون . » .

هذا كل ما ذكره مؤرخا نجد الكبيران في وصفها لمحمد بن سعود ، وهو يبدو أقل القليل .. متى قرّون بما يقوله ابن بشر عند وفاة كل أمير ، اذ يصف أخلاقه ، وعلمه ، وحديثه ، وسياسته ، وإدارته المالية ، وطريقته في الحياة ، وبجاليه ، ثم بعدد ولاته وقضاته ، بل يتجاوز ذلك إلى نقل طائفة من كلماته ورسائله ، فيعطي

القارىء صورة أمينة أو مقاربة لشخصية كل أمير يترجم له .
لقد اكفى مؤرخا نجد بتحديد السنة التي توفي فيها الأمير محمد بن سعود ، ثم
قصا علينا طائفة من الغزوات التي تمت في عهده ، وكان اسمه لم يكن أكثر من
عنوان لتلك المغازي .

وما ندري .. لعل الأيام تكشف لنا عن مخطوطات مجهولة ، في نجد ، عن أصحابها
بتتبع سيرة محمد بن سعود وغيره من زعماء نجد السابقين ، وإن كنا في شك من
ذلك ، لأن أهل نجد ، كما يقول ابن بشر ، لم يكونوا يعنون قديماً بتسجيل تاريخهم .

وفاء محمد بن سعود وثباته وخلقه

وحسبنا الآن ، من أقوال ابن غننام وابن بشر ، أنها يصفان لنا محمد بن
سعود ، بالوفاء والثبات وحسن الخلق ، وهذا وصف صادق ، ثبات هذا الأمير في
تأييد الدعوة كان ثباتاً عجبياً ، رفعه الى مستوى الأبطال .
قال الشيخ سليمان بن سحان :

« من عجب ما اتفق لأهل هذه الدعوة أن محمد بن سعود ، لما وفقه الله لقبول
هذا الدين ، بعد تخلف الأسباب وعدم الناصر ، شتم في نصرته ولم يبال بمن خالفه
من قريب أو بعيد ، حتى أن بعض أناس ممن له قرابة به ، عذله عن هذا المقام الذي
شتم اليه ، فلم يلتفت الى عذله عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب ، بل جدّ في
نصرة هذا الدين ، فلكه الله تعالى في حياته قرى كل من عاداه من أهل القرى ، ثم
بعد وفاته صار الأمر في ذريته ، يسوسون الناس بهذا الدين الذي يجاهدون فيه كما
جاهدوا في الابتداء » .

في انكتب العربية الحديثة

لم يحاول أحد من المؤلفين العرب المحدثين ، فيما نعلم ، درس سيرة محمد بن سعود

واستقصاء أخباره ، وكلهم يمرّ به مروراً خاطفاً ، وأكثرهم يكتفي بذكر اسمه ..
ومن المؤسف أن كلام هؤلاء المؤلفين عن مؤسس الدولة السعودية ، على قلته ،
مشحون بالاطّعاء .

واليك بعض الامثلة نأخذها من ثلاثة مؤلفين معروفين ، لا من « التفاهات »
التي تغمر الأسواق ..

١ - يقول أمين الريحاني ، في كتابه « تاريخ نجد وملحقاته » :
« .. كان سعود الأول إذا أخذ بلدأ يولي عليه أحد أبنائه - أي أبناء الوجهاء
من ذلك البلد - كما فعل في العيينة ، التي كان عثمان بن معمر متولياً الإمارة فيها
لصاحب الحساء .. فقتل في المسجد بالدرعية ، فولى سعود ابنه مشاري بن معمر
مكانه .. وذلك برأيه ، كما يقول ابن بشر لا برأي الناس الذين أرادوا انقراض
بيت معمر » .

أخطأ الريحاني في إطلاقه اسم سعود على محمد بن سعود .. فمن غير المعقول أن
نجعل الابن أباً !!
وأخطأ في قوله ان ابن معمر قُتِل في الدرعية ، فقد كان مصرعه في بلدته :
العيينة !

وأخطأ في قوله ان مشاري هو ابن عثمان بن معمر ، أمير العيينة القتييل ،
واما هو : مشاري بن ابراهيم بن معمر !
وأخطأ في نسبته تولية مشاري الى سعود - يعني محمد بن سعود - فالذي فعل
ذلك هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب !
وأخطأ أخيراً ، في ادعائه أن ابن بشر هو صاحب الكلام الذي استشهد به ..
فالحقيقة هي أن قائل هذا الكلام - بعد تصحيحه - هو : « ابن غنام » ، لا ابن
بشر . قال ابن غنام :

« .. عجل الشيخ الى العيينة المسير .. وقدم عليهم ثالث يوم ، فهدأت لمقدمه
نفوس القوم .. والكل بما يوافق مراده مشير ، إلا أن أهل التوحيد والايان ..

حاولوا ان لا يؤمر من حمولة ابن معمر .. انسان .. فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم .. فرأس عليهم مشاري ، .

٢ - ويقول فؤاد حمزة في كتابه : « قلب جزيرة العرب » :

« حين وفاة .. سعود .. كان له اربعة اولاد: ثيان وفرحان ومحمد ومشاري ، وقد كان ثيان قائداً مجرباً وبطلاً مغواراً في الحروب ، بينما كان أخوه محمد فارساً من فرسان السياسة الفطاحل .

... وحينما توفي ثيان عام ١١٦٠ هـ . ١٧٤٧ م . اعترف الجميع لمحمد أخيه بالإمامة الدينية والزعامة الزمنية المطلقة » .

ان وصف ثيان بأنه بطّل مغوار في الحروب .. مسألة فيها نظر . فالمؤرخ النجدي الكبير ابن بشر يذكر لنا في كتابه أن « ثيان » هذا كان ضريح البصر ، فكيف يخوض المعارك

وأما القول بأن الإمامة الدينية والزعامة الزمنية لم يعترف بهما لمحمد بن سعود الا بعد موت ثيان ، كأن ثيان كان يحول دون ذلك ، فكلام غريب ، لأن محمد بن سعود كان مستقلاً برئاسة الدرعية ، وكان أخوه ثيان ، كما يقول ابن بشر ، عضداً له ، وهو المشير عليه بالقبول للشيخ والمؤازرة له على الدعوة .

٣ - ويقول أمين سعيد ، في كتابه : « تاريخ الدولة السعودية » إنه سيورد « سيرة كاملة لمحمد بن سعود » ، وقد شغلت هذه السيرة الكاملة خمس صفحات فقط من كتابه ملأها بذكر معارك وقع قسم منها في عهد عبد العزيز .. ونحدث عن محمد بن سعود بهذه الكلمات : « .. أنجب مقرر محمد ، وهو والد سعود ، رأس الأسرة السعودية ، واستولى سعود هـ .. ـذا على الدرعية ، انتزعها من آل معمر ، وجعلها قاعدة له ، وتوفي سنة ١١٤٠ هـ . فخلفه نجله محمد ، وهو الذي لجأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليه وأولاه الحماية والرعاية .. »

والصحيح : أن سعود لم ينتزع الدرعية من آل معمر ، ليجعلها قاعدة له .. لأن آل معمر كانوا في العينة لا في الدرعية ، وسعود توفي عام ١١٣٧ هـ . لا عام

١١٤٠ ، وولده « محمد » لم يخلفه عند وفاته ، وإنما تولى إمارة الدرعية بعده :
زيد بن مرخان ، فمقرن بن سعود ، فزيد بن مرخان مرة ثانية ، وبعد ذلك جاء
محمد بن سعود .

ليست غايتنا من إيراد هذه النصوص وبيان أخطائها ، الخط من قيمة الكتب
التي وضعها هؤلاء الأفاضل ، ففيها أشياء كثيرة جليلة القدر ، عظيمة النفع ، ويعدّ
تاريخ الرجباني في نظرنا من أحسن المراجع لتاريخ الملك عبد العزيز ، ولكننا
أحيينا أن ننبه إلى إهمال المؤلفين لسيرة محمد بن سعود إهمالاً يكاد يكون كاملاً..

الفصل الثاني

محمد بن سعود في كتابات الغربيين

لم يعن الغربيون بالكتابة عن تاريخ نجد ، الا بعد استيلاء المصريين على مكة ومسيرهم منها الى الدرعية ، فقد لفت ذلك الأنظار الى أحداث الجزيرة العربية ، فكلفت الدول الأوروبية الكبرى سفراءها وقناصلها وعملاءها وجواسيسها .. في كثير من بلدان الشرق الأوسط ، كاستانبول والقاهرة وبغداد ودمشق والبصرة وغيرها ، أن يرسلوا اليها التقارير عن أحوال البلاد النجدية والحجازية وسائر بلاد الجزيرة ، ثم ذهب الرحالون والعلماء والمستشرقون الى البلاد العربية - ولم يكن وصولهم الى بعض مدنها أمراً سهلاً ، بل دفع بعضهم حياتهم ثمناً لهذه المغامرة - وقد نشروا كتباً ومقالات عن رحلاتهم كان الجمهور يقبل على قراءتها اقبالاً عظيماً ، وكان أسرار الشرق الساحرة ، وكنوزه العجيبة الباهرة ، كانت تتفتح لهم من خلالها ..

ولم تقف كتابات الغربيين عن نجد ، عند عهد سعود الكبير وابنه عبد الله ، وإنما تجاوزت ذلك إلى تاريخ مؤسس الدولة السعودية الأولى محمد بن سعود وابنه عبد العزيز ، وإن كانت وثائقهم ومعلوماتهم التي تخص هذين الأميرين قليلة ومضطربة .

وأخيراً .. اكتشف المستشرقون ، في مكتبة المتحف البريطاني بلندن مخطوطة اسمها : « لمع الشهاب » ، في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، ، فجعلوها عمدتهم في دراسة تاريخ السنوات الأولى من حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والمصدر الأكبر لكتاباتهم عن محمد بن سعود .

وسنبداً بأيراد شيء مما كتبه الغربيون عن محمد بن سعود ، ثم تتبع ذلك بالنصوص الكاملة للفقرات التي نحدث فيها صاحب الجمع عن محمد بن سعود وأسلوب حكمه .

أول عربي استخدم روايات غربية في كتابته عن ابن سعود

أول كاتب عربي ، استخدم رواية رحالة أوروبي في كتابته عن محمد بن سعود ، هو : ندوة مطران ، في كتابه : « سورية الغد » ، الموضوع باللغة الفرنسية خلال الحرب العامة الأولى .

ينقل مطران عن الرحالة المشهور « بلغريف » وصفه للأمير محمد بن سعود ، فيقول إنه كان سياسياً حكيماً ، وكان ماهراً في إخفاء مقاصده « التوسعية » ، فكان يستولي ببطء شديد على البلدان المجاورة له ، حتى لا يستفز جيرانه الأقوياء ويؤلهم عليه !

ثم يقص علينا قصة طريفة ، سمعها من فم « الجريجيري » ، أثناء إقامته في باريس^(١) ..

١ - و « بركات » ، هو اسم رفيق « بلغريف » في رحلته وترجمانه ودليله ، ومصدر أكثر الأحاديث التي وردت في كتابه ، وهو اسم مستعار ، أما اسمه الحقيقي فهو : « بطرس الجريجيري » ، وهو مسيحي كاثوليكي من لبنان ، رافق بلغريف في رحلته واعترف بأن الامبراطور الافرنسي نابليون الثالث هو الذي دفع نفقات رحلة بلغريف ، لأغراض سياسية ، ولما عاد الجريجيري من رحلته في نجد الى لبنان انضم الى صف الكهنوت ، ومضى بفضل مواهبه العالية صعدا في سلم المناصب الدينية ، حتى بلغ القمة ، اذ انتخبوه « بطريركاً » للروم الكاثوليك باسم « بطرس الرابع » .

قال الجرجيري : استدعى محمد بن سعود ، وهو في مرض الموت ، ولديه عبد العزيز وعبدالله الى حجرته ، فقال لعبد العزيز انه اختاره خلفاً له ، وكلف الثاني القيام ببعض الأعمال المهمة ، ونصحهما ، وطلب منهما أن يكونا رحيمين بالضعفاء والمغلوبين .

ثم أوصاهما أن يجتهدا في الغزوات والفتوح ، ولكن .. في حكمة وحذر ، وقال لهما كلمته المشهورة :

« لا تفجروا الصخر ! »

وهذه الوصية انما كانت تعني ضرورة الامتناع عن استفزاز الجيران الأقوياء ، وخصوصاً الدولة العثمانية ، فهذه الدولة ضعيفة ، في الظاهر ، ولكن متى تحداها الأعداء وأثاروها ، تقبّرت قواها وسحقت خصومها .

قال مطران : لو تذكر حفيد الأمير هذه الوصية .. لما كانت كلارثة الدرعية ، ولما أضاع عبدالله بن سعود ملك آبائه وأجداده ومات قتيلاً ، .

وقد نقلت صحيفة الخليج الفارسي كلمة محمد بن سعود بهذه الصيغة :

D'ont undermine the cliff

ومعناها : لا تثر عليك الدول القوية الساكنة عنك ، بأعمال تقبّر غضبها عليك ، كما يفجر اللغم صخراً ساكناً في مكانه ، فتهاوى سُطّايه وتقتل ..

(١) وفي عام ١٩٢٠ نشر الأب لويس شيخو في مجلة « المشرق » في بيروت بحثاً حول جزيرة العرب ، تحدث فيه عن دولة نجد ومؤسساها « محمد بن سعود » ، أخذ فيه هو أيضاً عن مصدر غربي ، قال :

« صار الأمر بعد سعود الى ابنه محمد ، وكان هذا رجلاً ذا عزم واقدام ، حريصاً على السيادة ، راغباً في توسيع نطاق امارته ، فسار سيراً حسناً في قومه وأبطل المظالم وألغى المكوس ، وألف قلوب عشيرته ، ثم أخذ يسعى في مد سيطرته على قبائل نجد فأخضع منها قبائل « العتوب » والعنزة ، ووقف بالرصد لغيرها ، وجاء أن يستولي على كل جزيرة العرب .

.. واخذ يحنّد الجنود ويربّهم على مقاساة الجوع والمطش والعري وقطع البوادي القاحلة على الهجين ، يركبه الجنديان مترادفين ، وكان يرسلهم لمحاربة القبائل المخالفة فينقضون عليها انقضاض

أول أمير

يقول « بركلرت » إن محمد بن سعود هو أول من أطلق عليه لقب أمير من آل مقرن . وكانوا يسمون حكام الدرعية قبل ذلك : شيخ الدرعية ، أو صاحبها ، أو رئيسها .

وهذا أيضاً رأي جون باركر ، الذي كان قنصلاً في حلب ، وجاء في تقرير له مؤرخ في يونيو عام ١٨٠٣ م . ما يأتي : (كان في مقدمة المنضمين الى المذهب الوهابي رئيس أسر غنية في منطقة نجد تنحدر من ربيعة ، واسمه محمد بن سعود ، ولما كثر أتباعه ، سموه باسم « أمير ») .

وتقول لادي بلنت : « في منتصف القرن الثامن ، دعا محمد بن عبد الوهاب - لوثر المحمدين - الى اصلاحه الديني في نجد ، فانضم اليه ابن سعود ، شيخ درعية العنزي ، وبمؤازرة ابن عبد الوهاب أصبح سلطاناً في جزيرة العرب ، بعد ان كان شيخ قبيلة واحدة ورئيس بلدة واحدة . »

القشاعم ، فان ايس اهلها من النجاة عرضوا عليهم الدين الروابي ، فان ابوا اعملوا السيف . . وان رضوا عشروا اموالهم ، واخذوا ايضاً من رجالهم العشر كجند ينظمونهم في جيوشهم ، فقويت بذلك شركة ابن سعود حتى اصبح اكبر امراء نجد . وكان ابنه عبد العزيز رئيساً على جيوشه ، فأيد بفتوحاته الدعوة الوهابية » .

ويظهر ان الأب شيخو اخذ بعض اقواله عن سليمان الدخيل ، الذي نشر عام ١٩١٣ م مقالاً في مجلة « لغة العرب » البغدادية ، عن تاريخ نجد قال فيه :

« تولى سعود الامارة بعد والده الأمير محمد بن مقرن ، وكان مسكنه في الدرعية ، واليه ينسب بيت سعود وكانت وفاته في سنة ١٣٣٧ هـ » .

والذي تربع على عرش الامارة بعده ، هو ابنه الامام محمد بن سعود ، وسار هذا الامير سيرة حسنة في الناس ، اذ رفع المظالم وابطل المكوس والضرائب ، وعاضده على ذلك اخوه ثنيان الأكبر ، فقويت شركته وامتدت سطوته وهاض الاستبداد اشد المناهضة ، وحاول الاستيلاء على جميع جزيرة العرب في حياة اخيه ثنيان ، الا ان هذا الاخير مات في سنة ١١٦٠ هـ . « ١٧٥٦ م » . فلم يزل محمد ما كان ينويه ، ثم مات هو ايضاً في سنة ١١٧٠ هـ - ١٧٥٦ م . وفي كلا المقالين - مقال الأب شيخو ومقال الدخيل اخطاء ، ولكن اخطاء الدخيل اكثر . . ومن ابرزها انه جعل سنة وفاة محمد بن سعود ١١٧٠ هـ مع انه توفي بعد ذلك بثلاث سنوات !

اقتصاد الأمير

يقول كورانسيـز ، مؤلف كتاب « تاريخ الوهابية » ، إن تجاراً نجديين ، عارفين بأمور الدرعية ، أخبروه ان الأمير محمد بن سعود كان يطبق سياسة اقتصادية قريبة من التقدير ، ومن مظاهرها أنه استبدل الخيل بالبعير ، وأمر أن يركب كل ذلول رجلان ، فكان كل راكب يردف وراءه راكباً آخر ، ومن هناك اسم : « المردوفة » ، وقد خفض رزق المحارب وعلف الحيوانات ، بحيث يحمل الجبل على ظهره مؤونة تكفيه عشرين يوماً ، وبفضل هذه التدابير استطاع أن يزيد في عدد مقاتلته من غير زيادة كبيرة في نفقات الدولة .

ويضيف كورانسيـز الى ذلك ان هذه السياسة الاقتصادية العارمة ، كانت تضطر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، أحياناً ، الى استعراض الأموال من الناس ، باسمه الخاص ، للاتفاق على بعض الأعمال وتجهيز بعض الغزوات .

وهذا الوصف يبدو مخالفاً لما قاله صاحب « اللع » في كتابه ، لأنه يصف محمد ابن سعود بالكرم .. الى حد التبذير !

حذر الأمير

يقول هوتسما ان محمد بن سعود - ثم ابنه فحفيده - كانوا ، كلما استولوا على بلد ، أنشأوا على مقربة منه حصناً ، وحفروا حوله خندقاً ، ووضعوا فيه رجالاً يسمون « الأمناء » ، فإذا قامت في البلد ثورة ، كان الحصن ملجأً للهاربين ، ونقطة انطلاق للعودة والغزو والتأديب .

وبما يدخل في باب الحذر أيضاً ، ان الأمير محمد كان يشير باستقصاء أحوال العدو في كل معركة ، والامتناع عن مهاجمته أو متابعته منهزماً ، إلا بعد التثبت من النصر والأمن من الكمين .

وقد خالف أهل الدرعية مرة نصيحة الأمير وتبعوا مقاتلة دهام بن دواس ، في هزيمتهم الماكرة ، فخرج عليهم كمين للعدو ، في بعض الطريق ، وقتل من أهل

الدرعية رجال وفتيان شجعان وفي طليعتهم : فيصل وسعود ، ولدا الأمير محمد .

فكر في انشاء حكومة في جزيرة العرب
ولكنه كان يهاب تركيا

ويقول المؤرخ التركي جودت باشا :

« لجأ الشيخ الى محمد بن سعود ، ودخل أهل الدرعية في المذهب ، وبلغ أمير الدرعية في وقت قصير مبلغاً كبيراً من القوة .
لم يأخذ أمير الدرعية لنفسه شيئاً من أموال الزكاة ، ولكنه فرض لنفقائه خمس الغنائم .

وكانت القبائل البدوية تنضم اليه بسهولة .

ولما تكاثر أنصار المذهب الجديد والتفوا حوله ، فكر في إنشاء حكومة في جزيرة العرب ، ولكن هيئة الدولة العلية العثمانية جعلته يتحاشى التعرض للمدن الكبرى ..

وكان يكره نادر شاه الشيعي ويتضابق ويجزع من ذبوع صيته . »

لولا محمد بن سعود لما كان للوهابية كيانها ..

ويقول فيليبي : ان محمد بن سعود « لحق بأجداده سنة ١٧٦٥ م. فدفن في مقبرة الدرعية ، بعد عمر مديد مليء بالأبجاد . » وإنه « شهد مرتين في حياته استلام أشد أعدائه : دهام بن دواس ، أمير الرياض . ومات قرير العين ، مطمئناً الى أن أعظم مهمة في حياته قد سويت الى الأبد .. وكانت هزيمة نجرات لجيشه أعظم ضربة تلقاها في حياته الحافلة بجلال الأعمال ، وربما لقي وجه ربه وهو ما يزال قلقاً على مستقبل دولته ، وان كان الانتصار التالي على بني خالد قد شدد من ايمانه وثقته بقدرة دولته العسكرية .

وقد كان له وحده الفضل كل الفضل في تثبيت أقدام النظام الجديد وانتشار

مذهبه الذي أسبغ عليه وعلى خلفائه من بعده الجاه العريض والشهرة الواسعة .
فلولاه لما كان للوهابية كيانها ، ذلك انه هو الذي أعد العدة لمرحلة الاصلاح
الاسلامي الجديد . ، (١)

صورة للخلافة الراشدة

ويقول جـان ريفوار : « من حسن الحظ ان اتفق لوعظ ابن عبد الوهاب
ارتضاء محمد بن سعود ، الذي هو رئيس وارث لمجتمع من أهم مجتمعات نجد ،
مسيطر في ذلك الحين على الدرعية .. ويتكشف هذا الأمير عن رجل ذي موهبة
ادارية حربية كبيرة ، وما أبداه من تأييد مطلق لمؤسس هذا المذهب ضمن لهذا
المؤسس ما كان يعوز سلطانه الأدبي من سلطان مادي .

فلما مات ابن عبد الوهاب سنة ١٧٨٧ م . كانت الدولة الوهابية ، التي هي
صورة مصغرة لخلافة المدينة ، سائرة في طريق التقدم السريع ، صاحبة لقوة
عسكرية عظيمة ، وما كان من ادارة متينة قادرة ضمن للأهلين أمناً لا عهد لهم بمثله
قبل ذلك التاريخ ، ويكاد السب يكون مفقوداً والعدل يقام خالياً من الغرض ،
وتشمل كل واحة على مدرسة ، ويرسل المعلمون الى جميع القبائل البدوية . ،

سيف ابن سعود

وجاء في كتيب « شخصيات الجزيرة العربية » : « محمد بن سعود ، شيخ
الدرعية هو مؤسس ومنشئ إمارة نجد .. وكان أول نصير عظيم لمحمد بن عبد
الوهاب .. وسيف محمد بن عبد الوهاب هو الذي نشر الوهابية في واحات نجد .. ،

التقارير الرسمية الاولى عن الحركة الوهابية

وتقول دائرة المعارف الاسلامية (النسخة الانكليزية) :

١ - كتاب تاريخ نجد ، لفيلبي .

« حوالى عام ١٧٤٠ م. أخرج محمد بن عبد الوهاب من « العينة » ، حيث كان ناشطاً في نشر مذهبه ، فالتجأ الى صديقه محمد بن سعود ، وتعاون الاثنان على نشر المذهب الجديد بالقول والسيف . وقد شرعاً منذ عام ١١٥٩ هـ . (يناير ١٧٤٦ م .) في شن الغارات على البلاد المجاورة ومناطق البدو القريبة فأدى ذلك الى تدخل بعض الجيوان الأقوياء أمثال بني خالد من الحسا وآل المكرمى من نجران ، ولكنهم عجزوا عن وقف تقدم الوهابيين .. وكان أشرف مكة يهتمون حجاج نجد الوهابيين بالمروق من الدين ، ولذلك كانوا يمنعونهم من زيارة الأماكن المقدسة ..

وكانت تقارير الأشرف في هذا الشأن ، التي بعثوا بها الى الباب العالي ، في اسطنبول ، عام ١١٦٢ هـ . (١٧٤٨ - ١٧٤٩ م .) أول ما وصل الحكومة العثمانية من أخبار هذا المذهب الجديد . »

الفصل الثالث

- ١ -

وصف محمد بن سعود في كتاب "لمع الشهاب"

ثراء محمد بن سعود - كرمه - حبه لقومه ورغبته في تكاثرهم
لولاه ما رحل أحد .. الى الدرعية

قال صاحب "لمع الشهاب" ،

« ذكر الثقات من المخبرين عن شأن محمد بن سعود أنه كان رجلاً كثير الخيرات والعبادة ، وكان أبوه سعود وجده محمد والين في الدرعية ، وهو - أعني محمد - كان كريم الطبيعة ، ميسر الرزق ، له أملاك كثيرة من نخل وزرع ، وله عدد من المواشي . قيل من سخاوته أن كان الرجل يأتيه من البلدان يطلب شيئاً كثيراً لوفاء دين عليه فإذا عرف أنه محق أعطاه إياه ، حتى أنه ، في بعض السنين ، وفد عليه رجل من أهل بريدة اسمه ناصر بن إبراهيم وكان تاجراً لكنه أفلس ببعض أموال الناس صرفها في مهبات نفسه ، وكان الذي عليه أربعة آلاف ذهب ، فلما

وصل الدرعية ، أبدى الأمر لـ محمد بن سعود وقال : يا شيخ ، « وكان آتئذ يلقب بالشيخ ، حتى حين متابعته للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فنع الناس أن يقولوا للحاكم الشيخ ، وإنما ذلك خاص بأهل العلم » .. فأعطاه أربعة آلاف ذهب ولم يبال .

فقال له أولاده ، غير عبد العزيز : ما هذا التبذير .. تعطي رجلاً لا تعرفه إلا بالاسم هذا المبلغ الخطير ؟

فقال : « نعم ، يا أولادي ، الدنيا إنما جعلت لكرامة بني آدم ، فالخير منهم ذو الشرف إذا ذلّ ينبغي إعانته بما يمكن لئلا يزدرية السفلى . هذا ناصر بن إبراهيم ، قد سمعتم به ، انه كان ذا مالٍ وشرف وقد اضطره الزمان ، فعلى الناس الكرام إبداء الخير مثله ! »

هذا والمعهود من محمد بن سعود انه ليس يرى أحداً شاباً من أهل بلده وجماعته غير متزوج إلا سأل عن حاله فإذا قيل له لا يمكنه جهاز ، جهزه وأمره بالزواج ، فإذا امتنع أحد أن يعطي بنته لشخص خطبها وهو كفؤ ، سار محمد بن سعود بنفسه إليه وعاقبه في رد ذلك وربما يشترط على نفسه ان اعطوا هذا فلانة فإن أصابها منه ضرر من كسوة أو متاع أو مسكن فأنا ضامن به ، وكان كذلك يفعل حيث وقع الشرط لا محالة ، وذلك لحسن سيرته وسريته يريد الثنام جماعته وكثرة خيرهم بالتنازل والتساعف .

وكان يحب الحلوة ، قيل انه كان يأتي البيت فيجلس وحده ولا يريد أحداً من أولاده أو نسائه أن يدخل عليه ، ويبقى على هذه الحال مستمراً سبعة أيام أو أكثر . وكان لا يرضى بالحرب مع أحد ولو عيل عليه ، ودائماً يأمر جماعته باطفاء الفتن ، لكن قومه أهل حقد وخدع كثير ولم تصف قلوبهم على من جاوهم من البلاد ، ولهذا لولاه لما رحل أحد يبيع أو شراء اليهم لأن في نفوسهم غلظة ! هذا ما صحّ لدينا من خصاله وأفعاله .

أَسَالِيبُ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ فِي عَهْدِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ وَأَوْلَادِهِ

وصف صاحب اللع ، في الباب الرابع من كتابه ، سياسات محمد بن سعود وأولاده ، وها نحن ننقل وصفه ، هنا ، بنصه ، بعد أن حذفنا منه ما يختص بعبد العزيز وخلفائه ، لنثبته في موضعه ، عند الكلام على عبد العزيز .
قال صاحب « اللع » :

« أعلم أن محمد بن سعود ، لما استقر له الأمر بتوسط الدين الذي أخرجه محمد بن عبد الوهاب « بقي كما علمت هو وأولاده على العهد فلم يخرجوا عما عاهدوا عليه محمد بن عبد الوهاب وأولاده كما وقع الشرط أولاً .

الخصون ، والامناء

وكان شأن آل سعود حينئذ ، حيث تولوا بلداً كبيرة أو كورة ، بنوا حصناً في تلك البلد على حدة عن حصنها الأول إن كان لها حصن ، وبجثوا حوله خندقاً إن كانت أرضه صلبة ، وأحكموا بنيان القلعة ورتبوا في الحصن قدر خمسمائة رجل عسكري ، أو ألف رجل على قدر البلاد وخراجها ومهموم « الأمناء » ، إما

من أهلها أو من غيرها من البلاد ، ولكن بشرط كشف حالهم عن الاستقامة التامة بحسب الإعتقاد بهذا الدين ، ويعينون هؤلاء متاعاً كثيراً ، ربما يكفيهم سنتين أو ثلاثاً ، بما يدخر ، ويجعل في الحصن أيضاً بارود وبنادق كثيرة كذلك ، وربما جعلوا في بعض الحصون مدافع ، ويعين لأولئك الجنود مدخول كثير ، مثلاً يبلغ أجر كل واحد من هؤلاء الجند ثلاثمائة أو أربعمائة ذهب في آخر العام ، وذلك لأنهم اتخذوهم حفاظاً للبلد عن كل أحد ، وهذا الجند المرتب لا حاكم عليهم غير عشرة رجال منهم أمراء يحكمون بموجب ما لهم من إجازة الحكم الذي عينوا فيه .. فان اتفقوا فعلوا وأطاعهم الجند وإلا فلا ، وطاعتهم لهم بالنسبة لما قرره إمام المسلمين وبنيته ، وإن اتفقوا على غير ذلك فلا طاعة لهم قط ، وهم لا يخرجون عن الحصون أصلاً .

القاضي والمفتي

وكانت عاداتهم أن يجعلوا في كل بلدة كبيرة قاضياً ومفتياً ، وفي الصغيرة قاضياً فقط ، ويعينوا لهم خراجاً من بيت المال .
وأيضاً يرتبون في كل بلد عمالاً لأخذ الزكاة ، مثلاً بعض البلاد يجعل فيها أربعة وبعض سبعة بحسب الكبر والصغر وكثرة المدخول وقلته ، وهؤلاء غير الحكام ، فان الحاكم لم يجعلوا له تولية في أخذ المال قط .

المحتسب (او المطوع)

وكانوا يجعلون في كل بلد محتسباً يتفقد أحوال الناس بالتجسس مما هم عليه من صدق النية بالطاعة لهذا الدين ، ومما هم فيه من المعاملات الدنيوية كالبيع والشراء ، كأن ينقصوا المكيال والميزان أو يفسد أحدهم بلصاصة أو تعدي على أحد ، أو يعدل القضاة عن إقامة حدود الله بأخذ رشوة ، والحكام كذلك ..

الحاكم والامير

ويجعلون في كل بلدة حاكماً من قبلهم ، وينزعون من كان حاكماً قبل ابااتهم ، ويجعلون في كل كورة أميراً ، وهو أعظم شأناً من سائر حكام البلاد ، لأنه قاهر على كل من في الكورة ، وكانوا يقولون للأمير والقاضي والمفتي والعمال : عليكم بالتوافق في التدابير وجواري الأمور .

مع أهل البادية

وأما شأنهم مع أهل البادية ، فكانوا يقرون أمراءها القدماء فيها ، ولا يعزلونهم وينصبون أناساً من غيرهم . نعم ، إذا تمرد أحد منهم عزلوه وجعلوا أخاه أو ابن عمه مقامه ، ذلك لأنهم عرفوا أن البدو لا ينقادون أتم الانقياد إلا للكبير منهم ، وكانوا يجعلون في كل قبيلة قاضياً أو مفتياً وإمام صلاة ، يقيمون لهم الصلاة جماعة ، ويبينون لهم حدود الله وأحكامه .

وكان البدو ، قبل خروج هذا المذهب ، يتعاشون عن متابعة الشرع . وكان الأمراء إذا علموا من أكبر البداءة من يبذل النفس في النصح والإخلاص لهم ولدين جعلوا أكثر خراج طايفته له ، بل ربما قالوا له يكفيننا منك مجرد الطاعة ، وزكاة قومك لك !

لا يضربون ولا يقتلون غدرًا

وكانوا إذا رأوا الخلاف من أحد من أهل المناصب والأعيان ، خلافاً كلياً ، من البداءة وغيرهم ، يؤذونه بعزل أو حبس ، ولا يضربونه ، فإن ألجأهم الأمر إلى أن يقتلوه قتلوه جهاراً إن تمكنوا منه ، ولا يقتلونه غدرًا وغيلة بنحو سم ، وإذا وقع بين رعاياهم حرب أو قتل أو مطالبة مال يحملونه على منهاج الشريعة .

لا تجبر .. ولا حجاب

ومن جملة وضعهم في الحكومة أنهم تركوا التجبر والتجرب ، وأخذ شيء من أموال الناس بلا وجه بيتن ، حيث أنهم يدعون أنهم على مسند رسول الله (ص) . وكان الغني والفقير عندهم بحال ، ولهذا لا يجبر أحد ذو مال أن يتعرض بشيء على أحد ، حتى الشتم والسب رفعوه ، فلو قال أحد لأحد : يا فاسق ، أو يا كلب ، أو نحو ذلك التزم بهذه الدعوى ورفع أمره إلى حاكم الشرع ، ولو كان الإمام نفسه ..

الجهلاء للمذنب .. ورواتب لأسر الشهداء

وكان من جملة أوضاع حكومتهم ، إذا أرادوا ردّ المعتدي ، فإنهم إما أن يأخذوا منه مالا كثيرا ، إن كان له ، أو يجلبوه عن وطنه إلى غير ملكهم أو إلى بلد نائية عن بلده وهي تحت يدهم . وإذا مات أحد من الزهاد أهل الورع ، أو مات أحد من رجال الحرب ، أو قتل أحد منهم وكان له عيال ضعفاء من رجال ونساء ، قرروا لهم قدر الكفاية ، ويتفقدون أحوالهم .

وهذه كلها أوضاع وضعها محمد بن عبد الوهاب

الشعب وديون الدولة

وقد يقع عليهم ، في بعض السنين ، دين كثير لا يفي بيت المال بوفائه ، فيشهرن أنهم « مقروضون » بذلك ، ولا يفي بيت المال به ، فيشيع هذا بين الناس ، « فيجبيون » اليهم ، كل بقدره من المال ، حتى يوفوا ذلك كله ، وهذا يحصل عن طيب نفس ، لا عن قهر وقوة . وكان ذلك في ابتداء أمرهم بالحكومة ، لما كانت نجد وحدها بيدهم .

بيت المال

وكان من سياستهم أنهم يضبطون كل المداخل في بيت على حدة ، ويسمونه : « بيت المال » ، ولا يسلطون عليه من شأؤوا ، بل لهم قواعد تؤخذ منه بقدر الحرج المعتاد ، فيزيدون الحرج شيئاً فشيئاً حسب اتساع الملك ، وهذا بأمر من محمد بن عبد الوهاب .

نفقة الجهاد .. على المجاهدين

وكان من عاداتهم في الحروب أن يعينوا على كل قبيلة وكل قرية أو مدينة أناساً للجهاد ، ولم يجعلوا لهم وظائف أصلاً ، بل يقولون هذا واجب عليكم ، حتى الذخيرة على من خرج للجهاد ، وكانوا يقولون لكبير الطائفة وأمير البلد : رتبوا نفراً للجهاد حيث أردنا وأمرنا ، فكانوا حسب ما أمروا به .

تضليل العدو عن مقاصدهم .. وجواسيسهم

وكانوا .. لا يؤمرون على الجيش إلا أحداً من بينهم ، أو رجلاً من أهل البادية . وإذا أرادوا أن يغزوا مكاناً شيعوا اننا نريد المكان الفلاني ، وهم قاصدو غيرة ثلثا يبلغ خبرهم أهل تلك الديار فيحترزوا منهم . وكان لهم جواسيس في البلدان التي لم تكن تحت امرتهم ، يتقنون الأخبار ويرفعونها اليهم .

محمد بن سعود والحكم

من يقرأ ابن غنام أو ابن بشر ، يخيل إليه أن حكم الدرعية كانت في يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحده ، قال ابن بشر : « كانت الأخماس والزكاة وما يجيء الى الدرعية من دقيق الأشياء وجليلها تدفع إليه بيده ، ويضعها حيث يشاء ، ولا يأخذ عبد العزيز ولا غيره من ذلك شيئاً إلا عن أمره ، بيده الحل والعقد ، والأخذ والإعطاء » .

ويؤيد صاحب « الدمع » هذا الرأي ، فيقول : « إن الإمامة الكبرى ، وهي إمامة الدين » ، كانت لمحمد بن عبد الوهاب ، وكذا ما يتبعها من مصالح الدنيا ، كتدبير الحروب والمصالحة والعداوة وما يرجع الى آلة الحرب وما يتعلم لأجله ، حيث أن محمد بن عبد الوهاب كان عاقلاً مدبراً متأملاً في الأشياء عارفاً بجميع العلوم ، ومن جملة نكته التي تشعر بتدبير الحروب أنه كان يأمر أهل الدرعية بتعلم رمي البندق ، وهو الذي استخرج لهم هذه « البنادق » التي كانت لهم ، وكان لهم قبل في نجد « تفقان » دون هذه ، على طور ما لأهل اليمن .

والحاصل أن الأمر كله صار بيد محمد بن عبد الوهاب ، بحيث أن كل شيء أرادته محمد بن سعود وأولاده رجعوا به الى محمد بن عبد الوهاب ، فإن ارتضاه ارتضوه ، وإن أباه أبوه .

وكانت العادة جارية بأن محمد بن سعود يزوره كل يوم مرتين، صباحاً ومساءً، هو وابنه عبد العزيز وبقية أولاده، وكانوا يجلسون عنده متأدبين صامتين، لا ينطقون بشيء ما لم يجادلهم به أولاً ..

ثم إن أمر محمد بن عبد الوهاب قوي قوة تامة، وصار جميع أهل الدرعية في قبضته، وكذلك من حوالها من أهل القرى والرساتق.

وفي اعتقادنا أن هذا الكلام مبالغ فيه، فقد كان الحكم في الدرعية مشتركاً بين محمد بن سعود وابنه عبد العزيز وبين الشيخ، فمحمد بن سعود هو رئيس الدولة الدستوري، وعبد العزيز القائد العام - أو وزير الدفاع - وكان الشيخ بمنزلة وزير المال والخارجية والمعارف، والدعوة والشؤون الدينية (أعني شؤون القضاء والإفتاء والتدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك).

كانت دعوة الشيخ شغل الناس الشاغل، وكانت تربق عليه، بطبيعة الحال، صفة الزعامة الروحية والشعبية، وقد يزيد في بهاء الشيخ وشهرته ما عرف عنه من الكرم، ولكن هذا لا يعني أنه كان مستأثراً بالأمور، وإنما كان زعيماً ومثيراً مسموع الكلمة، مطاعاً ومحجوباً.

وخلاصة القول أن الأمير والشيخ كانا - كما وصفهما «فيلبي» - متفقين تماماً في كل تصرفاتها، كما لو كانا شخصية واحدة لها وظيفتان في الحياة.

ويقال إن محمد بن سعود وخليفته عبد العزيز لم يقوموا بأي مشروع أو بصdra أي قرار ذي شأن إلا بموافقة الشيخ وبركته. وقلما نجد لهذا التعاون المنسق الذي دام زهاء نصف قرن مثلاً.

هكذا كان سلطان الشيخ في تصريف شؤون البلاد.. لقد أصبح يعتبر شريكاً مؤسماً^(١).

(١) تاريخ نجد، لفيلبي، ترجمة الديري.

محمد بن سعود والقيادة

كانت المعارك في عهد محمد بن سعود مستمرة ، وكان يقودها بنفسه في أول الأمر ، ثم تخلى عن القيادة لابنه عبد العزيز ، وما ندري أكان ذلك نتيجة لمرض أصيب به ، أم لكبر سنه ، أم لحزنه ووجدته على ولديه فيصل وسعود ، أم لأسباب أخرى ، ولكن المتتبع لأخبار آل سعود ، في الماضي البعيد والقريب ، يجد الحاكم منهم ، متى كبر ، حريصاً على إشراك ولي عهده في أمره والتخلي له شيئاً فشيئاً عن سياسة البلاد ، وأول ما يتخلى له عنه قيادة الجيوش ، ولا يخلو ذلك من حكمة ، لأنه يمد الطريق أمام ولي العهد للامارة المنتظرة .

يقول « فيلي » إن شعب الدرعية كان يذكر محمد بن سعود « بما كان يتعلمى به من إنسانية وتقوى أكثر من شجاعته وإقدامه في الحروب . وإث المجهوم الوحيد الذي اشترك فيه هو غزوه الرياض سنة ١٧٥٠ م . ، أما بعد ذلك فقد ترك القيادة لأميري العينة ، عثمان ومشاري ، ومن بعدهما لابنه ووريثه عبد العزيز . ، وهذا القول ينطوي على التشكيك في شجاعة محمد بن سعود ، وإن كان يضيف عليه فضيلة التقوى !

وأكبر الظن أن الأمير محمد ما تخلف عن المعارك إلا بسبب اعتلال صحته وكبر سنه ، وقد ذكر « مانجان » أن محمد بن سعود عاد من إحدى غزواته

محموماً ولزم فراشه مدة، فلم تعد صحته لتتحمل مشقة الحروب ، وإن كانت نفسه الكبيرة بقيت متجعدة بالشجاعة والصبر .

إن الرجل الذي يقف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبجانبه حين تألبت عليه قوات أميري الأحساء والعينة ، وغيرهما من أمراء نجد ، الكبار والصغار ، لا يمكن اتهامه بالجن لتخليه عن القيادة لابنه ، فهذا استنتاج في غير موضعه ، ولو أن الأمير محمد أصرّ على قيادة المعارك مع ضعفه وكبر سنه لعد ذلك من سوء الرأي !

أما تركه القيادة العليا فترة من الزمن لأمر العينة ، فلم يكن ناشئاً عن جبنه وخوفه ، وإنما كان سياسة منه لتألفه وجلبه الى صفه ، وقد أنف من السير تحت لوائه ، فانتدب لذلك ابنه عبد العزيز !

ومها يكن الأمر ، فإن محمد بن سعود والشيخ كانا يشتركان في تجهيز الجيوش الغازية ، وإن لم يشتركا بنفسيهما في الغزو ، وقد يكون بقاءهما في البلد أنفع من خروجهما للقتال ، وفي سيرة أبي بكر وعمر ما يثبت لنا أن بقاء الأمير على رأس عمله في العاصمة ربما كان أفضل للمسلمين من خروجه وقتاله وتعرضه للموت ، فقد يغني غير واحد غناؤه في الحروب وأكثر ، ولكنه لا يجد من يقوم مقامه في إدارة الدولة وسياسة الشعب .

الصلّات بن نجد وأشرف مكة

مناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد ، ومنع الحج ..

لا يذكر لنا ابن غنام ، في كل الصفحات التي كتبها عن الغزوات والوقائع التي حدثت خلال حياة محمد بن سعود ، كلمة واحدة عن أشرف مكة .
أما ابن بشر ، فتجد عنده هذا الخبر الصغير الغامض ، في أخبار سنة ١١٦١ هـ :
« وفيها حبس مسعود بن سعيد ، شريف مكة ، حاج نجد ومات منهم في الحبس عدة . »

لماذا أغفل مؤرخا نجد هذه الحادثة أو تنقضا من قدرها ، ولماذا سكت أمير الدرعية عن عمل شريف مكة ؟

أكبر الظن أن محمد بن سعود لم يكن يملك يومئذ وسائل الثأر والرد ، فلم يشأ أن يلقي بنفسه في التهلكة ، ولكن الرد جاء بعد سنوات طويلة ، حين دخل سعود الكبير مكة ، وكتب علماءها قراراً بل إقراراً بأن دعوة محمد بن عبد الوهاب هي دعوة الاسلام .

وقد أشار الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ الى حبس الأشراف حاج نجد ، في كتابه « المقامات » ، قال :

« وكذلك ما جرى من حرب أشرف مكة لهذه الدعوة الاسلامية .. وذلك

أنهم من أول من بدأ المسلمين بالعداوة ، فحبسوا حاجهم ، فمات في الحبس منهم عدد كثير ، ومنعوا المسلمين من الحج أكثر من ستين سنة ، وفي هذه المدة سار اليهم الشريف بعسكر كثيف .. وقدم أخاه عبد العزيز قبله .. فنزل قصر بسام ، وأقام بضربه بالمدافع والقنابر وجرت عليه الزحافات ، فأبطل الله كيده .. ،

ونستطيع تصحيح كلمة « ستين » ، الواردة في المقامات ، بكلمة خمسين ، أو اثنتين وخمسين ، لأن منع الحج ، الذي بدأ عام ١١٦٢ ، انتهى عام ١١١٤ .

لقد حاول أهل نجد ، خلال هذه المدة ، أن يحصلوا من شرفاء مكة على إذن لهم بالحج ، فكانوا يردونهم دائماً خائبين ، ويقول المؤرخ التركي « جودت باشا » : « ان هذه المحاولات تكررت في عهد الشريف سرور بن مساعد » ، ويردف قائلاً : « لم يستشر سرور أحداً ، حين استأذنه الوهابيون في الحج ، ولكنه طلب منهم لقاء ذلك مئة رأس من غنم العجمان ، فرفضوا ، وكانوا يخفون في أنفسهم أنهم سيؤدون الحج يوماً بقوة السيف . »

وكان شريف مكة مسعود بن سعيد هو أول من منع حاج نجد وآذاهم خلال ولايته التي انتهت عام ١١٦٥ هـ .

ويقول أحمد بن زيني دحلان ، في « الفتوحات الإسلامية » :

« ولما قام محمد بن عبد الوهاب ومن أعاناه بدعوتهم .. ملكوا قبائل الشرق ، قبيلة بعد قبيلة ، ثم اتسع ملكهم فملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز ، وبلغ ملكهم قريباً من الشام . »

وكانوا في ابتداء أمرهم أرسلوا جماعة من علمائهم ، ظناً منهم أنهم يفسدون عقائد علماء الحرمين ويدخلون عليهم الشبهة بالكذب والمسين ، فلما وصلوا الى الحرمين وذكروا لعلماء الحرمين عقائدهم وما تملكوا به ، ردّ علماء الحرمين وأقاموا عليهم الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها ، وتحقق لعلماء الحرمين جهلهم وضلالهم .. ونظروا الى عقائدهم فوجدوها مشتملة على كثير من المكفرات ، فبعد أن أقاموا البوهان عليهم كتبوا عليهم عند قاضي الشرع بمكة ما يتضمن الحكم بكفرهم بتلك العقائد ، ليشتهر بين الناس أمرهم فيعلم بذلك الأول والآخر ، وكان ذلك في مدة

امارة الشريف مسعود بن سعيد المتوفى سنة ١١٦٥ هـ .
وأمر مجبس أولئك الملاحدة فحبسوا ، وفرّ بعضهم الى الدرعية فأخبروهم بما
شاهدوا ، فازدادوا عتواً واستكباراً . - كذا .. -
وصار أمراء مكة بعد ذلك يمنعون وصولهم للحج ، فصاروا يغيرون على بعض
القبائل الداخلة تحت طاعة أمير مكة .. ،
ويقول جودت باشا ، في تاريخه :
« أرسل الراهبيون ثلاثين عالماً من علمائهم لمناظرة علماء مكة ، وكان أمير
مكة وقتئذ الشريف مسعود بن سعيد ، فطلبوا منه الإذن بالحج ، فأذن لهم ،
بشرط أن يؤدوا الرسم المفروض ، وقد فحص علماء مكة عقائدهم فوجدوها (كما
زعموا ..) محتوية على كثير من الأباطيل ، واستصدروا من قاضي مكة فتوى
بتكفيرهم وأودعوا السجن . »

الفصل الرابع

مراحل انتشار الدعوة سِلماً وحرّاً وأخبار الردّة والعِصيان

البلدان التي قبلت الدعوة وبايعت

لم يكبد الشيخ يستقر في الدرعية ، حتى شرع يرسل كتبه ودعائه الى سائر بلدان نجد ، يدعو الناس والرؤساء الى عقيدة التوحيد ، فاستجاب له عدد من الافراد ، في مختلف أنحاء البلاد ، وكانوا يستخفون حيناً حتى لا يلحقهم أذى ، ويستعلنون متى ساعدتهم الظروف على ذلك ، وقد هاجر عدد منهم غير قليل الى الدرعية ، فراراً بدينهم وأنفسهم من الأذى والفتنة ، وطمعاً بأجر الجهاد وصحة الشيخ .

وكما انضم الى الدعوة أفراد متفرقون ، فقد دخلت الدعوة جماعات ، أعني بلداناً بكاملها ، بايع أهلها ورؤساؤها للشيخ ولمحمد بن سعود .

والأمر الذي يلفت النظر حقاً ، هو أن البلدان التي دخلت في الدعوة ، منذ وصول الشيخ الى الدرعية عام ١١٥٧ حتى عام ١١٧٦ ، أي خلال عشرين سنة ، إنما بايعت بطوعها واختيارها ، لا بقوة السيف ، كما توهم بعض المؤرخين الأجانب ،

أستثنى بلدة أو بلدتين .

وهذه هي أسماء البلدان المهمة التي انضمت الى الدعوة وبايعت الشيخ ومحمد بن

سعود :

« الدرعية - العيينة - منفوحة - ضرمى - حريملاء - العمارية » .

وفي سنة ١١٦٩ بايعت « القويعة » .

وفي سنة ١١٧١ بايعت « الحوطة والجنوبية » .

وفي سنة ١١٧٢ بايعت « المحمل » و « ثادق » و « القصب » .

وفي سنة ١١٧٥ بايعت « الفرعة » .

ويلاحظ أن أكثر هذه البلدان من العارض ، ولذلك كان الناس إذا تكلموا عن أنصار الدعوة ، قالوا : أهل العارض .

الرياض - وقد حنت مدينة الرياض رأسها وطلبت الهدنة ودفعت مالا كثيرا ووعدت بالموازنة وطلبت علماء يعلمون أهلها التوحيد ، ثم نقضت عهدها ..

جلاجل وسدير - وبذكر ابن بشر ، في أخبار سنة ١١٧٧ أن عبد العزيز سار إلى جلاجل ، من بلدان سدير وقطعوا منه نخيلا ، وحصل بينهم قتال ، وهزموا فزع البلد ، وقتلوا من أهلها نحو عشرة رجال ، ثم انه طاح عليهم « سويد » ، أمير جلاجل ، وجميع أهل سدير ، وبايعوا ..

حوادث الردة والعصيان

كانت العيينة وحريملاء ومنفوحة وضمري من أوائل البلدان التي دخلت الدعوة وبايعت ، ولكنها لم تثبت حتى النهاية ، وسلم بشيء من أخبارها في الصفحات التالية .

وبما يجب التنبيه اليه منذ الآن ، هو أن حوادث الردة والعصيان ، بين الأفراد والبلدان ، تكررت خلال عامي ١١٦٦ و ١١٦٧ ، ولذلك قرر الشيخ التغلب عليها بمزيد من الجهد في ميداني السلم والحرب .

الشيخ يعقد مؤتمراً في الدرعية

وفي عام ١١٦٧ عقد الشيخ مؤمراً في الدرعية ، دعا اليه كبار أنصاره ، من مختلف البلدان ، للتذاكر في أحوال المسلمين ، وما يجب عمله ، ويصف لنا ابن غنام هذا المؤتمر ، فيقول :

« .. جمع الشيخ أهل الاسلام من جميع البلدان ، وبين الموعظ في الكلام غاية البيان ، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان ، وأوضح ما يجري على أهل التوحيد من فجار العبيد .. وكشف لهم معاني آيات القرآن .. وبشرهم بالنصر والظفر ، إن برحوا على الدين واستقاموا ، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا وداموا ، وأمرهم بالرجوع الى الله والتوبة ، وصدق النية والأوبة .
.. فتصدقوا بصدقات كثيرة ، وسألوا الله النصر وتيسيره . »

أخو الشيخ .. أحد رؤوس الفتنة

وكان الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، أحد رؤوس الفتنة ، فلم يكتفِ بتحريض أهل حريملاء ، التي كان فيها قاضياً ، على العصيان ، وإنما أراد أن يفتن أنصار أخيه في كل بلد ويرجعهم عن معتقداتهم ، فراسل شيوخ البلدان وأرسل اليها الدعاة ، وفي عام ١١٦٧ - كما يقول ابن غنام - أمسك أنصار الشيخ رجلاً وصل العيينة ، وكان معه كتاب من الشيخ سليمان « فيه شبه مزخرفة » قرأها « في المحافل والبيوت ، وألقى في قلوب أناس من أهل العيينة شياً مضرة .. غيرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان » ، وقد أخبروا الشيخ بأمر هذا الرجل ثم قتلوه ، وأرسل الشيخ الى أهل العيينة رسالةً أبطل فيها أقوال أخيه وموحياته ..

ولم يكتفِ الشيخ ، طبعاً ، بهذه الحملة « الدعائية » ، وإنما أتبعها بحملات حربية ، وقد أعذر من حذر وأنذر ..

حريملاء

بايع أهل حريملاء للشيخ ومحمد بن سعود منذ عام ١١٥٨ ، واشتركوا في معارك الدعوة وكان لهم فيها بلاء حسن .

وفي عام ١١٦٥ ثار نكر من أهل حريملاء على أميرهم « محمد بن عبد الله بن المبارك » ، الذي نصبه عليهم الدرعية وطرده ، ثم عاد اليهم فقتلوه ، وكان قاضي حريملاء ، في تلك الأيام ، الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ، وهو أخو الشيخ ، وكان مخالفاً للشيخ في أفكاره وعدواً لدعوته .

وفي عام ١١٦٨ غزا عبد العزيز بلدة حريملاء بثمانمائة رجل ، واستدرج أهلها الى الخروج من البلدة ، متظاهراً بالهزيمة ، فخرجوا وتبعوه ، وكان كمن لهم كمينين ، فجهم عليهم وانهمزوا هزيمة منكرة ، وقتل منهم نحو مئة رجل وفر الآخرون وتفرقوا في الجبال والشعاب ، وانتهر أمير ضرمى فرصة خلوا البلدة من المقاتلة فدخلها بنفر قليل كانوا معه وأرسل الى عبد العزيز يبشره بالفتح ، فجاء عبد العزيز « واستولى على البلد وفادى فيها بالأمان لأهلها الا من كان قد أحدث حدثاً .. وصارت دورها ونخلها غنيمة للمسلمين ، واستعمل فيها مبارك بن عدوان أميراً ، وهرب قاضيها سليمان بن عبد الوهاب ^(١) .

منفوحة

في عام ١١٦٦ نقضت منفوحة العهد ، وطردت الامام المنصوب للصلاة بالناس ، وسيطر أعداء الدعوة على أمور البلد ، فلم يستطع المتمسكون بعقيدتهم الا الهجرة

(١) - يقول ابن غنام ان عبد العزيز توقف في حكم أهل حريملاء ، وسأل الشيخ رايه في ذلك فأفتاه بأنها فيء للمسلمين ، فأقبل « عبد العزيز بتلك الأموال والغنائم الى الدرعية ثم وقعت فيها المقاسم » .

ويذكر ابن غنام أن أهل حريملاء كانوا عدواً ، عام ١١٦٦ ، عدوة على أهل الدرعية ، ولكن ابن بشر لا يشير الى هذه العدوة الفاضة .

منها الى الدرعية وغيرها من بلدان الدعوة ، وقد أحصى من هاجر منهم في يوم واحد بسبعين رجلاً .

وقد قام عبد العزيز ، خلال حياة أبيه بأربع غزوات ضد منفوحة ، في الاعوام ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧٤ و ١١٧٥ ولكن القدر أراد أن يتم خضوعها بعد وفاة محمد بن سعود .

ضرمى

وفي عام ١١٦٤ نقض رئيس ضرمى « ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن » عهد محمد بن سعود والشيخ ، وقتل ثلاثة من كبار أنصار الدعوة في البلد ، ولم يحض على ذلك سوى أربعة أشهر حتى قام عليه آل سيف ، ومعهم أنصار الدعوة ، وقتلوه ، وولى عبد العزيز أميراً جديداً في ضرمى .

وفي عام ١١٦٨ حاول أحد وجهاء ضرمى ، واسمه « الغفيلي » ، أن يخلع رئيس ضرمى وينقض العهد واستنجد لذلك بأمير ثرمدا فأمده بجيش ، ولكن الدرعية أبلغت بالأمر فأرسلت هي أيضاً مدداً كافياً الى أمير ضرمى ، فجرى قتال بين الفريقين ، قتل خلاله من جيش ثرمدا نحو ستين وهرب الباقيون ، وبقيت ضرمى على ولائها .

قصة العينية وأميرها

كانت «العينية» من أجل بلدان نجد وأجلها وأغناها ، ويقول «ابن بشر» عن أميرها «عبدالله بن معمر» المتوفى عام ١١٣٨ هـ ، إنه لم يذكر مثله ، «في زمانه» ، ولا قبل زمانه ، في نجد ، في الرياسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث .

وفي عام ١١٣٨ هـ . وقع فيها وباء أفنى أكثر أهلها ، فضعت البلد ، لتناقص سكانها ، ولكنها بقيت قوية بأمورها وسلاحها ، وتولى رئاستها محمد بن حمد بن عبد الله ، خلفاً لجدّه الذي مات في الوباء ، وكان يلقب بـ «خرفاش» ، ثم خلفه بعد موته أخوه «عثمان» .

جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى العينية في عهد أميرها الجديد «عثمان» ، عام ١١٥١ ، فأحسن قبوله وأكرمه ، وعرض عليه «التوحيد» وطلب منه نصرته ، فنصره ، كما نرى ذلك مفصلاً في سيرة الشيخ .

ويقول ابن بشر في أخبار سنة ١١٥٨ :

«وفي هذه السنة ، أو التي بعدها ، بايع عثمان للشيخ على دين الله ورسوله» .
فهل يعني هذا أن عثمان كان ، من قبل ، نصيراً للشيخ ، ولكنه لم يكن من جماعته وأهل دعوته ؟

أم يعني أن عثمان ، بعد خروج الشيخ من بلدته ، أصبح كالشكوك في ولانته إن لم تغل كالمرتد ، فلما جاء إلى الدرعية ، بعد هجرة الشيخ إليها ، صالح الشيخ ،

وجدد بيعته له ، وعاهده على النصرة ؟

أكبر الظن أن الرأي الثاني هو الصحيح !

ومها يكن الأمر ، فإن الصلات بين الأمير عثمان وبين الأمير محمد ، كانت حسنة دائماً ، وقد زوج محمد ابنه عبد العزيز بنت الأمير عثمان ، ولو كانت بينهما أي عداة لما فعل ، بل نستطيع القول إن الصلات كانت حسنة بين أسلاف عثمان ، وبين أسلاف محمد أيضاً ، فقد رأيناهم يتناصرون ويخرجون إلى القتال مجتمعين^(١). وفي عام ١١٥٩ اشتبك عثمان في هجوم المسلمين على بلدة الرياض ، ولكنه تقاعس عام ١١٦٠ عن نصرة المسلمين ، فقاموا بغزو الرياض وحدهم.. ثم خاف همة النفاق والحياة ، فوفد على الدرعية واعتذر عن قصوره وعاهده على الجهاد كلما طلب منه ذلك ، فصدقوه وعظموه ووعدوه ان يكون هو رئيس الغزو ، مع انه كان تورط في عمل فظيع ، ذلك أنه جمع عنده أمير الرياض وأمير ثرمداء ، وتعاهدوا على مكافحة الشيخ والأمير محمد ، وقد شعر مسلمو العيينة بما يديره أميرهم ، فذهبوا إليه يستوضحونه جلية الأمر ، فمؤ عليهم وقال إنه يريد مصالحة الأميرين مع الشيخ ، وإدخالهما في الدين ، وأرسل ليلاً إلى الشيخ يدعوه الى حضور الاجتماع ، ولكن الشيخ امتنع عن الحضور ، خوفاً من مكيدة عثمان ، فحاصر المسلمون القصر ، ولكن دهمام بن دواس وأمير ثرمداء استطاعا الهرب تحت جنح الظلام والعودة إلى بلديهما بأمان !

وفي عام ١١٦١ ، قاد عثمان هجوماً على الرياض اشتبك فيه أهل العيينة ، وأهل الدرعية وحريملاء وضمي ، ثم قاد هجوماً ثانياً على الرياض اشتبك فيه ، إلى جانب أولئك ، أهل منفوحة ، وكان عبد العزيز بن محمد تحت امرته . ثم سار المسلمون تحت إمرته إلى ثرمداء ، فأخلى أهلها البلدة .. وطلب عبد العزيز من عثمان دخولها والاستيلاء عليها ، فأبى .. وكان ذلك من أكبر أسباب الشك فيه !

(١) انظر ابن بشر في سابقة عام ١٠٩٦ حيث نرى سمود بن محمد أمير الدرعية يسير مع أمير العيينة ضد حريملاء . وكذلك موسى بن ربيعة استنصر بأمير الدرعية ضد آل يزيد .

ثم سار المسلمون مرة ثانية تحت إمرته إلى ثرمداء ، فأثقفوا زرعها ، ولم يقاتلوا أهلها ، وانقلبوا راجعين .

مقتل أمير العيينة

لماذا رفض عثمان الاستيلاء على ثرمداء ؟

أخبر عبد العزيز والده والشيخ بفعلة عثمان ، فوجدوا فيها دليلاً على نفاقه ، وانطواء نفسه على أغراض خبيثة ، ما لبثت ان تكشفت لهما فيما بعد .
ذلك ان عثمان كان يعلم أن « ثرمداء » وغيرها من البلدان ، متى فتحت ، أصبحت ملكاً لمحمد بن سعود ، فأثر أن يحمي صاحب ثرمداء ليستعين به في المستقبل ضد من يعدّهم منافسين له ، بل مهددين لإمارته في المدى القريب ، أو البعيد !

وفي عام ١١٦٢ قاد محمد بن سعود غزوات المسلمين بنفسه ، ولم يشرك معه عثمان بن معمر ، لاشتباههم بأمره .

ويقول « ابن غنام » إن عثمان أخذ يسيء إلى أنصار الدعوة في العيينة ويمعن في إذلالهم ، ويظهر الموالاتة لأهل الباطل ، فذهب وفد من الموحدين إلى الدرعية ، وشكوه إلى الشيخ ، فلما تحقق صدق أقوالهم ، قال لهم :

« أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله ، وعلى موالاتة من والاه ، ومعاداة من حاربه وناوأه ، ولو كان أميركم عثمان .. »
فأعطوه على ذلك العهد والميثاق .

وبلغ هذا الحادث « عثمان » فزاد حقداً على المسلمين وتكرراً لهم ، وعزم على الفتك بهم وإجلالهم عن البلدة ، وكتب إلى صاحب « ثرمداء » ، وإلى أمير فرقة من البدو ، أن يحضرا إليه ، ليعيناه على تنفيذ « خطة » شيطانية رسمها بنفسه ..
ويقال أيضاً إنه تلقى كتاباً من محمد بن عفالق ، عالم الأحساء ، يزين له نقض البيعة ومعاداة المسلمين ، فزاد بذلك إقداماً وجراً .. ولكن المسلمين كانوا ساهرين يقظين ، لا تحفى عليهم حركة من حركاته ، فلم يكده عثمان يفرغ من صلاة الجمعة ،

في مسجد العينة ، حتى أحاط به نفر من المسلمين وقتلوه ، وأرسلوا إلى الشيخ والأمير محمد من يبشرهما بمقتله !

بقي الشيخ محمد ثلاثة أيام يراقب « تطورات » الموقف في العينة ، ثم ذهب إليها بنفسه ، وولى عليها « مشاري بن ابراهيم آل معمر » ، خلافاً لمشورة القلة ، الذين أرادوا إقصاء آل معمر عن الحكم خوفاً من انتقامه منهم وإذلاله لهم . وقد أثبتت الأيام سداد رأى الشيخ ، لأن الأمن استتب في البلدة ، وتوحدت صفوفها ، ولو اختير لإمارتها رجل آخر ، لبقيت الحزازات في الصدور ، ولانقسمت البلدة على نفسها .

قام مشاري بن ابراهيم بن معمر بالغزو مع المسلمين في السنة التي تولى فيها إمارة العينة ، وقد بقي في الإمارة عشر سنوات ، وفي عام ١١٧٣ عزله محمد بن سعود ، لثبوت أمور عليه مشينة ، وولى مكانه سلطان بن محسن المعامرة ، ثم أمر الشيخ بهدم قصر آل معمر ، فهدموه ، ولعل ذلك إعلان واضح لزوال ملكهم ، وضم العينة إلى دولة الإسلام في نجد ^(١) .

(١) يزعم مؤلف « الملح » ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن راضياً عن قتل عثمان بن معمر ، ولكنه سكت عن القتل لحكمة وسياسة ، وكان يخفي في نفسه الانتقام من اهل المينة ، فما انقضت سنوات على مقتل عثمان ، حتى طلب الشيخ من عبد العزيز ان يخرّب المينة ويجعلها كأرض ثمود ، ففعل !

ورفساد هذه الراية ظاهر ، لأن عبد العزيز لم يخرّب من المينة سوى قصر آل معمر !

الفصل الخامس

المعارك في عهد محمد بن سعود

لا يذكر لنا مؤرخو نجد شيئاً عن المعارك التي خاضها محمد بن سعود ، قبل اتفاه مع الشيخ ، لأنها لم تكن جهاداً لإعلاء كلمة المسلمين ، ولم تكن الدوعية يومئذ صاحبة رسالة ..

ولما جاء الشيخ الى الدوعية ، بقي فيها سنتين يدعو الى التوحيد وينهى عن الشرك والبدع والمهرمات ، وكانت دعوته دسلبية ، بالقول والموعظة ، لم تستخدم فيها القوة قط ، وبعد انقضاء السنتين ، أمر الشيخ بالجهاد .. فتأبعت المعارك !

الغزوة الأولى .. العجبية

قال ابن بشر :

« .. فأول جيش غزا : سبع ركائب ، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها ، سقطوا من أكوأرها ، لأنهم لم يعتادوا ركوبها .. فأغاروا على بعض الأعراب فغنموا ورجعوا سالمين » .

هذه هي قصة الغزوة الأولى ، لم يذكر لنا مؤرخ نجد اسم البدو الذين كانوا هدفًا لها ، ولا ذكر لنا أبطالها .. ولعلمهم من طلاب الشيخ المبتدئين ، لأن رجال الدرعية ، فيما نعتقد ، كانوا يحسنون ركوب النجائب فلا يسقطون عنها .
لم يشر ابن غنم الى هذه الغزوة الطريفة في كتابه ، ولكن ابن بشر كانت موافقاً في إيرادها على تلك الصورة الشعرية ، لأنها تصوير بارع ، في سداخته ، لضعف الدعوة في أول أمرها .

وقد نقل كثير من المؤلفين الغربيين قصة هذه الغزوة ، استعساناً لها ، ولعل المؤرخ الفرنسي ميشو كان يشير الى هذا الجيش ، خلال وصفه لأيام الشيخ الأولى في الدرعية ، قال : « أنكروا الشيخ في كل مكان وآذوه وطردهوه ، فالتجأ الى محمد بن سعود ، فجاه وساعده على نشر دعوته ، التي كانت تتفق مع أغراض الأمير « التوسعية » ، وأذن له باستخدام فرقة من الجنود على نجائب ، فقاموا فعلاً بغزوة موفقة على إحدى العشار » .

المعركة الأولى

ما هي أول معركة خاضها محمد بن سعود في نصرته الدعوة ؟
يتفق ابن غنم وابن بشر على أن أول من حرك الشر : دهام بن دواس صاحب الرياض ، فقد فاجأ بلدة « منفوحة » التي انضم أهلها برضاهم الى الدعوة وبايعوا الشيخ بغزوة ماكرة ، ودخلها واستولى على قصر الإمارة ، ولكن أهلها استطاعوا إخراجه منها بعد قتال عنيف .

عرف ابن دواس ، أمير الرياض ، أن ابن سعود لن يسكت عن عدوانه على منفوحة ، فنذر - كما يقول ابن غنم - جزوراً (لتاج بن شمس ، إن قطع ابن سعود ، على الفوارة ، عادين على بلاده ، فلما بلغ ابن سعود واخوانه المسلمين ذلك ، تعاهدوا على أن أول عدوة يعدونها عليه تكون في قصره) ، وسار ابن سعود

برجاله مستخفين ، ليلاً ، الى الرياض ، فدخلوها وذهبوا الى القلعة ، التي بها قصر ابن دواس ، واقتحموا باب القلعة وبلغوا الى بيوت بعض الرؤساء ، فوجدوا فيها إبلاً فعقروها ، ثم أطلقوا الرصاص على ابن دواس في عليته ، وخرجوا بعد ذلك سالمين ورجعوا الى الدرعية .

هذه العدو - ونسبها معركة ، تجوزاً - ليست معركة حقيقية ... ويقول صاحب « اللع » : « ان أول حرب أوقعها محمد بن سعود بأمر محمد ابن عبد الوهاب ، هي حرب ابن دواس ، وكان عدد غزوه إذ ذاك عشرين ذلولاً وصبع أفراس » ، ولعله يشير بذلك الى هذه العدو ، والله أعلم !

أعظم معارك ابن سعود

من يتتبع أخبار المعارك التي وقعت في زمان محمد بن سعود يجد أن أكثرها وأعظمها كان مع ثلاثة أمراء : أمير الرياض ، وأمير نجران ، وأمير الأحساء . ولم تفرد بلدة واحدة من بلدان نجد بالهجوم على الدرعية ، ما عدا الرياض ، بل كانت الدرعية هي التي تبتدىء بالهجوم دائماً . ولم تلق الدرعية ، في حياة محمد بن سعود ، في موقف الدفاع عن النفس ، إلا سنة ١١٦٠ هـ . أمام الرياض ، سنة ١١٧٨ أمام صاحب نجران وأمير الأحساء . وليس معنى ذلك أن الدرعية كانت تعتدي على جاراتها لمجرد الظلم والعدوان .. وإنما كانت تفعل ذلك انتصاراً لخليفاتها أو دفاعاً عن الدعوة وتدعيماً لها .

- ١ -

المعارك مع أمير الرياض

لا ندري متى ظهر اسم الرياض ، فالكتب القديمة لا تتحدث عنها ، ولا نعرف أسماء الرؤساء الذين تعاقبوا على حكمها ، وكل ما نعرفه أن بلدة حبر وبقيّة حبر اليمامة ، وبلدة مقرن وبلدة معكال - وكلتا البلديتين أو المثلتين على أرض حبر التاريخية العريقة - قد غابت أسماؤها في اسم جديد ، هو اسم : الرياض .

إمارة ابن دواس

ويذكر لنا ابن غنام أن دهام بن دواس ، أخرج من بلدة منفوحة ، بعد أن قتل أبوه ، وكان أميراً عليها ، فالتجأ الى الرياض ، في ولاية زيد بن موسى أبي زرعة ، وقد تزوج زيد أختاً لدهام وولد له منها ولد ، وفي ذات يوم قتل زيداً رجلاً معتوه من أقربائه ، فقتله عبد لزيد يدعى (خميس) ، وتولى السلطة في الرياض ، ثم

هرب العبد خوفاً من الثأر ، وبقيت الرياض بلا رئيس .. فترأسها دهام بن دواس ، مدعياً أنه إنما يفعل ذلك باسم الطفل القاصر ، ابن زيد ، حتى يبلغ مبلغ الرجال ، ولكنه ما لبث أن اغتصب الامارة وطرد الطفل ..

ويصف ابن غنام هذا الأمير المقتصب بأنه كان فاجراً خبيثاً ، غريب الأطوار ، بل هو يذكر أموراً عنه لا يكاد يصدقها عاقل ، مثل قوله انه « غضب يوماً على امرأة فأمر بفمها أن يخاط .. وغضب على رجل فقطع من فخذه قطعة وأمره بأن يأكلها » .

كتب الشيخ الى دهام ينصحه ويدعوه الى قبول التوحيد ، واجتهد محمد بن سعود أيضاً في نصحه ، وكان يظن فيه حسن القبول ، لسابق فضله ، ولكن ابن دواس - مع تربيته بأن عقيدة الشيخ هي العقيدة الصحيحة - رفض دعوة الشيخ ، وكان يعد الناس عنها ويؤذي أنصارها في بلده .

ولعل التفسير الصحيح لموقف ابن دواس أنه كان بطمع في حكم منفوحة ، ملك آبائه ، التي طرد منها ، فلما دخل أهل منفوحة في دعوة الشيخ وطاعة محمد بن سعود ، تكرر للدعوة وأصحابها وقاصبهم العداء . وكان هو البادئ بالعدوان ..

ففي عام ١١٥٩ ، جمع دهام بن دواس رجاله ، وضم اليهم جماعة من البدو ، وفاجأ أهل « منفوحة » بغارة محكمة على تخيلهم ، فخرجوا لحمايته من المعتدين ، وبذلك خلت البلدة من حمائها ، وكان قد أعد لهم كميناً ، فدخل البلد واستولى على قصر الامارة ، ولكن أهل منفوحة أسرعوا في العودة الى بلدتهم وقاتلوا المهاجمين قتالاً مريئاً واضطروهم الى الانسحاب .

١ - يقول ابن خنسان ان أهل الرياض كرهوا ابن دواس لظلمه وفجوره فأجالحوا بقصره وحصره ، وأرادوا خلعه واخراجه من بلدتهم ، فاستجند بمحمد بن سعود ، فقام محمد بنصرتة أتم قيام ، وارسل اليه من الدرعية جنوداً يقومون اخوه مشاري بن سعود ، فقاتلوا رجال الرياض المحاصرين للقصر وفرقوهم وعاد ابن دواس الى الولاية عودة المنتصرين ..

وقيل ان فرزة جاءتهم من الدرعية ، يتقدمها عبدالله بن محمد بن سعود ، ألقت الرعب في قلوب ابن دواس وجماعته وكانت من أقوى أسباب النصر .
وأصيب ابن دواس خلال المعارك بطلقين ، وتقطعت أصابع رجله وعقرت فرسه .

وقد ذكرنا ، قبل ، أن محمد بن سعود نأر لأهل منفوحة بهجومه ليلاً على الرياض ودخوله قلعتها وعقره ابلا كانت هناك واطلاقه الرصاص على علية ابن دواس . ولكن محمد بن سعود لم يكتف بتلك العدو السيرة ، فسار بأهل الدرعية وقراها ، ومعه عثمان بن معمر بأهل العيينة ، الى بلدة الرياض ، فجرى بينهم وبين رجال ابن دواس ، قرب الرياض ، قتال غير كبير ، قتل فيه عشرة شيوخ من أهل الرياض ، فسميت المعركة : وقعة الشياح .

ثم سار ابن سعود ، في نفس العام ، مرة ثانية ، الى الرياض ، وقتل عشرة من عبيدها فسميت المعركة : وقعة العبيد .

المهجوم على الدرعية

واستشهاد ولدين محمد بن سعود : فيصل وسعود

صمم ابن دواس ، بعد الهزائم التي مني بها ، على الانتقام من الدرعية ، فجمع جموعه ، من الحاضرة والبادية ، وقصد الدرعية ، فلما بلغها أغارت خيله عليها ، فدافع أهل الدرعية عن بلدهم دفاعاً شديداً ، فظاهر جماعة دهام بالهزيمة ، وولوا هاربين ..

ولما رأى مقاتلة الدرعية هزيمة اعدائهم وجبنهم ، طمعوا في استئصالهم ، فنصح لهم الأمير محمد بالوقوف في أمكنتهم ، خوفاً من كمين ييغتهم ، ولكنهم كانوا معجبين بنصرهم ، فأبوا الا أن يتبعوا عدوهم ، فخرج عليهم ، في بعض الطريق ، كمين لداهم ، وقاتلهم وهزمهم وقتل خمسة منهم ، بينهم ولدا الأمير محمد بن سعود : فيصل وسعود .

لذلك يحق لنا أن ندعو محمد بن سعود : والد الشهيدان .

هجمات متعاقبة على الرياض

ولم يمض على هذه المعركة غير قليل ، حتى سار محمد بن سعود بنفسه الى الرياض ، على رأس مقاتلة الدرعية ومنفوحة وحريلاه ، وكان دهام قد أُنذِر به فاستعد له ، ومع ذلك استطاع محمد بن سعود دخول الرياض ، ووصل الى قصر دهام نفسه ، وضرب أحد جنوده دهماً بالسيف وكاد يقتله ، ولكنه نجا ، وقتل في المعركة عدد غير كبير من الجانبين ، ثم انسحب الأمير بجنوده ، وعادوا الى بلدانهم .

وفي عام ١١٦١ هاجم عبد العزيز بن محمد بن سعود (الرياض) مرتين ، تحت قيادة عثمان بن معمر ، وكان معها أهل الدرعية والعينة وضمى وحريلاه (وانضمت اليهم منفوحة ، في الحملة الثانية) ولم يوفق المسلمون في كلتا الغزوتين ، وخسروا أكثر من خمسين شهيداً . وربما كان ذلك بسبب مواقف أمير العينة المريبة !

وفي عام ١١٦٢ أغار محمد بن سعود بجموع المسلمين على بلدة الرياض ، ولم تلحق بينهم وبين أهل الرياض مقاربة ، وإنما تراموا بالرصاص من بعيد . وفي عام ١١٦٤ سارت عدوة من أهل الدرعية على الرياض ودخلتها ، ولكنها انهزمت ، وقتل قتي من أشجع قتيان الدرعية ، وهو علي بن عيسى الدروع .

دهام يطلب الصلح

وفي عام ١١٦٧ ضجر دهام بن دواس - كما يقول ابن بشر - من الحرب بينه وبين المسلمين فطلب من الإمام محمد بن سعود المهادنة ، وبذل له خيلاً وسلاحاً وأن يقيم شرائع الإسلام في بلده ، وطلب منه أن يرسل إليهم معلماً يحقق لهم معرفة التوحيد ، .

نصر مؤزر للدرعية على دهام وحزبه

ولم يمض سنة واحدة على هذا العهد ، حتى اتفق دهام صاحب منفوحة على

نقض عهد المسلمين ، وحرهم .. ثم اجتمعوا مع رئيس ثرمداء ، وانضم اليهم جماعة من أهل سدير وثادق وجلوبة حرملاء ، وهجموا على حرملاء - التي كان عبد العزيز قد اقتحمها ونصب عليها أميراً من قبله - فدخلوا أعاليها ، ولكن أميرها قاتلهم قتالاً شديداً ، وجاءته الأفراع من الدرعية ، فانهمزت الأحزاب .. وقتل منهم ستون رجلاً ، وأسر كثيرون ، اقتدوا أنفسهم بالمال .

معارك عام ١١٧١

وفي عام ١١٧١ غزا عبد العزيز الرياض مرتين ، ولم يكن بينه وبين أهلها كبير قتال ، وبما يحسن التنويه به أن عبد العزيز أمر ببناء قصر قرب الرياض ، ينزله مقاتلة المسلمين ويحسون به على أهل الرياض الأنفاس ويضيقون عليهم الحناق !

غزوات متصلة

ومنذ عام ١١٧٤ الى عام ١١٧٦ كانت غزوات عبد العزيز على الرياض مستمرة ، يغزوها كل عام مرة أو مرتين ، وكانت الخسائر من الفريقين غير كبيرة في الأنفس ، ولكنها أتعبت أهل الرياض وأضررت كثيراً بأموالهم .

دهام يطلب الصلح

وفي عام ١١٧٧ أرسل دهام بن دواس الى الأمير محمد بن سعود يعرض عليه الطاعة ، ودفع إليه ألفي أحر نكالا .

واشترك دهام مع الأمير عبد العزيز في غزو فرقة من عرب الظفير ، فاستأصلوهم وقتلوا منهم ثلاثين رجلاً .

يقول مانجان : إن محمد بن سعود والشيخ اشتراطا على « دهام » أن يعيد الى أنصار الشيخ الذين اضطروا للهجرة الى الدرعية أملاكهم التي صادرها وأن يساعد الدرعية في حروبها ، فقبل ، وقد رأبنا فعلاً يسير مع عبد العزيز في غزوة (جراب)

خـد عـشـائـر الـظـفـيـر .. فـكـانـت أول لـقـاء بـيـن الـحـصـبـيـن الـلـدود بـن !

معارك الرياض في رواية « اللع »

قال صاحب « اللع » :

« اتفق الأمر حينئذ أن دهاـم بـن دواـس شـيـخ الـريـاض المـسمى (بـحـجـر الـيـامـة) في سـابـق الأيـام ، كـره اسـتـقـامـة الأـمر لـمـحـمـد بـن سـعـود حـاكـم الـدـرعـيـة بـواسـطـة مـحـمـد بـن عـبـد الوـهـاب حـيـث أنـه كـان قـبـل هـذا يـكـره مـحـمـد بـن سـعـود و يـرـيـد ذـلـه ... فـأخـذ ابـن دواـس بـلقـي الـحـرب عـلى أهـل الـدـرعـيـة ... فـقـتـل يـومـاً ولـدان كـبـيـرات لـمـحـمـد بـن سـعـود ... فـأخـذت مـحـمـد بـن سـعـود وعـبـد العـزـيـز ومـحـمـد بـن عـبـد الوـهـاب زـيـادـة الـحـمـيـة والـغـيـرة عـلى الـديـن وحـفـظ العـرض وصـون النـفـوس ، فـهـبـأوا لـهـم عـسـكـراً كـثـيـراً بـشـيـء مـن أهـل بـلـدانـهـم ، وشـيـء مـن العـربـان البـدـاء وغـيـرهم مـن الـذيـن عـاهـدوم و صـدقوا بـذـهـبهم ، وكـذا باعـطـاء شـيـء مـن المـال خـفـاء ، فـقـامـت الـحـرب بـيـنـها سـنة الـسـتـين بعـد المـائـة والألف ، ثم إن الـحـرب اسـتـمـرت بـيـنـها ثـمـانـيـاً وعـشـرين سـنة ولم يـقـع في هـذه المـدة صـلـح إلا ثـلاث مـرات مـتـفـرقات ، كل مـرة سـنة واطـدة .

ان أول حرب أوقعه محمد بن سعود بأمر محمد بن عبد الوهاب - أي حرب ابن دواس - كان عدد غزوه إذ ذاك عشرين ذلولاً وسبع أفراس ثم إنه مشى عليه مرة أخرى بمائتين ثم ثالثة بمخمسمائة ثم رابعة بقدر سبعمائة ذلول ومائتي فارس ثم « أنهى » ما مشى به الى الرياض ثلاثة آلاف بين راكب ومشى .

فأخذ أمر محمد ابن سعود يزيد شيئاً فشيئاً وشأن ابن دواس ينقص وينزل ، حتى دانت بالطاعة بلاد الرياض وقراها ،

وسرى ان دهاـم بـن دواـس نقـض عـهـده لـمـحـمـد بـن سـعـود ، عـند وفـاته .

مَعَ صَاحِبِ نَجْرَانِ

في عام ١١٧٧ هـ . هجم جماعة من « العجمان » البائية على فريق من عشائر سبيع ، الذين دخلوا في عهد الأمير محمد بن سعود وطاعته ، وأوسعهم قتلاً ونهباً ، فلما بلغ ذلك الأمير عبد العزيز ، أسرع في إلحاق بالمشيرة البائية الغازية ، فأدركهم في موضع يقال له « قذلة » ، بين القويعة والنفود ، وقاتلهم قتالاً غنياً ، فقتل منهم خمسين رجلاً ، وأسر مائتين وأربعين ، وأخذ كل ما كان معهم من المال والسلاح . انطلق الناجون من البائية إلى بلاد اليمن ، وحطوا رحالهم في نجران ، عند رئيسها المشهور : الحسن بن هبة الله المكرمي ، وعرضوا عليه حالهم ، وشكوا له مصابهم ، وما فعله بهم عبد العزيز ، وطلبوا منه أن يثأر لهم ويستخلص أسراهم الذين يعانون ألواناً من العذاب ...

واستجاب صاحب نجران لهؤلاء المستجيرين به ، لأنهم بائية ، ولم تكن العصبية قد زالت من النفوس ، وجمع المقاتلة من عشيرة « بام » ومن غيرهم من البائيين ، وسار بهم ، قاصداً الدرعية !

من هو صاحب نجران ؟

يقول فؤاد حمزة ، في كتابه : « في بلاد عسير » إن حسن بن هبة تولى رئاسة نجران عام ١١٧٤ وتوفي عام ١٢٤١ ، وإنه قحطاني ، أصل أجداده من (طيبة) ، قرب صنعاء ، وليس علويّاً ... وكان أجداده قد انضموا إلى الدعوة الإسماعيلية .

ويقول صاحب «اللمع» إن حسن بن هبة الله المكرمي مختلف في أمره ،
(قيل إنه شريف من السادة ، زبيدي المذهب ، وقيل ليس بعربي وإنما هو هندي ،
ولد بأرض نجران ، من أربعة أو خمسة أصلاب ، وصارت شهرته بالمكارم ، وهو
رجل ساحر ، يتعاطى علوم السبا والحرف ، وهو عجب : في الظاهر رافضي ،
وبالباطن - عند من كشف عن حاله - طيعي ، منكر للصانع) .

في حائر سبيع

وصلت جموع المكرمي إلى « حائر سبيع » ، بين الحرج والرباض ، في شهر
ربيع الثاني من عام ١١٧٨ هـ . فسار عبد العزيز للقائهم بجيش كبير ، وكان رجال
هذا الجيش ، فيما يقول ابن غنام ، معجبين بأنفسهم إعجاباً لا حد له ، وكانوا
خلال مسيرهم بظهرون ضروباً من الخلاء والتيه لا توصف ، ويظنون أن عدوهم
سيفرّ أمامهم ، بمجرد دنوهم منه ... فعاقبهم الله سبحانه على ذلك ، وامتنحن بهذه
الواقعة أهل الإسلام ، ليميز الحبيث من الطيب ...

دارت بين جنود المكرمي وبين جنود عبد العزيز معركة غير طويلة ، في أرض
الحائر ، ولكنها كانت معركة رهيبة جداً ، انهزم فيها جيش عبد العزيز هزيمة
منكرة ، فقتل من رجاله نحو خمسمائة ووقع منهم في الأسر أكثر من مائتين ،
ورجع عبد العزيز بن نجا معه إلى الدرعية ...

رواية اللمع

يقدر صاحب «اللمع» عدد مقاتلة المكرمي بألف ومائتين ، وعدد جنود عبد
العزيز بأربعة آلاف ، ويزعم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب حذر عبد العزيز
منهم ، لما جاء ليخبره أنه عزم على استئصال العجمان ، لأنهم قوم فساد وشقاق ،
فبين له الشيخ أن وراءهم قدم « يام » ، وقال له :

« هؤلاء طائفة كبيرة تسكن نجران ، وهم بداءة وحضر ، ونحن لا نحب حربهم

اليوم ، ا

ولما وقعت الواقعة ، ووصل صاحب نجران إلى العارض ، قال الشيخ لعبد العزيز :

« سر له بخلق عديد ، ونأزله ، ولا تحاربه ، حتى يقع بيننا صلح ، فإني لا أرى خيراً في القتال مع هؤلاء القوم ، ما تقول في أناس مسكنهم اليمن ، ويدخلون قلب نجد في هذا العدد القليل ، مع أنهم عرفوا شوكتنا فلم يبالوا بها ، فيأكلوا والحرب معهم ، وإما أمرتك بالخروج إليه .. أتعرف الغاية ؟
قال : لا ا

قال : حتى لا تختلف جماعاتنا علينا ، فيقال : ضعف أمر هذا الدين وهابوا الحرب مع رجل يأمي ا .
ويصف صاحب اللع المعركة ، فيقول إن المكرمي لما رأى ان مقاتلته لجنود عبد العزيز بالرصاص غير مفيدة له ، أمر جماعته بأن يجمعوا عليهم بالسيوف ، وقال لهم : هؤلاء القوم نعاج .. وبقاؤنا معهم بلا تقدم ، لا ربح فيه ، كروا عليهم الساعة بالسيف ا

فكروا على الجنود ، فذبحوا منهم أكثر من أربعمائة واستأسر لهم أكثر من ستائة ، وهرب الباقون لا يلوون على شيء ، حتى بلغوا الدرعية .

الصلح مع صاحب نجران

يقول ابن غنم ، إن عبد العزيز ، لما وصل الدرعية ، دخل مجلس الشيخ ، في حالة انكسار وبأس ، فبادره بقول الله تعالى ، في كتابه الكريم :
« ولا تنهوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، .
ماذا كان بعد ذلك ؟

يقول ابن غنم : إن المكرمي ارتحل من الحائر ، ونزل بالقرب من قصر

« الغدوارة » ... وإن دهام بن دواس وغيره من رجال نجد المعادين للدرعية أرسلوا إليه الهدايا وكاتبوه وحرصوه على غزو الدرعية ووعدوه بالمؤازرة بالرجال والأموال ، وكتب إليه صاحب الأحساء بخبره بقدومه عليه ... ولكن صاحب نجران آثر العودة إلى بلاده ، لأن الله تعالى قذف في قلبه الرعب ، فكتب إلى الدرعية يطلب منها إطلاق الأسرى من العجبان ، فلما أطلقهم أخذهم وعاد إلى اليمن !

إن رواية ابن غنام ، لا تبدو لنا معقولة ! وقد أخذها عنه ابن بشر ، ولكنه أضاف إليها كلمة غامضة ، ستفسرها لنا رواية اللع وغيره ، وهي قوله :
« ان الشيخ ومحمد بن سعود أرسلوا إلى فيصل بن سهيل ، شيخ الظفير ، وأرسلوه إلى صاحب نجران : فاسترضوه ، وأطلقوا له الأسرى الذين عندهم من العجبان ، وأطلق هو أسرى المسلمين ، ورجع إلى وطنه .
ان كلمة « استرضوه » ... لم ترد في ابن غنام ... وهي كل ما ذكره ابن بشر !

والحقيقة هي ان صلحاً عقد بين الفريقين ، دفعت فيه إلى المكرمي أموال طائلة ، وأرسلت إليه هدايا جلية ، وأخذت منه الموائيق .
ويقول صاحب « اللع » : إنهم أهدوا إلى المكرمي مائة وعشرين فرساً ، وإنه قال وهو يستلمها : الآن طابت نفسي !
ويقول المؤرخ الفرنسي ميشو : « أخفق عبد العزيز في قتاله مع البجانية ، وأصبح أمام خطر جديد ، هو هجوم صاحب الأحساء ... ولكن الشيخ محمد شجعه وقواه ودفع اغزاة اليمن أموالاً كثيرة أرزتهم ، فرجعوا إلى بلادهم .
وقد وقعت هذه المعركة ، قبيل موت الأمير محمد بن سعود ، فأحزته كثيراً ، لأنها كادت تقضي على كل ما بناه هو والشيخ خلال وقت طويل .
ومن أطرف ما قرأناه - وإن كان شيئاً لا يصدق - ما رواه الرحالة المعروف ، كلرستين نيبير - الذي زار البجامة ، في حياة الشيخ محمد بن عبد

الوهاب في كتابه « وصف جزيرة العرب » ، قال :
« لاحظت أن المكرمي ، شيخ نجران ، جاء هو أيضاً بمذهب جديد . وأكد لي أحد رجال الأحساء ، الذين رافقوني في رحلتي إلى العجم : أن المكرمي ومحمد ابن عبد الوهاب يعتقدان نفس الأفكار الدينية ، وهذا ليس مستغرباً . ويبدو ، على كل حال ، أنهما صديقان .. »

ويهدف نبيهر : « إن المكرمي اشتهر بالشجاعة ، في جزيرة العرب ، ولكنني استغرب كيف يجرؤ على اختراق بلاد نجد ، الآهلة بالسكان ، بجيش ضعيف ... »
ثم يذكر نبيهر ، أنه لما وصل إلى البصرة ، أفهموه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدو للمكرمي ، وأن جيش المكرمي هزم جيش العارض ، وأن شيوخ الدرعية دفعوا له مبلغاً كبيراً من المال ، ووعدوه بأن يرسلوا إليه شيئاً كل سنة ، وربما عقد محمد بن عبد الوهاب معاهدة معه !

وسنرى صاحب نجران مرة أخرى ، في العارض ، عام ١١٨٩ ، في ولاية عبد العزيز ... ولكنه ، سيخذل هو ومن تبعه من رجال نجد ، خذلاناً عظيماً في المعارك التي يخوضها في الحائر وضرمى ويرجع إلى بلاده مقهوراً مدحوراً .
ويزعم ابن غنام إن قبائل العجمان كانوا يحملون صاحب نجران ، وقد أرهقته الأسقام ، على سرير ، للاستنصار به ، وإن الناس قتلوا بما يبدي لهم (من حساب الرمل والتخمين والأحداش) ! وإنه مات « في أثناء انصرافه » قبل وصول بلده ، !
وهذا القول الأخير غير صحيح !

مع أمير الأحساء

كان لأمير الأحساء سليمان بن محمد ، نفوذ كبير في بلدان نجد ، وقد رأينا عثمان بن معمر ، أمير العيينة ، يخضع لأمره ويخرج الشيخ محمد من بلده ، فلما استولى الموحدون على العيينة وضموها إلى دولتهم ، أغضب ذلك أمير الأحساء الجديد (عرعر بن دجين) ، لأنه فقد بلدة عظيمة في نجد كانت موالية لآبائه وأجداده ، فصمم على محاربة الشيخ وأهل الدرعية .

وفي عام (١١٧٢) سار عرعر (ويسميه ابن بشر : عريعر) ، بأهل الأحساء وعشائر بني خالد ، إلى نجد ، واستنفر أهل الوشم وسدير ومنبج والخرج والرياض ، فاجتمع اليه عدد كبير من المقاتلة ، ثم انفصل عنه مقاتلة سدير والوشم والمحمل وذهبوا إلى (حريملا) وقاتلوا ثلاثة أيام ، ولكنهم لم يستطيعوا التغلب عليها فطلبوا النجدة من عريعر ، فأمدهم بمجاعة من بني خالد وعنزة ، ولكن حريملا قاومتهم واضطرتهم إلى الانسحاب ، فولوا منهزمين ، وتبعهم أهل حريملا ، فلما وصلوا إلى مقربة من معسكر عرعر ، خرجت عليهم جموع أمير الأحساء واضطرتهم إلى التراجع والهرب واستولت على ما كان معهم من الأمتعة والزاد . ثم سار أمير الأحساء بجنده إلى (الجيلة) ، وكان عبد العزيز قد أمدّها بعدد كبير من المقاتلة ، فقاومت الغزاة مقاومة عظيمة ، ثم جاء مدد من المسلمين جديد من خلف المهاجرين الغزاة ، فأوقع الفوضى في صفوفهم وكتب عليهم الهزيمة ، وخلفوا في ساحة المعركة ستين قتيلًا ، وكانت خسارة الموحدين عشرة رجال فقط .

أما الدرعية ، فكان أهلها يخشون وصول عرعر إليها ، فاستعدوا للمقاومة وقتاله استعداداً عظيماً ، وبنوا في بلدتهم « سورين منضودين بالبروج » ليمنعوا الأعداء من الصعود إلى الجدران ، ولكن المعركة انتهت في الجيلة ، وكفاهم الله القتال في قاب البلد !

ويزعم مؤلف « اللع » ، إن خسائر عرعر في الجيلة بلغت ستمائة مقاتل ، لأن هذه البلدة كان لها سور محكم منيع ، وكان فيها خمسمائة مقاتل أشداء رتبهم فيها عبد العزيز ، فقاوموا الغزاة مقاومة شديدة وأنزلوا بهم تلك الحسائر الفادحة ، ولما سمع عبد العزيز برجوع عرعر ، سار بنفسه إلى أهل الجيلة ، وأنعم عليهم بالعطايا والتحف ، وقال لهم : الآن تبين عندي أنكم الصادقون بالقول . لكن المنة لله ، لا نحسبوا لأنفسكم منة في ذلك فإنه من ضعف الدين . قالوا : نعم ، أيها الأمير ، بعنا أنفسنا لله .

معاهدة مع عرعر

ويقول مؤلف « اللع » ، إن الشيخ محمد وعبد العزيز ، بالرغم من هزيمة عرعر ورجوعه إلى بلده ، أرسلوا إليه الهدايا واسترضياه وطلبوا منه المصالحة ، وبقي الصلح بينهما نحو سبع سنوات .

ولا يشير مؤرخا نجد ابن غنام وابن بشر إلى هذه المعاهدة المزعومة ، بل يذكران لنا غزوة قام بها عبد العزيز في عام ١١٧٦ على قرية في الأحساء تدعى « المطيرفي » ^(١) فقتل من أهلها سبعين رجلاً واستولى على كثير من السلاح والأموال ، كما أغار على بلدة « المبرز » وقتل رجالاً منها ، ثم عاد إلى نجد .

معركة عام ١٧٧٨

كان عرعر مصمماً على النار لنفسه من رجال الدرعية ، فلما بلغه مسير صاحب نجران

١ - رسمها ابن بشر هكذا : « المطيرفي » .. وهو خطأ مطبعي

القوي العنيد إليها ، رأى أن ينتهر هذه الفرصة السانحة ، فجمع جموعه وخرج من بلاده ، وبما شجعه وقوته عزمه مكاتبات وصلته من ابن دواس بعده فيها بالانضمام إليه هو وأهل بلدته الرياض ، وأهل منفوحة ، وغيرهما من بلدان نجد . ولما بلغ عرعر الدهناء ، قيل له إن جيش صاحب نجران رجع إلى بلاده ، فلم يثن ذلك عزمه ، ومضى في طريقه إلى الدرعية ، وانضم إليه ابن دواس ومن معه من المقاتلة الذين لم يدخلوا في الدعوة أو الذين ارتدوا عنها ، وكانوا كثيرين .. فالتس أرضاً قرب الدرعية تصلح لنزول هذا الجيش الكبير ، وما يحمل من مدافع وعتاد ومؤن ، فأشاروا عليه بأرض قرب القصير فتزلمها ، ثم هجم على « القصير » و « سمحان » و « الزلازل » وهي كلها قرى مسورة ، وسلط عليها مدافعه .. ولكن مدافعه لم تعمل عملاً مذكوراً في أسوارها .. بل إن بعض رجال عبد العزيز استطاعوا الوصول إلى جنود « المدفعية » فهربوا منهم وتركوا مدافعهم .. وكان لعبد العزيز (عيون) ينقلون إليه أخبار اجتماعات العدو وتدابيره ونحركاته فأفاد من ذلك كثيراً ، وانكشفت المعركة عن هزيمة عرعر ومن تبعه من أهل نجد .

ويقال إن قتلى عرعر كانوا أربعين رجلاً ، وقتلى الموحدين نحو اثني عشر رجلاً .

رواية « اللع »

ويقول صاحب « اللع » ان عرعر « حين سمع بحرب النجراني ، قال : هذه فرصة فيجب أن أغتتمها ، فركب بعسكره وبلغ حوالي الدرعية واتفق ذلك اليوم أنه اليوم الذي وقع فيه الصلح مع النجراني وكان عسكر النجراني على فرسخين من الدرعية فنزل عرعر قريباً منه بنصف فرسخ ، فأرسل عرعر إلى النجراني : « إننا نحمد الله على هذا الاتفاق الذي حصل بيننا وبينكم على حرب هذا المبتدع ، ونحن ان شاء الله سنقوم بمواجهتك ونتم الامر بينا وبينك على كيفية حربه ولا نطيل الأمر » . فكتب الحسن بن هبة الله إلى عرعر يقول له : « لو كان هذا الاتفاق قبل أن يجري

الصلح بيننا وبينه لا تنظم الامر على وفق خاطرك ، لكن الآن حصل مرادنا من الانتقام ، وقد طلب منا العفو ، ونحن أهل له عند القدرة ، وأعطينا فلا يمكننا ابدال القول ، أما أنت فعر مجربك معه ونحن لا نتعرض بشيء .

فلما وصل كتاب النجرائي الى عرعر وعرف مضمونه ، اغتم لانه كان يحسب انه معه ولان النجرائي وان كان عسكره قليلاً قدر ألف ومائتي رجل لكنه كثير الحماية والقوة والشجاعة . وقبيلة (يام) معروفة ، قيل من عاداتهم في الحرب انهم اذا حملوا لا ينكصون ولو قتلوا عند آخرهم ، ومن عاداتهم في الحرب ولو قتل كبيرهم فلا يحتلون ، ويقيمون أدنى شخص مقامه ، ثم ان عرعر كتب كتاباً آخر الى النجرائي يرغبه في الموافقة على حرب محمد بن سعود وذكر له أيضاً أنك إن وافقتني على قلعه من هذه الارض لك كل عام مائة ألف ذهب تصلك الى نجران ، فرد جوابه النجرائي قائلاً لا يكون ذلك ، كيف والشيعة هي حسن الوفاء بالقول ، نعم ان انت ادركت منه مرادك الآن فيها ، واذا أحدث علينا شيئاً ، فأنا بمجرد سماعه آتية لا يردني شيء عنه ، اما قتله أو الموت .

ولما آيس عرعر من اتفاق النجرائي معه حاصر الدرعية شهراً ولم يدرك شيئاً بما أراد فرجع الى الأحساء ...

وفاة

محمد بن سعود

في آخر ربيع الأول من عام ١١٧٩ هـ . - ١٧٦٥ م . توفي محمد بن سعود ، ويلقبه ابن غنام بالأمير ، ويعطيه ابن بشر لقب الإمام ، وأكبر الظن أنه لم يحمل في حياته هذا اللقب ، وإنما هو لقب أطلق عليه بعد وفاته ، وإن تكن كلمة « الإمامة » هي التعبير الشرعي الصحيح لرئاسة المسلمين ، الدينية والزمنية .

أولاده

خلف محمد بن سعود ولدين ذكرين ، هما : عبد العزيز وعبد الله وقد تولى عبد العزيز الإمامة (أو الأمانة) بعده .

وأما عبد الله ، فلم يتول الأمانة ، ولكن ابنه (تركي) أعاد الدولة بعد انهيارها ، وملك وتولى الملك أبنائه من بعده ، وما يزال فيهم .

وكان لمحمد بن سعود ولدان آخران ، هما : فيصل وسعود ، وقد استشهدا في حياته .

ويزعم فيليبي إنه كان لمحمد بن سعود ولد خامس ، يدعى (علي) ، وقد ورطه في هذا الخطأ كلام ابن غنام المسجع ... ولو رجع إلى ابن بشر لأدرك أن (عليا) هذا ابن الأمير محمد ، الذي قتل عام ١١٨٦ هـ . هو ابن محمد ، أمير ضرمى ...

هل زاحمه أخوه ؟

ويزعم فؤاد حمزة وغيره إن الإمامة لم تتم لمحمد بن سعود إلا بعد وفاة أخيه ثنيان عام ١١٦٠ هـ . ، وهذا القول غير صحيح ، ويزيد في بطلانه أن ثنيان ، كما يذكر ذلك ابن بشر ، توفي عام ١١٨٦ هـ .

توسع الدولة في زمانه

يمكننا القول إن محمد بن سعود قد شهد قبل موته نشوء أول دولة إسلامية عربية مستقلة ، في الدرعية .

وكانت هذه الدولة في ازدياد ، وكان خصومها في تناقص وتراجع ... وفي عهده ، ونحت زعامته وزعامة محمد بن عبد الوهاب ، تم توحيد أكثر بلاد العارض ، وشقت دولة الدعوة طريقها إلى الوشم ، حيث انضمت إليها الشقراء ثم الفرعة وبقيت ثمداء متمتعة ولكن الغزوات أضعفتها وامتدت الدولة إلى سدير ، والمحمل ، وشعيب ، وترنحت (الرياض) تحت ضربات الموحدين ، وطلبت السلم ومثت تحت راية ابن سعود في بعض غزواته - وإن عادت إلى التمرد بعد وفاته .

وهكذا ترك محمد بن سعود لأولاده إرثاً يتجاوز كثيراً إرث آبائه ، ترك لهم دولة تفرغ راياتها على أكثر من بلد من بلدان نجد ، ويتنشر دعائها وأنصارها في مختلف المدن والقرى والبادي النجدية .

وكان يهيمن على الناس هذا الشعور الذي يهد الطريق للفتح : شعور النصر للدولة الجديدة والرعب لخصومها ...

البَابُ الْخَامِسُ

سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهّاب

ان الله تعالى يبعث لهذه الامة في كل قرن من يجدد لها أمر دينها ، ويدعو الى واضح السبيل ومستبينها ، كي لا تبطل حجج الله وبيئاته ..
فكل عصر يمتاز فيه عالم بذلك ، يدعو الى تلك المناهج والمسالك وليس من شرطه ان يقبل منه ويستجاب ، ولا ان يكون ممصوماً في كل ما يقول ، فان هذا لم يثبت لاحد دون الرسول .
ولهذا المجدد علامة ، يعرفها المتوسمون ، وينكرها المبطلون ، اوضحها واجلاها : محبة الرعيل الاول من هذه الامة والعلم بما كانوا عليه من اصول الدين .. وأساها الاكبر الجليل : معرفة الله ..
وقد اختصمكم الله تعالى . من نعمة الايمان والتوحيد بخالصة ، ومن عليكم بجنة عظيمة صالحة من بين سائر الامة واصناف الناس في هذه الازمان ، فأتاح لكم من احبار الامة وعلماؤها :
حبراً جليلاً ، وعلماً نبيلاً ، فقيهاً عارفاً بما كان عليه الصدر الاول ، خبيراً بما انحل من عرى الاسلام وتحول ، فتجرد الى الدعوة الى الله ورد الناس الى ما كان عليه السلف .. وترك التعلق عن غير الله من الأنبياء والمصالحين وعبادتهم والاعتقاد في الأحجار والأشجار والميرون والمفار ..
« من رسالة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، الى الامام فيصل »

الفصل الأول

ولادة الشيخ وأسرته ونسبه وتعليمه

رؤيا سليمان

لا نخلو سير العظماء ، أو سير أكابرهم ، من أسطورة أو رؤيا ... يجعلونها بين يدي ولادتهم ، أو في أول طفولتهم ، كأنها تبشير أو إرهاب ... بما سيكون لهم من شأن !

وأنت نجد في الكتب الغربية ، التي تبحث في تاريخ نجد والحركة الوهابية ، قصة رؤيا رآها الشيخ سليمان بن علي آل مشرف تبشر بمجيء ولد من صلبه ، يغير معتقدات أهل نجد !

وقد بدا لنا أن نتبع هذه القصة في مصادرها الأولى ، فثبت لنا أن أول من نشرها في الغرب ، هو المؤرخ الفرنسي « كورانسيز » ، ولعله قرأها في تقرير أرسله « جان ريمون » عام ١٨٠٦ م . من بغداد إلى الامبراطور نابليون . قال كورانسيز :

« هناك قصة منتشرة بين النجديين ، وهي أن الشيخ سليمان بن علي ، رأى فيما يرى النائم أن شعله خرجت من بدنه وانتشرت في الصحراء فأحرقت خيامها ، ومضت إلى المدن فدمرت دورها .

وقد سأل سليمان بعض العارفين أن يفسروا له رؤياه ، فقالوا له : سيولد لك ولد ، يكون له في الدنيا شأن عظيم ومقام كريم ، يبطل معتقدات أهل نجد وعاداتهم ، ويدعو إلى الدين الحق .

... وتحقق هذا الحلم ، في حفيده محمد بن عبد الوهاب !

كان لقصة هذا الحلم دوي كبير ، وتناقلها كثير من المؤرخين والرحالة الأوربيين في صيغ مختلفة ، ويزعم « ملت بورن » أن أهل نجد ما صدقوا الشيخ محمد وتابعوه إلا بسبب هذا الحلم !

أما الكاتب الفرنسي دونارسيا - وهو من أوائل الفرنسيين الذين كتبوا عن الرواية - فيقول :

« إن أحداً لا يصدق أن هذا الحلم ... هو الذي حمل الشيخ على الدعوة إلى التوحيد ، أو كان ذا أثر في إقبال الناس على دعوته .

وأكبر الظن أن هذه القصة إنما وضعت بعد انتصار الشيخ ، وكانت « محاولة ساذجة » ، لتفسير نجاحه العظيم . »

وفي اعتقادنا أن هذه القصة ، وإن تكن موضوعة ، جذيرة بأن يشار إليها ، لكثرة المؤرخين الغربيين الذين تناقلوها ، ولأنها ... سمعت قديماً في مجالس بغداد ! وهي ، بعد ذلك ، حلم ... لا يترتب عليه حكم !

ولادة محمد بن عبد الوهاب

كانت (العينة) أجمل بلدان نجد وأغناها ، وكان عدد سكانها خمسة وعشرين ألفاً .

وكان في العينة بيتان رفيعان : بيت الإمارة ، أسرة آل معمر ، وبيت الزعامة الدينية والعلم : أسرة آل مشرف .

وآل مشرف من بيت الرئاسة في بني هميم ، فنسبهم عريق ، ومجدهم قديم ، ولهم في الجاهلية وأول الإسلام مفاخر لا تحصى ؛ ولكنهم جمعوا إلى النسب ، فضيلة العلم والدين والصلاح ، ففهم العلماء الفقهاء ، ومنهم المفتون والقضاة ، كان

العلم يجري في دماغهم ، فهم يتوارثونه كبراً عن كبر ، وقد عرف التاريخ ، في الشرق والغرب ، أسراً ، كآسرة آل مشرف ، كان ينبغ فيها الأطباء أو القضاة أو الشعراء ، جيلًا بعد جيل ، والله سبحانه يختص بنعمته وبركته من يشاء !

وفي عام ١١١٥ هـ . بُشِّرَ الفقيه العالم ، الشيخ عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف بولادة ابن له ، فسماه (محمداً) ، تيمناً باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يرجو أن يصبح ابنه ، متى كبر ، عالماً وقاضياً مثله ... ولكن القدر أعدّه لمقام أعظم من ذلك كثيراً !^(١)

١ - يقول زيني بن دحلان ان ولادة الشيخ كانت عام ١١١١ هـ . وتقول لادي بلنت انه ولد عام ١١٠٣ هـ . ولكننا اخترنا سنة ١١١٥ هـ . اتباعاً لمؤرخ الشيخ (ابن خنم) ، فهو أعلم منهما بذلك .

ويذكر ابن بشر ان السلطان العثماني (مصطفى) خلع في نفس السنة التي ولد فيها محمد بن عبد الوهاب ، وتولى مكانه اخوه السلطان (احمد الثالث) .

والحق ان تلك السنة كانت نعمة على تركيا ونجدة . أما نجد فسوف ينقلبها وليد هذا العام من الظلمات الى النور . وأما تركيا فقد تخلصت من سلطان مدمن للخمر ، منحل في الرذيلة ، وتولاهما سلطان محب للعلم والأدب ، أنشأ أول مطبعة في مدينة استانبول ، واستطاع قهر الروس الذين ظلموا في اغتصاب جزء من ممتلكاته !

والد الشيخ : عبد الوهاب بن سليمان

كان عبد الوهاب عالماً فقيهاً ، وإن لم يبلغ درجة أبيه سليمان ، ويقول الفقيه إنه كان « مثلاً للعدل والفضل ، وألف عدة رسائل في الفقه والتفسير ، وكان مشهوراً عند الناس بالتواضع وسهولة الأخلاق ، وكرم الطباع ولين العريكة ، وكان يقرأ لطلاب العلم في مسجد العينة دروساً في الفقه والتفسير والحديث . » وفي عام ١١٣٨ هـ . وقع في العينة الوباء المشهور الذي أفنى غالب أهلها ، ومات فيه أميرها الذي لم يكن أحد يضاهيه في نجد - في الرئاسة وقوة الملك والعدد والعدة والعقارات والأثاث - وتولى بعده حفيده الملقب بجرفاش ، فوقع اختلاف بينه وبين عبد الوهاب ، فعزله عن القضاء ، فانتقل عبد الوهاب ، عام ١١٣٩ هـ . ، إلى حريلا ، وتولى قضاءها ، وبقي مقيماً فيها حتى وفاته ، عام ١١٥٣ هـ .

وخلال ذلك ، عاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب من رحلته الطويلة إلى نجد ، فأقام عند أبيه في حريلا ، وكان يدعو إلى التوحيد وينكر ما تفعله العامة من الشرك والبدع ، قال ابن بشر : « وكثر منه الانكار لذلك ولجميع المخطورات ، حتى وقع بينه وبين أبيه كلام وكذلك وقع بينه وبين الناس في البلد . »
ويزعم المؤرخ الفرنسي « ميشو » ان عبد الوهاب كان يتعاطى أو يتروخص في نوع من الربا ، وأن ذلك كان سبب عزله من القضاء ، ثم كان سر الخلاف

بينه وبين ابنه ، وهذه التهمة ، فيما نعتقد ، محض افتراء ، فالخلاف الذي قام بين الشيخ وأبيه ليس أكثر من مظهر من مظاهر حب الأب الشديد لولده وخوفه عليه من انتقام الأمراء وعداوة الرؤساء ، فكان يأمره بالاعتدال والقصد ، وأخلاق عبد الوهاب كانت فوق مستوى الشبهات ، يشهد له بذلك رجال عرفوا بخصومتهم للحركة الوهابية ، كابن دحلان ، الذي وصف عبد الوهاب بأنه « من العلماء الصالحين » ، وربما مدح الأب ، لينال من الابن ، والله أعلم .

ويقول جان ريمون ، في تقريره إلى الامبراطور نابوليون : « كان عبد الوهاب يعتقد نفس الأفكار التي يدعو إليها ابنه ، ولكنه كان كثير الخوف على نفسه وولده ، فما كان يجب أن يعرف عنه ذلك . » ^(١)

١ - يقول فيلي : (لقد قيل ان الوالد عد كثيراً من المرات الى حد جوح ذلك الشاب الذي كانت حماسه للعمل في سبيل الله ... في مجتمع غير مستعد لقبول فكرة ترك الحياة السهلة . كانت مراعاة احكام الاسلام صفة لجميع اولئك الذين يحترمون انفسهم في نجد ... الا انهم كانوا يشفقون على الجبهة ... ويترخصون في تطبيق الشعائر الاسلامية .)

جده : سليمان بن علي

كان جده ، سليمان بن علي ، قاضي العينة في زمن عبدالله بن معمر ،^(١) وكان أعلم رجال نجد وأفقههم ، بل كان مرجعهم في الفقه الحنبلي ، يأتي إليه الناس من الأماكن البعيدة لأخذ العلم عنه ، ويكتبونه ليظفروا منه بالفتاوى الرشيدة والأجوبة السديدة ، على مسائل استعصى على العلماء الآخرين حلها !

ويقول « الفقي » إن الشيخ سليمان اشتهر ، فوق علمه وخلقه ، بكثرة البذل وإكرام الفقراء من طلبة العلم وغيرهم من الوافدين إليه ، وكانت تطمح إليه أنظار طلاب العلم والفقه الحنبلي ، وتلمذ له أكثر علماء نجد في علمي التفسير والحديث ، وكان لشدة شغفه بنشر العلم وتعليمه ، يؤوي طلاب العلم وفقراء التلاميذ في داره وينفق عليهم من خالص ماله ، وكان ذا هيبة ونفوذ لدى الولاة والأمراء في مختلف جهات نجد ، فكان ملاذاً وملجأ لكل المظلومين .

ويقول ابن بشر إن الشيخ سليمان ، المتوفى عام « ١٠٧٩ هـ » ، كان « فقيه زمانه ، متبحراً في علوم المذهب ، وانتهت إليه الرياسة في العلم » ، « .. وأخذ عنه جماعة ، منهم ابنه عبد الوهاب .. »

« .. رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة وصنف كتاباً في « المناسك » . وذكر لي أنه شرح « الإقناع » ، فلما علم أن منصوراً البهوتي ، شرحه ، أتلّف

١ - ذكر ابن بشر لسابقته في عام « ١٠٧٢ » أن أمير العينة عبدالله بن معمر سار في عسكره إلى قرية البير ومعه القاضي سليمان بن علي .

سليمان شرحه ، !

ويستدل « فيلي » ، بهذه الحادثة ، على أن سليمان كان ذا شخصية فذة !
وعندنا ، أن هذا العمل إنما يدل على عظمة الشيخ البهوتي وجلالة قدره في نفس
سليمان ، فقد كان الشيخ البهوتي أكبر علماء الحنابلة في زمانه ، وينقل ابن بشر
نفسه عن بعض المشايخ القدامى أنهم كانوا يقولون : « كل ما وضعه متأخرو
الحنابلة من الحواشي على أولئك المتون - يعنون الإقناع والمنتهى - ليس عليه
معول ، إلا ما وضعه الشيخ منصور ، لأنه هو المحقق لذلك ، إلا حاشية البهوتي ،
لأن فيها فوائد جليلة » .

نسب الشيخ

آل مشرف

كانت أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعرف ، في زمانه ، باسم « آل مشرف » .

وبين الشيخ ، وبين مشرف ، رأس الأسرة ، تسعة آباء ، فهو :
« محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد
ابن محمد بن بريد بن مشرف » .^(١)

الوهبة

وقبل مشرف ، كانت الأسرة تعرف باسم « الوَهْبَة » نسبة إلى وهيب .
ومنها : (آل ثاني) ، أمراء قطر .^(٢)

وقد ساق لنا ابن بشر أسماء آباء « مشرف » ، حتى « وهيب » ، على النحو
التالي :

« مشرف بن عمر بن معضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب »

١ - واسقط (ابن بشر) من السلسلة اسمي (بريد بن محمد) وتابعه في ذلك عدد من المؤلفين .

٢ - عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية .

زيد مناة

وينتمي الوهة إلى زيد مناة بن تميم .
وتورد لنا كتب الأنساب أسماء آباء وهيب حتى زيد مناة ، على النحو الآتي :
« وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيح بن نهشل بن شداد
ابن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي مسعود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد
مناة بن تميم » (١) .

التقاؤه بنسب النبي محمد (ص)

يذكر النسابون أن تميم هو : « تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان » .
وسواء أكانت هذه السلسلة كاملة الحلقات ، أم لم تكن كاملة ، فإن النسابين
مجمعون على أن تميم من ذرية « الياس بن مضر » ، وبذلك يلتقي الشيخ محمد بالنبي
محمد (ص) . في جدتهما الأعلى المشترك : « الياس بن مضر » .

بنو تميم

إذا خرجنا من دائرة الأسر والبطون ، وجدنا الشيخ ينتمي إلى قبيلة
(بني تميم) أو (تميم) اختصاراً ، وهي من أقوى قبائل مضر ، العدنانية ،
وأكثرها عدداً ، وأشهرها في التاريخ .
يقول الفرزدق :

(ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا)

١ - انظر كتاب « الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب » للمفيري ، وقد اخطأ مؤلف
الكتاب بزعمه أن زيد هو ابن مناة ، وإنما هو شخص واحد : فقد جاء في كتاب « الاصنام »
لابن الكلبي : « تميم بن مر ، سمي ابنه : « زيد مناة » . » ، كما يقال « تميم اللات » مثلاً . وهذا
شيء معروف !

وهناك البيت المشهور :

(إذا غضبت عليك بنو تميم

حسبت للناس كلهم غضاباً !) .

هكذا كانت تميم في مرحلة البداوة ، تسير فيسير الناس خلفها ، وتغضب فتغضب الدنيا كلها !

ثم تكاثرت تميم ، وتحضرت ، وتفرقت بين الأسر ، وتوزعت بين البلدان ، ولم تتعد لها « نخوة » عامة يلتقي عليها أفرادها في الحروب والنوازل .^(١)

صفات بني تميم

يقول « بركرات » في كتابه « مواد لتاريخ الوهابيين » :

« كان عبد الوهاب من بني تميم ، وكلهم ، تقريباً ، زراع ... وأهم مساكنهم ، في نجد : الحوطة ، على بعد أميال كثيرة على الأقدام من الدرعية . وتوجد جالية ثانية من تميم ، هاجرت من الحوطة إلى قفار في جبل شمر ، خوفاً من النار والدم .

وهناك جالية ثالثة ، نزلت في حمى والي بغداد ، في القرى القائمة بين (الحلة) و (مشهد علي) .

وقد اشتهر رجال بني تميم بطول قاماتهم ، وضخامة هاماتهم ، ولحام الكنة ، وبذلك يتميزون من سائر البدو ..

١ - يقول عمر رضا كحالة في كتابه : « معجم القبائل العربية » : « تميم .. قبيلة أصبح أفرادها من حاضرة نجد ، وجبل شمر والداكر النجدية تحوي عناصر من تميم ، ونظراً لتحضرها فقد انصدمت من بينها الميزات التي تميز الأفخاذ والمشاير ولم يمد بالامكان تفريقها الى فرق . غير انه يمكن القول ان الموجود في نجد من تميم يمكن حصره في ثلاثة بطون وهي :

١ - بطن حنظلة بن مالك بن زيد مائة بن تميم « ومنهم الوهبة ، بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل ثاني امراء قطر » .

٢ - بطن سعد بن زيد .

٣ - بطن عمرو بن تميم .

وهم قوم مدنيون ، أعني يقيمون في المدن ويشغلون في الزراعة والتجارة ، وقد اشتهرت أسر منهم بالعلم والفضل ، وفي مقدمتها أسرة آل مشرف ، التي ينتمي اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
أما مذهبهم فذهب الإمام أحمد بن حنبل .

الشيخ والعصية القبلية

يقول والي الشام ، في تقرير عن الحركة الوهابية رفعه الى السلطان العثماني :
« ليس الشيخ محمد بن عبد الوهاب رئيس قبيلة ، ولا صاحب عصية قوية يجب لها حساب . »

وهذا كلام حق . فالشيخ لم يكن رئيس عشيرة ، ولا صاحب عصية ، وقد أكرمه الله بأن جعله زعيم أمة وإمام دعوة ، يتدي بها الناس جيلاً بعد جيل ، فما كان له أن يوقظ في بني تميم حمية الجاهلية ودعائها .
على أن الشيخ سواء أكان رئيس عشيرة أم لم يكن ، فقد كان من بيت الزعامة ، نسباً وحسباً .

فإن كان بنو تميم لا يلبون نداءه ولا يرفعون لواءه ، لانعدام « النخوة » الواحدة بينهم ، فإن شرف محتده ، ومقام أسرته الرفيع ، يجعلان له في النفوس موضعاً كريماً !

١ - اورد كتاب « لمع الشهاب » ، شجرة نسب للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ليس فيها صحيح ، الا اولها وهو ان الشيخ هو ابن عبد الوهاب .. وآخرها وهو ان جده الاعلى : زيد مناة ابن تميم ، واما بقية الاسماء فما ندري كيف جمعها او جمعوها له . ونحن نشبت هذا هذه الشجرة الموضوعة ، لهرد الاطلاع عليها ، والحذر منها ، قال !

« حدثنا عبد الله بن غنم الاحمائي اخبرنا محمد بن ماجد نبأ محمد بن ماضي النجدي والكل ثقة ان محمد بن عبد الوهاب هو من بني سنان قبيلة من تميم ، فهو محمد بن عبد الوهاب بن « محمد » ابن علي بن سعد بن سلمة بن فلاح بن عبد الواحد بن حميد بن سالم بن سنان بن عبد الله بن حجلان بن عمر بن وهب بن نافع بن شبيب بن زيدان بن عامر بن مالك بن عدى بن سرداح ابن كعب بن زيد بن عبد الله بن حمد بن معاوية بن قيس بن ربيعة بن ضعضعة بن عامر بن بكر ابن هوازن بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم .
هذا ما صح لنا من نسبه والله أعلم ! »

نشأة الشيخ وتعليمه ومواهبه

نشأ الشيخ في بيت علم وقضاء وزعامة دينية ، فليس يستغرب منه أن يكون فقيهاً عالماً ، بل المستغرب أن يكون غير ذلك !

فإن كان الشيخ لم يدرك جده علامة نجد ، سليمان بن علي ، لأنه مات قبل ولادته بمدة غير يسيرة ، فقد كان جو نجد عابقاً بعطره ، ندياً بذكره !

وحينما أدار طفلنا النابه نظره - بين أقربائه من بيوت آل مشرف - لا يقع إلا على قاض أو فقيه أو طالب عالم : فأبوه « عبد الوهاب » قاضي العينة وعالمها ، وعمه « ابراهيم » عالم فقيه ، وابن عمه « عبد الرحمن ابراهيم » عالم فقيه ، وأخوه « سليمان » مقبل على العلم ، وكل هؤلاء مشهود لهم بالخلق والذكاء ، وهناك عشرات غيرهم ! لم يترك « محمد » داره ، ليذهب الى المدرسة .. كما يفعل أطفال اليوم ، فقد كانت داره نفسها هي المدرسة ، وكان أبوه نفسه هو المعلم .. وهكذا ولد « محمد » في حجرة الدرس ، ولما فطمته أمه عن درّتها ، تولى أبوه تغذيته بالعلم وتعهده بالفضيلة .

يصف لنا « ابن غنام » طفولة الشيخ وصفاً جميلاً ، فيقول :

« ولد ، رحمه الله تعالى ، سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية في بلدة العينة من البلدان للنجدية ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وجلا به عن طرف الدهر وسنا .

وبقي ، بعد سن الطفولة زمناً يتعلم .. القرآن ، معتزلاً ، في غالب الأوقات

لعب الصبيان ، وهو الجهال والغلمان ، حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر .

وكان حادّ الفهم سريعاً ، وقاد الذهن ذكياً ، سريع الحفظ ، فصيح اللفظ ، ألمعي الفطنة ..

.. و « كان عبد الوهاب ، أبوه ، يتعجب من فهمه وإدراكه ، قبل بلوغه .. ويقول :

« استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام » !

.. وكتب إلى بعض إخوانه رسالة نوّه فيها بشأنه ، بثني فيها عليه وأث له فهماً جيداً ، وقال : لو يلازم الدرس سنة على الولاية ، لظهر في الحفظ والاتقان آية ..

وهذه الجملة الأخيرة ، قد يفهم منها أن الشيخ محمد لم يكن يلازم الدرس ملازمة موصولة مستمرة ، ولعله لم يكن راغباً في حفظ الكتب عن ظهر قلب كما حفظ القرآن مع أنه ، ولو اتصل حفظه سنة كاملة ، لحفظ من كتبهم شيئاً عظيماً .. وتلك كانت - فيما يبدو - رغبة والده ، ولكنها لم تكن رغبة الولد !

ولما بلغ محمد بن عبد الوهاب السنة الثانية عشرة ، أدرك سن الاحتلام ، أو (البلوغ) الشرعي ، فاستبشر بذلك والده خيراً كثيراً ، ورآه صالحاً للعلاة بالجماعة ، بعد أن اجتمع له شرط البلوغ والعلم ، فقدمه للإمامة ، ثم زوجته !

وسأل (محمد) أباه الحج ، فأذن له بذلك ووفر له أسبابه ، فحج ، وزار المدينة المنورة وأقام فيها شهرين ، ثم عاد إلى العينة ، يتابع الدرس على أبيه .

لم يحدد لنا « ابن غنام » المدة التي قضاها الشيخ في العينة مع أبيه ، بعد عودته من الحج ، وإنما اكتفى بالقول إنه « أخذ في القراءة على والده في الفقه ، على مذهب الإمام أحمد ، فملك فيه الطريق الأحمد ، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة ، فكان يحير أصحابه بحيث أنه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراماً ، من غير سامة ولا نصب ... ثم بعد ذلك رحل في العلم ، وسار وجد في الطلب إلى ما يليه من الأمصار ... »

وخلاصة القول في طفولة الشيخ ، أنه كان طفلاً عبقرياً ، تفتحت مواهبه في سن مبكرة جداً ، ونضج وبلغ مبلغ الرجال ، قبل الأوان ، فكان ذلك ، لا الرؤيا المزعومة ، أكبر إشارة إلى ما سيكون له من شأن عظيم ومقام كريم .

الفصل الثاني

رحمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

كان محمد بن عبد الوهاب - كما رأينا - فتى نابغاً ، محباً للعلم ، وكان أبوه عارفاً بمواهبه ، معتزاً به ، فلا عجب إذا أذن له بالسفر الى البلدان العربية الأخرى لسماع الأحاديث والاستزادة من المعرفة ، وكان من عادة أهل نجد ، أن يرحل فتيانهم النابغون في طلب العلم الى الأمصار القريبة والبعيدة ، بل كان هذا شأن العلماء الأجلاء ، فضلاً عن المتعلمين المبتدئين .

« قيل للإمام أحمد : رجل يطلب العلم ، يلزم رجلاً عنده علم كثير ، أو يرحل؟ فقال أحمد : يرحل.... يكتب عن علماء الأمصار !

وقال الدكتور أبو شبة ، في كتابه « أعلام المحدثين » :

« لعل بما يتميز به أئمة العلم في الاسلام ، ولا سيما أئمة الحديث ، كثرة الارتحال وملازمة الأسفار ، وقد جروا في ذلك على سنن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، فقد كان الواحد منهم يبلغه الحديث بطريق الثقات فلا يكتفي بهذا ، بل يرحل الأيام والليالي حتى يأخذ الحديث ممن رواه بلا واسطة !

ومن ارتحل في سبيل العلم والرواية الأئمة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد

وغيرهم . وان منهم من لم يذق طعم الإقامة والاستقرار طيلة حياته .
وقال الشيخ عبد اللطيف ، في كتابه : « مصباح الظلام في الرد على من كذب
على الشيخ الامام » : « .. قد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله .. وقد
اجتمع بأشياخ « الحرمين » في وقته ومحدثيها ، واجازته بعضهم ، ورحل الى
« البصرة » وسمع وناظر ، والى « الأحساء » ، وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء ، فسمع من
أشياخها ، وباحت في أصول الدين ومقالات الناس في الإيمان وغيره ... فقد كان
أهل العلم سلفاً وخلفاً يسمعون الأحاديث ويروونها ، ويحفظون السنن ويستنبطون
منها الأحكام ، وهذا عندهم هو الغاية التي يرحل اليها المحدثون ، وينتهي اليها الطالبون ،
وليس من عادتهم القراءة في كتب الرأي والفروع . » .

والحق .. إن الإرتحال في طلب العلم وسماع الحديث من عادة العلماء في كل
مذهب ، ولكن الحنابلة كانوا أكثر طلباً للحديث ، لزهدهم في كتب الرأي !

رحلة الشيخ

متى بدأ الشيخ رحلته في طلب العلم ؟ ومتى انتهى منها ؟ وكـم أقام في كل
بلدة ؟ ومن هم أشياخه ؟ وما هي الأمور الجليلة التي وقعت له في رحلته ؟
تلك هي الأسئلة - أو بعض الأسئلة - التي كان ينبغي لمؤلفي سيرة الشيخ أن
يجيبوا عنها ، ولكنهم لم يفعلوا ، وما كتبه مؤرخا نجد : « ابن غنام » و « ابن
بشر » ، عن رحلة الشيخ ، إنما هو وصف مختصر ، لا غناء فيه !
لذلك بحث المستشرقون عن مصادر أخرى تعينهم على فهم هذا الجزء الخطير ،
الغني ، من حياة الشيخ ، الذي نسميه : رحلة الشيخ ، وهو ، في حقيقته : شباب
الشيخ كله ، أو أكثره !

وكان المصدر الذي رجع أكثرهم اليه واعتمد عليه ، هو كتاب : « لمع
الشهاب » ، في سيرة محمد بن عبد الوهاب ، وهو الكتاب المخطوط ، المحفوظ ،
في مكتبة المتحف البريطاني بلندن .

سبداً بوصف رحلة الشيخ ، كما يرويها ابن غنام وابن بشر ، ثم ثبت رواية

«لمع الشهاب» وتتبع ذلك بنقد لرواية الدع، نشير من خلاله إلى أقوال المستشرقين والمؤلفين المحدثين .

الرحلة في ابن غنام

بعد «ابن غنام» المؤرخ الأول، والأكبر، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد حفظ لنا في كتابه كثيراً من رسائل الشيخ وأجوبته على المسائل، وأخبار الغزوات التي تمت في عهده، ونحو هذا ..

أما رحلة الشيخ، فيختصرها لنا ابن غنام بقوله: إن الشيخ رحل إلى الأقطار.. فقصد الحجاز والبصرة مراراً، وقصد الأحساء .. ثم عاد إلى نجد !

ومن الإنصاف أن نضيف إلى ذلك أن ابن غنام حدثنا عن عالم نجدى - وهو الشيخ عبد الله بن إبراهيم - لقيه الشيخ في المدينة المنورة، فأجازه من طريقين، يعني: أجازه برواية حديثين من أحاديث الرسول (ص)، عرف الأول باسم «المسلسل بالأولوية»، وهو: «الراحمون يرحمهم الله. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، والثاني عرف باسم «المسلسل بالحنابة»، وهو: «إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله. قالوا: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته».

وحدثنا ابن غنام أيضاً عن إقامة الشيخ في البصرة، فقال إنها كانت طويلة، وأنه قرأ بها النحو والكثير من اللغة والحديث، ورفع فيها أعلام التوحيد، ونهى عن ذكر شارات الطواغيت أو الصالحين الذين كانوا «يعبدونهم مع رب العالمين»، في مجاله، وبيتن للناس أن حبة الصالحين ليست في صرف الحقوق الربانية إلى قبورهم ولكنها في اتباع هديهم، وإن فاساً من مشركي البصرة كانوا يأتون إلى الشيخ بشبهات، فيقول لهم الشيخ: «لا تصلح العبادة كلها إلا لله»، فيبهتون !

الرحلة في ابن بشر

في المدينة

يقول ابن بشر إن الشيخ أقام في المدينة ، وطلب العلم على الفقيه النجدي الشيخ عبد الله بن إبراهيم ، من آل سيف ، رؤساء بلد « الجمعة » في سدير ، وعلى المحدث الفقيه الشيخ محمد حياة السندي .
ويروي لنا ابن بشر قصتين لطيفتين وقعتا للشيخ في المدينة مع هذين العالمين .

الأولى : مع عبد الله بن إبراهيم :

قال الشيخ :
(كنت عنده يوماً) فقال لي :
تريد أن أريك سلاحاً أعددتَه للجمعة ؟
قلت : نعم !
فأدخلني منزلاً عنده ، فيه كتب كثيرة ، وقال :
هذا الذي أعددتَه لها . !
ما أبلغ هذه القصة ! إن سلاح العلم أفضل سلاح ، لأنه يجيبي ولا يقتل !

الثانية : مع الشيخ محمد حياة :

قال ابن بشر :
« حكى أن الشيخ محمداً وقف يوماً عند الحجرة النبوية ، عند أناس يدعون ويستغيثون عند حجرة النبي (ص) .
فرآه محمد حياة ، فأتى إليه ، فقال الشيخ : ما تقول في هؤلاء ؟
قال : « إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون » .
... فشبهه مثل العاكفين على الضريح الطاهر بعمل عبدة الأوثان .

في البصرة والاحساء

يقول ابن بشر إن الشيخ قرأ ، في البصرة ، عند عالم جليل ، اسمه : « محمد الجموعي » ، في مدرسة له ، وكان الجموعي يستحسن ما يقوله له الشيخ في التوحيد ، فقرّره له ، وانتفع به ، وكان أولاد الجموعي أحسن أهل بلدهم صلاحاً ومعرفة بالتوحيد ، ببركة اجتماع الشيخ بوالدهم .

ولكن رؤساء البصرة هالم ما ينكره الشيخ من معتقداتهم وعاداتهم ، فتجمعوا عليه وآذوه أذى شديداً وأخرجوه من البصرة ، في وقت الهجرة ، « فلما خرج الشيخ من البصرة ، وتوسط في الدرب فيما بينهم وبين بلد الزبير ، أدركه العطش وأشرف على الهلاك ، وكان ماشياً على رجله ، وحده ، فوافاه صاحب حمار مكاري يقال له « أبو حيدان » ، من أهل الزبير ، فرأى عليه الهيبة والوقار وهو مشرف على الهلاك ، فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الى الزبير .

ثم إن الشيخ أراد أن يصل الشام ، فضاقت نفقته التي معه ، فانتشى عزمه عن المسير إليه ، لما أراد الله سبحانه ، الذي يعلم السر وأخفى ، أن يمضي أمره ويعلي كلمته ، ويجتمع أهل نجد بعد تفرقها على إمام واحد ، ويزيل عنها شعائر الكفر والبدع ، فخرج من تلك الديار وقصد الأحساء ، فلما وصل اليه نزل على الشيخ عبد الله بن محمد عبد اللطيف الشافعي الأحسائي ، ثم انه خرج من الأحساء وقصد بلد حريلاء .

رِوَايَةُ "لَمْعُ الشَّهَابِ" عَنْ حَنْبَلِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

قال مؤلف اللع :

« أنبأنا من يوثق به ، عن بعض المعاصرين للشيخ النجدي محمد بن عبد الوهاب ، أنه طلب العلم وهو حدث ، وكان يبالغ في الطلب ، ذكي الفهم ، حريصاً على التعلم ، وكان يقرأ على يد رجل اسمه « الشيخ عبد الرحمن بن أحمد » ، من أهل بريدة ، هاجر من بلده إليها ولازم صحبته ست عشرة سنة حتى أدرك منه علوم الآلات من العربية كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ، وقرأ عليه الحديث النبوي ، منه كتابا البخاري ومسلم ومسند أحمد بن حنبل ، ثم بعد ذلك اتبع للشيخ « حسان التميمي » في بلاد القصيم ، وتلمذ على يده في علم الفقه والتفسير سبع سنين حتى صار ماهراً يرجع إليه في الفتوى ، فلما بلغ عمره سبعاً وثلاثين سنة خرج من أرض نجد قاصداً البصرة .

في البصرة

فحين دخل البصرة أخفى أمره بما هو فيه من العلم وتلبس بلباس العبادلة ، وجلس في مسجد محلة المجموعة ، وقيل إن بعض التجار من أهل نجد صادفوه فعرفوه فأنكرهم لما سألوهم عن حاله ومنزله ، وكانوا يتحدثون فيه في مجالس أهل البصرة ويقولون :

« ها هنا شيخ من نجد ، كذا وكذا علمه وشهرته ، فظن ، ليب ، لقيناه بالأمس فعرفناه ، وأنكرنا ، فتحذروا من أن يحدث في بلدكم شيئاً » ، وإلها قالوا

ذلك عداوة له لأنه أخفى أمره عليهم فلم يستحسنوه ، فتجسس بعض الناس عنه فاطلعوا عليه وسألوه عن شأنه فلم يجيبهم بشيء فرفعوا خبره إلى الحاكم وكان حينئذ « عمر آغا » ، مسلم البصرة ، فأرسل عقبه شروطاً « شرطة » ، فأنوه به وأخذ يتحدث معه ويبيدي له محبة وإكراماً فرآه يجلساً عاقلاً ذا فنون من العلم والأدب ، فناده أياً ما وهباً له سكناً وموئدة ، ورغب كثير من أهل البصرة بصحبته وكان من جملتهم الشيخ « أنس » من كبار أعيان البصرة ، « فتعاسد » الخلق حينئذ من صحبته ، حتى قيل إنه من شدة الازدحام عليه يُنصب له كرسي فيجلس والجماعة تحديق به ، فيحدث بالأحاديث الغريبة ويفسر بالتفاسير العجيبة ، وقد أقام على هذا أربع سنين ، فلما عزل عمر آغا عن البصرة وحكمها الجرجيس آغا ، عزل شهاب الدين الموصلقي القاضي البصرة ، وجعل القاضي حسين « الإسلامبولي » مكانه ، وقد أنبىء القاضي حسين بن محمد بن عبد الوهاب وصيته ، فأرسل إليه : « إنني أريد زيارتك غداً » ، فقال : « حياً وكرامة ! » ، فعين أصبح الصباح ، ركب القاضي حسين مع تلاميذه وحشمه حتى أتوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلما سمع بوصولهم إلى الباب ، قام « فالتقى » القاضي وعانقه وأجلسه في أعلى المجلس ، فقال القاضي حسين : « أيها الشيخ ، بلغني أنك تحدث الناس بأحاديث لم تعهد في كتب العلماء وتفسر القرآن بوجوه لم ينزلها رب السماء ، أتريد أن تحدث أمراً في الدين أم اشتبهت عليك طريقة المسلمين ؟ فإن لم تمتنع عن تلك الشبهات الواهية وإلا فيهدر دمك ويهلك حرمك » .

فتعذر هو من القاضي وحلف بالله ما قال شيئاً مما نقل إليه ، وأخذ يظهر الإخلاص وبلتس ، ويبيدي العجز والإنكار ويقول : « رجل غريب طالب علم ، حلّ بأرضكم ، إن رفقم به فثلكم من يكرم الضيف ، وإن « أسأموه » فلا ضرر ولا حيف ! »

فلما سمع القاضي حسين منه هذه الكلمات أمنه ، وسار إلى بيته .

فلم يمض ثلاثة أيام حتى أرسل « القاضي » إليه بأن « الصلاح في شأنك أيها الشيخ أن تنزل عندنا وتكون مدرساً بالعربية وغيرها من الشرعيات بحضرتنا ،

ولك على ذلك وظائف وافرة ، ، فبادر ، مسرعاً ، الى إجابة القاضي ، فأقام عنده يدرس بعض المترددين إليه بالحكم الإلهي والشرعي ، وتضرع الى القاضي أن يعلمه شيئاً من علم الهيئة والهندسة ، لأن القاضي حسين كان مشتهراً بعلوم الرياضة ، لا سيما بهذين العلمين ، فقرأ عليه شرح « أقليدس » ، شرح المأمون العباسي ، وكتابي المجسطي واللمعيني في الهيئة ، ولم يزل كذلك إلى أن مضى عامان ، فخرج من البصرة مستخفياً ، لم يعلم به أحد ، وسار الى بغداد ، فالتبس بالقاضي خبره ، فلم يعثر عليه حتى جاء جمع من بغداد فنبأوه عن حاله وأنه بلغ بغداد ، فقال القاضي حسين : أعوذ بالله من شر هذا الرجل وما فيه من الرأي ، كاد يهدم الشريعة ، لولا أن خاف على نفسه ، وستعلمون ما يكون منه بعد ذلك .

الشيخ في بغداد

وأما هو - أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - فقد دخل بغداد ونزل مدرسة الوزير واشتغل بدرس علم الكلام على يد الشيخ عبد الرحيم الكردي الشافعي ، وقرأ عليه كتاب « صحايف الأعمال » و « مقاصد التفتازاني » .

حكى لنا رجل بغدادي أن محمد بن عبد الوهاب أقام في بغداد في المدرسة المعروفة بمدرسة الوزير سنتين ، لم يخرج منها الى سوق أو « شوارع » قط ، ثم إنه طلع يوماً من المدرسة بعد السنتين فسلك طريقاً لا يدري أين يفضي ، حيث أنه لا يعرف أحداً من بغداد ، فرأى هنالك جماعة من الناس يتخاصمون في ميوات بينهم ولم يعرفوا قسمته ، فقال لهم : « أنا أدفع النزاع ، وأبين الأوزاع . » ، فقبلوه حكماً ، فسألهم : كم أنتم من الورثة ؟ قالوا : أربعة رجال وخمس نسوة . قال : المال ، كم هو ؟ فقالوا : كذا وكذا ، مثلاً .. فقسم بينهم حسب القسمة الشرعية ، وكان هذا النزاع بينهم منذ أيام عديدة ، لم يرتضوا في فصله حكم أحد .

وكان بتلك الحلة مسجد جامع كبير ، وعليه وقف كثير ، فأشار اليهم أن يقيم عندهم ، ويصلي بهم الجمعة وبقية الفروض اليومية ، فاتفقوا على ذلك وأسكنوه

منزلاً وتزوج منهم امرأة ذات مال وجمال ، فلبث عندهم ثلاث سنين ، فقيل ورث منها ألفي دينار .

الشيخ في كردستان :

وفي العام السادس من وصوله بغداد سار منها الى كردستان حتى دخلها ولم أدر أي مدينة أم أي قرية حل فيها ، إذ الراوي لم يعين لي اسمها وأنا ملتزم في هذه الأوراق أن لا أقول إلا ما سمعته وحققته ، فاستقرى ديار الأكراد ، بلداً بلداً ، وقرية قرية ، سنة بتمامها .

الشيخ في همدان :

فخرج يريد إيران حتى بلغ همدان فأقام بها سنتين بدّرُس ويدّرُس ، ومن عجيب حاله أنه كان يغير اسمه في كل بلد ، قيل سمى نفسه في البصرة بعبد الله وفي بغداد بأحمد وفي الكرد بمحمد وفي همدان بيوسف .

الشيخ في اصفهان :

وهكذا لم يزل يتخذ التورية والابهام ، فسار من همدان الى اصفهان . وسكن المدرسة العباسية التي بناها شاه عباس الصفوي وكان ذلك آخر عهد الصفوية وأول سلطنة نادر شاه ، وطلب هناك علم الحكمة المشائية على يد ميرزاجان الاصفهاني المحشي على شرح التجريد فقرأ عنده شرح ملا علي القوشجي على التجريد ثم قرأ شرح المواقف للسيد شريف الجرجاني ثم قرأ حكمة العين فلم يمضِ أربع سنين إلا وقد كمل في علم الحكمة المشائية وشرع يدرس فيها، وهو مجهول الحال لا يعرف أهل اصفهان من أي الممالك والطوائف هو، وكانوا يقولون ما رأينا عربياً يستكمل في علم الحكمة غير هذا الرجل ، ثم انه أقام بعد ذلك باصفهان ثلاث سنين يطلب فيها علم الاشرافية وممالك التصوف واني سمعت بعضاً من أهل البصرة يقول

حدثنا رجل أعجمي أصفهاني عن محمد بن عبد الوهاب أنه بعد أن تمرن بالحكمة الاشراقية وعلم التصوف جلس في الخلوة واعتزل عن الناس ستة أشهر ثم مرة يوماً بسوق من أسواق أصفهان وعليه جبة خضراء ، ورأسه مكشوف . فاعترضه بعض من كان يعرفه قائلاً : لم صيرت نفسك على هذه الحال ؟ فأجاب : كنت أعرف نفسي قبل لا غير ، والآن عرفت ربي ، فأردت أن أميز بين الحالتين ، فكشفت رأسي ..

فتبعه جماعة يقتفون أثره ، الى أن دخل منزله واستقر ، فاستأذنوا بالدخول ، فأذن لهم ، فقالوا : أيها الاستاذ المرشد والمعلم المتجدد ، أرسدنا الى ما أنت فيه ، فاننا من هذه الساعة قبلناك ، وفي هذا الوقت عرفناك .

وكانوا عشرة أنفار ، فبدأ يعلمهم التصوف وطريقه ، واستمر على الارشاد واستجذاب المريد سنة كاملة ، فهجس في نفسه بالخدس أنه إن عرف ببعض ما هو عليه يقتل ويصلب ، لأنه كان يقول لمريده : « ليس على الحق غيرنا » .

الشيخ في الري :

لكنه خرج من أصفهان ، فاصداً « الري » ، فر بقرية من قرأها وكان معه بعض الدراهم ، فقصد بيت أحد منها ليشتري له متاعاً حيث أن القرية لا سوق فيها فلما رآه صاحب البيت قال له ادخل فدخل ، قال بم آتيت ؟ قال أشتري متاعاً ، فقال صاحب البيت قم ها هنا حتى آتيك بالمتاع ، فخرج صاحب البيت وسار الى كبير القرية شاكياً اليه ان هذا رجل عربي قد غصني مالا كذا وكذا في سنة حجتي في أرض نجد والآن قد ر عليه فوقع في بلدتنا وهو الساعة عندي في بيتي جاء ليشتري متاعاً ، فقال رئيس القرية لحادمه احضره عندي فأحضره فقال له : هكذا فعلكم أيها العرب الأشرار ، تعرضون من يقدم بلادكم وتغصبونهم حقه وماله ، والله لا أبرح حتى توفي كل ما أخذته من هذا الرجل ، خذوه فغلوه . فحين سمع محمد بن عبد الوهاب ذلك قال لرئيس القرية : أبلدتك هذه قصدها أحد قبلي أم هذا أول الأمر ؟

واما قال له ذلك ليطول معه الكلام ، فيبين له الحال لعله يرق اليه ، ويعدل ..
فأجابه الرئيس: هذا كلام لا نسمعه ولا نجيب عنه، أما المال فلا بد من أدائه.
فاتوا بالحطب فشدّوه وضربوه .

ولما عرف محمد بن عبد الوهاب أنه لا يقبل منه سؤال ولا يسمع منه مقال ،
وأنه ملزوم ومظلوم لا محالة، قال: سلّه كم ذا يطالبني به؟ قال: كذا وكذا، وإذا
هو مبلغ خطير .

قال الراوي: حاصل الأمر انهم أخذوا منه كل ما عنده من الدراهم والاسباب،
غير الكتب ، حيث لا غرض لهم بها .

الشيخ في قم

فخرج من تلك القرية هو ومريده، وهو رجل بغدادى اسمه «علي القزاز»، فبلغ
« قم » ، وبقي فيها شهراً كاملاً لا يعرف أحداً ولا يعرفه أحد، وكان محتاجاً قليل
الحيلة قد باع من كتبه لمؤنثته .

الشيخ في بلاد الترك

فخرج منها تاجياً نحو الروم، فاتفق مع ركب من الروم أهل أبي لباس فاصطحبوه
معهم وكانوا يسرون الفيا في وهو يجدّثهم ببعض الأحاديث العربية ويفسرها لهم بلغتهم
التركية، فأعجبهم صنيعه وفصاحته عربية وتركية، فلما بلغ معهم أبا لباس أكرموه
وجمعوا له مالاً جزيلاً حيث متعوه وقاموا بجميع ما له من الواجب ، ومشى على
طريقته من مذهب الفقيه المجتهد أحمد بن حنبل جمع كبير من أهل أبي لباس ، ولم
يحدث هذا المذهب في أبي لباس قبل مجيئه ، بل كانوا على مذهب أبي حنيفة كما هو
المشهور في بلاد الروم .

الشيخ في حلب ودمشق والقنس

ثم سار من أبي لباس الى حلب فأقام فيها ستة أشهر يدرس بالعربية فسئل عن

علم الحكمة ؟ قال : لا أدريها ...

وهذا من عجائب شأنه يظهر الامر أحياناً ، وثارة بخفيه ، ثم ذهب من حلب يستبجع قرية قرية الى أن دخل دمشق الشام فلبث فيها سنة ، ولم يذكر لي ما جرى له فيها ، ثم مضى منها الى قدس الخليل ، فبقي هناك شهرين .

الشيخ في مصر

قال بعض من حدثنا عن خبر محمد بن عبد الوهاب قال خرج من زيارة « بيت المقدس » ، وعمد الى « مصر » فأقام فيها سنتين وأياماً قلائل وكان مسكنه الجامع الازهر في المدينة القاهرة وتعلم هناك الاسطرلاب وعلم الاعداد على يد الشيخ محمد الملقب بزين الدين ، المكنى بأبي عبدالله المغربي .

عودة الشيخ

ثم انه انحدر الى السويس وركب السفينة فأتى ينبع فنزل هناك ثم أتى المدينة المنورة فلبث فيها أياماً قليلة فصادف بذلك أيام الحج فحج بيت الله الحرام قبل انه اجتمع مع الشيخ عبد الغني الشافعي الذي كان حينئذ مفتي مكة شرفها الله تعالى فاعترف الشيخ عبد الغني بفضله وكأله وكان ذلك أيام دولة الشريف سرور ، فطلب منه الشريف سرور وأعيان مكة البقاء هناك فأبى ، فخرج من مكة يريد نجداً فلما وصل « بريدة » عرفوه فأكرموه غاية الاكرام واستخبروه عن حاله وسياحته هذه المدة ، فأخبر بالأمر كله .

وسار منها الى « العيينة » ، فهجم عليه جمع يقبلون يده ، فنعهم ، وكانوا يقولون : مولانا وملاذنا ، على ما هو عادة الناس في عرفهم مع العلماء والأكابر ، فقال لهم : « لا أرى أحداً يستحق هذا اللقب إلا الله تعالى » . فأقام بالعيينة يوماً أو بعض يوم ، ثم سار الى العارض من نجد ، لأن هناك مولده وأصل مسكنه .

نقد رواية "اللمع"

أخذت عن «اللمع» : دائرة المعارف الإسلامية وطائفة كبيرة من المستشرقين ،
ثم نقل عن هؤلاء أحمد أمين والعقاد وغيرها من الكتاب العرب .
لذلك لا نستطيع تجاهل اللمع ، لعظم أثره وشيوع أخباره في الكتب الحديثة ،
ولعل الباحثين في تاريخ الشيخ إنما أقبلوا على كتاب اللمع ، لأنهم وجدوا فيه
أجوبة لكثير من الأسئلة التي لا يجدون لها جواباً في ابن غنام ولا في ابن بشر !
ان صاحب اللمع ، لا يخفي عداوته ل محمد بن عبد الوهاب وحركته ، ولكنه
يذكر كثيراً من الحقائق ، ويخلطها بشيء من الكذب .. وقد يصعب علينا تمييز
الحيث من الطيب ، ولكننا لا نستطيع طرح هذا الكتاب ، لمجرد احتوائه على
بعض الأكاذيب والافتراءات ..

البلدان التي زارها الشيخ :

- تتلخص « مراحل » رحلة الشيخ ، في رواية اللمع ، بما يأتي :
- ١ - البصرة ، وأقام فيها ست سنوات .
 - ٢ - بغداد ، وأقام فيها خمس سنوات وتزوج فيها بامرأة غنية .
 - ٣ - بلاد العجم والكرد وما إليها .. أقام في همدان سنتين ، وفي أصفهان
ثلاث سنوات ودرس خلالها الحكمة المشائية والفلسفة الاشراقية ومسالك التصوف .

- ثم انتقل الى « الري » فبلدة « قم » وأقام فيها مدة يسيرة .
 ٤ - بلاد الترك : أقام في بلدة « أبي لباس » التركية مدة ..
 ٥ - في حلب ودمشق والقدس : وأقام ستة أشهر في حلب وسنة في دمشق ،
 وشهرين في القدس .
 ٦ - في مصر : سافر الى مصر ، فأقام في الجامع الأزهر سنتين ..
 ٧ - ثم عاد بالبحر الى ينبع فالمدينة .. ثم حج .. ورجع الى بريدة ، فالعينة

مقارنة بين الملع ومؤرخي نجد

رأينا ، قبلُ ، أن مؤرخي نجد ، ابن غنام وابن بشر ، يقصران رحلة الشيخ
 على « البصرة » ، ويذكran أنه زار « الأحساء » أيضاً ، كما زار المدينة ، بعد
 أدائه فريضة الحج ، وبمقارنة ما كتبه برواية الملع ، يتضح لنا أن الملع يضيف الى
 روايتها مدناً كثيرة لم يشيروا إليها إطلاقاً ، وهي :
 بغداد ، همدان ، أصفهان ، الري ، قم ، أبو لباس ، حلب ، دمشق ، القدس ، مصر .
 فما هو الصحيح ، وما هو الباطل من هذه الروايات ؟

هل زار الشيخ بغداد

أما بغداد ، فقد ترجع لدينا أن الشيخ زارها ، لا برواية الملع ، ولكننا وجدنا
 ذلك في مصدر عربي آخر ، وهو كتاب : « عنوان المجد في بيان أحوال بغداد
 والبصرة ونجد » ، ألفه ابراهيم الحيدري ..
 يذكر مؤلف الكتاب أن والده أخبره أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قدم
 بغداد ، وأنه أخذ العلم فيها عن جده « أي جسد والد المؤلف » العالم المشهور
 « صبغة الله الحيدري » ثم يضيف المؤلف الى ذلك أن جده « أسعد الحيدري » لما
 عاد من مكة ، على طريق الدرعية ، اجتمع به الشيخ واحترمه غاية الاحترام ، كما
 عزه الأمير سعود وأكرمه ، وجلس عندهما في الدرعية ثلاثة أشهر .
 فإذا صدقنا كلام الحيدري لم تكن لنا مندوحة عن التسليم بأن الشيخ أقام في
 بغداد ، كما يقول صاحب الملع .

وهنا يرد على الحاطر سؤال ، وهو :
هل اشتغل الشيخ ، خلال إقامته في العراق ، بشيء غير الدرس والتدريس ؟
يقول « هاستنغ » إن الشيخ تعاطى التجارة .
ولم نجد مصدراً آخر يذكر ذلك .

فإن صح زواج الشيخ بامرأة غنية في بغداد ، فلا يستبعد أنه انجر بالها ، كما
فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بال السيدة خديجة ، ولكننا لا نملك من المراجع
حتى الآن ما يساعدنا على تأييد هذا الرأي تأييداً قاطعاً ، وقد نقل لنا مؤلف
(اللع) نفسه حديثاً يدل على زهد الشيخ بالتجارة ! ...

هل سافر الشيخ الى الشام ؟

كانت الشام مركزاً من مراكز الفقه الحنبلي المعدودة في العالم الاسلامي ،
وهي وإن كانت أقل من القاهرة سكاناً وهراناً وعلماء ، وليس فيها مدرسة
تسمي « الأزهر » ، لكنها كانت أقرب إلى نجد ، وكان فيها عدد من التجديدين
غير قليل ، قصدوها للاستيطان أو التجارة أو العلم .
وأمر آخر يجب الشام الى قلب الشيخ هو أنها موطن ابن تيمية وابن القيم
والحافظ الذهبي ، وابن كثير وابن قدامة وغيرهم من الأعلام الذين بدأ يقرأ لهم
ويحبهم ويعجب بهم .

ويؤكد أكثر المؤلفين ، من غربيين وعرب ، ان الشيخ زار دمشق ، نسي
منهم : كورانسيز ، بريدجس ، ميشو ، المؤرخ التركي جودت باشا ، خير الدين
الزركلي في « قاموس الأعلام » ، وهناك مؤلف افرنسي يحدث يزعم ان الشيخ
خرج من دمشق بفكرة عظيمة ، هي إعادة الخلافة الأموية وتحرير كل من الشام
والعراق من سيطرة العثمانيين !

قد يقال ان رواية بعض المؤلفين لا يكثر لها ، لشبهة نقلهم ما كتبوه عن
« اللع » ، ولكن « كورانسيز » و « جودت باشا » لم يطلعا على اللع ، ورجعا
إلى مصادر أخرى .

وبما يلفت النظر أن أقوال ابن بشر التي يذكر فيها عدول الشيخ عن السفر الى دمشق تناقض أقوال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن !
يقول ابن بشر ان الشيخ أراد بعد خروجه من البصرة السفر الى دمشق ، ولكن ضياع نفقته حال بينه وبين ذلك ، فعاد الى نجد ماراً بالزبير فالأحساء .
أما الشيخ عبد اللطيف فيقول : « ان الشيخ كان قد عزم وهو بمكة » ، أن يصل الشام مع الحاج ، فعاقه عائق فقدم المدينة وأقام بها ، ثم ان العليم الحكيم رده الى نجد !

والروايتان ، كما ترى ، غير متطابقتين ، فواحدة تقول انه قصد الشام من البصرة ، وواحدة تجعل هذا القصد من مكة .
نعم ، نستطيع التوفيق بين الروايتين بقولنا إن الشيخ عزم على السفر الى دمشق مرتين ، ولكن ذلك لا يحل لنا المسألة ، وهي : هل رجع الشيخ بعد ذلك ، أو بين ذلك ، الى دمشق ؟

لقد تكلم الشيخ في رسائله غير مرة عن دمشق أو الشام - كما يسمونها ، باسم الاقليم كله - وخصوصاً في معرض الرد على « المويس » والسخر منه ، لكثرة تبجحه بأنه تعلم في دمشق ، وبما قاله الشيخ في رسالته الى ابن سحيم :
« .. وهذا - أي المويس - صنف .. ما علمت ، وأرسله الى البلدان : اعرفوني ، اعرفوني ترى جاي من الشام .. »

.. فيا عجباً من رجل يدعي العلم وجاء من الشام يحمل كتباً ، فلما تكلم اذا به لا يعرف الاسلام من الكفر ... لكنه هو آت من الشام ، وهم يعبدون « ابن عربي » ، جاعلين على قبره صنماً ، ولست أعني أهل الشام كلهم ، حاشا وكلاء ، بل لا تزال طائفة على الحق .

ان كلام الشيخ عن ابن عربي وأهل الشام لا يستدل منه على أنه كان في الشام ، فما أكثر ما يتكلم الانسان عن بلدان لم يرها ، وانما قرأ أوصافها وأخبارها في الكتب أو سمعها من شهودها ، ولذلك لا نستطيع الاستدلال على زيارة الشيخ لدمشق ، بكلامه عنها ..

يزعم « بالغريف » ان الشيخ أقام في دمشق سنوات ، وان عقيدة التوحيد نشأت عنده أثناء ملازمته لعلماء الخنابلة هناك ، فقد أحب مثلهم بساطة الاسلام الأولى ، وكره النقشبندية و « السفطائيين » و « الفقراء » - أعني المتصوفة - وصمم على محاربة البدع التي جاء بها هؤلاء وغيرهم !

أما ابن غنام فلا يذكر اسم دمشق بين البلدان التي زارها الشيخ ، ولكن ذلك لا يقوم حجة كافية على عدم زيارته إياها ما دام هناك من يقول إنه زارها ، لأن القاعدة أن قول من يعلم حجة على من لا يعلم ، يضاف الى ذلك أن ابن غنام يقول إن الشيخ رحل الى « كثير » من الأقطار ، فلا يعقل أن تقتصر رحلته على البصرة .. أما الأحساء فكانت مرحلة في طريقه الى نجد ، وأما مكة والمدينة ، فكان قصدهما للحج والزيارة ، وان اقمى في المدينة أسانذة أجلاء .

وبعد .. سواء أزار الشيخ دمشق أم لم يزرها ، فان دمشق ، بعلمائها الأعلام ، كابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن عبد الهادي وغيرهم هي مدرسة الشيخ الحقيقية .

هل سافر الشيخ الى فارس ودرس فيها الفلسفة ؟

يقول أحمد أمين ، في كتابه « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » عن رحلة الشيخ في طلب العلم :

« سافر إلى المدينة ليم تعلمه ، ثم طوف في كثير من بلاد العالم الاسلامي ، فأقام نحو أربع سنين في البصرة ، وخمس سنين في بغداد وسنة في كردستان ، وستين في همدان ، ثم رحل إلى اصفهان ، ودرس هناك فلسفة الاشراق والتصوف ثم رحل الى « قم » ثم عاد الى بلاده . »

لقد اشتهر أحمد أمين ، رحمه الله ، باعجابه بما يكتب المستشرقون ، وقد كتب ما كتبه عن رحلات الشيخ في صيغة الجزم ، من غير أن يشير إلى المصدر الذي أخذ عنه ، لاعتقاده بأن أقوال المستشرقين حقائق تاريخية أو « وقائع » لا يرقى اليها الشك ، مع أنه إنما ينقلها عن المستشرق « هوتسم » ، وهذا المستشرق نفسه

يقول بكل صراحة ان هذه الأقوال هي من رواية صاحب «اللمع» !
ويظهر أن الدكتور جمال الدين الشيال أخذ ، هو أيضاً ، أخبار رحلة الشيخ
عن «هوتما» ، أو عن أحمد أمين ، لأن عباراته هي نفس عبارات هذا الأخير .
أما صلاح العقاد ، فينكر أقوال اللمع ، فيما يتصل باقامة الشيخ في بلاد العجم
ودرسه فيها الفلسفة والتصوف لسيين :

السبب الأول - جهل الشيخ التام باللغة الفارسية .
السبب الثاني - أننا لا نجد في كتابات الشيخ أثراً لهذه الدراسات المزعومة في
الفلسفة والتصوف !
وهذا رأينا أيضاً !

أما القول بأن الشيخ كانت له «شخصية» ثانية ... اختفت تماماً ، كما يزعم
صاحب اللمع ، فتورع من الهذيان ، تورط فيه صاحب اللمع وورط فيه غيره !

في الاحساء :

زار الشيخ الأحساء ، وأقام فيها ، ولا ندرى كم مرة زارها .
فان رسالته الى الشيخ محمد بن عبدالله بن عبد اللطيف الاحمائي يعاتبه فيها
على تظاهره عليه مع جماعة من خصومه ، تدلنا على أنه كان اجتمع به قبل عشر
سنوات .

ونرجح ان هذه الرسالة كتبت من العينة قبل عام « ١١٥٧ » ، وبذلك
يكون هذا الاجتماع قد تمّ عام « ١١٤٧ » ، أو قريباً من ذلك ، وليس مستبعداً
أن يكون الشيخ قد زار المهفوف «قاعدة الاحساء» مرتين ، أو ثلاثاً ، آخرها
عند عودته إلى الحجاز ونجد .

هل كانت الأحساء المرحلة الأخيرة في طريق عودة الشيخ من البصرة إلى نجد؟
ذلك ما يقوله ابن بشر . أما الشيخ عبد اللطيف فيقول « في الرسالة الثامنة
والستين » ان الشيخ سافر من البصرة إلى الأحساء ، فمكة ، فالمدينة ، ثم جاء
حريملاء في نجد .

هل سافر الشيخ الى اليمن ؟

لم يشر المصنف إلى سفر الشيخ إلى اليمن ، ولكن المؤرخ الفرنسي « ميشو » يزعم أن الشيخ طلب العلم في صنعاء .
وهذا الكلام يبدو مستغرباً ، ولا نجد له ظلاً في ابن غنم ولا في ابن بشر ، وما كنا لنقيم له وزناً ، لولا أننا وجدنا في كتاب « أثر الدعوة الرهبانية » للفتي هذه الفقرة :

« انتقل الشيخ إلى الدرعية في خلال سنة ١١٥٨ ، وكان له من العمر آنذاك اثنتان وأربعون سنة ، قضاها كلها في طلب العلم والرحلات ما بين نجد والحجاز والبصرة واليمن » .
وبما يضعف رواية الفتى عندنا أنه لا يؤيدها بذكر المصادر .

سفر الشيخ الى مصر ...

أما ادعاء المصنف أن الشيخ سافر إلى مصر ودرس في الأزهر ، فمخبر مختلف ولم يأخذ به أحد .

ضعف تواريخ ... المصنف

وبما يكشف كذب صاحب المصنف ويضعف قيمة رواياته : حساب التواريخ ..
فقد زعم أن الشيخ خرج من نجد ، وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، وأعادته إلى نجد بعد عشرين سنة أو أكثر ، فكان عمره في زعمه سبعاً وخمسين سنة ، ونحن نعرف أن الشيخ ولد عام ١١١٥ فتكون سنة عودته إلى نجد ، في رواية المصنف ، سنة (١١٧٢) ... أي بعد انقضاء خمس عشرة سنة على إقامته الثابتة في الدرعية ... وهذا ... وراء العقل .

سُرِّيُوخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ

لم يذكر لنا ابن غنّام من أسماء الشيوخ الذين قرأ عليهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلا :

١ - والده : عبد الوهاب بن سليمان .

٢ - الشيخ عبد الله بن إبراهيم .

ويضيف إليها ابن بشر :

٣ - الشيخ محمد حياة السندي ، في المدينة .

٤ - الشيخ محمد المجموعي ، في البصرة .

أما صاحب اللمع ، فيذكر لنا أن الشيخ درس في نجد على الشيخ « عبد الرحمن ابن أحمد » ، والشيخ « حسان التميمي » ، ودرس في البصرة على القاضي الشيخ حسين علوم الهيئة والهندسة ، ودرس في بغداد عام الكلام على الشيخ « عبد الرحيم الكردي » ، ودرس في أصفهان الحكمة المشائية على « ميرزا جان الأصفهاني » ، ودرس بمصر في الجامع الأزهر على أبي عبد الله المغربي ، واسمه محمد زين الدين . وأكبر الظن أن كل هذه الأسماء لا أصل له ، والله أعلم .

أسماء جديرة بالبحث

وهناك مؤلفون أوردوا أسماء طائفة من أساتذة الشيخ في المدينة وغيرها ،

نراها جديرة بالعناية ، وقابلة للتصديق .
فقد ذكر ابن دحلان ان الشيخ قرأ في المدينة على الشيخ (سليمان الكردي) ،
وان الشيخ سليمان هذا كتب الى محمد بن عبد الوهاب ، بعد عودته الى نجد ،
ينصحه بعدم التسرع في تكفير الناس .
ويذكر الأستاذ أحمد عبد الغفور العطار ، في كتابه : « سيرة الشيخ محمد بن
عبد الوهاب » ان الشيخ درس على : اسماعيل العجلوني ، وعلي الداغستاني ، ومحمد
العفالق ، وعبد الله العفالق .
ونعترف بأننا لم نبذل جهداً كافياً في استقصاء أسماء أساتذة الشيخ .
ونستطيع القول ان مدرسة الشيخ ، بعد القرآن والحديث ، هي كتب ابن
تيمية وتلامذته . فالشيخ قرأ ، في الكتب ، وأكثر ما قرأ : على .. نفسه .

متى عرف الشيخ التوحيد وأظهره؟

يرى بعضهم أن الشيخ عرف التوحيد وأظهره منذ طفولته أو أول شبابه ، وذلك قبل خروجه من نجد حاجاً ثم طالباً للعلم .

ومن القائلين بهذا الرأي الأستاذ عبد الغفور العطار ، فقد ذكر في كتابه : « سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب » ، أن الشيخ لم يستطع إظهار دعوته في العينة بسبب ضعفه وقلة أنصاره ، فاكتمى « باعلانها أمام قرنائه العلماء .. غير أن بعضهم قاومه أشد مقاومة .. فنشأ العداء بين فريق من العينة وبين الأسرة الوهابية ، حتى اضطر رئيسها .. إلى الهجرة بأقباها إلى بلدة حريملاء في سنة ١١٣٩ .

.. ولكن محمداً كان شاباً .. لذا لم يبرح محمد « العينة » وبقي فيها يتافع عن آرائه ويدعو إلى مبادئه .. وبعيد مدة تبعه بعض الناس .. فزاد ذلك العلماء المخرضين والرؤساء غيظاً وحنقاً ، وأخذوا يقاومونه بالقوة ويركبونه بالسخرية .. فرأى بئاقب فكره أن يهدى مراحل غضبهم بابتعاده عنهم .. ، فرحل .. إلى مكة حاجاً .

والحق أن العطار لا يتفرد بهذا الرأي ، وربما نجد لراًئ شيئاً من التأييد في ابن بشر نفسه الذي يزعم هو أيضاً أن الشيخ عرف التوحيد « منذ صغره » ، ولما تحقق « معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه » ، وما كان وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المذلة ، صار ينكر هذه الأشياء ، واستحسن الناس ما يقول ، لكن لم ينهوا

عما فعل الجاهلون ولم يزيلوا ما أحدث المتدعون ، فلما رأى انه لا يغني القول ، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول ، تجهز من بلد « العينة » الى حج بيت الله الحرام ، .. اما ابن غنام ، مؤرخ الشيخ ، فلا يذكر شيئاً من ذلك كله .. وفي اعتقادنا ان الشيخ لم يدع ، قبل خروجه من نجد ، الى التوحيد ، ولم يقع أي عداة بسببه ، خلال الفترة التي سبقت خروجه من نجد ، بين أهل العينة وبين الأسرة الوهابية ، والشيخ لم يبق في العينة بعد هجرة أبيه منها وإنما غادرها قبل أبيه ، مرتين : غادرها أولاً الى مكة حاجاً والى المدينة زائراً ، ثم عاد اليها ، ثم غادرها مرة ثانية ، الى البصرة ، وكان ذلك قبل هجرة أبيه منها الى حرملاء ، لا بعده .

كل هذا ثابت ، نجده في ابن غنام وفي ابن بشر نفسه . ان دعوة الشيخ الى التوحيد ، في نجد ، انما بدأت بعد عودة الشيخ من رحلته . ويقول لنا ابن غنام ان الشيخ دعا الى التوحيد في « البصرة » ، فقال : « ان الدعوة كلها لله ، يكفر من صرف شيئاً الى سواه .. وإذا ذكر أحد بجملته شارات الطواغيت أو الصالحين ... نهاء عن ذلك وزجره » . ويقول صاحب « الملع » ان الشيخ شوهد في بغداد ، كاشفاً رأسه ، على حال غريبة ، فلما سئل عن سبب ذلك ، أجاب : الآن عرفت ربي . يعني بذلك صاحب الملع ، كما يفهم من بقية كلامه ، ان الشيخ كشف له في ذلك الوقت عن حقيقة التوحيد .

ولكننا لا نستطيع الاطمئنان الى رواية الملع ، المحشوة بالافتراءات . وعندنا ان الكلمة الفصل في هذا الأمر ، هي للشيخ نفسه . قال الشيخ ، في رسالة الى أهل الرياض ومنفوحة :

« .. وأنا أخبركم عن نفسي ، والله الذي لا إله إلا هو ، لقد طلبت العلم واعتقد كل من عرفني أن لي معرفة ، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى « لا إله إلا الله » ، ولا دين الاسلام ، قبل هذا الخير الذي من الله به ، وكذلك مشايخي ما منهم رجل عرف ذلك ، فمن زعم من علماء « العارض » انه عرف معنى « لا إله

إلا الله ، ، أو عرف معنى الاسلام قبل هذا الوقت ، أو زعم عن مشايخه ان
أحدًا عرف ذلك ، فقد كذب واقتري ومدح نفسه بما ليس فيه ، .

فهل بعد هذا النص قول لقائل ؟

لقد ردّ ابن سحيم على أقوال الشيخ ، بكتاب نسب فيه الى الشيخ أموراً
مفتراة ، ثم تساءل : من أين جاء الشيخ هذا العلم ، ما دام مشايخه لا يعرفونه ،
هل هبط عليه بوحى أم رآه في الرؤيا ؟

والردّ على ابن سحيم سهل ميسور ، فقد أشرق معنى التوحيد في نفس الشيخ
بعد تأمله في آيات القرآن وتدبره أسرار الأحاديث وقراءته كتب ابن تيمية
وتلامذته ، ومشاهدته باثتمزاز أنوار البدع والشركيات ، فشرح الله صدره
للتوحيد ..

ان لهجة الشيخ قد تبدو عنيفة ، وقد يرى فيها بعضهم علواً واستكباراً، ولكن
الشيخ صادق في قوله ، ما أراد بما قاله إلا الدفاع عن نفسه أمام خصوم لؤمائه ،
كان ينبغي لهم أن يقوموا مثله بالدعوة الى الدين ، بعد ان استبان لهم وجه الحق ،
فلم يفعلوا ، بل راحوا يجرحون ويفترون ويسبون ..
« أقلوا عليهم ، لا أبأ لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا »

الفصل الثالث

عودة الشيخ إلى نجد

متى عاد الشيخ إلى نجد ؟

من الأمور المؤسفة أن ابن غنام وابن بشر لا يجدان لنا سنة عودة الشيخ من رحلته الطويلة إلى وطنه نجد .

وقد جاء في الكتاب الذي أرسله قضاة مكة ومفاتيها وعلمائها إلى السلطان سليم أن مبدء ظهور الشيخ كان في عام ١١٤٣ هـ .

ويعتبر المؤرخ التركي جردت باشا هذا العام (١١٤٣) عام عودة الشيخ إلى نجد . ويقول أحمد بن زيني دحلان أن مبدء ظهور الشيخ كان في عام ١١٤٣ ومبدء انتشار دعوته كان في عام ١١٥٠ .

ويذهب كل من عباس محمود العقاد وصلاح العقاد والدكتور الشيال إلى أن عودة الشيخ إلى نجد كانت حوالي عام ١١٥٠ ، لأنه غاب عن نجد نحو عشرين سنة ، وكان خروجه من نجد سنة ١١٣٠ تقريباً ، بعد قليل من زواجه وحجه . أن عام ١١٤٣ الذي اعتبر مبدء ظهور الشيخ لا يعني حتماً ظهوره في نجد ، فربما كان يعني إظهاره لدعوة التوحيد ، وذلك قد تم فعلاً في البصرة قبل عودته

الى نجد .

ونحن نميل الى حل وسط وهو ان تاريخ العودة يقع بين عام ١١٤٣ وعام ١١٥٠ . لأن الشيخ بقي في العينة حتى عام ١١٥٧ ، وهو يقول في رسالة من العينة الى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف إنه كان اجتمع به في الأحساء قبل ذلك بعشر سنوات ، أي في عام ١١٤٧ أو قبل ذلك .^(١)

في حريملاء

عاد الشيخ من رحلته الطويلة في طلب العلم ، والتعليم ، والدعوة ، إلى وطنه ، نجد ، ولكنه لم يعد إلى « العينة » ، مسقط رأسه ومرح طفولته ومدرسته الأولى ، وإنما عاد إلى « حريملاء » ، لأن أمير العينة الجديد عزل أباه عبد الوهاب عن قضاء البلدة فهاجر منها بأسرته وانتقل إلى حريملاء وتولى القضاء فيها .

كان يتقاسم الحكم في حريملاء يومئذ أميران ، يقيم كل واحد منها مع قبيلته في شطر من البلد ، وما ندري في أي شطر كان منزل عبد الوهاب ، ولكننا نعلم أنه تولى القضاء في حريملاء على كبر سنه ، ولعله كان قاضياً لأحد الأميرين دون الآخر ! وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب أمام أبيه ، بقرره عقيدة التوحيد ، ويعلمه من معانيها ما جهله .

ويقول « جان ريمون » إن عبد الوهاب اقتنع بدعوة ابنه ، وقبلها ، ولكنه كان يعتنقها في الخفاء ، ولا يجهر بها إلا أمام قلة من الأصحاب ، يتق بروءهم وكتائبهم للسر .

ويظهر أن عبد الوهاب ترك ابنه ، أول الأمر ، يقيم حلقات التدريس ، ويبين للناس مآم عليه من البدع والخرافات ، ولكنه خشي عواقب ذلك ، ولعله كان يريد لابنه أن يخلفه في قضاء البلدة ، أو أن يكون قاضياً مثله في بلدة أخرى ،

١ - ورد في تاريخ ابن غنام المطبوع ان الشيخ رأى عبد الله الأحسايني قبل عشرين سنة ، ولكن النسخة الخطية المصححة ذكر فيها ان ذلك كان قبل عشر سنوات .

فنصح له بالاعتدال ، والكف عن الإنكار على الناس ، فلم يسع الشيخ مخالفة أبيه ، وهو يرى ضعفه وكبر سنه ، فاعتدل ، بل اعتزل ... ويقول «مانحان» إن الشيخ تزوج خلال هذه الفترة ، وبقي في شبه عزلة مدة سنتين ، حتى توفي عبد الوهاب سنة ١١٥٣ هـ .

الشيخ يعلن دعوته .. ثم يهجر حريملاء

قال ابن بشر :

« جلس الشيخ عند أبيه يقرأ عليه وينكر ما يفعل الجبال من البدع والشرك في الأقوال والأفعال وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المخطورات حتى وقع بينه وبين أبيه كلام ، وكذلك وقع بينه وبين الناس في البلد ، فأقام على ذلك مدة سنتين حتى توفي أبوه عبد الوهاب في سنة ١١٥٣ .

ثم أعلن بالدعوة والإنكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبعه فاس من أهل البلد ومالوا معه واشتهروا بذلك .

وكان رؤساء أهل حريملاء قبيلتين ، أصلها قبيلة واحدة وهم رؤساؤها ، وكل منهم يدعي القول له ، وليس للأخرى على الثانية قول ولا للبلد رئيس يزع الجميع ، وكان في البلد عبيد لإحدى القبيلتين يقال لهم « الحميان » ، كثيرٌ تعديهم وفسقهم ، فأراد الشيخ أن يمنعوا عن الفساد وينفذ فيهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهم العبيد أن يفتكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سرّاً ، فلما تسوروا عليه الجدار علم بهم الناس فصاحوا بهم فهربوا فانتقل الشيخ بعدها الى العينة . »

بين الشيخ وأبيه

لا يذكر « ابن غنام » شيئاً عن قصة الخلاف الذي قام بين الشيخ وبين أبيه عبد الوهاب ، هذا الخلاف الذي أشار إليه فيلبي بقوله :
« لقد قيل إن الوالد عمد في كثير من المرات إلى حد جراح طموح ذلك الشاب الذي كانت حماسته للعمل في سبيل الله قيمة بأن تفوق مداركه الخاصة ، وفي مجتمع

غير مستعد لقبول فكرة ترك الحياة السهلة في ذلك العصر ،

ويقول « الفقهي » :

« كان والده كشيوخ بلاده إما يحفظ علماً مما في كتب الفقه التي ألفها المتأخرون .

فسمع من ابنه علماً جديداً وكلاماً لا عهد له بمثله ، فخشى على ولده أن يرمى عند العامة بالكفر وأن يوصف من الدماء بالمروق من الدين ، ولعله نصح لولده حينئذ أن يعدل عن ذلك الطريق فلم يقبل الشيخ نصح والده .

أما الشيخ عبد اللطيف ، فيكتفي بالقول إن الشيخ « قدم على أبيه وصنوه وأهله ببلد حريلاً فبادهم بالدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك والبراءة منه ومن أهله ، وبين لهم الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وكلام السلف ، فقبل منهم من قبل - وهم الأقلون - وأما الملا والكبراء والظلمة والفسقة فكرهوا دعوته ، فخافهم على نفسه وأتى العيينة »

هل يعني كلام الشيخ عبد اللطيف أن « عبد الوهاب » كان من « الأقلية » التي تابعت الشيخ ؟ إن كلامه لا يكشف لنا بوضوح عن هذه المسألة ...

ومها يكن الأمر ، فإن الشيخ مضى يدعو إلى عقيدة التوحيد في حريلاً ، حتى انتظم في سلك الإمام - كما يقول ابن غنام - « رجال وعصابة فحول ... وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ ... فقرأوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير ... وكان رحمه الله ، في تلك المدة ، يروّع كل معاند ومعارض ، فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض ، في حريلاً والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة ... فأتى إليه ناس كثير ، وانحاز لدعوته جمع غفير .

وكان الناس عند ذلك حزبين ، وانقسموا فيه فريقين : فريقاً أحبه .. وتابعه ، وفريقاً أنكر ذلك عليه ، وهم الأكثر .

... أقام رحمه الله ... ينشر أعلام التوحيد ... وصنف في تلك الأوقات : « كتاب التوحيد » ، حتى لهج بالانكار عليه كثير من ذوي العلم ... وركضوا مع الرؤساء والسياطين ... فقلدهم في ذلك العوام ، فكان للجميع على الإنكال

انتظام ... فجدت في الرحيل والانتقال ، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين ...

مدة اقامة الشيخ في حريملاء ، وقيمتها

كانت المدة التي قضاها الشيخ في حريملاء ^(١) - ولعلها لا تتجاوز أربعة أعوام: سنتين قبل وفاة ابيه ، ثم سنتين بعد وفاته - المرحلة الأولى « التأسيسية » من مراحل دعوة الشيخ في بلاد نجد ، وضع خلالها « كتاب التوحيد » ، الذي أوضح فيه انواع الشرك والبدع ، وحذر منها ؛ وأخذ يرسل كتبه ورسله إلى بلدان مختلفة من بلدان العارض لنشر عقيدة التوحيد ، وقد لقي أنصاراً في بعض المدن كالعيينة والدرعية ، وقدم عليه طائفة من أهل العارض إلى حريملاء ، وكان أعظم رجل كسبه إلى دعوته ، خلال هذه المرحلة : عثمان بن معمر ، أمير العيينة .

في العيينة

انتقل الشيخ الى العيينة ، وكان يترأسها أمير جديد ، هو « عثمان بن حمد بن عبد الله بن معمر » ، أحب الشيخ ، واعتقد بدعوته ، وأعلن ذلك بين رجاله المقربين ، ولعله هو الذي دعا الشيخ الى القدوم عليه ، بعد ان بلغه شدة ما يلاقيه من أهل حريملاء .

جاء الشيخ إلى العيينة ، ببلدته وموطنه الأول ، وبقي - كما يقول هوتسما - ثمانية أشهر معتزلاً بالناس ، ثم جهر بدعوته ، على نحو ما ذكر في « كتاب التوحيد » ،

١ - يقول امين سعيد (يمكن القول ان هذه الفترة التي نضاهما في حريملاء قد امتدت ١٥ سنة ، اي منذ وصوله سنة (١١٣٩) الى سنة هجرته الاولى الى العيينة سنة (١١٥٣) - كذا - وقد بينا ان الشيخ لم يأت حريملاء عام (١١٣٩) وانما جاءها بعد ذلك بسنوات .. ولم يقم الشيخ في حريملاء ١٥ سنة ولا نصفها ولا ثلثها !

فلقي شيئاً من النجاح ، ولكنه لقي كذلك شيئاً من المقاومة ، وكان أخوه سليمان وكثير من أقربائه ضده .

ثروة الشيخ وزواجه

ويقول « هوتسا » إن الشيخ كانت له في العينة أموال ، فلم يعش على مائدة الأمير ، وإنما عاش من ريع أملاكه ، وقد تزوج « الجوهرة » بنت عبد الله بن معمر وكان من الثراء بحيث يستطيع القيام بحقها .

حياة هدوء ووقار

ويصف لنا « ندره مطران » - نقلًا عن « بلغريف ورفيقه الجرمييري » - حياة الشيخ بأنها كانت حياة هادئة وقوراً ، ثم اشتدت الحصومة بين أنصار الدعوة وخصومها ، فاضطر الشيخ الى الجلاء عن البلدة ، قال مطران : « كانت العينة يومئذٍ أهم مدن نجد ، وعلى مقربة منها يقوم ضريح زبد ، البطل الشهيد الذي يكرمه الشعب وينظر الى ضريحه كمقام مقدس ، نحمل اليه النذور والهدايا .

كان ذلك شيئاً مثيراً لأعصاب المصلح الوهابي ، ولكنه صبر ، حتى تأتى الفرصة . كان يعيش في داره حياة هدوء وعزلة ، وكانت حكمته وهيبته وفصاحته ومعرفته ، بالإضافة الى ثرائه الواسع ، تحيطه بالوقار والاحترام .

وكان ابن معمر نفسه يعظمه ويحله .

شعر المصلح أن ساعة العمل أزفت ..

وفي ذات مساء ، سمع من شباك داره رجلاً يستغيث بزبد ، ويدعوه ، ليعيد اليه بعيداً أضعاءه .. فصاح به الشيخ محمد : « أدع الله ، إله زبد ، يا رجل !

وسمع كلامه الناس ، وراحوا يتجادلون فيه ..

ثم مضى الشيخ في دعوته بقوة ، وانقسمت البلدة على نفسها في أمره ، وكثر اللفظ حوله ..

حماسة الأمير في نصرته الشيخ

يقول ابن بشر إن الشيخ « عرض على عثمان ما قام به ودعا إليه وقرر له التوحيد ، وحاوله على نصرته ، وقال :
« إنني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله ، أن يظهر لك الله تعالى ومملك نجدا وأعراها » !

فساعده عثمان على ذلك ، وأعلن الشيخ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتبعه أناس من أهل العينة .

ويصف لنا ابن غنام وصفاً حاراً حماسة الأمير وتأييده العظيم للشيخ ، فيقول إن عثمان « قام معه .. وقعد ، وساعده . واجتهد ، وأمر الناس له بالاتباع ، وعدم المشاققة والنزاع ، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره وكلامه .. ويظهروا توقيره وإكرامه .. ففشا الدين في بلدان العارض المعروفة » .

وهذه الجملة الأخيرة في كلام ابن غنام ، تدلنا على خطورة الفترة التي قضاها الشيخ في بلدة العينة ، وعظم أثرها في انتشار الدعوة .

كانت إقامة الشيخ في (العينة) - ولعلها أربع سنوات وهناك من يزعم أنها أقل من ذلك - كبيرة الأثر في تاريخ الدعوة ، فقد استطاع الشيخ أن يحقق في العينة بعض ما دعا إليه في كتاب (التوحيد) ، وعجز عن تحقيقه في « حرملاء » لانقسام أهلها على أنفسهم وطغيان حزب الضلال والفسقة على البلدة ، وقد كتب الشيخ ، في العينة ، رسائل كثيرة بشرح فيها عقيدة التوحيد ويرد على خصومها ويبين أنواع الشرك ، وكان الناس يتداولون رسائله ، وكان أنصاره يتزايدون كل يوم ، في بلدان العارض .

هل كان الشيخ قاضياً ومطوعاً

ومن حقنا ان نتساءل الآن : هل كان الشيخ في العينة مفتياً ومطوعاً وقاضياً ؟ قال صاحب الأحساء في كتابه إلى أمير العينة : ان هذا المطوع الذي عندك .. يعني الشيخ محمد بن عبد الوهاب ! فهل كان الشيخ حقاً مطوعاً لبلدة العينة ، أم

أن هذا « اللقب » إنما أطلق عليه لمجرد قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟
لم يذكر « ابن غنام » ، شيئاً عن ذلك ، ولكن كلمة « مطوع » أصبحت تبدو
لنا صغيرة في هذه الأيام لأنها لا تعني الآن منصباً دينياً كالقضاء ، وإنما تطلق على
موظفين صغار ، كأنهم أفراد « الشرطة الدينية » .

ابرز أعمال الشيخ في العيينة

وقد نستطيع تلخيص الأعمال البارزة التي قام بها الشيخ في العيينة كما يأتي :
مكافحة الشرك عملياً ، وتحقيق أسلوب « سد الذرائع » ، وذلك بقطع الأشجار
التي يعتقد فيها العامة ، وهدم القباب المبنية على القبور ، التي كانوا يتعبدون لها .
ويصف « بركلوت » هذا العمل بأنه أسلوب موفق وناجح جداً في كسب
الشهرة والأنصار ، لأن الناس قد يعجزون عن فهم الأقوال التي تلقى على أسماعهم ،
ولكنهم يؤخذون تماماً بالأعمال الغريبة التي يرونها بأعينهم .

« وهم إذا كانوا يعتقدون ، مثلاً ، أن قبر الولي يحميمهم ، ثم وجدوه غير قادر
على حماية القبة المبنية على قبره والثار بمن هدمها ، آمنوا بأنهم كانوا على خطأ في
الاعتقاد بقدرته على النفع والضرر !.. »

وبذلك تفعل الأعمال في إقناعهم أكثر مما تفعل الأقوال ! ،

أشار الشيخ على أمير العيينة بقطع الأشجار وهدم القباب ، التي يذهب الناس
إليها للاستغاثة والشفاعة ، ويدعونها مع الله أو من دونه ، وبذلك يرتكبون أفظع
ألوان الشرك ، فأذن له الأمير بأن يفعل ما يريد ، وهو من ورائه ، بحميه وبعينه !

قطع الاشجار

ويقول ابن بشر إن الشيخ بعث إلى الأشجار التي يعظمها الناس « سرأ من
يقطعها ، بأجرة من ماله ، فقطعت » .

ويقول ابن غنام إن الشيخ « باشر قطع شجرة « الذيب » بيده ^(١) وأما شجرة

١ - لعل شجرة الذيب هي التي عناها ابن بشر بقوله: وفي البلدة شجرة هي اعظمهن عندهم ،
وذكر لي ان الشيخ خرج اليها بنفسه سرأ يريد قطعها ، فوجد عندها راعي غنم اهل البلدة ،
فأراد ان يمنحها منه او انه خاف ان ينم عليه ، فأعطاه الشيخ احد اسلابه الذي عليه ، وخلي
بينه وبينها ، فقطعها .

« قريوه » فقطعها ثيان بن سعود ومشاري بن سعود وهما أخوان لأمير الدرعية ، مع جماعة سواهما .

هدم القباب

ثم قام الشيخ ، والأمير عثمان معه ، بهدم القبة المبنية ، فيها زعموا ، على قبر الصحابي زيد بن الخطاب ، فقال لعثمان :
دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل ، وضل بها الناس عن الهدى ، فقال :
دونكها فاهدمها .

فقال الشيخ : أخاف من أهل الجيلة أن يوقعوا بنا ، ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي .

فسار معه عثمان بنحو ستائة رجل ، فلما قربوا منها ، ظهر عليهم أهل الجيلة ، يريدون أن يمنعهم ، فلما رآهم عثمان علم ما هموا به ، فتأهب لحربهم وأمر جموعه أن تنعزل للحرب ، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها .
ذكر لي ان عثمان لما أتاها ، قال للشيخ : نحن لا نتعرضها !
فقال : اعطوني الفأس !

فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها ، ثم رجعوا ..
فانتظر تلك الليلة جهال البدو وسفهاؤهم ما يحدث على الشيخ بسبب هدمها ، فأصبح في أحسن حال .^(١)

قال ابن غنام : فلم يبق وثن في البلدان ، التي نحت يد عثمان !
وشاع ذلك واستبان .. وسارت به الركبان .. فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب .. فأخذوا في رده والإنكار عليه .. وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر ومفتو وكذاب ، وحكموا بكفره ، واستحلل دمه وماله ..
وكان أشد الناس والعلماء إنكاراً عليه .. وسعيًا بالشر إليه : سليمان بن سحيم

وأبوهم محمد ... فقد أنهم في ذلك وأنجد ... وحشر علماء السوء .. وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين ، الى علماء الحياء والبصرة والحرمين ، فقاموا معه فوراً بالإنكار وأفتوا للحكام والسلاطين .. بأن القائم بدعوة التوحيد : خارجي ، ومن أقبح الضلال والفساق والكفار وأشر الخوارج الفجار ... وحسبوا أنهم إذا حرسوا عليه الحكم يجدون في قتله .. فيفوزون حينئذ بما كانوا يؤملون ... فصفوا المصنفات في تبديعه ^(١) وتضليله وتغييره للشرع النبوي .. وعدم معرفته بأسرار العلوم .. وسطروا فيها الجزم بكفره .

وبلغ من سوء نيتهم ومكرهم أنهم أنكروا من الشرع الأمور المعروفة فذكر لنا أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة في جماعة المسلمين .. وجباية الزكاة .. وغير ذلك من أمور الدين .

وكان كثير من علماء نجد .. يأتون رؤساء البدوان ويحذرونهم من وقوع الصلاة في حيهب وسماع الأذان ...

وأشد ما حملهم على ذلك .. إعلان الشيخ التمسك والاعتصام بالسنة والكتاب ، والعمل بما جاء من هدى الأصحاب ، وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم في الامة ، فهو وإن كان التزم مذهباً ، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب له .. ومع كل هذا الذي صنعه خصوم الشيخ ، لم يدركوا بغيتهم ، وبقي أمر الشيخ في ازدياد ^(٢) !

رجم المرأة الزانية

وفي تلك الأم ، جاءت امرأة من اهل العينة إلى الشيخ وأقرت على نفسها بأنها زنت ، وهي محصنة ، فأراد الشيخ أن يلتمس لها عذراً ، ففعلها مجنونة لا تعقل ،

١ - اي بأنه صاحب بدعة منكورة .

٢ - قال ابن غنام (كثر بعد ذلك صحبه وجمعه وزاد اعلانه بالتوحيد وصدعه ، وردعه اهل الشرك وقمعه ، ومن العداوة ما يسرك نفعه ..

واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود .)

أو مفسوبة لا إرادة لها ، ولكن المرأة كانت عاقلة ، وأقرت للشيخ أربع مرات بأنها أقدمت على فعلتها الشنعاء بحض إرادتها ، فلم تكن للشيخ مندوحة عن الأمر برجمها .. « فخرج الروالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت ، وكان أول من رجمها عثمان » ^(١) .

أثارت هذه الحادثة ضجة عظيمة في بلدان العارض بل تجاوزتها كثيراً ، وكانت وسيلة الى حملة جديدة عنيفة مأكرة ، اشتبك فيها خصوم الشيخ كلهم ، فزعموا ، فيما زعموه ، أن الشيخ لا صفة له تخوله الحكم والرجم ، وإنما يجب أن ترفع القضية إلى السلطان ، ليأذن برجمها !

وقد رد عليهم الشيخ ، وبين لهم ان ما فعله هو حكم الله ، المؤيد بالسنة والجماعة ، وبما قاله الشيخ إن الأئمة من كل مذهب مجمعون : (أن من تغلب على بلد أو بلدان ، له حكم الإمام في جميع الأشياء ، ولولا هذا ما استقامت الدنيا ، لأن الناس في زمن طويل ، قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ، ما اجتمعوا على إمام واحد ، ولا يعرف أن أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم . وقولك : هل يجب عليك ؟ فنعم ، يجب على من قدر عليه ، وان لم يفعل أثم ، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة في رد ما لا يقدرُونَ على جرده ، كما إني لما أمرت برجم الزانية قالوا : لا بد من إذن الإمام ..

فإن صح كلامهم ، لم تصح ولايتهم القضاء ، ولا الإمامة ولا غيرها ! ، لم يستطع العلماء المكابرون الصمود للشيخ محمد في ميدان الحجة والمنطق ، فلجأوا الى الافتراء والمكر ، وكتبوا إلى رئيس الأحساء وبني خالد : (سليمان آل محمد) ، الذي يعرفون أن أمير العيينة يدور في فلكه ، وينقاد إلى أمره ، وقالوا له ، فيما قالوه من الأكاذيب : إن الشيخ يريد إخراجكم من ملككم ، وإثارة الناس عليكم ، وأقل ما يقوله للعلامة إن المكوس والعشور التي يأخذها الأمراء باطلة لا يقرها الدين ، وها هو يرمي امرأة بغير حق .. إلى غير هذا من الإفك والبهتان ..

ويقول ابن غنام إن رئيس الحسا كان مغرمًا بالزنا ، مجاهرًا به ، فأغضبه رجم الشيخ للزانية ، بينما يزعم المؤرخ الفرنسي « ميشو » إن تلك المرأة كانت قريبةً لأمير الحساء ؛ ومهما يكن الأمر ، فقد كتب رئيس الحساء الى عثمان ، يطلب منه تأديب الشيخ !
وهنا تختلف الروايات ..

١ - فهوتما يقول : إن رئيس الحساء طلب نفي الشيخ من العينة وإخراجه .
٢ - وميشو يقول : إنه طلب منه أن يسلم إليه الشيخ ليتولى هو عقوبته ، ولكن امرأة الشيخ ، وكانت قريبةً لأمير العينة ، عرفت بذلك ، فأخبرت زوجها ، فالتجأ إلى ابن سعود .

٣ - وابن غنام يقول إنه أمر عثمان بقتله أو إجلائه عن وطنه ، وألزم عليه في ذلك غاية الإلزام .. وصرح له .. بأنك إن لم تفعل فمالك عندي مستباح .. فأثر عثمان الدين على الدين .. وأمر الشيخ بالخروج ، ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج ، فخرج الشيخ الى بلد الدرعية .

٤ - أما ابن بشر فيقول ان سليمان ارسل الى عثمان كتابا يقول فيه :
« إن هذا المطروح الذي عندك ، فعل وفعل .. »
وتهدد عثمان ، وقال : « اقتله : فإن لم تفعل ، قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء . »

قال ابن بشر : وخراجه عندهم كثير ، قيل لي إنه اثنا عشرة مئة أحر (دينار ذهب) ، وما يتبعها من طعام وكسوة ، فلما ورد عليه كتابه ، ما وسعه مخالفته . فأرسل إلى الشيخ ، وقال له :

- إنه أنا خط من سليمان ، قائد الأحساء ، وليس لنا طاقة مجربه ولا اغضابه . فقال له الشيخ : إن هذا الذي أنا مت به ودعوت إليه ، كلمة « لا إله إلا الله » وأركان الإسلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فإن أنت همسكت به ونصرته ، فإن الله سبحانه يظهرك على أعدائه ، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك ، فأني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما يملك به بلاده وما وراءها وما

دونها .

فاستحي عثمان ، وأعرض عنه .

ثم تعاضم في صدره أمر صاحب الأحساء ، وباع الآجل بالعاجل ،
وذلك لما علم الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ،
بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ان نصر هذا الدين والظهور والغلبة والتمكين
يكون لغيره وعلى يد غيره فأرسل إلى الشيخ ثانياً ، وقال :

— إن سليمان أمرنا بقتلك ، ولا تقدر على غضبه ولا مخالفة أمره ، لأنه لا طاقة
لنا بمجربه ، وليس من الشيم والمروءة أن تقتلك في بلادنا ، فشأنك ونفك وخلّ
بلادنا ^(١) !

١ - يقول مؤلف « تاريخ الأحساء » انه قيل لسليمان ، حاكم الأحساء : « انه قد ظهر في
بلاد ابن معمر ، عالم يضلّل الناس ، ويمتدّد تكفير المسلمين ، فكتب الى ابن معمر بقتله » .
وهكذا اغفل قصة المرأة الزانية ، وجعل مسألة تكفير المسلمين وتضليلهم السبب في غضبة حاكم
الأحساء على الشيخ ودعوته .

رواية الملع عن حياة الشيخ في العينة

أورد « ملع الشهاب » روايتين عن مقام الشيخ في العينة وخروجه منها – وقد سمى العينة في الرواية الأولى : « البامة » ثم عاد في الرواية الثانية فذكر اسم « العينة » – ومن الصعب التثبت من صحة أقواله ، ولكننا ننشرها كوثيقة تاريخية ، لا تخلو من بعض الحقائق ، ويزيد في حرصنا على ذلك أنها لم تنشر من قبل في أي كتاب عربي .

رواية الملع الأولى

قال مؤلف الملع :

« حدثنا بعض الثقات المعاصرين لمحمد بن عبد الوهاب وقد أدر كناهم شيوخاً في الزبير .. يقول : حقيقة الأمر في بدعة محمد بن عبد الوهاب هو أنه لما رجع من سياحته المدة المعلومه واستقر ببلدته البامة – وكانت ضعيفة بالنسبة لسائر بلدات نجد وكان الناس تفرّ منها بسبب ظلم حدث فيها بجور حكامها وولائها وكان فيها التعدي معروفاً دون غيرها وقد زاعت قلوب أهلها عن الوفاق وامتلاّت من النفاق حتى قيل ان « البامة » كان يسكنها خلق كثير بقدر ستة آلاف بيت أو أكثر

وكانت بأيام محمد بن عبد الوهاب يسكنها ثلاثمائة بيت - قال المحدث الثقة : لما أراد محمد بن عبد الوهاب ظهور « البدعة » جلس في بيته ثمانية أشهر معزلاً عن الناس ينظر في الكتب دائماً فحين مضت المدة ، خرج على الناس يوماً ، وفي يده كتاب صغير الحجم فقال : « أشهد الله أنني مقتنف ما في هذا الكتاب وأنا أقول إن الذي سطر فيه هو الحق لا غير . »

فقام رجل اسمه « علي بن ربيعة » وهو من كبار بني تميم من قبيلة بني سعد فقال له : يا محمد أنت رجل شريف في قومك لا تقل ما ليس حقاً ، فتندم بوقوع الفتنة بين الناس .

قال : هذا الكتاب اقرأه فإن وجدت فيه خللاً عاتبني به ، فأخذ الكتاب وجعل ينظره من أوله إلى آخره ثم رده إليه قائلاً : هذا حق ، فيتن لنا كيفية سلوكه وما ينبغي أن يتبع بسبب رواجه .

فقال له محمد بن عبد الوهاب : طريق رواج هذا الأمر النصيحة وبذل المعروف . فقال له علي بن ربيعة : فإن لم يجزِ بذلك ؟

قال : بالسيف !

فقال : كيف يستحق القتل من لا يتبعه ؟

فقال : لأنه كافر مشرك !

قال : تقول هذا ؟

قال : نعم وهو اعتقادي .

فتفرق المجلس ، ورجع هو إلى بيته ، فجاءه ابن عمه « عبد الله بن حسين » ، وقال له : أحقاً ما نقلوه عنك يا ابن عمي من الخروج بهذا المذهب ؟

قال : نعم !

قال له : والله الذي لا يعبد غيره إن دعوت أحداً من بني سنان إليه لاختطفنا

رأسك !

فوقع بينهما تشاجر وجدال ، فأوماً عبد الله إليه بالسيف فأصابه بيده ، وكاد أن يبرئها فقام بعض بني أعمامه ليمنعوه ، فوقع الفتنة بين قبائل تميم الياومة ،

قيل : قتل ذلك اليوم حماد بن رشيد السعدي وصالح بن فهد الثاني وجبير بن ناصر النهدي وسبعة نفر لم يسموا بأسمائهم إلا أنهم من بني سنان خاصة .

قال الراوي : ثم بقي محمد بن عبد الوهاب سنة كاملة في اليمامة قائماً بما هو فيه من الدين ولم يبرح الفتنة بين القوم بسببه ، فبعض يصدقه وآخر يكذبه الى أن صار القوم الذين نصروه أذلاء ، فأنهزم منهم أناس وآخرون قتلوا وبعض لبثوا في بيوتهم وحصونهم وشاع أمره في أرض نجد فسمع بذلك سليمان بن شامس العنيزي وكان كبير قومه البداة وكانوا ينزلون طرف العارض فأرسل الى كبار اليمامة من تميم وغيرهم أن هذا أمر حدث عندكم وقد أخرجه فلان العالم منكم فإياكم ومتابعته ولا تجعلوا له مسكناً ولا مأوى في اليمامة فان بلغني عنكم ابراره واكرامه ومنعته لأركبن عليكم بفرسان ورجال لأوجولن عليكم بعنزة كلها ..

فلما بلغ أهل اليمامة كتاب سليمان بن شامس ، قال بعضهم لبعض : يجب علينا امتناله فان عنزة قوم ذات حرب وصوله ، ونحن قليلون لم نبلغ معشارهم لا رجالاً ولا مالاً ، وان ما دعانا اليه سليمان حتى لا ينبغي العدول عنه ولا التهاون فيه ، مع أن محمد بن عبد الوهاب ليس بعزيز علينا كعزة أنفسنا وأعراضنا ، كيف وهو أتى ببدعة كفر وقصد تكفير المسلمين بها . فاتفق رأي الجميع على اخراجه من بيته قهراً ، حتى بنو أعمامه عزموا على ذلك ، فنأدى مناد يوم الجمعة ، أن اجتمعوا بعد صلاة الجمعة على اخراج محمد بن عبد الوهاب من بلدكم فان أبى فاقتلوه ، فلما سمع أخوه علي بن عبد الوهاب ، وكان هو غير عالم وحقيير بينهم ، جاء الى أخيه محمد بن عبد الوهاب وقال له : يا أخي أنصحك الله تعالى أن تطلع هذا اليوم من اليمامة وتغضي الى حيث شئت ، فإن أرض الله واسعة ، وإن كان هذا الذي ادعيتة حقاً فانه يسخر قلب أحد من خلقه ليبيده ويحميه ، فاستحسن رأي أخيه علي وقال : د كيف المسير هذا في وسط النهار وأنا لا أخرج من بين عشيرتي وقومي وبلادي الا بجميع أهلي وعيالي ومالي وأخشى أن يتعرضني أحد من سفاهتهم ، والغيرة تمنع القبول بذلك ، نعم اذهب الى علي بن ربيعة وعبد الله بن حسين وخذ لنا ذمة وأماناً منهم

فان أعطوك ذلك خرجنا هذه الساعة ، والله المعين ، وان عرفت منهم ما ينكر الحال
فالله المستعان ، لما نزل في حقنا ، هذا ودفع الصائل واجب ، وإنما خصّ علي بن
ربيعه وعبد الله بن حسين السناني لأنها هما اللذان يخافهما ولأنها المتوليان زمام
القبائل التي في البهامة من بطون تميم ، فسار أخوه علي بن عبد الوهاب اليهما فأتاهما ،
وقد تمت صلاة الجمعة ، وقد خرج الناس من المسجد الجامع بأسلحتهم مصممين على
أن يمشوا دفعة واحدة على حصنه ويأسروا عياله ويأخذوا ماله ولا يرضوا له بأمان
إلا على نفسه وحده ، ويلزموه بأن يخرج من البلد بساعته !

قال بعض من أخبرونا بهذه القصة إن محمد بن عبد الوهاب كان عنده مال كثير
كان قد جمعه من سياحته وقد عرفه أهل بلاده وكان عنده خدم سبعة أو ثمانية عبيد
سودان اشتراهم من مكة وكان كل منهم محارباً مسلحاً يظن به النجدة وكان معه
ولداه اللذان ولدا له قبل سياحته وهما «ناصر» و«عبد الوهاب» وكان معه أربعة رجال
من بني عمه القريب أبنا حسين بن عبد الوهاب أخوة عبد الله بن حسين الذي ذكرناه
لهذا كان يحسب نفسه في عصمة ويستطيع أن يقاتل على حصنه محاصراً ، فلما قال
أخوه علي بن عبد الوهاب لعلي بن ربيعة وعبد الله حسين ما قال لهما قبلا ذلك
فذهبا الى محمد بن عبد الوهاب وقالوا له : هذه ذمتهم قد أعطوك إياها ، فهيا نفسه
وعياله ومن يتبعه للخروج فخرجوا ذلك اليوم قبيل غروب الشمس فاتوا الوادي
وهو قرية محمد بن سعد .

رواية اللمع الثانية

« حدثنا رجل من أهل الدرعية يوثق بقوله ان محمد بن عبد الوهاب أول أمره
لما خرج من قومه ومنزله بما أراده من الأمر ، جلا الى (العيينة) قبل دخوله
الدرعية واتفاقه مع محمد بن سعود فالتجأ الى عثمان بن معمر التميمي حاكم
(العيينة) ، فاتفقا على اقامة هذا الأمر والدين والعمل بالشرع الشريف اذ لا ينفع
علم بدون عمل قط واجتمعا على أن يبطلا جميع ما سوى هذا المذهب من المذاهب
وغيرها مموماً ووافقهم على ذلك كثير من أهل العيينة من وجوه البلد واعيانها من

خدم ابن معمر وحشمه ، وبعض الناس الذين هناك لم يرضوا به ، فاستمر محمد بن عبد الوهاب مدة في العينة ، وربما أتاه بعض القوم من بلاد نجد لما سمع بصيته الى العينة وبايعه ، وتاريخ وقوع هذا الأمر في آخر سنة الحسين بعد الالف والمائة ، وأما أكابر ومشايخ سائر أهل نجد فلم يرضوا بشيوع هذا الدين لانه يفسد عليهم قوانين كلية وقواعد اصلية وضعت عليها حكومتهم اذ بلاد نجد وقبائلها ... لا ضابط لها يحتوي على الكل ، وليس هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم بل كان كل من الحكام حاكم بلده ، مدينة كانت أم قرية ، وفي البدو ، كذلك كل طائفة منهم لها كبير يرجع أمرهم إليه ، والبداة اذ ذاك قبائل شتى يرعون البراري والقفار ويشربون المناهل والآبار وحكومة كل شيخ في قبيلته برضاها ، وكل من تقدم كرمأ وشجاعة رضوا به كبيراً لهم ، وفيهم مشايخ صغار في نفس القبيلة الواحدة يخالفون رأي المشايخ الكبار ، وكان البدو يتحاكمون في قصصهم الى العرف لا الى الشرع وقد يأخذ العرف منهم الرشوة وهي حقيقة ما يعطى لابطال الحق وأولئك الحكام طاغون لكونهم يصدون الناس عن اتباع حكم الشريعة ، وأما الحضرة من أهل نجد فرجعهم الى الشرع في فصل الخصومات والدعاوى ما عدا وادي الدواسر وجبل شمر لأنها الى البدو أقرب منها الى الحضرة ، وكان أهل المدن من أهل نجد ، دائماً يجارب بعضهم بعضاً على حسب مقتضى الحال وصلاحه بنهج ما قررناه فيما مر من أن كل حاكم له حوزته الخاصة فاذا أراد ملك غيره تسخير حوزة من جميع البلدان وهكذا الشأن بينهم أبداً وقد يقع بين كل أهل البلدان صلح إذا قطع الطمع ظاهراً .

فلما حررناه ، غضبت حكام نجد مطلقاً إلا من عرفت منهم وهو عثمان بن معمر ومحمد بن سعود صاحب الدرعية كما ستقف على حقيقة الأمر .

وحين رأى أكابر نجد ما صدر عن محمد بن عبد الوهاب وما ينجشون من عاقبة صنعه شكوا ذلك الى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي حاكم بني خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها فاتهموا منه أن يمشي على العينة ويجليه من بلده ، وإنما

استمدوا من سليمان هذا لأن أهل نجد (كانوا عاجزين عن قهر^(١) ابن معمر ذلك الوقت، إذ هو في غاية المنعة والنصرة وكثرة الجنود والمال الكثير لأن بلاده أكبر مدن نجد وأكثرها محصولاً وخراجاً وأهلها أطوع لحاكمهم من غيرهم ، فلما بلغ خبر محمد بن عبد الوهاب الى سليمان آل حميد بما بلغ ، كتب كتاباً الى عثمان بن معمر « ان اخرج هذا الشيخ النجدي من بلدك الى آخر جزيرة العرب أو أرسل به إليّ وأنا أبصر به ، فإن لم نجني الى أحد هذين الأمرين أقطع وظايفك التي لك في الأحساء وأمنع جباتك عن تحصيل مالك من النخيل في الحسا » ، وكان لعثمان ابن معمر في الأحساء مال ونخيل وأرض ورثها عن أكبره واجداده ويبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال ذهباً .

وذكر له أيضاً : « بأني أمنع تجار بلدك عن التردد الى أطرافنا من الأحساء وقطيف وسواحل قطر كالزيارة وغيرها ، بل أمنعهم السفر عن كل بلد أنا لهم فيها . » وكان آتئذ سليمان بن محمد له اليد الطولى في أرض العرب لا سيما نواحي العراق مما يلي بلاد نجد وفي نجد نفسها وكذا أطراف الشام اذ معسكره كبير ودولته عظيمة وشجاعته معروفة وقومه الخوالة اهل بأس شديد وخلق عديد ، وكان يغزو نجداً ان لم يرضه حكماها كل واحد بشيء .

فلما وصل كتاب سليمان .. الى عثمان .. اهتم وكره عداوة سليمان .. وغضب أيضاً لخروج محمد بن عبد الوهاب عنه ، ولكنه ارتكب أخف المذورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبد الوهاب فلقبه وقال له ان محاربة هذا الرجل « يعني سليمان .. » تصعب علينا أول الأمر ، وقد أكد القول بكيت وزيت .. فالرأي بعد هذا أن تسير من العينة على بركات الله الى أي بلد شئت من أرض الله وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك الينا .

فقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب : لا نخش من هذا الكلام فان الله ناصرك ، وان جميع المحاصيل التي تنجس عنك أنا اسلمها اليك كل عام ، ودع هذا الأمر

١ - في الأصل كلمات غير مفهومة جعلنا مكانها الكلمات الموضوعة بين قوسين .

يجري رغماً على أنف الكاره له !

لكن بعد ما بذل محمد بن عبد الوهاب النصائح لعثمان بن معمر أن يواظب على هذا الدين وترويجه ، عرف أن عثمان لا يمكنه الآن الاستقامة عليه ظاهراً ، فانتقل محمد بن عبد الوهاب من العينة الى بلد الدرعية - وقد تحدثنا ، في الفصول السابقة ، عن هجرة الشيخ الى الدرعية ومقامه فيها ومنعته وزعامته واشتراكه مع ابن سعود في تأسيس الدولة .

الباب السادس

الوهابية
آثارها
بما كتبت عنها

عقيدتنا

هذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم ، فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردّونا عنه .. والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة .

اننا لم نطع « ابن عبد الوهاب » ، وغيره ، إلا في ما أتدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله .

... وقد جعلنا الله ، أنا وآبائنا وأجدادي ، مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .

ومضى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة ، رجعنا إليه ومسكنا به .

وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً ، أخذنا بقول الإمام أحمد .

فهذا كتاب « الطحاوية » ، في العقيدة ، الذي نقرأه ، وشرحه : للاحتفاف .

وهذا تفسير « ابن كثير » ، وصاحبه شافعي ..

— الملك عبد العزيز —

من خطبتين له في مكة ، لإحداهما عام ١٣٥٣ هـ .

الوهابي

إن كنت تابع د أحمد ، متوهاباً
فأنا المقرّ بأنني د وهابي ، !
أنفي الشريك عن الإله فليس لي
رب سوى المتفرد الوهاب .
لا قبة ترحى ، ولا وثن ، ولا
قبر له سبب من الأسباب
والابتداع وكل أمر محدث
في الدين ، ينكره أولو الألباب ..
وأمر آيات الصفات ، كما أنت ،
بخلاف كل مؤول مرقاب ..
ملا عمران بن رضوان

الفصل الأول

تعريف أهل السنة – الحنابلة وأهل الحديث . الوهابيون :
حنابلة دعوا الى الاجتهاد وفتحوا الابواب بين المذاهب
الاربعة . صفة الحركة الوهابية – الوهابية في اللغة

توطئة

ينقسم المسلمون في العالم الى قسمين كبيرين ، وهما :

١ – السنيون ، أو « السنة » .

٢ – الشيعيون ، أو « الشيعة » .

وهناك فرق صغيرة ، تعرف بأسمائها ، قد يدخلها بعضهم تحت اسم الشيعة خطأ ، لأن الشيعة المعتدلين ليسوا بعيدين عن أهل السنة ، بينما تختلف الفرق المذكورة عن السنة اختلافا كبيرا .

والسنيون هم أكثرية المسلمين الكبرى في العالم ، ويتوزعون في أربعة مذاهب

مشهورة :

١ – المذهب الحنبلي

٢ – المذهب المالكي

٣ – المذهب الحنفي

٤ - المذهب الشافعي

وهذه المذاهب الأربعة كلها متفقة في الأصول ، وفي كثير من الفروع ، وليس بينها اختلافات كبيرة الخطر .

تعريف أهل السنة

يطلق اسم السنة ، أو السنين أو أهل السنة ، على المسلمين الذين يتبعون أحد المذاهب الأربعة المذكورة .

وإذا أردنا تعريف السنة تعريفاً موضوعياً ، لا من خلال المذاهب التي ينتمي إليها أهلها ، قلنا ، مع « ابن غنام » ، ان المراد بالسنة : طريق النبي (ص) . ، التي كان عليها هو وأصحابه ، السالمة من الشبهات والشهوات .

ثم صارت السنة ، في عرف كثرة من العلماء المتأخرين ، هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات ، خاصة في مسائل الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة .

الحنابلة والسلفية

اشتهر الحنابلة بأنهم أكثر أهل السنة تمسكاً بالحديث وبما كان عليه السلف الصالح ، ولذلك سموم : أهل الحديث ، والسلفين ، مع أن طريقة أهل الحديث أو السلفية ، لا تخلو منها مذهب سني ، ويعرف أصحابها بتعلقهم بالاسلام في صفائه الأول وبساطته ، وانكارهم البدع ، وكرهيتهم للطرق والزوايا .. والدرأيش .. والفقراء أو الصوفية .. والمتكلمة .

ويصف ابن سند أهل الحديث بالشدة ، وأنهم كانوا ، منذ زمن الدولة العباسية ، ينشرون على الخلفاء ، بسبب أن الجهاد في اعتقادهم ركن من أركان الدين .. وكانوا يسمونهم : « الحنابلة » ، و « أهل الحديث » ، في ذلك الزمن ، ويقولون :

« قام الحنابلة ، وثار الحنابلة ، وكسر الحنابلة حانات الحنور ، وأدّبوا على شربها .
وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلات وحروب .

ثم ثارت منهم فرق بالشرق وبجزيرة الأندلس ، ويسمون : « الظاهرية » ،
وهم أيضاً أهل الحديث ، وكانوا ينكرون المناكير مع الغلاظة ، ويشيرون على
الملوك وأكثرهم يموت بين قتيل وطريد ..

ثم في دولة يوسف صلاح الدين ، ظهرت لهم فرق ، وكانوا يسمون أهل الحديث ،
ولهم ثورات وعداوات مع الملوك أيضاً ، وينكرون المنكر مع الغلاظة ..
وتسللوا إلى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذه ابن مفلح وابن القيم وابن عبد
المهدي .

ثم ظهرت هذه الفرقة .. في القرن الثاني عشر ، ويسمون : « الوهابيين » ،
نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب ، والا في الحقيقة أفعالهم وآثارهم أفعال الحنابلة
الأقدمين ، وهي أفعال أهل الحديث في القرون المتوسطة وأفعال أهل الظاهرية ،
فالمعنى واحد ، وإنما في كل عصر يسمون باسم ، على اصطلاح ذلك العصر . »

لا يرى ابن سند ، في وصفه لأهل الحديث ، الا ما كان من ثوراتهم على الملوك
وشدنتهم في الإنكار على الناس ، وما ظهر من غلاتهم الذين تجاوزوا الحدود المعقولة
أحياناً ، ومن المؤسف أنه لا يذكر في جانب ذلك : دفاع أهل الحديث عن حقيقة
الإسلام ، وحياتهم له بقلوبهم وأفكارهم وأقوالهم وجهودهم ودمائهم .. ويقفل
ابن سند ، بأسلوبه المتحيز الظالم ، الجانب الأهم من فكرة السلفيين أو أهل
الحديث ، وهو الجدير بالإعجاب والتقدير : جانب التمسك بصفاء الإسلام ،
وبفضائل الإسلام والابتعاد عما نهى عنه الإسلام وأنكره ، ومكافحة البدع
والأباطيل التي لحقت بالإسلام في العصور المتأخرة ، فعصفت به أو كادت ..

ومها يكن الأمر ، فقد أحسن ابن سند بتبنيه على أن الفكرة السلفية بقيت
متصلة مستمرة خلال العصور ، حتى صار مشعلها إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

الوهابيون .. حنابلة . وليسوا مذهباً خاصاً

كان أهل نجد ، حين أظهر فيهم الشيخ دعوته الإصلاحية ، حنابلة ، ولكنهم كانوا ، في كثيرتهم ، حنابلة ، بالاسم فقط .. ولما قبل أهل نجد زعامة الشيخ وأفكاره ممام خصومهم : « الوهابيين » ، ليوموا الناس أنهم خرجوا من « حنابيتهم » ، وأصبحوا فرقة جديدة أو مذهباً خاصاً ..

والحقيقة هي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج أهل نجد من الحنبلية أو السلفية ، وإنما أعادهم إليها بعد أن خرجوا منها وابتعدوا ، في كثيرتهم ، عن الاسلام نفسه ..

كانوا يظنون لجهلهم ان الاسلام والحنبلية ما كانوا عليه ، فلا غرابة في أن يعد بعضهم ما جاء به الشيخ مذهباً جديداً ، مع أنهم كانوا غارقين في بحر البدع والشرقيات التي ينكرها المذهب الحنبلي الصحيح ، الذي أعادهم الشيخ اليه . قال الشيخ ، في رسالة الى ابن سحيم :

« .. إنا لما أنكرنا عبادة غير الله ، بالغتم في عداوة هذا الأمر وإنكاره ، وزعمنا انه « مذهب خامس » ، وانه باطل .

أفاذا قام من بين الناس التوحيد ، قلتم انه مغير للدين ، وآت بمذهب خامس ؟ .. »

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
حنبلي متبع ، وليس صاحب مذهب ..

قال الشيخ ، في رسالة الى علماء مكة :
« وأنا أخبركم بما نحن عليه ، بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب : على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام .
فتحن ، والله الحمد ، متبعون لا مبتدعون ، على مذهب الإمام أحمد . »

الشيخ لا يدعو الى فقيه او صوفي
ودعوته الى الله ورسوله

وقال الشيخ ، في رسالته الى السويدي :
« .. عقيدتي وديني الذي ادين الله به هو : مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه
أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم ، الى يوم القيامة .
.. ولست ادعو الى مذهب صوفي .. أو فقيه .. أو متكلم .. أو إمام من
الأئمة الذين أعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل ادعو الى الله
وحده لا شريك له ، وأدعو الى سنة رسول الله (ص) . التي أوصى بها أول أمته
وآخرهم . »

ولكن الشيخ لا يقلد ..

الشيخ حنبلي ، ولكنه متبع ، غير مقلد ، فهو - كما يقول ابن غنام - وان
كان : « التزم بمذهب ، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب .. ولكنه يختار
من الأقوال ما هو أصوب ، ومن الحكم ما هو أوفق بالشرعية وأنسب . »
وليس من شروط الحنبلي أن يكون مقلداً لمؤسس المذهب في كل شيء ، بل
ان الإمام ابن حنبل نفسه نهى عن التقليد ، وشدد في ذلك ، فقال :
« لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ، ولا الشافعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث
أخذوا .. » .

وهكذا كان شأن أصحاب المذاهب السنية الأخرى ، كلهم نهى عن التقليد .
قال مالك : « اما أنا بشر ، أصيب وأخطئ ، فأعرضوا قولي على الكتاب
والسنة . »

وقال الشافعي : اذا صح الحديث ، فاضربوا بقولي الحائط .
وقال أبو حنيفة : هذا رأيي ، فمن جاء برأي خير منه قبلناه .
والحق ان المقلد كمن يضع عصاة على عينيه فيرتد أعمى ، لا يعرف إلا ما يقوله

صاحب مذهبه ولا يطيع غيره ، وقد ثبت - كما يقول ابن تيمية - « ان الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه ، في كل ما يأمر به وينهى عنه ، إلا رسول الله (ص) . » .

لذلك قال الشيخ ، في إحدى رسائله ، مخاطباً مناظريه من كل مذهب :
« أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ، ان أنا منكم كلمة من الحق ، لأقبلها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أمتي ، حاشا رسول الله (ص) . فانه لا يقول إلا الحق . »
وقال الشيخ أيضاً :

« لا اختلاف بيني وبينكم ، أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم .
واما الشأن اذا اختلفوا :

هل يجب عليّ أن أقبل الحق من جاء به ، وأردّ المسألة الى الله ورسوله ، مقتدياً
بأهل العلم ؟

أم أتصل بعضهم ، من غير حجة ، وأزعم ان الصواب في قوله ؟
فأنتم على هذا الثاني ..

وأنا على الأول ، أدعو الله ، وأناظر عليه . »

فتح باب الاجتهاد

وبذلك ثار محمد بن عبد الوهاب على مظاهر الجمود والتقليد الأعمى والتعصب المطلق للمذهب ، التي كانت الطابع الواضح لكثير من المسلمين في العهد العثماني ، زمن الشيخ وبعده ، بل كان بهذا العمل أول من فتح الأبواب بين المذاهب الأربعة ، بعد أن أغلقها المقلدون الجامدون على أنفسهم ، وأول من ذكر بأن الاجتهاد واجب على كل مسلم ما استطاع ..

وكان أول من حذر في هذه العصور المتأخرة من « فتنة عمّت فاهمت ، ورمّت القلوب فاهمت » ، وهي ترك أحاديث الرسول واتباع أقوال بعض العلماء المتبرعين ، وان كانت مخالفة للحديث .

وقد أورد بن اغنام كلاماً كثيراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ، وعدم التقيد بما يقوله أي من الناس مهما يكن جليلاً ، لأن التقليد انحراف خطير ، وروى عن الامام أحمد قوله : « من قلة فقه الرجل أن يكون يقلد في دينه الرجال » .
ثم قال :

.. قد بين الشيخ ، رحمه الله ، في بعض رسائله التقليد الممنوع ، والمأذون فيه ، والمباح . فقال :

.. ان الله سبحانه فرض علينا فرضين :

الأول - اتباع رسول الله (ص) . وترك ما خالفه في كل شيء .

الثاني - فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها الى الله والرسول .

قال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » .

وخاطب بها جميع المؤمنين ، المجتهد وغيره .

ولكن نقول : عليك تقوى الله ما استطعت ، وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ، على قدر فهمك ، فاعرفت من ذلك فاعمل به ، وما لم تعرفه واحتجبت فيه الى تقليد أهل العلم قلدتهم ، وما أجمعوا عليه فهو الحق ، وما تنازعوا عليه فردوه الى الله والرسول .

وأما أخذ الانسان ما اشتبهت نفسه ووجد عليه آباءه ، وترك ما خالفه من كلام أهل العلم ، وغفلت عن كلام الله ورسوله ، واستهزاؤه بمن طلب ذلك ، فهذا هو الضلال ..

.. قال النبي (ص) : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

والتفقه في الدين ، معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية .

لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية ، في جميع أموره ، فيسقط عنه معرفته ويلزمه ما يقدر عليه .

وأما القادر على الاستدلال ، فقليل : يحرم عليه التقليد مطلقاً ..

وقيل : يجوز مطلقاً ..

وقيل : يجوز عند الحاجة ، كما اذا ضاق الوقت عند الاستدلال - وهذا القول
أعدل الأقوال .

والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً ، فيقبل التجزئ والانقسام ، بل قد يكون
الرجل مجتهداً في فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة ..
فمن نظر في مسألة تنازع فيها العلماء ، ورأى مع أحد القولين نصواً لا يعلم لها
معارضاً :

فاما أن يتبع القول الذي ترجع في نظره بالنصوص الدالة عليه .. فهذا هو
الذي يصلح .

واما ان يتبع قول القائل الآخر ، بمجرد كونه الامام الذي اشتغل على
مذهبه .. ومثل هذا ليس بحجة شرعية ، بل مجرد عادة .. لاستغاله على مذهب آخر .
قد يقال : ان نظر هذا قاصر ، وليس اجتهاده تاماً في هذه المسألة ، لضعف
آلة الاجتهاد في حقه .. وقد يكون للقول الآخر حجة راجعة على هذا النص
لا يعلمها ..

فهذا يقال له : قال الله تعالى : « فالتقوا الله ما استطعتم » ، وقال النبي (ص) :
« إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، والذي تستطيعه ، من العلم والفقه في
هذه المسألة ، قد ذلك على القول الراجح ، فعليك اتباعه .

ثم ان تبين لك ، فيما بعد ، أن للنص معارضاً راجحاً ، كان حكمك حكم
المجتهد إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الانسان من قول الى قول ، لأجل ما تبين له
من الحق ، هو محمود فيه .

أما ترك القول الذي توضحته حجة ، لمجرد عادة ، أو اتباع هوى ، فهو
مذموم . »

في محبوبية المذاهب الاربعة

والخلاصة : ان الشيخ ، ومن تابعه ، هم من أهل السنة والجماعة : في الأصول ،
وهم على مذهب ابن حنبل : في الفروع ، ولكنهم غير مقلدين له تقليداً أعمى ،

« فاذا صح لهم نص جلي ، من كتاب أو سنة ، غير منسوخ ، ولا مخصص ، ولا معارض بنص أقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة ، أخذوا به وتركوا المذهب ، كارت الجدة والاختوة ، فانهم يقدمون الجد بالارث ، وإن خالف ذلك المذهب . »

وليس صحيحاً أنهم يلتزمون أقوال ابن تيمية أو ابن القيم أو غيرهما التزاماً مطلقاً ، قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :
« وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة ، وكتبهم عندنا من أعز الكتب ، إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة ، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا نبينا محمداً (ص) .

ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل ، منها :

١ - طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس . فإننا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة .

٢ - ونرى الوقف صحيحاً .

٣ - والنذر جائزاً ، ويجب الوفاء به في غير معصية .

وما يزال موقف الوهابيين - ولا أخرج من استعمال هذه الكلمة ، بعد أن توضحت واستبان حقيقتها - في هذه الأيام ، كما أراده الإمام محمد بن عبد الوهاب : التمسك بكتاب الله وسنته ، وقبول الحق من أي مذهب من المذاهب الأربعة ، ولعل أبلغ دليل على ذلك ، ما نقلناه ، بين يدي هذا الباب السادس ، من خطب المغفور له الملك عبد العزيز .

صفة الدعوة الوهابية

ما هي صفة الحركة الوهابية ؟

لقد تساءل غير واحد من المؤلفين هذا السؤال ، وكانت الأجوبة مختلفة .. فبعضهم يرى أنها حركة دينية خالصة ، تريد الرجوع بالإسلام الى صفائه الأول ، وأنها لذلك كافحت الشرك في كل ألوانه وأنكرت البدع التي أحدثت بعد النبي (ص) .

وبعضهم يرى أنها حركة سياسية ، غايتها فصل نجد والبلاد العربية عن الخلافة العثمانية ، وإقامة حكومة عربية مستقلة ، وأن الدين لم يكن إلا وسيلة لتحقيق هذا الغرض .

وآخرون يرونها مزيجاً من الدين والقومية ، لأنها كافحت في الميدانين لتحقيق غايات دينية وقومية ، وألفت حكومة ، وأوجدت نظاماً مبنياً على الإسلام ، ضمن الإطار السلفي .

ويقول المستشرق الفرنسي « هنري لاوست » :

إن روح الحركة الوهابية ومعناها لم يتحددا في وضوح كامل .

يقال حيناً إن الوهابية حركة دينية غايتها إعادة الإسلام إلى صفائه الأول .

وتعرف حيناً آخر بأنها حركة تطهير ، يغلب عليها التشدد ، وترفض ، كالبروتستانتية ، عقيدة تقديس الأولياء ، وتكافحها كفاحاً لا هوادة فيه .

وكل هذا إنما هو محاولة لتعريف الوهابية ببعض صفاتها الثانوية المتفرعة عنها ، كما رآها أعداؤها ، أو كما أظهرها الغلاة من أتباعها ..

ولا سبيل إلى فهم الحركة الوهابية وتعريفها تعريفاً صحيحاً ، إلا بالرجوع إلى كتاب « السياسة الشرعية » ، لابن تيمية ، ومنى فعلنا ذلك استطعنا أن نعرف الوهابية بأنها :

حركة إصلاح وتجديد ، سياسية ودينية ، ترمي إلى إنشاء دولة إسلامية على الأسس التي أوردها ابن تيمية ، في كتاب « السياسة الشرعية » .

وحسبنا أن نقرأ المجموعات التي نشرتها الحكومة العربية السعودية باسم : « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » ، حتى ندرك تماماً أن الأفكار الوهابية مستمدة من « السياسة الشرعية » و « الحسبة » لابن تيمية ، و « الطرق الحكمية » ، لابن القيم الجوزية .

رأينا

وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عودة إلى الإسلام في أول أمره

ومطلع فجره ، ومتى قلنا ذلك كفيتم أنفسنا عنه الجدل العقيم .
ذلك أن من دعا الى الاسلام الأول ، فإنما يدعو الى الاسلام كما كان يرى في
في المدينة ، في عهد الرسول (ص) . ثم في عهد الخلفاء الراشدين .
كان المسلمون يومئذ يقرأون القرآن ، لا دلائل الخيرات ونحوها ..
وكانوا يروون الأحاديث ، لا قصص الطواغيت والخرافات ..

وكانوا يقولون : « لا إله إلا الله » ، بقلوبهم ، لا على أطراف ألسنتهم ، وكانوا
يفهمون معناها ويعملون بمقتضاها ، فما كانوا يعبدون إلا الله وحده .. لا يشركون
معه الصالحين ولا الشياطين ، وما كانوا يقيمون المباقي والقباب على أضرحة الأولياء ،
ليدعوا أصحابها وينفروا لهم ويستشفعوا بهم ، كأنهم ، وهم رمم بالية ، قادرين
على جلب الخير ودفع الضرر !

كان المسلمون يصلون ويذكرون ويحجون ويصومون ، وكانوا يجاهدون ،
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..
وكان الأئمة في بلاد الاسلام يسوسون الناس بالشرع ويأمرونهم بأوامر
الشرع وينهونهم عن نواهي الشرع .

ثم غابت هذه الصورة الكريمة للإسلام الأول ، وحلت محلها صورة زوهاد
تعاون على صنعها : الجهل والفساد ، فعاد الناس الى ما يشبه « الجاهلية » ، التي
سبقت الاسلام ..

وحركة محمد بن عبد الوهاب هي حركة تجديد وتطهير : تجديد وإحياء لما أهمله
المسلمون من أمور الاسلام وأوامره ، وتطهير للإسلام بما أدخلوه عليه من
الشركيات والبدع !

ولم تكن دعوة محمد بن عبد الوهاب دعوة « فيلسوف » معتزل في غرفته ،
ولكنها كانت دعوة زعيم مصلح ، يكافح دون عقيدته ، ويعمل لها بلسانه ويده ،
وبكل قلبه ، وبكل عقله ، وبكل جهده .

ان دعوة محمد بن عبد الوهاب ليست « نظرية » أو كتاباً ألفه ليقراه الناس ،
ولكنها منهاج رسمه ، وقام وراءه يدعو الى العمل به ، بالموعظة أولاً ، ثم بالقوة ..

قوة دولة الإسلام التي قامت على أساس الشرع وحده .
فمنهج الشيخ ليس إصلاحاً دينياً خالصاً ، بالمعنى الذي يفهمه الأوروبيون اليوم ،
لأنهم يفرقون بين الدين والدنيا ، ويجعلون الدين صلة خاصة بين العبد وخالقه ،
لا يتحمل الناس على اتباعه بالقوة ، ثم هم يفرقون بين الدين (أو الشرع) وبين
القانون ، ويقولون ان الدولة تلزم الأفراد بالقانون الذي تضعه هي لهم ، ولكنها
لا تلزمهم بالشرع ، بل قد يخالف قانونها الشرع !! .
ان الاسلام وحدة ، دين ودنيا ، ودعوة الشيخ ، لذلك ، دعوة جامعة ،
للأمور الدينية والسياسية .
وخلاصة القول :

ان الوهابية حركة قامت بنشر التوحيد ، وكافحت الشرك والبدع ،
واستأنفت الجهاد ، وأنشأت دولة اسلامية على اساس الشرع وحده .
ونحن ، بعد هذا ، نتفق مع القائلين بأن منهج الحكومة الوهابية ، كان
مستمداً ، في كثير من أموره ، من أفكار ابن تيمية في « السياسة الشرعية » ،
وغيرها من كتبه ، ومن أفكار تلامذته ، وخصوصاً ابن القيم .

الوهابية في اللغة

يستنكر المؤرخ المعروف محمود شكري الألوسي ، تسمية أتباع الإمام
الشيخ محمد بن عبد الوهاب « بالوهابية » ، أو « الوهابيين » ، وبعدها نسبة غير
صحيحة ، لأن « النسبة في الحقيقة إنما هي إلى الشيخ محمد ، لأنه هو الذي دعا
الناس إلى ترك ما كانوا عليه من البدع والأهواء ، ونَصَرَ السنة وأمر باتباعها ،
وقد خالف أباه فيها كان عليه وجرت بينها مناظرات ... »

وجارى الألوسي في هذا الإنكار الشيخ محمد حامد الفقي ، فقال في كتابه
« أثر الدعوة الوهابية » : « الوهابية ، نسبة إلى الإمام المصلح شيخ الاسلام محمد
ابن عبد الوهاب ، مجدد القرن الثاني عشر ، وهي نسبة على غير القياس العربي ،
فلقد كان الصحيح أن يقال : « الحمدية » ، إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم

بها هو : « محمد ، لا « عبد الوهاب » ... »
وعندنا أن هذه النسبة صحيحة في اللغة ، فالرجل قد يعرف - ويكنى - باسم
أبيه أو ابنه ، « فالحنابلة » ، مثلاً ، منسوبون إلى « احمد بن محمد بن حنبل » ،
ولم يقل أحد : كان يجب أن يسموا « الأحمدين » ، لأن احمد هو صاحب المذهب ،
لا جده « حنبل » !

والأمثلة على ذلك كثيرة لا نحصى !

وأكبر الظن أن السبب في تركهم النسبة إلى « محمد » ، هو الخوف من
الالتباس ، لأن كلمة « محمديين » نعم المسلمين كلهم ، على اختلاف مذاهبهم ،
وقد أرادوا تسمية أتباع محمد بن عبد الوهاب باسم يحتصون به دون غيرهم ،
فنسبوهم إلى « ابن عبد الوهاب » ، فقالوا : وهابيين .

والمسألة ليست مسألة لغوية ، ولا مسألة مفارقة بين النسبة إلى محمد وبين
النسبة إلى أبيه ، وإنما هي مسألة « سياسية » - إن شئت - ، وصورتها : هل
يجب أن يطلق على دعوة الشيخ محمد اسم خاص أم لا ؟

كان جماعة الشيخ يعرفون أنفسهم باسم « المسلمين » أو « الموحدين » ، ولكن
نقرأ من مسلمي الاقطار الإسلامية الأخرى ، الذين تفرقوا شيعاً ومذاهب وطرقاً ،
وتسموا بأسماء متنوعة ، ظنوا أن الشيخ محمد خرج بحركته عن المذاهب المعروفة ،
وأنشأ مذهباً جديداً ، فسموه : « المذهب الوهابي » ، أو « الوهابية » ..

يقول الفقي :

« لننظر كيف ، ولماذا أطلق هذا اللقب على هذه الدعوة والقائمين بها ، علنا
نوقف القارئ على بعض السر الذي دعا الى استعماله ، ثم الى شيوعه في الأقطار
العربية وغيرها ، إلا نجد ما يتصل بها ، فان من أعجب العجب أنك لا تجد لهذا
اللقب أثرأ فيها ، ولا عند النجدين النازحين عنها الى غيرها للتجارة أو الإقامة
والاستيطان ، لا بل والأعجب من هذا أنهم يستكبرون ذلك ممن يخاطبهم به ، أو
ينسبهم إليه ، وإنهم جميعاً من ملكهم وأمرانهم ومشائخهم - الذين أكثرهم من آل
الشيخ محمد - وتجارهم وعامتهم يطلقون على أنفسهم ، من حيث الوطن والقطر :

« نجديين » ، ومن حيث المذهب والعقيدة : « حنابلة » .
ولأنهم لحنابلة متعصبون لمذهب الإمام أحمد في فروعه ككل أتباع المذاهب
الأخرى ، فهم لا يدعون - لا بالقول ولا بالكتابة - أن الشيخ ابن عبد الوهاب
أتى بمذهب جديد ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان عمله
وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد
الإلهية والعبادة لله وحده ، ذلاً وخضوعاً ودعاءً ونذراً ، وحلقاً وتوكللاً ، وطاعةً
لشرائعه ، وفي توحيد الأسماء والصفات ، فيؤمن بآياتها كما وردت ، لا يحرف ولا
يؤول ، ولا يشبه ولا يمثل ، على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين ، وما جاء
عن الرسول وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والائمة المهتدون من السلف والخلف ،
وأن تحقيق شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يتم على وجهه الصحيح ،
إلا بهذا !

أين نشأت التسمية ؟

ويضي الفقي بعد ذلك في التساؤل عن البلاد التي نشأ فيها لقب « الوهابية »
وشاع ، لأنه لم يخرج بزعمه من الاوساط النجدية ، فيقول إنه نشأ في الاقطار
والاوساط التي كانت تبذل أقصى جهدها لحرب هذه الدعوة حين كان عبد العزيز
وسعود يسيطران نفوذهما على جزيرة العرب !

ويقول المؤرخ الإفرنسي « مانجان » ، إن إطلاق اسم « الوهابيين » على أنصار
محمد بن عبد الوهاب ، قد بدأ في السنوات الاولى من إمارة عبد العزيز .
ولكننا ما نزال في شك من صحة هذه الاقوال ، فالكتاب الذي ألفه أخو
الشيخ : « سليمان بن عبد الوهاب » ، قبل عام ١١٦٨ هـ . كان عنوانه :
« الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » وهذا الكتاب ظهر في ولاية محمد بن
سعود ، فإن كان عنوانه صحيحاً ، وأغلب الظن أنه صحيح ، فمعنى ذلك أن
كلمة « وهابية » ظهرت في وسط نجد ، وإن يكن وسط خصوم الدعوة .

الفصل الثاني

عقيدة محمد بن عبد الوهاب

« سأل أهل القصيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن عقيدته ، فأجابهم بهذا الكتاب » :

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة أهل السنة والجماعة :

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

صفات الله :

ومن الإيمان بالله ، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، على لسان رسوله (ص) . من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء ، وهو السميع البصير ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرف الكلم عن

مواضعه ، ولا ألد في أسمائه وآياته ، ولا أكيف ، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه ، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفوء له ، ولا ند له ، ولا يقاس بخلقه ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قِيلاً وأحسن حديثاً فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التعريف والتعطيل ، فقال : « سبحانه ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

أهل السنة وسط :

والفرقة الناجية وسط ، في باب أفعاله تعالى بين « القدرية » و « الجبرية » ، وم وسط في باب وعيد الله بين « المرجئة » و « الوعيدية » ، وم وسط في باب الايمان والدين بين « الحرورية » و « المعتزلة » ، وبين « المرجئة » و « الجهمية » ، وم وسط في باب أصحاب رسول الله بين « الروافض » و « الخوارج » .

القرآن :

وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، وإنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده : نبينا محمد (ص) .

القدر :

وأؤمن بأن الله تعالى فعال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن قدرته ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

البعث والحساب :

وأعتقد بالإيمان بكل ما أخبر به النبي (ص) . بما يكون بعد الموت ، فأؤمن

بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة عزلاً ، تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد . « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » . وتنشر الدواوين ، فأخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله .

حوض النبي وشفاعته :

وأؤمن بحوض نبينا محمد (ص) . بعرة القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً . وأؤمن بشفاعة النبي (ص) . وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي (ص) . إلا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون إلا من بعد الأذن والرضى ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » وقال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقال تعالى : « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » .

الصراط والجنة والنار ورؤية الله :

وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ، يمرّ به الناس على قدر أعمالهم . وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنها اليوم موجودتان ، وأنها لا يفنيان . وأؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

النبي (ص) . والصحابة :

وأؤمن بأن نبينا محمداً (ص) . خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى

يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته .
 وأن أفضل أمته ، أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ،
 ثم علي المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ،
 ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم .
 وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف
 عن مساوئهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم ، عملاً بقوله تعالى :
 « والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا
 بالآيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » .

كرامة الأولياء :

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء . وأقر بكرامات
 الأولياء وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ،
 ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله .

لا أكفر مسلماً بذنوب :

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له رسول الله (ص) .
 ولكنني أرجو للحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنوب ،
 ولا أخرجه من دائرة الاسلام .

استمرار الجهاد :

وأرى الجهاد ماضياً مع كل امام ، برأ كان أو فاجراً ، وصلاة الجمعة خلفهم
 جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً (ص) . إلى أن يقاتل آخر هذه الامة
 الدجال ، لا يطله جور جائر ولا عدل عادل .

طاعة الأئمة :

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه .

أهل البدع :

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله ، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة .
أنواع الايمان وشعبه :

وأعتقد أن الايمان قول باللسان ، وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها : إمالة الأذى عن الطريق .

الامر بالمعروف :

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الظاهرة .
فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشغل البال لتطلعوا على ما عندي ، والله على ما نقول وكيل . . .

تذييل

تلك عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما لحصا في رسالته الى أهل القصيم ، وقد نستطيع أن نضيف إليها شيئاً من كلام الشيخ ، يزيد بعض فقراتها وضوحاً :

صفات الله

يقرّ الشيخ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ويكل « علمها الى الله ، مع اعتقاد حقائقها ، فان (مالكا) ، وهو من أجل علماء السلف ، لما سئل عن « الاستواء » ، في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

أما الصفات التي اختوعها الفلاسفة والمتكلمون ، كالجوهر والعرض والجسم والجهة ، ونحو ذلك ، فيرى الشيخ عدم التعرض لها ، لا بنفي ولا بإثبات ،^(١) .

اطلع الشيخ على رسالة « المويس » التي خطأ فيها أهل الوشم ، لانكارهم على من يصف الله بأنه ليس جوهرأ ولا عرضأ ولا جسمأ ، فقال رحمه الله :

إن عقيدة أهل السنة هي السكوت ، من أثبت بدعوه ، ومن نفى بدعوه .

فالذين يقولون ليس بمجسم ولا جوهر ولا عرض : هم الجهمية والمعتزلة .

والذين يثبتون ذلك هم : « هشام » وأصحابه .

والسلف بريثون من الجميع ! ..

وقال الشيخ أيضاً :

« مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف ، أنهم لا يتكلمون في هذا النوع إلا

بما تكلم به الله ورسوله ، فما أثبت الله لنفسه أو أثبت رسوله ، أثبتوه ، مثل الفوقية

والاستواء والكلام والجهي وغير ذلك ، وما نقاه الله عن نفسه ونقاه عنه رسوله ،

نفوه ، مثل : الند ، والمثل ، والسمي ، وغير ذلك .

وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه ، مثل : الجوهر والعرض والجسم

والجهة وغير ذلك ، فلا يثبتونه ولا ينفونه .

.. ومن كلام ابن عقيل : « أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ، ما عرفا الجوهر

والعرض .. »

ورد الشيخ على قول المويس إن لله صفات سبعة فقط - هي : السمع والبصر

١ - أنظر رسائل الشيخ عبد الله بن محمد عبد الوهاب .

والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام—وان المسلمين يشبتون لله هذه الصفات من غير « كيف » ولا « أين » ، فقال :

« هذا مذهب طائفة من المبتدعة ، يشبتون الصفات السبع ، وينفون ما عداها ، ولو كان في كتاب الله ، ويؤولونه ، وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه ، وذلك صفات كثيرة ..

أما أنكار الأئمة ، فهو من عقائد أهل الباطل ، وأهل السنة يشبتونه ، اتباعاً لرسول الله (ص) ، فقد جاء في الصحيح أنه قال للجارية : أين الله ؟
فأجابت : في السماء^(١) !

القرآن :

كان الشيخ يبرأ من الجهمية ، القائلين بخلق القرآن ، ومن الكلابية ، القائلين بأن كلام الله هو « المعنى القائم بنفسه الباري » ، وان ما نزل به جبريل : « حكاية » أو « عبارة » عن المعنى نفسه .

وكان الشيخ ، كأهل السنة كلهم ، يرفض تأويل كلام الله ، الذي ورد على السنة بعض الفلاسفة والمتكلمين ، قال الشيخ :
« ان أئمة المتكلمين ، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي ، مثل قولهم :

المراد بالصيام : كتمان أسرارنا

والمراد بالحج : زيارة مشايخنا

والمراد بجبريل : العقل الفعال

وغير ذلك من إفكهم ...

لما رد المتكلمون بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الاسلام ،

١ - القول بالجهة ، لا يعني التجسيم .

فقال لهم الفلاسفة : أنتم جحدتم علو الله في خلقه واستواءه على عرشه ، مع أنه
مذكور في الكتب على السنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم ، وغيرهم من
أهل الملل ، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً ؟
فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب على هذا الإراد .
والمراد : أن مذهبهم ، مع كونه فاسداً في نفسه ومخالفاً للمعقول ، هو أيضاً :
مخالف لدين الإسلام .

أسباب الاختلاف

بين الشيخ وبين العلماء في زمانه

أوردنا قبل هذا الفصل نص الرسالة التي لخص فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ، وكل من قرأ هذه الرسالة وتأملها رأى أنها عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية ، لا ينكرون منها جملة واحدة .

وفي ظل الإسلام الحق ، في « إطار » عقيدة أهل السنة والجماعة ، قام الشيخ بدعوته إلى « التوحيد » وهو أعظم شيء دعا إليه الإسلام ، وبالنهي عن « الشرك » ، وهو أعظم شيء نهى عنه الإسلام ، فما الذي أثار على الشيخ ، في زمانه وبعد زمانه ، جماعة من أهل السنة أنفسهم ، سواء من الحنابلة إخوان الشيخ في المذهب وفي البلد ، داخل نجد ، أم من رجال المذاهب الأخرى ، خارج نجد ؟

قد يقال ، في الجواب على ذلك :

إن العامة ، من أهل نجد ، خالفوه ، لجهلهم بحقائق الدين وفسادهم ، إذ صور لهم اعتيادهم لما يارسونه من الأمور الباطلة أنها هي الإسلام ، فتذكروا لمن بدعهم إلى الخروج منها ، وكذلك تفعل العامة عند ظهور كل مصلح ، ثم ينقادون إليه ، طوعاً أو كرهاً ، ويتشددون في الدفاع عن أفكاره مثل تشددهم في رفضها أول مرة وأكثر ! ...

وأما العلماء ، فبعضهم وإن تلبس بلباس العلماء لا يقلّ جهلاً عن العامة ،

وبعضهم ما دعاهم إلى مقاومته إلا الحسد والبغي والحرص على المنافع المادية التي كانت تأتيهم من أمان الحجب والندور ، وأجور المشاهد والقبور ، ونحو ذلك ، فخافوا ان اتبع الناس الشيخ ، في ما يقرره لهم من مخالفة هذه الأمور للدين ، أن تقطع عنهم مواردها المالية ، وتتضاءل قيمتهم هم أنفسهم في عيون الناس فكانوا يشجعون الضلال ، وبقيت طائفة متمسكة بالحق ولكنها ما كانت تنكر إلا بقلبها ، وتلتص العافية في السكوت .

ذلك جواب صحيح في جملة ، ولكنه لا يحيط بالمسألة من كل جوانبها ، وإنما يكتفي بتلخيص «البواعث» النفسية التي أدت إلى مقاومة الشيخ في دعوته الجريئة ، والمتشددة أحياناً .

والجواب الأمثل ، والأكمل ، يحتم علينا تلخيص صفحات دعوات الشيخ كلها ، لتبين نقط «الإحتكاك» ، ومواضع الإختلاف بين الشيخ وبين الآخرين ، سواء في الأمور الكبيرة أم في الأمور الصغيرة . وهذا ما سنفعله في الصفحات الآتية ...

التوحيد^٧

« .. أم مسألة شغلت ذهنه في دوسه ورحلاته :
مسألة التوحيد ، التي هي عماد الاسلام ، والتي تبلورت في :
« لا اله الا الله » ، والتي دعا اليها محمد (ص) . أصدق
دعوة وأحرها ، فلا اصنام ولا اوثان ، ولا عبادة آباء ولا
اجداد ، ولا احبار ولا انداد ، ولا نحو ذلك .. »
- احمد امين -

الدعوة الى التوحيد والنهي عن الشرك

أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، منذ كان طالباً للعلم ثم مدرساً ، في البصرة ،
انكاره لما كان عليه أكثر الناس من الشرك والبدع والفساد ، ودعا الى التمسك
بالتوحيد ، والافتداء بما كان عليه السلف الصالح .

وضع « كتاب التوحيد »

ولكن دعوة الشيخ لم «تنشط» ، وتقوى ، الا بعد وفاة أبيه عام (١١٥٣ هـ) ،
وكان ظهور « كتاب التوحيد » ، شبه إعلان أو « افتتاح » رسمي للدعوة .
وضع الشيخ كتاب التوحيد ، أثناء مقامه في حريلاء ، بعد عودته من رحلته

الطويلة ، وما ندرى إن كان فرغ من تأليفه قبل وفاة والده أو بعد ذلك ، ولكن الكتاب ، على كل حال ، لم يشتهر وينتشر الا بعد موت الشيخ عبد الوهاب ، لما نعرفه من مداراة الشيخ لأبيه ، وكان يومئذ في آخر عمره .

اسلوب كتاب التوحيد

كتاب التوحيد ، كتاب غير كبير ، جمع فيه الشيخ آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه ، وبيان الشرك والتحذير منه ، ونبه على المسائل التي تتفرع عن الآيات والأحاديث التي أوردتها ، وذلك باختصار كثير ، فكان كتابه أشبه بما نسميه اليوم : « رؤوس أقلام » ، منه بالشرح المستفيض ؛ وقد يخطر ببال بعض الناس ، وهم يطالعون هذا الكتاب ، لأول مرة ، أن صاحبه لم يفعل أكثر من الجمع والتبويب ، والتنبيه على بعض المسائل ، وأنه لا يستحق بمثل هذا الكتاب ألقاب عالم فقيه ومؤلف ، وأن يقول « ابن بشر » عن كتابه : « ما وضع المصنفون في فنه أحسن منه ، فانه أحسن فيه وأجاد ، وبلغ الغاية والمراد . . » .

ومثل هذا الكلام قيل من قبل في الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث ، لأنهم كانوا يكتثرون في كتبهم وأجروبتهم من الآيات والأحاديث ، فيخيل الى قارئهم أنهم لا يجيبونه من عند أنفسهم ولكنهم يحيلونه الى القرآن والحديث ، ولذلك وصفهم بعض الناس بأنهم : « محدثون » أو رواة ، وليسوا فقهاء ، كأن الفقه في زعمهم هو الرأي .

والحقيقة هي أن ايراد الآيات والأحاديث ، على أسلوب مخصوص ، والتنبيه ولو باختصار على بعض معانيها وأغراضها ، واستخلاص فكرة معينة منها ، والتوجيه إليها : كل أولئك يمثل جهداً علمياً لا يقل عن جهد المؤلفين الذين يعرضون آراءهم الشخصية .

بل نقول أكثر من ذلك ، فالعلم - أعني علم الدين - هو ، عند أهل الحديث ، ما كانت مادته الأساسية : الآيات والأحاديث وأقوال الأئمة المعتمدة ، وليست كتب الرأي عندهم شيئاً .

محتويات كتاب التوحيد

يبدأ الشيخ كتاب التوحيد ، بعد البسملة والحمدلة ، بقوله تعالى :

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

ثم يتبعها بجملة من الآيات والأحاديث في الدعوة إلى عبادة الله ، واجتناب الطاغوت ، وفي معنى التوحيد وشهادة ان لا إله إلا الله ، وانها مكفرة للذنوب اذا قيلت باخلاص وبراءة من الشرك .

ثم يذكر طائفة من المسائل - أو ما نسميه في مصطلح اليوم : الملاحظات الهامة .

ثم ينتقل الى الكلام على أنواع كثيرة من الشرك والبدع والمفاسد ، كان أكثرها متفشياً في زمانه ، كلبس الحيط والحلقة لرفع البلاء ، والرقى والتائم ، والتبرك بالشجر والحجر ونحوهما ، والذبح لغير الله ، والاستعانة بغير الله ، والاستعاذة بغير الله ، والاستغاثة بغير الله ، ودعوة غير الله ، والغلو في الصالحين ، وفي قبورهم ، والعبادة عند القبور .

ويتحدث الكتاب كذلك عن السحر والكهانة والتنجيم والحلف بغير الله وسب الربيع ، وأمور مختلفة لا تبلغ بفاعلها الى الشرك ، ولكنها أشياء منكورة .

نظرية التوحيد

في اعتقادنا ان فكرة التوحيد لا تبرز لنا في شكلها النظري « المركز » - ان صح هذا التعبير - في كتاب التوحيد ، ولكنها انما تظهر ، في بيان قوي ، وتعاريف « علمية » ، ولا نقول « مفلسفة » ، في جملة من رسائل الشيخ ، سار فيها على غرار ابن تيمية ، وربما تجاوزه أحياناً في قوة « التركيز » .

تعريف التوحيد وتقسيمه

يعرف الشيخ ، في بعض رسائله ، التوحيد بأنه :

« أفراد الله بالعبادة »

ويقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام :

الأول – توحيد الأسماء والصفات

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث الصحيحة من صفات الله ،
ووصفه بها على الحقيقة .
وهذا القسم لا اختلاف فيه بين جمهور المسلمين .

الثاني – توحيد الربوبية

وهو توحيد الله بأفعاله ، مثل الخلق والرزق والامانة والاحياء واتزال الغيث ،
ونحو ذلك ..
وهذا القسم لا اختلاف فيه ، لا بين المسلمين وحدهم ، ولكن بين المسلمين
وغيرهم من الملل الأخرى أيضاً ، وحتى دعاة الوثنية : فهم مقرون جميعاً لله بالتفرد
بالخلق والامانة والتدبير الخ ..
قال الشيخ : وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام .

الثالث – توحيد الألوهية

وهو توحيد الله بأفعال العباد ، التي تعبد بها وشرعها لهم .
قال الشيخ : « ان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الألوهية ، وهو
أن لا يعبد إلا الله » .
وبكلمة أخرى : التوحيد المقصود ، بأكمل معانيه ، هو : افراد الله بالعبادة .

تعريف العبادة وأنواعها

يعرف لنا الشيخ العبادة وبذكر لنا كثيراً من أنواعها ، في بعض رسائله ،
فيقول :

« .. العبادۃ : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ،
الظاهرة والباطنة .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلت : طاعته بامثال أوامره واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادۃ التي لا تصلح إلا لله ؟

قلت : من أنواعها : الدعاء ، الاستعانة ، الاستغاثة ، ذبح القرбан ، النذر ،
الخوف ، الرجاء ، التوكل ، الإنبابة ، المحبة ، الحشية ، الرغبة ، الرهبة ، التأله ،
الركوع ، السجود ، الخشوع ، التذلل ، التعظيم الذي هو من خصائص الإلهية .
ويضيف الشيخ إلى ذلك أن من صرف شيئاً من أنواع هذه العبادۃ لغير الله ،
فقد وقع في الشرك .

قنبلة الديناميت

تلك طائفة من أقوال الشيخ في التوحيد ، والعبادة ، والشرك ، قد تبدو لغير
الواقفين على أحوال نجد والبلاد الإسلامية في زمن الشيخ ، أقوالاً هادئة ، لا تثير
« أعصاب » مسلم ...

ولكنها كانت في زمانها وبعد فترة من زمان الشيخ ، كأنها لغم هائل من
متفجر «الديناميت» ، أو قنبلة ذرية ، وضعها الشيخ في أسس المعتقدات والعادات
المنتشرة في تلك الأيام ، لتهدمها وتجعلها أثراً بعد عين ..

ذلك أن كثيراً من أهل نجد كان دينهم : هذا الذي يقول الشيخ إنه الكفر
بكل دين ، وكانت عبادتهم : هذه التي يقول الشيخ إنها عبادة الأوثان لا عبادة
الله ، ونحو هذا ..

ولو أن الشيخ اكتفى بوضع كتابه في التوحيد ، والاعتزال في داره ، لما
كان للكتاب إلا أثر محدود ، ولكنه وقف وراءه ، يكافح عن عقيدته ، ويقررها
للناس ، ويجمع حوله الأنصار ، ويكتب الرسائل في الرد على خصومه ومناظريه ،
ثم انتقل من النظر الى العمل ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وقام بإزالة

منكرات كثيرة ، ومنها قلعه أشجاراً كانوا يندرون لها وتحطيمه المباني على قبور كانوا يتعبدونها ، وأمره برجم امرأة زانية ، بعد اعترافها أربع مرات بفعلتها ، إلى غير ذلك مما لنا بصدده الآن ، وإنما سقنا هذه الامثلة للتدليل على أن كتاب الشيخ كان فاتحة المعركة لا خاتمتها ..

الجاهلية والوثنية

كان الشيخ ، ومن تابعه ، يرون أن الناس بسبب نقشي الشرك في المعتقدات والأخلاق قد عادوا الى مثل الجاهلية التي سبقت الاسلام ، فكانوا يحتاجون الى من يجدد لهم دينهم ، وكان الشيخ هو الذي يقوم بهذه الرسالة العظيمة .
بارك فريق من العلماء الشيخ قيامه قياماً عظيماً في تعليم الناس حقيقة الدين ومكافحة الشرك والمنكرات والزام الناس بالصلوات وغيرها من أوامر الدين ، ولكنهم كانوا يرون أنه تشدد في بعض المسائل ، مع جواز التسامح فيها .

انتقادات ابن سحيم

كان أكثر المشايخ ، عند ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ضده ، ولكن أحد رؤوس المقاومة كان : سليمان بن محمد بن سحيم ، مطوع الرياض ، فقد نشر رسالة كان لها دوي في نجد وخارج نجد ، ذكر فيها أموراً كثيرة نسبها الى الشيخ وأنكرها إنكاراً شديداً ، وها نحن نورد هنا أكثر ما جاء في هذه الرسالة ، كما أثبتناه ابن غنام ، :

(أما بعد .. خرج في قطرتنا رجل مبتدع جاهل ، مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاطل ، جرت منه أمور فظيعة ، وأحوال شنيعة .. فمن بدعه وضلالاته :

١ - أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ، الكائنين في الجبيلة - أي زيد بن الخطاب وأصحابه - وهدم قبورهم ، وبعثرها ، لأجل أنهم في حجارة ولا يقدر أن يمحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع ، والدفن لهم خالد وأصحاب رسول الله (ص) .

٢ - وعمد أيضاً إلى مسجد .. وهدمه ، وليس داعٍ شرعي إلى ذلك ، إلا اتباع الهوى ..

٣ - وأمر بحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها «عن محمد (ص) ... : سيدنا ومولانا !

٤ - وأحرق أيضاً «روض الرياحين» ، وقال : هذا روض الشياطين !

٥ - وصح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول لهدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاباً من خشب .

- أما سمع قوله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنما من تقوى القلوب » ؟

٦ - .. وأنه يقول : الناس من ستائة سنة ليسوا على شيء ! .. وتصدق ذلك أنه بعث إلي كتاباً يقول فيه : أقرأوا أنكم قبلي جهال ضلال !

٧ - ومن أعظمها : أنه من لم يوافقه في كل ما قال ، ويشهد أن ذلك حق ، يقطع بكفره .

ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً محضاً ، أو مكاساً ، وبهذا أظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله .

٨ - ومنها أنه بعث إلى بلداننا كتاباً مع بعض دعائه ، بخط يده ، وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم في زعمه ، والا فليس له مشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا عرفه أهل قطره .. !

فيا عجبا ، إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قطره ، فمن أين علمه ، ومن أخذه ، هل أوحى إليه ، أو رآه مناماً ، أو أعلمه به الشيطان ؟

٩ - ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض ، وابن عربي .

١٠ - ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول ، لأجل أنهم يأخذون النذور ، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده .

١١ - ومنها أنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة ، قال : اختلافهم نقمة .

١٢ - ومنها أنه يقطع بفساد الوقف ، ويكذب المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه أنهم وقفوا .

١٣ - ومنها أبطال الجعالة على الحج .

١٤ - ومنها أنه ترك مجيد السلطان في الخطبة ، وقال : السلطان فاسق لا يجوز مجيده .

١٥ - ومنها أنه قال : الصلاة على رسول الله (ص) . يوم الجمعة وليتها : بدعة وضلالة نهوي بصاحبها إلى النار .

١٦ - ومنها أنه يقول : الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً ، إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ، إن ذلك رشوة .
 - هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين لا أقضي بينكما إلا يجعل .
 ١٧ - ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى ، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن .
 ويقول : ذلك كفر ، واللحم حرام .
 فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط .



فبينوا ، رحمكم الله ، ذلك للعوام المساكين ، الذين لبس عليهم ، وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح ، فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا

رد الشيخ على هذه الرسالة

رد الشيخ على كثير مما جاء في هذه الرسالة ، بكتاب أرسله إلى عبد الله بن سحيم تناول فيه (٢٤) قضية نسبها إليه خصومه ، وبما قاله :

« فالمسائل التي شنع بها ، منها ما هو من البهتان الظاهر ، وهي :

- ١ - أني مبطل كتب المذاهب .
- ٢ - و .. أني أقول إن الناس من ستائة سنة ليسوا على شيء .
- ٣ - وأنني أدعي الاجتهاد .
- ٤ - وأنني خارج عن التقليد .
- ٥ - وأنني أقول إن اختلاف العلماء نقمة .
- ٦ - وأنني أكفر من نوسل بالصلحين .

- ٧ - وأني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق .
 ٨ - وأني أقول : لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها .
 ٩ - ولو قدرت على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب !
 ١٠ - وأني أنكر زيارة قبر النبي (ص) .
 ١١ - وأني أنكر زيارة قبر الوالدین وغيرهم .
 ١٢ - وأني أكفر من يحلف بغير الله .
 فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول : « سبعا نك هذا بهتان عظيم » !

رد ابن غنام

وتولى « ابن غنام » بعد ذلك أمر الرد على مزاعم ابن سحيم التي لم يعرض لها الشيخ محمد في رسالته ، وهذه مقتبسات من رده ، في شيء قليل من التصرف :

١ - زعم ابن سحيم في أول الرسالة أنه (أي الشيخ) عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله (ص) الكائنين في الجيلة ، زيد بن الخطاب وأصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها الخ ..

فالذي جرى من الشيخ وأتباعه أنه هدم « البناء » الذي على القبور والمسجد المجهول في المقبرة على القبر الذي يزعمون إنه قبر زيد بن الخطاب - وذلك كذب ظاهر فإن زيد ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ، بل المعروف أن الشهداء .. قتلوا .. في هذا الوادي ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم .. وإنما كذب بعض الشياطين وقال للناس : هذا قبر زيد !

وقد اقتتن به الناس وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد .. ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء .. اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور ...

وقوله : « لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرُونَ ان يحفروا لهم » الخ .. فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ .. وكلامه هذا تكذيبه المشاهدة ، فان الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر ..

٢ - وأما قوله إن الشيخ يقطع بفساد الوقف .. فقد كذب وافتري ، فالشيخ ما أبطل إلا ما كان مخالفاً لما ثبت من الأحاديث .. وذلك أن كثيراً من الجهال والعامّة إذا أراد أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الأثاث ما قسم الله له أو يحرم أولاده الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم ، وقف ماله وأشهد عليه ... « وأورد ابن غنّام نص رسالة للشيخ أجاب فيها عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والاثم » .

٣ - وأما قوله إن الشيخ أحرق « دلائل الحيات » لأجل قوله : اللهم صل على سيدنا ومولانا . فهذا من الكذب والزور . وقد أجاب الشيخ عن هذا في بعض رسائله بقوله :

« وأما دلائل الحيات ، فلذلك سبب ، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن . وأما حرقه والنهي عن الصلاة على النبي (ص) . بأي لفظ كان ، فهذا من البهتان » ا

٤ - وأما قوله : وأحرق أيضاً روض الرماحين ، سماء روض الشياطين ، فهذا من الكذب والزور المبين .

٥ - وأما انكار الشيخ فيه ما خالف الكتاب والسنة ، وأنكره غيره من علماء المسلمين ، من ترهات الصوفية وشطحاتهم التي تخالف السنة المحمدية .. وتنفر عنها الأسماع .. فأين الغارة لله تعالى .. والنصرة لسنة نبيه ، والحماية عند سماع .. بعض الحكايات « الواردة فيه » مثل .. بيع الجنة وغرفها .. وكون (الولي) يجر على مركب في الهواء من الذهب .. ومثل قول بعضهم : إن البر في بينه ، والبحر في شماله .. ا

ومثل دعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين ، وعلمهم بما سيقع من

الغيب !

وأمثال هذه الحكايات .. والحرافات .. مما .. هو هتك للشريعة ، وسلوك

للغبي !

٦ - وأما قوله : من وافقه وصدقه ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً ، ومن لم يوافقه في كل ما قال ، يقطع بفكره ..

فالحق أن من عرف التوحيد وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ مؤمن موحد ، ولو كان فاسقاً ، وكذلك هو عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة ، لأن الكبار لا تخرج المسلم الموحد من الإسلام وإنما يخرجوه الشرك بالله .

٧ - وأما إبطاله الجعالة على الحج ، فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء ، والذي يبطله الشيخ من ذلك ما أبطله غيره من علماء المسلمين ، وهو أنه لا يحج إلا لأن يعطى أجرة أو جعلاً على ذلك ، فهذا عمله باطل لأنه قصد بعمله الدنيا .

قال الشيخ تقي الدين : « المستحب أن يأخذ الحاج من غيره ليحج ، لا أن يحج ليأخذ . » .

ومن جوز الإجارة ، قال : تجوز الإجارة عليها ، لما فيها نفع من المستاجر .

٨ - وأما قوله إنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة ، فهو صادق في ذلك ، وإنما تركه الشيخ رحمه الله لأنه من البدع المحدثه . وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك وقالوا إنه من البدع المنكرة ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين .

٩ - وأما قوله : وأبطل الصلاة على رسول الله (ص) . في يوم الجمعة وليتها... فإن الشيخ لم ينه عن ذلك ، ولم يبطل إلا .. ما أبطله جماعة قبله من الأعيان .. لأنه بدعة محضة .. فقد ذكر « السيوطي » .. أن أول ما حدث للتذكير يوم الجمعة ليتبها الناس لصلاتها ، بعد السبعماية ، في زمن الناصر بن قلاوون ..

وهذه زيادة لم تعرف في زمن الرسول .. ولا ضرورة لها ..

والذي أنكره الشيخ في الحقيقة هو ما يعمل في كثير من الأقطار ولا سيما الحرمين وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنار ، ويقرأون آيات من

القرآن ، ويصلون على النبي ، بأرفع صوت وإعلان ، ويأتون بقبیح الألفان ، وأصوات تحاكي غناء القيان ، ويمطون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة ، ويتلونوها من معناها الى معنى ..

١٠ - وأما قوله : إن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وإنت للقاضي أن يقول لا أحكم إلا بجعل ، فقد رد عليه الشيخ واجاد ..

١١ - وأما قوله .. إنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة الخ ..

.. ففي هذا لا يخالف أحد من أئمة الإسلام ..

ومن العجب أن ذلك يفعل في بلدان العارض وغيرها لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله ، بل منهم من يفتي الجاهل بذلك ويقول : اذبحوا على هذا المريض ... ذبيحة للجن ولا تسموا عليها !

فلما أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أهل العلم أن ذلك كفر ؛ ينكر عليه ذلك من يزعم أنه من العلماء ! وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النية ، وقصده بذلك أن يبرىء الله مريضه ، فهذا عمل خالص لله لا ينكره مسلم .

أهم المسائل المختلف عليها

البناء على القبور - دعاء الصالحين - التكفير

هناك أمور صغيرة انتقدوها على الشيخ وجماعته ، لا تستحق ان نتوقف عندها . وامسا المسائل المهمة التي تستحق النظر والتأمل فهي : دعاء الصالحين والتوسل بهم ، والبناء على القبور ، والتكفير ، وهي المسائل الثلاث التي جرت عليها المناظرة غير مرة بين علماء نجد وعلماء مكة .

- ١ -

تقديس الأولياء والقبور

من أكثر مظاهر الوثنية انتشاراً في العالم تقديس العامة الجبهة لقبور الأولياء المحلين ، وانجاءهم اليهم بالعبادة أو بما يقرب من العبادة . وقد تكلم المستشرق « غولد تسيهر » ، في كتابه : « العقيدة والشريعة في الاسلام » ، في ذلك كلاماً بارعاً ، وبما قاله : « نشأ في الإسلام ، بتأثير عدة عوامل ، بعضها ببيكولوجي وبعضها تاريخي ، شكل من أشكال العبادة ، وهذا الشكل --- مهما عدّ مناقضاً لفكرة الألوهية في الاسلام ، ومهما اعتبر خارجاً عن جادة السنة الصحيحة --- سرعان ما أصبح « حقاً

مكتسباً ، في دول الإسلام - وهو الصورة الصحيحة للإيمان الشعبي أو العامي .. وهذا الإيمان العامي الساذج ، جعل « الأولياء المحلين » موضع التكريم والاحرف ، والتبجيل والورع .. والتقدیس .

ان الشعب يؤمن بالله ويخشاه ، ولكنه لا يفترض ان الله تعالى يعنى بمحاجات الأفراد المختلفة والتافهة أحياناً ، مثل مرض أحدهم ، أو هزال بعض ماشيته أو سوء موسم الزراعي ونحو هذا .. فتلك أشياء يتم بها « الولي » المحلي ، حارس المنطقة والساھر على سكانها .. فيأتون اليه بالقرابين وفي سبيل مرضاته تنذر النذور .. وفي الحق ليس شيء أشد خروجاً على السنة القديمة .. من هذا التقديس المبتدع ، المفسد لجوهر الاسلام ،^(١) ..

ويذكر لنا ابن غنام ، في تاريخه ، نقلاً عن ابن تيمية وغيره ، شيئاً كثيراً مما كانوا يفعلونه في كل البلاد الاسلامية عند القبور ، ومنها :

« .. ما يفعل في مكة ، عند قبة أبي طالب ، وكان شريفاً حاكماً متعدياً ، فيأتون قبوره بالساعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب .. وفي مصر : يأتون قبر أحمد البدوي وغيره .. فيستغيثون ويندبون ويقولون ، فلان استغاث بقبره فأغيث ، وشكا حاله فكشف عنه ضره ، وشكا حاجته فأزيل فقره .

وفي اليمن : قبر يسمى : « منجي الغارقين » ، يستغيثون به وينذر له في البر والبحر ، ولهم في حضرته الأفاعيل ، يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ، ويرقصون ويغنون .. »

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في إحدى رسائله ، إن بعض الناس يعدون زيارة قبور الأولياء حجاً ، « وطائفة صنعوا كتباً ومموها : مناسك حج المشاهد .

وآخرون يسافرون الى قبور المشائخ ، وإن لم يسموا ذلك نسكاً وحجاً ،

٩ - نقلنا هذه الفقرات بتصرف قليل عن الترجمة العربية لكتاب غولد تسيهر .

فالمعنى واحد ..

ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ ، بنزلة عرفات ، يسافرون إليها وقت الموسم ، فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات ..
ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت انه قال : كل خطوة الى قبري حجة . !

تقديم الأولياء خطر على الوحدة

ان تقديس الأولياء المحلين ، مخالف للدين ، وخصوصاً ما امتزج منه بنوع من العبادة ، لأنه شرك ، لا شك فيه .

ولكن مكافحة هذا التقديس ليست خدمة لفكرة التوحيد وحدها ، وإنما هي ايضاً دفاع عن وحدة المسلمين ، أي إنها عمل « سياسي » أو قومي جليل ايضاً .
وقد نبه ابن تيمية على هذه الناحية ، فقال :

« أهل الشرك متفرون ، وأهل الإخلاص متفقون .

ولهذا تجد ما أحدث من الشرك والبدع يفترق أهله ، فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخذونه نداً من دون الله ، فيقربون له ، ويستغيثون به وبشركون به ..

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين ..

وهكذا تجد من يتخذ شيئاً من نحو هذا الشرك ، كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد ، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستغاثة والتوجه الى من لا تعظمه الطائفة الأخرى ، بخلاف أهل التوحيد ، فانهم يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به شيئاً .. والله هو معبودهم وحده ، وإياه يعبدون وعليه يتوكلون ، وإياه يخشون ويرجون ، وبه يستغيثون ، وله يدعون ويسألون .

هدم القباب والمباني على القبور

قام الشيخ ومن معه بهدم المباني التي كانت على قبور زيد بن الخطاب وبعض

الصالحين ، لأن الناس كانوا يعظمونها ويدعون أصحابها وينذرون لهم النذور
ويذبحون لهم الذبائح ، ويستغيثون بهم ويستشفعون .

وكانت غاية الشيخ من وراء ذلك سد الذرائع وإزالة سبب من أسباب
الشرك ، بمنع الناس من قصد تلك الأماكن .

وقد أشاع خصوم الشيخ يومئذ أنه نبش قبور الصحابة وأزال أضرحتهم ، لأنه
لا يكرمهم أو لا يحبهم ..

وليس الأمر كذلك ، فالشيخ يحب الصالحين ويكرمهم ، وهو لم ينبش
قبورهم ، وإنما أزال الأبنية التي أحدثوها فوق قبورهم ، خلافاً لسنة النبي (ص) ،
الذي أمر بتسوية القبور ، ومنعاً لما كان يحدث عندها من المفاسد .

ولم يقل الشيخ ان البناء على القبور من الشرك الأكبر ، كما توهم بعض الناس .
سأل أحدم الشيخ عن البناء على القبور ، والصلاة عند القبر ، هل هما محرمان ،
فكان بما أجاب به :

« اما بناء القباب عليها ، فيجب هدمها .. وما علمت انه يصل الى الشرك
الأكبر . وكذلك الصلاة عنده ، وقصده لاجل الدعاء ، فكذلك لا أعلمه يصل
الى ذلك . ولكن هذه الامور من أسباب حدوث الشرك ، فيشتد نكير العلماء
لذلك . »

ومهما يكن الأمر فان الوهابيين الأوائل بالغوا في هدم القباب والمباني المقامة
على القبور ، حتى قال المستشرق « بركارت » الذي كان يقيم في مكة ، بعد دخول
الوهابيين اليها ، إن بعض الوهابيين كانوا يظنون أن الفارق بينهم وبين غيرهم من
المسلمين ، هو : تهديم القباب .

ونسب اليهم انهم كانوا يقولون : « رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم
الله من بناها . »

وليس الشيخ أول من هدم القباب والمباني ، على القبور ، سداً للذرائع ومهلاً
بحديث تسوية القبور . ولكن البلاد الاسلامية ، في كثرتها ، ما تزال تبني القباب
والمباني على القبور ، معتقدة أن العلم بحقائق الدين يمنع من تعبد القبور ولو أقيمت

عليها جبال من المباني .
وقد جاء في الرسالة التي بعثها الشيخ الى علماء مكة ، حول هدم الأبنية على
قبور الصالحين ، قوله ، بعد ذكره أنه متبع لا مبتدع :
« فان كانت المسألة إجماعاً ، فلا كلام .
وان كانت مسألة اجتهاد ، فمعلومكم انه لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، فمن حمل
بذهبه ، في محل ولايته ، لا ينكر عليه . »
وقد سئل سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز - الملك فيصل اليوم - وهو في
مصر ، عن رأيه في مسألة القبور ، فأجاب :
« أحب أن تنقل عني أن الوهابيين ، وهم أتباع أحمد بن حنبل ، ليس لهم
اجتهاد خاص فيما يتعلق بمسألة الأضرحة والقباب » .
وهذا جواب حكيم . فالمسألة ليست اجتهاداً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب
وأنصاره ، ولكنها مسألة تعالج في إطار السنة .

التوسل والشفاعة

جرت المناظرة ، في مسألة التوسل والتشفع بالأولياء ، بين علماء مكة وعلماء نجد ، مرتين ، ففي المرة الأولى ، جرت المناظرة بين علماء مكة وبين الشيخ عبد العزيز الحصين ، موفد الإمام والشيخ ، في ولاية الشريف أحمد بن سعيد ، عام ١١٨٥ هـ . وكان جواب الحصين ، على الأسئلة التي وجهت إليه ، كما لحصه ابن غنام : أن « دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل قد نص عليه الأئمة ... وقرروا أنه من الشرك .. ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد جاهل » . وجرت المناظرة مرة ثانية سنة ١٢١١ هـ . في ولاية الشريف غالب ، وكانت يمثل علماء نجد فيها ، الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، فأعيد طرح مسألة الشفاعة على بساط البحث بهذه الصيغة :

« ما قولك في من دعائياً أو ولياً ، واستغاث به في تفريج الكربات ، كقوله : يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا محبوب ، أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ »

فكان من جواب الشيخ حمد :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة . »

.. والذي شرعه لنا رسول الله (ص) عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة

والاحسان الى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له .. فبدلَ أهلُ الشرك .. الدعاء له بدعائه ، والشفاعة له بالاستشفاع به ، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله (ص) إحساناً الى الميت سؤال الميت ، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء ، الذي هو منج العباد .

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعاً ، ويصرف النظر عنه القرون الثلاثة المفضلة .. ثم يوفق له الحلف ، الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله (ص) ، وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان ، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا ، إذا كان لهم حاجة ، قصدوا القبور فدعوا عندها ومسحوا بها ، فضلاً عن أن يسألوا أصحابها الفوائد وكشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوافر المهم والدواعي على نقله ؟

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله (ص) بالأمصار عدد كثير ، متوافرون ، فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاء ولا استشفى به ولا انتصر به ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي (ص) من بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها .

ثم يستشهد الشيخ حمد بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث التي تنهى عن دعاء غير الله ، وينتهي إلى القول :

« فالذي نعتقه وندين به الله أن من دعا نبياً أو وليداً أو غيرهما ، وسأل منهم قضاء الحاجات وتقريب الكربات أن هذا من أعظم الشرك ، الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار ، بزعمهم ، قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . » .

شفاعة النبي

يرافق الشيخ كثير من أهل السنة في إنكار تشفع الناس بالأولياء ، ولكن فريقاً منهم يرون جواز التشفع برسول الله (ص) لأنه (ص) يشفع دائماً ، في

حياته وبعد موته فهو حي في قبره .
ولم ينكر الشيخ شفاعة النبي (ص) ، ولكنه لا يطلبها من النبي (ص) . وإنما يطلبها من الله سبحانه ، قال :
« وأما الشفاعة فهي كلها لله ، ولا يشفع النبي (ص) ، ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، فيجب أن يدعو أحدنا الله سبحانه ، قائلًا :
اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه في ا
وأمثال ذلك .. لا أن ندعو النبي نفسه . » ..

رأي عالم سلفي في التوسل

يظهر أن مسألة التوسل ليست من الأمور البسيطة ، التي يتسهل الكلام عنها لكل أحد . والأولى أن ننظر إلى قصد الناس أكثر من نظرنا إلى العبارات ، وإن كانت العبارات توقع بالشرك أحياناً .
ويقول الاستاذ العالم الشيخ بهجة البيطار ، من العلماء السلفيين ، في كلمة ألقاها في المؤتمر الإسلامي : « ومنها أيضاً مسألة التوسل .. لا شك أن من استقرأ النصوص وأمعن النظر في مضمونها ظهر له أنها متضافرة على مشروعية التوسل إليه تعالى بالأعمال الصالحة ، ولما كان بعض ظواهر النصوص يورث شمول التوسل بالذات والجاه أيضاً ، كانت المسألة خلافية وكان فيها قولان لمثل الإمام أحمد بن حنبل ، كما نقل عن الامام ابن تيمية في فتاويه وغيرها فاذا كان الأمر كذلك فنحن لا ننكر التوسل بمجاه النبيين والصالحين كأنكارنا على من يدعو غير الله تعالى .
على أنه قد ورد « اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي اليك » فاذا أردنا التوسل والتمسك بالمشروع اقتصرنا على ما ورد واكتفينا به ، إذ أن الإكتهاف بما تجمع الكلمة عليه أولى من الاجتهاد في غيره واحداث خلاف عليه ...

التكفير !

كان علماء مكة يأخذون على الشيخ وجماعته أنهم يكفرون كثيراً من الناس ، بل كل إنسان لا يقول بقولهم .. وقصة التكفير ، في الحقيقة قديمة ، قالها جماعة من أهل نجد أنفسهم ، وكان اعتراضهم قائماً ، أول الأمر ، على أن من نطق بالشهادتين كان مسلماً ، ولم يجر تكفيره ، فلما قال الشيخ إن كثيراً من البدو كفروا ، أنكروا عليه ذلك ، لأن البدو يقولون : « لا إله إلا الله » .

قال الشيخ : « إنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله ، وثبأوا من الدين كله ، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث .. ومع هذا تنكرون علينا كفرهم ، وتصرحون بأن من قال : « لا إله إلا الله ، لا يكفر ! »^(١) وقال أيضاً : « فلما بينت ما صرحت به آيات التنزيل ، وعلّمه الرسول أمته وأجمع عليه العلماء : من أنكر البعث أو شك فيه ، أو سبّ الشرع ، أو سبّ الأذان إذا سمعه ، أو فضل فراصة الطاغوت على حكم الله ، أو سبّ من زعم أن المرأة توث ، أو إن الإنسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه أو ابنه : أنه كافر مرتد - قال علماؤكم : معلوم أن هذا حال البوادي ، لا ننكره ، ولكن يقولون : « لا إله إلا الله » ، وهي تهمتهم من الكفر ، ولو فعلوا كل ذلك ! »^(٢) .

١ - الرسالة (١٩) من رسائل الشيخ - ابن غنام .

٢ - الرسالة السادسة من رسائل الشيخ - ابن غنام .

ومن يتأمل في أقوال الشيخ يتبين من خلالها قوة حجته ، وأي منصف لا يشارك الشيخ في أن كلمة « لا إله إلا الله » لا تبرئ قائلها « الذي يجمل معناها ، ولا يعمل بمقتضاها ، ويصل به الأمر الى حد إنكار البعث .. » من الشرك ، ولا تحميه من الكفر ؟

كان خصوم الشيخ ، أو طائفة منهم ، يباركون دعوته ، ويحمدون له قيامه في نصرته الدين ، ولكنهم كانوا يريدون منه أن يتروك تكفير مخالفه .. وقد رد الشيخ على منتقديه ردوداً كثيرة ، وبما قاله :

وأما التكفير ، فأنا أكفر من عرف دين الرسول ، ثم بعد ما عرفه : سبه ، ونهى الناس عنه ، وعاداه ، فهذا هو الذي أكفر !
وأكثر الأمة وثقه الحمد ليسوا كذلك .

وأما القتال ، فلم نقاتل أحداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ، ولا أبقوا مكنأ ، ولكن نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ، وجزاء سيئة سيئة مثلها وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ، بعد ما عرف .
ويرد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في كتابه « مصابيح الظلام » ، على من نسب الى الشيخ تكفير الأمة ، وأنه جعل بلاد المسلمين ، غير نجد ، بلاد كفر ، فيقول :

« وأما قوله فعسى بالتكفير للأمة خاصها وعامها ، وقائلها على ذلك جملة ، الا من وافقه على قوله . فهذه العبارة تدل على نهور في الكذب ووقاحة تامة ... »

وصريح هذه العبارة ان الشيخ كفر جميع هذه الأمة من المبعث النبوي الى قيام الساعة ، الا من وافقه على قوله الذي اختص به !

وهل يتصور هذا عاقل ، عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل أهل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والحوارج لا يكفرون جميع من خالفهم بل لهم أقوال وتفاصيل يعرفها أهل العلم .

. وأما قوله : وجعل بلاد المسلمين كفارا أصليين !

فهذا كذب وجهت ، ما صدر ولا قيل ، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين فضلا

عن أهل العلم والدين ، بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الاسلام في كل زمان ومكان ..

مسألة التكفير في المناظرة

كانت مسألة التكفير بما جرت عليه المناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد ، وكان يمثل نجد : الشيخ « محمد بن ناصر بن عثمان المعمرى » وقد طلب منه علماء مكة كتابة أجوبته ، فكتبها ، وبما قاله :

« أما المسألة الثانية وهي : من قال لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولم يترك ، هل يكون مؤمناً ؟

فنقول : أما من قالها ، وهو مقيم على شركه ، يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريغ الكربات ، فهذا مشرك ، حلال الدم والمال ..

وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً ، ولكن ترك الصلاة والزكاة فكاسلاً عنها ، فهذا قد اختلف العلماء في كفره .. »

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نظام المطوعة . الاكراه على الصلوات في المساجد .
التتشف . منع المنكرات

سأل عالم من أهل المدينة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن سبب الاختلاف بين
أهل نجد وبين سائر الناس ، فأجابه الشيخ :

« .. ان سألت عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس ، فما اختلفنا
في شيء من شرائع الاسلام من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك ،
ولا في شيء من المحرمات ..

الشيء الذي عند الناس زين ، هو عندنا زين .
والشيء الذي عندهم شين ، هو عندنا شين .
الا اننا نعمل بالزين ، ونفصب الدين عندنا عليه .
وننهي عن الشين ، ونؤدب الناس عليه » .

هذا هو الفرق ، الكبير بين بلاد نجد في عهد الشيخ ، وبين بقية بلاد الاسلام .
في نجد يكرهون الناس بالقوة على تنفيذ أوامر الدين واجتناب نواهيه .
وفي سائر بلاد الاسلام ، يترك الناس أحراراً في أمور الدين ..

المسلم ، في دول الاسلام ، لا يكره على الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصوم ، ونحو ذلك ..

ولا يمنع من شرب المسكرات ، أو الاستمتاع بالوان من اللهو ، قد تتجاوز كل حد ..

أما في نجد ، فالناس يكرهون على الصلوات المفروضة ، بل يكرهون على ادائها في المساجد جماعة ، وعلى اداء الزكاة الخ ..

والناس ، في نجد ، يمنعون من شرب الخمر ، ولا يسمح لهم بالاجتماع في أماكن مخصوصة لسماع الغناء أو مشاهدة النساء يرقصن ويلعبن ويعرضن أجادهن ، بل كانوا يحظرون عليهم ما هو أهون من ذلك ، وما كانوا يتساهلون إلا في أشياء محدودة جداً ، قال الشيخ عبد اللطيف :

« يحل كل لعب مباح ، لأن النبي (ص) أقر الجشة على اللعب في يوم العيد في مسجده ..

ويحل الرجز والحداء ، في نحو العمارة والتدريب على الحرب بأنواعه ، وما يؤثر الحماسة فيه كطبل الحرب .. دون آلات الملاهي ، فإنها محرمة ، والفرق ظاهر .

ولا بأس بدف العرس .

في كل بلاد العالم قوانين موضوعة يلزم الناس باتباعها بالقوة ، أما الدين فلا تلزم الدول رعاياها باتباعه ، وإنما تكل أمره الى ضمائر الناس ، من شاء اتبع أحكامه ومن شاء أهملها ..

وليس الأمر هكذا في نجد ، فالشرع هنا هو : نظام الدولة وقانونها ، وليس لها نظام غيره .

المعتصب والمطوع

ولم يكن هذا شيئاً ابتكرته نجد لنفسها أو ابتكره لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنما هو ارت أو تقليد قديم ، أصيل ، فالدول الاسلامية ، قديماً ،

كانت كلها قائمة على أساس الشرع الاسلامي وحده .
وكان فيها منصب يسمى : « الحسبة » ، ويسمى صاحبه : « المحتسب » ،
وعمله : تطبيق القاعدة الدينية العظيمة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
وكان مع المحتسب أعوان ، يراقبون العبادات والأخلاق العامة والتجار
وأرباب الحرف والأسعار والموازين والطرق والمباني ، الى غير ذلك .
فراقبتهم للعبادات : أن يسوقوا الناس الى صلاة الجمعة والجماعة والأعياد ،
وينعمهم من الافطار علنا في رمضان النخ ..

ومراقبتهم للأخلاق : أن يريقوا الخمر ، ويكسروا المعازف ، وينعوا اللعب
بالزرد والشطرنج ، وتطير الحمام ، وعمل التنايل والصور للكائنات الحية ، وكانوا
يمنعون اجتماع الناس على السحرة والمشعوذين والمتكلمين بالغيب ، ونحو هذا ..
ثم منعوا المحتسبين من مراقبة العبادات ، وقصروا مهمتهم على مراقبة الصنائع
وأرباب الحرف والموازين والأسعار والأبنية وما يتصل بذلك ، وهو داخل اليوم
في اختصاصات البلديات ووزارات الصحة .

ثم أبطلت الحسبة ، وأهملت الدول الاسلامية أمور الدين ..
وبقيت نجد متمسكة بالشرع ، محتفظة بالحسبة ، ويسمى المحتسب ، في نجد :
المطوع .

وكانت كلمة « مطوع » ، تطلق على الرؤساء الذين حلوا محل المحتسبين ، ولكنها
تطلق الآن على الأعوان ، وهم بمثابة الشرطة الدينية أو الأخلاقية ، ولهم رؤساء ،
ويطلقون اليوم على هذه التنظيمات اسم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وهي تابعة لمنصب المفتي الاكبر للمملكة العربية السعودية ، الذي يقوم عليه عالم
من آل الشيخ .

ان عمل المطوع هو حمل الناس ، بالقوة عند الضرورة ، على تنفيذ أوامر الدين ،
ومنع المنكرات .

ولا شك في أن عمل المطوعين ، أو « المطوعة » ، يتغير بتغير الأزمنة ، شدة
وتراخيا ، وانكماشاً واتساعاً : فقبل عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن

للمطوعين كبير أثر في حياة نجد ، ولعلمهم كانوا يجمعون كثيرا من المنكرات ،
يظنونها من الدين ..

وبعد استقرار الأمور للشيخ ولأمراء آل سعود ، أصبح المطوعون منفذين
لأوامر الدين ونواهي ، كما بينها لهم الشيخ .

وربما تشدد بعض المطوعين أحيانا شدة منفرة مؤذية وهذا لا يعني أن النظام
كله غير صالح ، وإنما يعني دخول الفساد على بعض الموظفين ، وليس ذلك خاصا
بفئة المطوعين ، ولكن كثرة اتصالهم بحياة الناس اليومية يوجب السهر الموصول
على سلوكهم والعناية الشديدة باختبارهم وتعليمهم واجباتهم .

الأكراه على الصلاة

أهم ما يفعله المطوعون : سوق الناس الى الصلاة في المساجد .
هذا الأمر أكثر شيء يلفت أنظار الأجانب الذين يزورون البلاد العربية
السعودية ، وهو شيء لا يعرفونه في بلادهم ، وذلك أن المطوعين ، المسلحين
بالمراوات ، يخرجون الى الطرق ، عند اقتراب مواعيد الصلاة ، ويجمعون التجار
على اغلاق حوانيتهم والنهاب الى المساجد ، ويفعلون مثل ذلك بمن يشاهدونه من
المارة ، ويذهب بعضهم الى الدور يقرعون أبوابها ويحيون بأصحابها للخروج الى
المساجد لتأدية الصلاة ، وكان عند أئمة المساجد جرائد بأسماء سكان محلاتهم ، يقرأون
أسماءهم ليعرف من تخلف منهم عن الصلاة ، فمن تخلف عنها بغير عذر مقبول نزلت
به العقوبة المستحقة .

لا يشك أحد في أن الصلاة ركن من أركان الاسلام ، وفرض عين على كل
مسلم ، ولكن الدول الاسلامية ، وخصوصاً تلك التي تفرق بين الشرع وبين
القانون ، لا ترى من حقها ان تسوق الناس بالقوة الى المساجد ، وليس ذلك بسبب
قول بعضهم ان صلاة الرجل في داره صحيحة ، ولكنها ، كما أسلفنا ، ترى نفسها
حارسه للقانون لا للشرع .

مكافحة المنكرات

لا نعني بمكافحة المنكرات ، مكافحة السرقات ونحو ذلك ، مما تقوم به دوائر الشرطة ، وإنما نعني بالمنكرات ما هو متصل بسلوك الأشخاص وأخلاقهم ، وخصوصاً « تصرفاتهم » التي لا عدوان فيها على أحد ، ولكنها تعد منافية للدين والعرف ، كخروج امرأة مثلاً الى الشارع شبه عارية ، أو تعاطي أحدهم المسكرات .. من الأمور التي تلفت نظر الأجانب في البلاد السعودية ، حتى اليوم ، خلوها من الملامح والحنان والمقاهي المجهزة بأدوات اللعب ، والمسارح ودور السينما ، ونحو هذا ، بحيث يمكن القول ان نوعاً من التقشف قد فرض على حياة الأفراد .

يضاف الى ذلك قيام المطوعين بمنع عرض الصور ، والقضاء غير الوقور .. أو اجتماع بعض الأفراد على حالة غير مرضية ، وما يشبه ذلك من المفاصد .. شيء من هذا « الوقار » في مظاهر الحياة العامة ، نجده في حاضرة الفاتيكان ، مقر البابا ، أعظم رئيس ديني مسيحي في العالم ، وقد فرض أيضاً على مدينة روما ، التي تقوم حاضرة الفاتيكان في طرف منها ، والدولة تحظر ظهور النساء في ملامح روما لعرض أجسادهن والقيام برقصات وحركات « خليعة » مستهترة ، ونحو هذا من المفاصد التي لا تليق بجمرة بلدة يقوم فيها مركز الكاثوليكية في العالم .

ويفهم الأجنبي أن تحافظ البلاد العربية السعودية ، وفيها الأماكن المقدسة ، وهي الدولة القائمة على أساس الشرع ، على الأخلاق الإسلامية ، وتمسك ، ما استطاعت ، بتراثها الأصيل ، ولكن السياسة الشرعية نفسها تستوجب معالجة هذا الأمر بحكمة ، حتى لا تنشأ عن الشدة مفاصد قد تفوق التراخي والتساهل ، لأن « الكبت » ، يعقبه الانفجار .

وقد أدركت حكومة البلاد السعودية هذا الأمر ادراكاً واعياً ، فأخذت تساهل في مسائل التسلية البريئة ، حتى لا ينصرف الناس في السر ، ان لم نقل في العلن ، الى ما هو أسوأ ، فالراديو والتلفزيون منتشران اليوم في البلاد ، ويستطيع الناس الاستماع ، وهم في دورهم ، الى الأغاني ورؤية الأفلام والمسرحيات ، وربما

أذنوا في مستقبل غير بعيد بافتتاح دور للسينما تعرض أفلاماً مقبولة ، وغير ذلك ، في تطور هادئ رصين موزون .

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يظن بعض الناس ، لما يرونه من شدة المطوعين أحياناً ، أن هذه الشدة ملازمة لقاعدة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهذا وهم .
فلهذه القاعدة آداب وسياسات متى أحسن فهمها واتباعها ، ضمن ذلك للجموع الاسلامي حياة سليمة رغيدة . وللشيخ محمد بن عبد الوهاب كلام في هذه الآداب ، يعد من أحسن وصاياه ، ويكشف عن سياسته الشرعية القائمة على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمر الله تعالى ، لا كما يتوهم الجهلة .

وصايا الشيخ

قال ، رحمه الله ، في رسالة إلى أهل سدير :
« إن بعض أهل الدين ينكر منكراً ، وهو مصيب ، لكن بخطيء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الاخوان ، وقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » واعتصموا بمجبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، الآية الكريمة .
وقال محمد (ص) : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بمجبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تتاصحوا من ولاء الله أمركم » .

وأهل العلم يقولون : إن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث : أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ،

صائراً على ما جاءه من الأذى .
وأنت محتاجون للمعرض على فهم هذا والعمل به ، فإن الحلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه .
وأيضاً يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجوز إنكاره !

فإن الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه ، فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودينه .
والجامع لهذا كله : إذا صدر المنكر من أمير أو غيره : أن ينصح برفق ، خفية ما يعلم أحد ، فإن وافق ، وإلا أرسل إليه رجلاً يقبل منه بخفية . فإت لم يفعل ، فيمكن الإنكار ظاهراً ، إلا أن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستحلف عليه ولا وافق ، فيرفع الأمر (بمنّا - أي إلى جهتنا - خفية ..)

وصايا ابن تيمية

وقد دعا ابن تيمية القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى التآدب بأدبين ، قال :
« أعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير ، لاشتاله على أنواع من المشروع ، وفيه أيضاً شر ، من بدعة وغيرها ، فيكون ذلك العمل شراً بالنسبة إلى الإعراض عن الدين بالكلية ، كحال المنافقين والفاسقين .
وهذا قد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة ، فعليك هنا بأدبين : أحدهما : أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً ، في خاصتك وخاصة من يطيعك ، واعرف المعروف ، وأنكر المنكر .
الثاني : أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الامكان . فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه ، فلا تدعو إلى ترك منكره ، بفعل ما هو أنكروه منه ، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرت من فعل ذلك المكروه .
ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير ، فمؤخر عنه من الخير المشروع

بحسب الامكان .

فتعظيم المولد واتخاذ مرسماً ، قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجر عظيم ، حسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستتبع من المؤمن المسدد . ولهذا قيل للامام (أحمد) عن بعض الامراء ، إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال : دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب ! ..

مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة . وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخط . وليس مقصود أحمد هذا ، وإنما قصده : إن هذا العمل فيه مصلحة ، وفيه أيضاً مفيدة كره لأجلها ، فهو لاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ، مثل أن ينفقها في كتاب من كتب الفجور ...

فتفطن لحقيقة الدين ، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ... حتى تقدم أهمها عند المزاخمة .

أمور مفتراة على أهل نجد

الدخان . القهوة . العادات والملابس . المولد النبوي . المنار

من يقرأ كتابات الغربيين ، وحتى العرب ، عن الوهابية ، يستغرب كثرة ما نسبوا الى أهل نجد من الامور التي لا يقولون بها ، ولا يفعلونها . من ذلك اتهامهم الوهابيين بأنهم يتشددون في المباحات ، فيحرمون مثلاً القهوة ، ويوجبون على الناس ارتداء ملابس مخصوصة ، ويكفرون من يستعمل الدخان ، أو يشهد المولد النبوي ، ويريدون إخضاع عادات الناس المباحة لما تخضع له العبادات ، الى غير ذلك .
وسلم بشيء من هذه الأقوال ..

العبادات والعادات

يقول أبو زهرة وغيره إن الوهابيين لم يكتفوا بجعل العبادات كما قرّرها الإسلام ، وبينها ابن قتيبة ، وإمام توسعوا في معنى البدعة ، فجعلوا من البدع عادات لا صلة لها بالعبادات ، كبعض أمور الملابس والمأكل ... وهذا زعم باطل ، فشان الوهابيين في هذا الأمر شأن سائر المسلمين السنيين . ومن كتاباتهم التي تدل على تفريقهم بين العادات والعبادات ، ما كتبه الشيخ سليمان بن سحمان ، حول العائيم والملابس الخاصة التي أحدثت لرجال الدين ، فقد أنكر لزومها ، لأن رسول الله (ص) كان قبل النبوة وبعدها يلبس لباس العرب المعتاد ، ولا يتميز منهم بشيء خاص !

وأردف قائلاً : إن لبس العائيم والأردية والأزر وغيرها هو من العادات ، التي هي قسم المباحات ، التي لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ، لا من قسم العبادات . ولذلك لا مجال للقول بأن من يأكل كذا أو يلبس كذا ... يتدع بدعة أو يرتكب جرماً ! .

قال الشيخ عبد اللطيف : « الكلام في العبادات لا في العادات ... والمباحث الدينية نوع ، والعادات الطبيعية نوع آخر ، فما اقتضته العادة من أكل وشرب ومركب ولباس ونحو ذلك ، ليس الكلام فيه . والبدعة ما ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، ولم يرد بها دليل شرعي من هديه وهدى أصحابه »

الدخان

ليس النهي عن استعمال الدخان من عمل « الوهابيين » ، وإنما هو اجتهاد إسلامي عام ، يتشدد فيه بعض الناس ويتسامح فيه آخرون . وقد أدخل الدخان « التت والتبناك » إلى استنبول في أوائل القرن السابع عشر للميلاد ، فاحتج علماء الدين الاتراك عليه ، وأصدر السلطان مراد الرابع أمره بتحريره ومعاقبة من يستعمله ، ولم يكن السلطان مراد وهابياً ! ...

وفي منطقة نجد ، من المملكة العربية السعودية ، لا يستعمل الناس الدخان إلا قليلاً ، بسبب التقاليد القديمة الموروثة ، التي بقيت آثارها الحسنة حتى اليوم ، وكان الوهابيون يشددون في منع الدخان ، ويزعم « بلغريف » ان بعض العوام من الغلاة كانوا يعدون استعمال الدخان من الكبائر ، وليس قولهم حجة ! ولكن « بلغريف » يجد لتشدد الوهابيين القدامى في منع الدخان ، عذراً واضحاً ، وهو أن الدخان الذي كان يجلب إلى نجد ، من عمان ، كانت قوته « السمية » تفوق ثلاثين مرة قوة السم الموجود في دخان « فيرجينيا » اليوم مثلاً ! ... (١)

القهوة

يقول أبو زهرة إن الوهابيين كانوا يجرمون على أنفسهم القهوة ، ثم تساهلوا فيها .. ووقع بهذا الخطأ كثير من المؤلفين الغربيين القدماء ، توهموا أن شرب القهوة محرم في بلاد نجد ! والحقيقة هي أن الوهابيين لم يجرموا القهوة ، وإنما حرّموا جماعة من « الجهمية » في عمان .

وقد قام رجل منهم يدعى « عبد العزيز بن مزروع » يشكو من انتشار شرب القهوة في نجد ... وأنه من البلاوي على النجديين ، وطلب تحريم شربها ، فردّ عليه العالم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، مفتي الديار النجدية ، رداً ساخراً لطيفاً ، تضمن كثيراً من الفوائد والحكم ، فكان دفاعاً « مجيداً » عن القهوة وغيرها من المباحات .

دفاع عن القهوة !

قال الشيخ عبد اللطيف :

١ - يقول الاستاذ احد السباعي ، في تاريخ مكة ، ان الدخان ظهر في مكة عام

١١١٢ هـ .

« ... قولك : من البلاوي على أهل الوقت عامة ، وعلى أهل نجد خاصة ، في دنياهم : القهوة .

فلا أدري ما يراد بالبلى هنا ؟

أهي الابتلاء في الدين ، أو هي الابتلاء بالنفقة فقط ؟
فإن كان الأول فلا يسلم بمجرد الدعوى .

وإن كان الثاني ، فالناس درجات وطبقات في البر والعسر والمعيشة ، وتوسع الأغنياء لما يذم لوجوه لا تختص بالقهوة ، بل يجري في غير ذلك من سائر المباحات .

وأما التعليل بأن فيها مضار للأبدان ، فلا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ، فإن الأبدان الدموية والبلغمية تنتفع بها بلا نزاع ، والسوداوي والصفراوي يمكنه التعديل بالتمر - الذي هو غالب غذاء أهل نجد - وقال « داود » في تذكرته : بعدلها كل حل .

وأما قولك : وإذا كان الخمر يزيل العقل عند شربه ، فهي ، شاهدناها ، تخامر العقل عند فقدها !

فهذا الكلام لا ينبغي أن يقال ، لأن الخمر تزيل العقل بخامرتها أي بتغطيته ، وهي - القهوة - لا تزيل العقل ولا تخامره ، بل ربما كان شاربها قوي الذهن حاد الإدراك جيد الحافظة ، والموجود عند فقدها لا يسمى مخامرة ، وإنما كسل وفتور ، لها لا بها ...

وأما قولك : وإذا عرضت مضارها على العاقل منهم شهد بها وعابها .

فيقال : أي عاقل يراد بهذا ؟ أما العمامة ومن لا عناية له بعرفة الأحكام الشرعية ... فعقولهم لا تصلح أن تكون ميزاناً ...

وقولك : وإذا وزنتها العقول السليمة ، فلا شك أنها لم تلعب .

- .. فاللهو واللعب ما لا يعود بنفعة أصلاً ويعود بضرة رجعت على مصلحته ، وإدخال القهوة في هذا التعريف يحتاج إلى أصول ومقدمات ... وما ذكرت في التعليل قد يجري في كل مباح .. وليس ذلك الوصف لازماً للقهوة .

وأما كونها لا تغني من جوع ولا تروي ..
فهذا الوصف يأتي على كثير مما كانوا يتعاطونه من المباحات ولم تأت
الشرعية بتحريم ما لا يغني من جوع ولا يروي .
وأما كون مزرعها من بلاد الكفار .
فمن كان عندكم امتناع ما زرعه الكفار ، ونسجه الكفار ، وخرج من بلاد
الكفار ، وجمهور أموالكم وما كللكم من هذا الضرب ؟
... قد كانت المدينة في عهد النبوة يجلب إليها من بلاد الكفار أنواع المأكول
والأدهان والملابس التي نسجت وصبغت ببلاد الكفار .. كما لا يخفى على من له
أدنى نظر في الأخبار .
وأما ما زعمت من ضررها على أهل الجهاد .. فمن الظرائف ... وربما قيل
بعكس القضية ، لما فيها من « تشيف البلغم » وتخفيف المواد المكسلة الردية .
ولو صرف الأخ النجيب فكرته ونظره إلى ما تعطل من أصول الدين ...
لكان هذا أولى وأجدر . - انتهى كلام الشيخ .

المولد النبوي

أنكر ابن تيمية على الناس ، في زمانه ، مضاهاتهم للنصارى واتخاذهم عيداً من
يوم المولد النبوي ، يحتفلون به كما يحتفل المسيحيون بعيد ميلاد المسيح ، عليه
السلام .

وحجة ابن تيمية في إنكاره أن هذا شيء لم يفعله السلف ، « مع قيام مقتضي
له وعدم المانع منه . ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً ، لكان السلف أحق به
مننا ، فإنهم كانوا أشد حجة لرسول الله (ص) وتعظيماً له منا ، وهم على الخير أحرص ،
وإيأساً كمال محبته وتعظيمه : في محبته ومتابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته
باطناً وظاهراً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان . »
ومع ذلك لم يتشدد ابن تيمية في إنكاره للموالد ، بل أظهر وهو يتحدث عن
أدب الإنكار ، أن « تعظيم المولد واتخاذهم موسماً ، قد يفعله بعض الناس ويكون

له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ...
وقد يحسن من بعض الناس ، ما يستتبع من المؤمن المسدد .
ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو
ذلك ، فقال :

— دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب !
مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة .
.. فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ..
فتفطن لحقيقة الدين وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية
والمفاسد .. حتى تقدم أهمها عند المزاينة .
وقد كتب الشيخ الى سليمان بن سعيد ينكر عليه حضور الموالد ، فقال :
« .. الناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد ، وتقرأ لهم ، وتحضرهم وهم
ينخون ويندبون مشايخهم ، ويطلبون منهم الغوث والمدد ، وتأكل اللحم من الطعام
المعد لذلك .

فإذا كنت تعرف أن هذا كفر ، فكيف تروح إليهم وتعاونهم عليه وتحضر
كفرهم . . .

ويذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أن من البدع: ما اعتيد في
بعض البلاد من قراءة مولد النبي (ص) بقصائد بألحان ، وتخلط بالصلاة عليه ،
والأذكار والقراءة ، ويكون بعد صلاة التراويح ، ويعتقدونه على هذه الهيئة من
القرب .

وفي اعتقادنا أن الشيخ وابنه عبد الله إنما تشددا في إنكار الاحتفال بالمولد
النبي ، لأنه كان يقام على شكل مخصوص لا تراعى فيه الأوامر والآداب
الدينية ، أما إذا اكتفى الإنسان في يوم المولد النبوي بقراءة سيرة النبي (ص)
ورواية أحاديثه وتعداد فضائله لمجرد الذكر والاعتبار ، فما الضرر في ذلك ،
وإن كان السلف لم يكونوا يفعلونه ؟

ان البدعة في العبادات ، فإذا تجرد المولد من فكرة العبادة والقربة ... لم
يترك مجالاً لتحدث عن البدعة والابتداع ، والله أعلم !

المنار

وقالوا : ان الوهابيين يدمون المآذن ويستكرونها ، ولا يتخذونها في
مساجدهم ، لجرد أنها لم تكن موجودة في زمان النبي (ص) .
وقد ردت على هذا الزعم الشيخ عبد اللطيف ، فقال :
« هذا أيضاً من البهت ، فالمنار موجودة مشيد بنجد الآن . وليس وجود المنار
شرطاً في الإسلام ولا واجباً ، وفي استعجابه نزاع لعدم وجوده في عهده (ص) .
وكان المؤذن يتحرى أعلى المسجد وسطحه ليحصل الإجماع . » .

المحمل

من العادات أو « المراسم » المشهورة التي كانت تبرز في موسم الحج من كل عام ، في البلاد العثمانية : المحمل .

والمحمل : جبل ، ينصب عليه « هودج » ، ويزين بأنواع الزينة ، يجعلونه في مقدمة الركب ، أي قافلة الحجاج ، ويحيطونه بكل مظاهر الحفاوة والتكريم ، كأنه رمز حي للحج !

وربما جعلوا خلفه فرقة من الموسيقيين تضرب على آلاتها النحاسية وتتفخ في الأبواق وتقرع الطبول ، زيادة في التعظيم ... والتجسيم !

وهذه العادة لا خطر منها ، لو أنها كانت مجرد عمل من أعمال الأفراد ، يقومون به عفواً ، ولكنهم جعلوه كالسنة المتبعة ، أو الفريضة الشرعية ... وبالغوا في الاحتفال به بمبالغة كبيرة ، وأقاموا له « الموظفين » المختصين بالعناية به ، حتى توهم العامة أن المحمل جزء من فريضة الحج ... أو مقدمة له لا يستغنى عنها !

ومن المعروف أن السلفين وخاصة الخنابلة منهم كانوا ضد هذه الطقوس المتبدعة ، التي لا تخلو من شيء من المظاهر الوثنية .

وقد تشدد الإمام سعود الكبير في منع المحمل العثماني من دخول مكة بأبيه المعهودة ، وحاشيته الموسيقية ، وحرسه المسلح ، وعدّ ذلك مخالفاً للشرع ، وربما كانت له وراء ذلك أغراض سياسية أيضاً ...

وفي عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، حاول المصريون أيضاً تجديد مراسم
المحمل ، مع أن أيام الحج على الجبال مضت وانتقضت ، فوقفت الحكومة السعودية
أمامهم تحول دون ذلك ، وكادت تقع بسبب المحمل فتنة كبيرة ، لولا حكمة
الملك عبد العزيز ومعاونه ، ويمكن القول ان هذه العادة قد زالت الآن ...
بفضل مقاومة الحكومة السعودية لها أولاً ، وثانياً : بفضل تحول الناس عن
ركوب الجبال إلى الطائرات والسيارات والبواخر .

ماکتب عن الوهابیۃ

أول كتابه ظهرت في أوروبا عن الوهابية

Description de L'Arabie

Par

Karsten Niebuhr

أول كتاب ظهر في الغرب ، تحدث فيه صاحبه عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خلال حياته ، هو كتاب « وصف جزيرة العرب » ، للرحلة الدانماركي المستشرق : « كلوستك نيبوهر » ، الذي زار اليمن ثم سواحل الخليج العربي ، والبصرة ، ومدناً أخرى في العراق والشام ؛ ولكنه لم يستطع الوصول الى الدرعية ، ليحقق أملاً غالياً في لقاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود .. فاكتمى بنقل ما سمعه من أخبار نجد والحركة الوهابية ، وهو في البصرة . وليست أخبار نيبوهر كثيرة ولا خطيرة ، ولكن قيمتها في أوليتها وسبقها ، وأنها غير بعيدة كثيراً عن الحقيقة ، وأدنى الى الإنصاف مما كتبه بعض الشرقيين ..

وهذه هي ترجمتنا لل فقرات التي تحدث فيها نيبوهر عن الحركة الوهابية ، وربما أشير إليها في كتب عربية أخرى ، ولكن أحداً ، فبا نعتقد ، لم يسبقنا إلى ترجمة نصها الكامل :

« كان سكان المدن والقرى في نجد ، كلهم ، سنين من أتباع ابن حنبل

— باستثناء عدد يسير من النصارى واليهود ، والشيعه ، في هجر .
ومنذ بضع سنوات ، نشأت في العارض فرقة جديدة ، بل ديانة جديدة ،
ستحدث مع مرور الأيام تغييرات واسعة في معتقدات العرب وأسلوب حكمهم .
ومؤسس هذه الديانة هو : « عبد الوهاب » ^(١) ، الذي ولد في نجد ، ودرس في
شبابه علوم العرب في موطنه ، ثم عاش بعد ذلك سنوات في البصرة ، وقام برحلة
الى بغداد والعجم .

ولما عاد الى نجد ، دعا أبناء وطنه إلى أفكاره الدينية الجديدة ، وقد حاله شيء
من التوفيق ، اذ استطاع أن يستميل اليه عددا من شيوخ العارض . أما الجمهور ،
فمن عادتهم أن يتبعوا الرؤساء ، ولذلك أصبحوا من أتباع هذا الفقيه الجديد ،
تقليداً لرؤسائهم .

كان شيوخ العارض المستقلون في قتال دائم ، فلما اعتنقوا الدين ، أصبحوا
بفضل عبد الوهاب أصدقاء وأخوانا ، وتعاهدوا على طلب المشورة من زعيمهم
الديني الجديد قبل الإقدام على أي عمل ذي بال ، كما تعاهدوا على الالتزام بأوامره .
وبهذا اختل التوازن السياسي الذي كان قائماً بين إمارات العارض الصغيرة ،
لأن الشيوخ الذين كانوا قادرين على الصمود أمام جيранهم ، لم يعودوا قادرين على الوقوف
أمام هذا العدد من الشيوخ المتحالفين ، وأصبحت الحروب أكثر عنفاً ، لأن كل
واحد من الطرفين يعتقد أنه إنما يخوضها في سبيل الدين ، وأنه إنما يجارب ملاحدة
أو كفاراً ، يريدون الاستمرار في ضلالهم !

ولما رأى الشيوخ المستقلون ، الذين لم يدينوا بالطاعة لعبد الوهاب ، أنهم
عاجزون عن مقاومته ، لضعفهم وانقسامهم ، استدعوا « عرعر » ، شيخ الأحساء ،
لمؤازرتهم ، فهب شيخ الأحساء لنجدتهم ، ولكنه لم يفعل ذلك لجرد أنهم أبناء دينه ،
ولما خاف أن يصبح أنصار الديانة الجديدة على درجة من القوة تمحلهم على غزو
بلادهم نفسها !

١ — عبد الوهاب ، هو اسم والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن الغربيين ألفوا تسمية
الأفراد بأسماء أسرهم أو آبائهم .

« وهنا يتحدث نيهير عن هزيمة جيش الأحباء ، ثم عن جيش نجران ، وقد استشهدنا بهذه الفقرات من كتابه في وصفنا لمعارك محمد بن سعود ، فليرجع إليها هناك . » ، ثم يقول :

لم تسعني الفرصة في الاتصال مباشرة بأتباع عبد الوهاب ، فلا أستطيع أن أقول شيئاً موثقاً في موضوع عقائدهم .

أما السنيون الآخرون فكانوا خصومهم ، ولذلك يحاولون عرض ديانتهم عرضاً مشوهاً ، إما ليغضوا بها ، وإما ليحملوا الأجانب على الاعتقاد بأن الفرق بين الديانة الجديدة وبين الديانة القديمة غير كبير من حيث الأسس .

ومن هؤلاء الذين لا يرون فرقاً بين الديانتين : رجل من أدباء البصرة ، كان يؤكد لي أن أتباع عبد الوهاب يصلون كما يصل سائر المحمديين ، وأن محمداً عندهم هو النبي ، وأن الفرق بينهم وبين السنيين هو أنهم لا يريدون الاعتراف بأولياء السنيين ..

ويمكننا أن نستنتج من هذه الأقوال أن عبد الوهاب إنما علّم الناس عقيدة السنيين الصافية ، فأكبر فقهاء السنة كانوا ينكرون التوسل بمحمد أو بأي واحد من الأولياء ، لأنه لا يجوز في اعتقادهم أن يدعى غير الله .

وقال لي شيخ مكاري يؤجر جماله ، زار أم بلدان نجد ، بل رأى الجزيرة العربية كلها ، وزعم لي أنه يعرف الديانة : إن عبد الوهاب علّم أتباعه أن الله وحده هو الذي يجب أن يُدعى ويُعبد كخالق ومدير للكون ، ومنهم من أن بشر كوا في الدعاء اسم محمد أو أي نبي أو ولي ، أو اسم عبد الوهاب نفسه ، لأن ذلك من الوثنية .

وأضاف محدثي : إن عبد الوهاب يرى أن محمداً والمسيح وموسى وصائر الأنبياء هم رجال عظماء وجديرون بكل اجلال ؛ ولكنه لا يعتقد بوجود كتاب ، كـتِيبٍ بوحى من السماء ، أو أنزل بواسطة جبرائيل ^(١) .

١ - يعني أن محمد بن عبد الوهاب لم يقل قط أن دعوته كانت وحياً أو أن كتاباً أنزل إليه . والا فلا يعقل أن ينسب رجل ، مهما بلغ به الجهل - إلى محمد بن عبد الوهاب أنه ما كان يعتقد بوجود كتب منزلة ..

قال نيهير: « لا أعلم إن كنت أستطيع الوثوق بكلام هذا البدوي، لأن البدو يقولون عن أنفسهم إنهم محمديون، ولكنهم لا يعرفون محمداً ولا يفهمون القرآن .»

(أوائل الكتب الغربية عن نجد والوهابية)

إن كان المؤلفون القدامى عجزوا عن فهم الدعوة الوهابية ، كما ينبغي لها ان تفهم ، فمن الحق أن نعترف لهم بأنهم كانوا أقرب إلى إنصاف الشيخ وتقدير حركته ، من كثير من أبناء البلاد العربية والإسلامية ، في عصره وبعد عصره ، وقد أتى غير واحد من الأوروبيين على الشيخ ودعوته ثناءً عظيماً ، وبالعالم بعضهم في أمره ، فوصفه بأنه « نبي » وأراد آخرون أن يشبهوه بما عندهم ، فقالوا إنه « بابا » المسلمين ، وقال بعضهم إنه مصلح ديني ، من طراز « لوتر » أو « كالفان » ، اللذين قاما بالدعوة إلى تنقية المسيحية مما دخل عليها في العصور المتأخرة .

كان الانكليز أكثر الأوروبيين عناية بأمور الجزيرة العربية الوسطى ، لاتصالها بمناطق نفوذهم في الخليج الفارسي ، ولكن الافرنسيين سبقهم كثيراً إلى الكتابة عن نجد ، وعن الحركة الوهابية ، ففي عام (١٨٠٤) نشر « كورانسيز » في مجلة « لومونيتور » الباريسية سلسلة مقالات عن الوهابيين ، ثم جمعها عام (١٨١٠) م . في كتاب أسماه « تاريخ الوهابية » .

وفي عام (١٨٠٦) أصدر « جان ريمون » كتاباً بعنوان « مذكرات عن أصل الوهابيين » .

وبعد قليل أصدر « روسو » كتاباً أسماه : « مذكرات عن الفرق الإسلامية الثلاث » .

وفي عام (١٧١٨) ألف « أوغوست دونارسيا » كتابه : « رسالة صغيرة عن العرب ومذهب الوهابيين » .

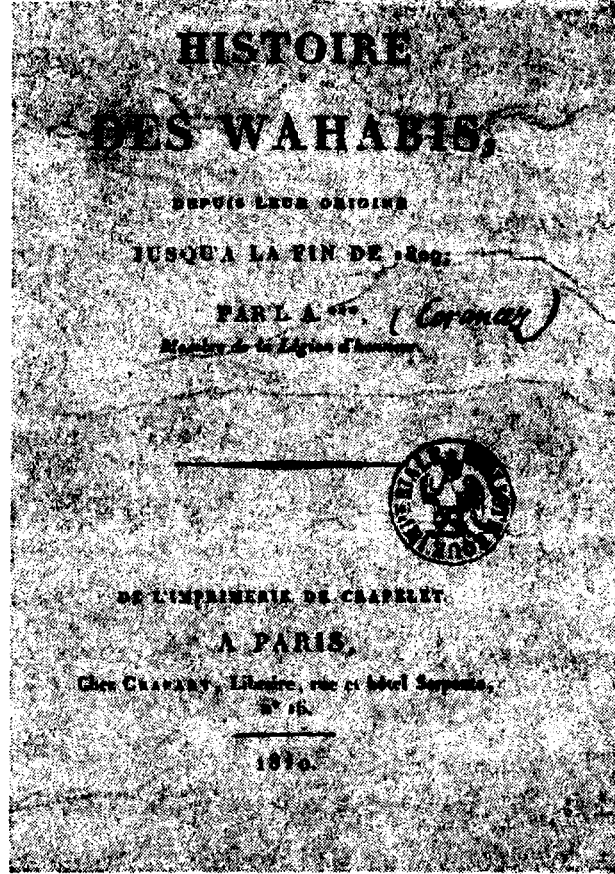
ثم أصدر « جومار » ثلاثة كتب عن نجد والعرب وهي :

١ - تاريخ الوهابيين .

٢ - رسالة عن بلاد نجد .

٣ - دراسات جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب عام ١٨٣٩ م .

أول كتاب ظهر في أوروباء عن الوهابية



صورة فوطوغرافية لفلاف كتاب كورانسيز

تاريخ الوهابيين

تأليف أوليفيه ده كورانسيز

أول كاتب غربي وضع كتاباً عن تاريخ نجد ، منذ ظهور الحركة الوهابية، هو

الكاتب الفرنسي : أوليفيه ده كورانسيز ، ونشر هذا الكتاب في باريس عام ١٨١٠ م. أي بعد سنوات قليلة من استيلاء الوهابيين على مكة ، فكان له دوي هائل ، وأخذ عنه المؤرخون والكتاب وأصحاب المجلات والصحف .

كان كورانسيز عضواً في البعثة العلمية التي صحبت الامبراطور نابوليون بوناپوت الى مصر ، ثم أقام مدة في حلب ، قنصلًا لفرنسا فيها ، وهناك جمع مواد كتابه عن الوهابيين ، وهو الآن شبه مفقود ، ولكننا ظفرنا بنسخة منه في دار الكتب الوطنية بباريس وصورناها ، وسنقوم بترجمتها وطبعها إن شاء الله .

وحسبنا الآن ، تقديراً لأولية هذا الكتاب ، ان نترجم مقدمته الى العربية ، وسيجد قارئ كتابنا ، في فصول متفرقة ، أقوالاً وأخباراً أخذناها عن كورانسيز . قال المؤلف الفرنسي ، في مقدمة كتابه :

ان اسم الوهابيين اليوم جد معروف في أوربا ، والناس حراس على معرفة أحوالهم ، ومن هنا قيمة كتابنا وخطره .

إن هؤلاء العرب مدعوون إلى القيام بدور عظيم في التاريخ ، فإذا حققوا هذا الأمل ، فمن الخير أن يعرفهم الناس منذ اليوم ، لأن عناصر العظمة ، لكل شعب ، إنما تكتسب في أول أمره ، ومطلع فجره ...

أما إذا بقي الوهابيون منطوين على أنفسهم في جزيرة العرب - وهم اليوم سادتها - فقد فعلوا أشياء جليلة جداً ، تستوجب تخليد ذكركم !

لقد أقمنا في حلب ثمانية أعوام ، أنفقنا خلالها خير جهدنا وأحسن وقتنا في جمع المعلومات الصحيحة ، عن نشوء السلطنة الوهابية ، وتطورها ، وحالتها الحاضرة . ولعل صعوبة عملنا أفضل عذر تقدمه بين أيدي القراء عما يجحدونه في كتابنا من نقص أو خطأ .

لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن الوهابيين في أوائل هذا العصر ، إلا القليل الذي كتبه « نيبهر » عنهم ، ثم جاء استيلاؤهم على مكة ، بشيواهم الدنيا كلها بأمرهم .

نشرنا في أكتوبر من عام ١٨٠٤ تاريخاً موجزاً للوهابيين في جريدة «لومونيتور»

فنقلته عنها مجلات وصحف كثيرة . وهو أول تاريخ لهم يُنشر في فرنسا . وكان أكبر عون لنا في عملنا : مسيحي ماروني من أسرة « فرنجية » ، وإفرنسي يدعى « ريمون » ، كان يعمل ضابطاً للمدفعية ، في بغداد ...

ليس من غايتنا أن نتلمس مصدر الوهابية في حركات سبقتها ، فقد قيل ، مثلاً ، إنهم ورثة القرامطة ، الذين كانوا يسيطرون على البحرين ، وأقدموا على سرقة الحبر الأسود من الكعبة ؛ وقد يكون صحيحاً أن الدروز والنصيرية والمتأولة والإسماعيلية تأثروا بالقرامطة ، ولكن نسبة الوهابيين إليهم غير صحيحة إطلاقاً ، لأن القرامطة شتوا دين الإسلام ، وأما الوهابيون فقد تقوا الإسلام بما أدخل عليه من تشويه وأعادوه إلى بساطته الأولى وصفائه ، فهم والقرامطة ضدان ! .

لم يظهر الوهابيون إلا منذ خمسين سنة ، ولكن هذه السرعة الهائلة التي اتسمت بها فتوحاتهم ، ضماناً كبيرة لبقائهم وعظمتهم !

إن الحركة الوهابية قريبة من زمن نشأتها ، ومع ذلك لا نعرف من أخبارها إلا القليل ، لأن العرب يتقاتلون دائماً ، ثم ينسون ما صنعوه ، أو لعلمهم ينسون ما كانوا يعدونه أمراً تافهاً غير جدير بالتدوين والحفظ .

وهكذا غابت عنا أوصاف المعارك الأولى الصغيرة التي خاضها الوهابيون ، والصعوبات التي وقفت في طريق سيرهم ، وقد تبقى مجهولة إلى الأبد .

اتمس الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خارج نجد ، أميراً أو « باشا » بحمي دعوته فلم يجد ضالته ، لا في دمشق ، ولا في بغداد ، ولا في البصرة ، فعاد إلى نجد ، وهنا تحقق حلمه ، فقام محمد بن سعود بحمايته ونصرة دعوته .

كان المسلمون يومئذ يارسون أشكالا غريبة من العبادات ، بحيث لو عاد « محمد » إلى الدنيا ، لظن أن الإسلام زال منها ، ولرأى شيئا عجيبا ... فالصلاة نفسها صارت لها « طقوس » جديدة ... وعلى القبور تقام الاقباب والمباني ، ويُزعم أن لأصحابها كرامات أو معجزات ... وهناك وسطاء بين الله والناس يقبلون الرشوة . ومجانين يتنقلون في البلاد مجرية ولا يجرؤ أحد على مقاومتهم ، لأنهم ، فيما

يزعمون ، من أصحاب « السر » أو أهل الخطوة ... وأما القرآن الخالد فقد فسروه تفاسير مذهلة غابت فيها حقيقته ! ...

أعاد محمد بن عبد الوهاب - وهو من « مضر » عشيرة النبي محمد - الإسلام إلى حالة يعرفها النبي ولا ينكرها .

.. وبما ساعد الوهابية على كسب الأنصار أن الناس مولعون دائماً بالجديد ، محبون للتغيير !

حرمت الوهابية كثيراً من متع الحياة ومباهجها ، فأغضبت بذلك فريقاً من الأغنياء ، ولكنها أرضت الفقراء ، لأنها قربت المسافات بينهم وبين الأغنياء ، الذين ما عادوا يستطيعون تبذير ثرواتهم على الخمور والفجور ، وغير ذلك من مظاهر الترف التي كانت تثير أعصاب الفقراء !

وكان مقدراً للوهابية أن تتوسع كثيراً ، ولكن تشدد بعض رؤسائها في تطبيق أفكارهم حال دون ذلك ، . - انتهت المقدمة ، وقد ترجناها بتصرف يسير .

أخطاء كورانسين

تورط (كورانسين) مع شدة تحريمه ، وحسن نيته ، في عدة أخطاء لعلها نشأت عن أكاذيب خصوم الوهابية الذين كانوا ينقلون إليه روايات باطلة كثيرة لم يستطع محيضا كلها ، فن أخطائه :

١ - قوله إن الوهابيين حذفوا الشطر الثاني من الشهادة وهو : « محمد رسول الله » واكتفوا بالشطر الأول : « لا إله إلا الله » .

٢ - وقوله إن الشيخ دعا إلى التمسك بالقرآن ، دون الحديث .

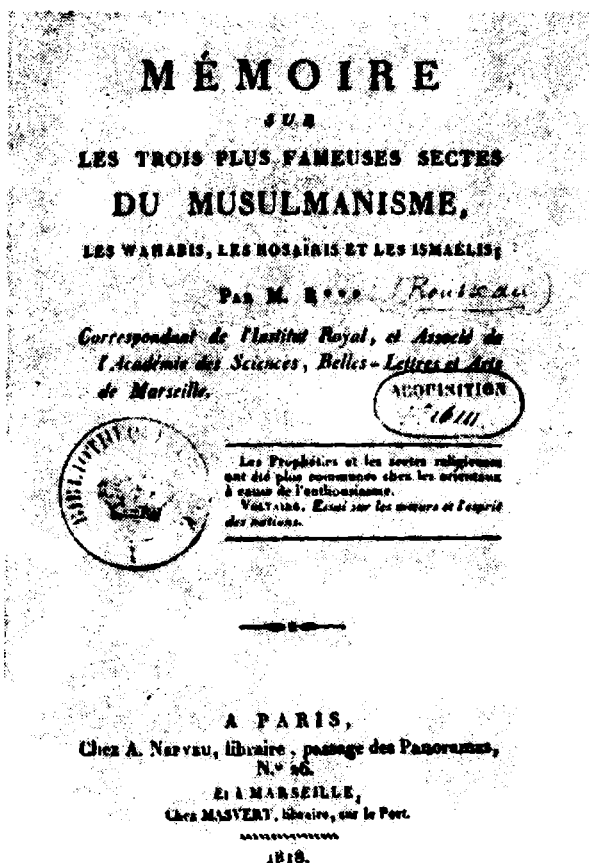
٣ - وقوله إن المسلمين عامة ينظرون إلى محمد كرسول ونبي ، وإن الوهابيين ينظرون إليه كرجل حكيم ليس أكثر .

٤ - وقوله إن الوهابيين يحترمون اليهود والمسيحيين أكثر من احترامهم للمسلمين المنتمين إلى المذاهب الأخرى .

هـ - وقوله إن الرهابيين يقتلون من يستعمل الدخان .
وقد تناقل المؤرخون والكتاب الغربيون أقوال (كورانسيز) ، وهي في
جملتها ، تصور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في صورة مصلح ديني ، يكافح الحرافات
والبدع ، ولكنه متشدد في ذلك !

روسو

أشهر المذاهب الإسلامية الثلاثة



صورة فوطوغرافية لكتاب روسو

ومن أوائل الكتب الفرنسية ، التي تحدثت عن الوهابية ، وقارنتها بالاسماعيلية
 والنصيرية لتظهر اختلافها عنهما ، خلافاً لمزاعم بعض المؤلفين العثمانيين ، كتاب ألفه

الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨ م . وهذا شيء مما كتبه عن الوهابية :
« إن نظرية محمد بن عبد الوهاب بسيطة جداً ، فهو يدعو إلى عبادة إله واحد ،
ويقول إن الله هو مصدر ما يصيب الناس من خير ومن شر ، وإن أحداً لا
يستطيع أن يتوسط بين العبد وبين خالقه ليغير القضاء والقدر ، وإن الموتى ليسوا
أكثر من تراب ، فهم لا يضرون ولا ينفعون ، وتوجيه الأدعية إليهم والبناء على
قبورهم عبثٌ بل شرك ، وقد بدأ النصارى بمثل هذا وانتهوا إلى جعل المسيح إلهاً
يعبدونه .

... أحلت الوهابية أتباعها من رابطة الولاء نحو الخليفة العثماني .
وهي تحرم الخمر والدخان ، ولكنها تحل القهوة وتتساهل في أمر الملابس ،
وأما الشعر ، وخاصة اللحية ، فإنهم يقصونه بالمقصات ، وهكذا كان يفعل اليهود
المتعصبون ، المتمسكون بعاداتهم القديمة .
وهم لا يغسلون أيديهم بعد الطعام ، حتى يذكر الإنسان دائماً نعمة الله عليه !
ويقال إن الوهابية تتساهل مع المسيحيين أكثر من تساهلها مع المسلمين ، وهذا
غير صحيح !

فقد علمنا أن رجالاً من باريس ، أرادوا العودة إلى بلادهم بطريق فارس ،
فاستولت على سفينتهم عشيرة « القواسم » ولم يستطيعوا إنقاذ حياتهم إلا بالدخول
في الوهابية وقبول « الحتان » ...
ولما هاجم الإنكليز القواسم ، استنجد هؤلاء بالباريسيين ، فاستعملوا الأسلحة
النارية ضد الإنكليز ، وكان ذلك وسيلة لإرضاء ضمايرهم بمقاتلة أعداء وطنهم أكثر
منه وسيلة لاسترضاء القواسم .
وأصبح الوهابيون أكثر تسامحاً مع المسيحيين ، بعد أن اكتشف سعود
الكبير أن أهل الكتاب غير ملازمين بتغيير دينهم ، وإنما يجب عليهم دفع الجزية ..
وفي هذا له كسب مادي لم يكن ليزهد فيه !

ميشو

تكلم « ميشو » عن الوهابية في كتابه : La Biographie Universelle « التراجم الكونية » . وكان مصدره الأول ، فيما نعتقد ، كورانسيز ، وهو يعرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بأنه « نبي » ، ويزعم أن شعار الوهابيين هو : « العقيدة أو الموت » ، ولأنهم كانوا يخبرون المغلوبين بين القتل ، وبين متابعتهم !
ثم يلخص عقيدتهم قائلًا :

« إن عقيدة الشيخ محمد هي الإسلام في صفاته الأول . وهو يقبل القرآن ، ولكنه يرفض الأحاديث ... »

وهو ينظر إلى المسيح ومحمد والأنبياء كحكام ولا يقوم بأي نوع من العبادة
نحوهم !

أما الشهادتان ، فيأخذ منهما القسم الأول ، وهو : « لا إله إلا الله » ، ويترك
القسم الثاني ، وهو : « محمد رسول الله » !

ويقول : لا حج إلا إلى الكعبة ! « التي كان العرب يقدسونها منذ أقدم
الأزمان »

وقد منع الجنائز وما يخرجونه فيها ، وأمر بهدم الأبنية والقباب المقامة على
قبور الشيوخ والأولياء والصالحين .

مانجان

بعد المؤرخ الافرنسي « مانجان » ، في نظرنا ، أفضل المؤرخين الغربيين القدامى الذين كتبوا عن نجد والوهابية ، وفي كتابه : « تاريخ مصر » ، فعل خاص بعنوان : « تاريخ الوهابية » وملحق في جغرافية نجد ؛ ومزية هذا المؤرخ شدة تحريره للحقائق و « موضوعيته » ، وبما ساعده على جمع « المعلومات الصحيحة » عن نجد أنه أقام في مصر مدة اجتمع فيها بعده من أفراد أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمراء السعوديين ، الذين كانوا يعيشون هناك منفين ، ولذلك نقلنا عنه كثيراً في هذا الكتاب .

وهذا تلخيص موجز لما كتبه عن دعوة الشيخ :
« كانت تعاليم هذا المصلح مؤسسة على مبادئ أخلاقية سليمة ، تدعو مواطنيه إلى عبادة الله ، وحده ، والتوجه إليه وحده بالسؤال والدعاء .
وكان يأمر بإقامة الصلوات خمس مرات في النهار ، وصوم رمضان ، والحج إلى مكة ، والزكاة .

وكان يحرم المشروبات الكحولية ، والزنا ، والميسر ، والربا ، والسحر .
وكان ينهى عن التدخين ، ولبس الحرير ، والذهب والمجوهرات - إلا للنساء - كما ينهى عن إقامة القباب على القبور ، لما يخشى بسببها من الشرك ، لأن الناس كانوا يأتون إلى هذه القباب التي يعظمونها ، ليطلبوا من أصحابها الشفاعة !
وكل شيء دعا إليه الشيخ ، هو من الدين ، أي بما أمر به الله ورسوله ، ولكن المسلمين نسوه أو تناسوه وأهملوه ، فقام الشيخ بدعوتهم إليه وحملهم عليه أعظم قيام . »

بركارت

« مواد لتاريخ الوهابيين »

ألف المستشرق الكبير ، بركارت ، كتاباً أسماه : « مواد لتاريخ الوهابيين » ،
قال فيه :

« يمكن وصف ديانة الوهابية بأنها ديانة مطهرة « بوريتان » ، وحكومتهم بأنها
حكومة « بدوية » ، يتولى زعيمها السلطة السياسية والدينية معاً ، على نحو ما كان
يفعل خلفاء محمد (ص) ... »

*

لم تكن المبادئ التي جاء بها ابن عبد الوهاب مبادئ دين جديد ، وإنما كانت
جهوده منصرفة إلى اصلاح ما فسد من معتقدات المسلمين ، وإلى إشاعة الدين بين
البدو ، الذين كانوا مسلمين بالاسم ولكنهم ما كانوا يعرفون الديانة ، ولا كانوا
يعملون بأوامرها .

وكان ابن عبد الوهاب - كسائر المصلحين - « غير مفهوم » ، لا من أعدائه ،
ولا من أصدقائه .

أما أعداؤه فقالوا إنه صاحب دعوة جديدة ، تعتبر الأتراك ملحدين ، ولا
تكرم النبي كما يكرمونه هم ، ولذلك عادوه وبدعوه ، بل كفروه ..
وبما قوى الأعداء في شبهاتهم ، دسائس الشريف غالب ، وتحذيرات الباشوات ..

فالشريف غالب كان حربياً على أن تبقى بين الترك والوهابيين هوة ، وكان أخشى ما يخشاه أن يتفاوض الفريقان ويتفاهما على حسابه ...
والباشاوات كانوا يكرهون الحج ، لكثرة نفقاته ومتاعبه ، فكانوا يبالغون في وصف أعمال الوهابيين ومظالمهم ليصرفوا الناس عن الحج .

... والحق أن أعمال البدو من الوهابيين لم تكن مشجعة على الثناء عليهم ...
وصحيح أنهم تعلموا شيئاً من الدين بفضل الدعوة الوهابية ، ولكنه شيء قليل جداً لم يغير عاداتهم وعقليتهم الأولى ... وهؤلاء البدو الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام من قبل ، لا يستغرب منهم أن يظنوا أن الوهابية ديانة جديدة ، اختصوا بها ... وان غيرهم ليسوا من أصحاب الدين الصحيح .

لقد كان رئيسهم يغذي فيهم روح التعصب ، بحيث لا يستطيعون التمييز بين الأمور الثافئة التي ليس من شأنها أن تحمل على تكفير الناس ، وبين الأمور الخطيرة .
اجتمع عدد من أهل الشام والمصريين خلال الحج بعدد من الوهابيين المتعلمين ، وتفاهموا ... واقتنع الفريقان بأنهم ، على ما بينهم من اختلافات ، مسلمون ولا يجوز أن يكفر بعضهم بعضاً ... ولكن أحداً ما كان يجرؤ على إعلان هذه الحقيقة ، بعد أن تعطل الحج منذ عام ١٨٠٣ واستحكم العداء .

وبسبب ذلك رأينا « روسو » ، في كتابين له عن الوهابية كتبها في بغداد وحلب حوالي سنة (١٨٠٨) ، يقول : إن الوهابية ديانة جديدة ، وانها أبطلت الحج إلى مكة ...

ويكفي أن يرجع الانسان الى كتب الوهابيين حتى يعرف أنهم مسلمون
سنيون !

لقد ظن « سعود » ان الناس في مكة لا يعرفون الإسلام ، فراح يوزع عليهم رسالة تلخص أركان الإسلام وأهم أوامره ونواهيه ، ثم بدا له أن يخاطب في الناس ويدرسهم ما جاء في رسالته ، وكانت دهشته عظيمة حين رأى أهل مكة يعرفون كل شيء قاله لهم ... ولذلك عاد فأمر بالكف عن توزيع رسالته !
إن الوهابيين لا يختلفون عن بقية المسلمين الا في أشياء « ثانوية » ، لانهم

متفقون معهم على أن دستورهم الأساسي هو القرآن الكريم والسنة النبوية .
ولكن الوهابيين يأخذون على الأتراك تعظيمهم للنبي بشكل يقرب من العبادة الشخصية ، وتعظيمهم ، على هذه الصورة أيضاً ، الأولياء والصالحين .
يزعم الاتراك أن الله يقبل من محمد شفاعته .. في الدنيا وهو ميت ، لأنه حي في قبره .. ، وهذا شيء لا يوافقهم عليه الوهابيون ،
ثم إن الاتراك يدعون النبي ويتوجهون الى الله ... وهذا أيضاً مما ينكره الوهابيون عليهم .

.. وفي كل مدينة تركية قبر لولي أو رجل صالح تقام عليه المباني وتقدم إليه النذور .. ويتوسل به ، وهذا أيضاً مما ينكره الوهابيون بشدة .
إن الوهابيين يهدمون القباب حيث وجدوها ... وهذه طريقة تريد في التعصب ، لأن هذا العمل يحمل الجلاء على الظن بأنهم يختلفون تماماً عن غيرهم ، وأن فرق ما بينهم وما بين غيرهم .. هو تحريم هذه القباب ، وكأن الإسلام يتلخص كله في ذلك !..

كان تهديم القباب يتبع دائماً انتصارات الوهابيين ، وهم يمدحون في عملهم هذا لذة كبيرة ، ويقولون : رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم من بناها !
يأخذ الوهابيون على الاتراك إهمالهم الزكاة ، والجهاد ، وإقبالهم على المحرمات ، كالخمر والزنا واللغو .. حتى أن رؤساء الترك كانوا يأتون في البلاد المقدسة نفسها ضروباً من السفه والفسق لا توصف .. وهذا مما جعل الوهابيين يزدادون إيماناً بأنهم وحدهم على حق وأن غيرهم على باطل !

إن احصاء الفوارق بين الوهابيين وبين الترك هو إحصاء لجميع البدع والتشوهات التي ادخلت على الدين الإسلامي ، منذ عهد الرسول ، وأقرها الترك العثمانيون وارتضوها .

وليست فضيلة الوهابيين الكبرى عندي أنهم أصلحوا ما فسد من المعتقدات ، ولكنها في حملهم الناس على العمل بالدين ، لأن الدين وحده مهمل يصلح ويظهر ، ما كان ليغير سلوكهم في الحياة ، لولا القوة التي تحملهم على ذلك !

كتابات « خصوم الوهابية »

ألف خصوم الوهابية ، في حياة الشيخ وبعد مماته ، كتباً ورسائل كثيرة في الرد عليها ، والتشنيع بصاحبها ، وقد قرأنا ما وصلت اليه يدنا من هذه الكتابات ، ونقول في صراحة وصدق : إنها تافهة جداً ، وهي إلى السباب أقرب منها إلى المناظرة العلمية ، وقد أحسن المؤرخ التركي ، جودت باشا ، وهو من خصوم الوهابية ، بقوله إن الرد على الوهابيين ، يستوجب من الذين يتصدون له ثقافة واسعة ومعرفة بأحوال البلاد العربية ، الدينية والاجتماعية والسياسية ، ووقفاً على علوم الدين ، وإطلاعاً واسعاً على الحركات الفلسفية ، ومقدرة على الجدل والإقناع ، وأسلوباً بارعاً في الكتابة ، وكل أولئك مفقود عند « العلماء » الذين قاموا يردون على الوهابية ردوداً مشحونة بالسفخ والهراء ، ويقدمون اليها بأيديهم الوسيلة إلى السخر منهم ومحاربتهم بسلاحهم !

على أننا مدعوون ، ونحن نؤرخ للوهابية ، إلى الكلام على كتابات خصومها ، حتى لا يكون بحثنا منقوصاً من بعض جوانبه .

الكتب المخطوطة والنادرة في الرد على الوهابية

هناك كتب مخطوطة كثيرة ، لم تطبع ، وكتب أخرى نادرة ، منها :

١٦ - حجة فصل الخطاب من كتاب رب الارباب وحديث رسول الملك الوهاب وكلام أولي الألباب في إبطال ملهه محمد بن عبد الوهاب - للشيخ

سليمان بن عبد الوهاب .

٢ - تحكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين - للشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن عفالق.

٣ - المشكاة المضيئة - لعلي بن عبدالله البغدادي .

وهذه الكتب الثلاثة مخطوطة ، وهي محفوظة في مكتبة برلين ولم نطلع عليها . وقد ذكر الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه « كشف غياهب الظلام » كتابين ، لم نطلع على أصليهما وهما :

٤ - الصواعق والرعود - لعبدالله بن داود .

٥ - سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد - للشيخ عبدالله بن عبد اللطيف . ومن أوائل الذين ردوا على الوهابية الشيخ أحمد القباني من العراق ، وكانوا يسمونه : ابن ملاعبادي . وله ثلاث رسائل ، نشرها في حياة الشيخ ، وهي : ^(١)

٦ - « فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب »

٧ - « كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات » .

٨ - « كشف الحجاب عن ضلالات ابن عبد الوهاب » .

وهذه الرسالة الأخيرة تكاد تكون قاصرة على التعريف برسالة « سليمان بن سحيم » ومطالبة كل من وقعت في يده أن ينشرها بين الناس ! وقد أثبت ابن غنام في تاريخه نص هذه الرسالة .

٩ - وللشيخ سليمان بن عبد الوهاب كتاب طبع منذ ثمانين سنة في العراق وعنوانه : « الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » .

١ - قال الشيخ ، في رسالته الى احمد بن ابراهيم : « ... وايضاً جاءنا بعض المجلد الذي صنّفه القباني ، واستكتبه اهل الحسا واهل نجد ، وفيه نقل الاجماع على تحسين قبة الكواثر وامثالها ، وعبادتها ... الخ ... » انظر صفحة ٣٨٨ - ٣٨٩ من تاريخ نجد المعدل »

كتاب « الصواعق الآلهية في الرد على الوهابية »

بعد هذا الكتاب من أقل الكتب التي ألفها خصوم الشيخ فجوراً ومغالطة ، ولولا أنه قال عن الشيخ محمد إنه لا يملك الاجتهاد وليس فيه خصلة واحدة من خصاله لكان كتابه بريئاً من هجر القول .

وبما جاء في هذا الكتاب :

« بني الإسلام على خمس » ...

وشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، تدخل الكافر في الإسلام .. وأنتم الآن تكفرون من قال لا إله الا الله ومحمد رسول الله . وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصيام رمضان وحج البيت مؤمناً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، ملتزماً بجميع شعائر الاسلام ، وتجعلونهم كفاراً وبلادهم بلاد حرب .

فنحن نسألكم : من إمامكم في ذلك ، ومن أخذتم هذا المذهب عنه ؟ فإن قلتم : كفرناهم لأنهم مشركون بالله ..

.. قلنا : أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله ، أي ادعى أن لله شريكاً ، كقول المشركين : هؤلاء شركاؤنا !

.. إن الشرك فيه كبيرة وصغيرة ، وأكبر وأصغر .. وفيه ما يخرج من الإسلام وفيه ما لا يخرج من الإسلام ..

ولكن من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، إذا دعا غائباً أو ميتاً أو نذر له .. أو تمسح بقبره .. أن هذا هو الشرك الأكبر .. من فعله .. حل ماله ودمه ؟

.. إن أهل العلم ذكروا في كل مذهب من المذاهب الأقوال والأفعال التي يكون المسلم بها مرتداً ، ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد .. ولم يقولوا من تمسح بالقبور .. فهو مرتد ..

ولكنكم أخذتم هذا بفاهيمكم وقلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر !

ثم يتكلم الشيخ سليمان عن النذر لقبر صحابي ، فيقول إن « ابن تيمية » عده نذر معصية ، لا يجوز الوفاء به ، والواجب عليه أن يتصدق ، ولو كان صاحب النذر يكفر ، لم يأمره بالصدقة وإنما كان يأمره بتجديد إسلامه . وكذلك ابن القيم ذكر النذر لله في الشرك الأصغر .

وبمضي الشيخ سليمان بعد ذلك قائلاً :

ذكر عن ابن تيمية انه قال (في الإقناع) من جعل بينه وبين الله وسائط ، يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً ..

.. أنظر الى لفظ هذه العبارة وهو قوله : « يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم » كيف جاء بواو العطف ، وقرن بين الدعاء والتوكل والسؤال ، فان الدعاء في لغة العرب هو العبادة المطلقة ، والتوكل عمل القلب ، والسؤال هو الطلب الذي تسمونه الآن الدعاء .. وهو لم يقل هنا : « سألم » .. بل جمع بين الدعاء والتوكل والسؤال . و .. أنتم تكفرون بالسؤال وحده !

ويتحدث الشيخ سليمان بعد ذلك عن أهل البدع الموافقين على أصل الإسلام ، ولكنهم مختلفون في بعض الأمور ، كالأحواج والرافضة والمعتزلة ، فياخذ آراء « ابن تيمية » فيهم على النحو الآتي :

هؤلاء أقسام :

أحدها الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له ، فهو لا يكفر ولا يفتق ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى ، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان .

والقسم الثاني : متمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق ولكن يتوكل ذلك اشتغالاً بدنياء ورياسته ولذاته ومعاشه ، فهذا مفرط مستحق للععيد ...

القسم الثالث : أن يسأل ويتبين الهدى ولكن يتوكله ، تعصياً أو معاداة لأصحابه ، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقاً ، وتكفيره محل اجتihad .

كتاب علوي الحداد

وضع « علوي الحداد » ، كتابا في ذم الرهابية ، اعتمد فيه على « عبد الله بن داود الحنبلي البغدادي » ، في كتابه : « الصواعق والرمود » . ولم نطالع هذا الكتاب ، ولكننا قرأنا تنقأ منه في كتاب ابن سحمان المسمى : « الألسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد » .

ينسب ابن داود الى الشيخ أنه كان يضرر دعوى النبوة ، وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال ، لا بلسان المقال ، حتى لا تنفر عنه الناس .

قال : « ويشهد لذلك ما ذكره العلماء من أن ابن عبد الوهاب كان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا ، كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطلحة الأسدي وأضراهم .

.. وأن أباه عبد الوهاب كان رجلاً صالحاً ، وأنه تفرس في ولده الشقاوة من حين صباه ، وكان ييغضه بغضاً شديداً ، ويقول : سيظهر منه فساد عظيم ! ويضيف علوي إلى ذلك ، أن الشيخ كان يتقص النبي (ص) ، بعبارات مختلفة منها : انه طارش ..

.. ومنها قوله : إني نظرت في قصة الحديبية ، فوجدت فيها كذا وكذا وكذا .. وكان بعض أتباعه يقول : عصاي خير من محمد ، لأنها ينتفع بها ، بقتل حبة ونحوها ، ومحمد قد مات ، ولم يبق فيه نفع أصلاً . وإذا أراد رجل أن يدخل دينه ، يقول له :

« أشهد على نفسك أنك كنت كافراً وأشهد على والدك أنها مائة كافرين وأشهد على العالم الفلاني والفلاني .. أنهم كفار وهكذا .. فإن شهد بذلك قبله ، وإلا قتله .. »

« الأقوال المرضية في الرد على الوهابية »

وضع الشيخ محمد عطا الكسم ، رسالة سماها : « الأقوال المرضية في الرد على

الوهابية ، ، طبعت في مصر عام ١٩٠١ هـ . وقد قرأناها فوجدناها تافهة جداً ، ولعل صاحبها إنما كتبها في أول شبابه ، وما نظنه إلا أنكرها في كهولته ، وهذا بعض ما جاء فيها :

« أخبرني بعض الاخوان انه قد اجتمع برجل من الوهابية ، يوسوس لاهل السنة المحمدية ، بتحريم التوسل بخير البرية ، عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التحية ، .. »
« ولكن من فرط المحبة لهذا المحبوب ، الذي هو صفوة علام الغيوب ، الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب ، انعطف القلم قبل الشروع بالمقصود .. » .
وقد عُد مؤلف الرسالة أحاديث مختلفة تدل في رأيه على جواز التوسل ، كما استشهد بالآية الكريمة التالية :

« ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله تواباً رحيماً » .

ثم قال : إن التوسل بالنبي جائز في حياته وفي مماته ، لأنه حي في قبره ، (١) .

كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الاوهام

وهي رسالة يرد فيها ابن سحمان على أقوال أحمد باشا الأعظمي عن الوهابية ، ولم تقف على أصل كتاب الأعظمي ، وبما نقله ابن سحمان عنه قوله :
« كان الناس في اخطباط وتردد من حقيقة مذهب الوهابية ومقولاتهم بسبب ما كانوا يستترون به من مظاهر الترحيد وادعاء التمسك بالكتاب والسنة حتى طفوا وبغوا وتغلبوا على الحجاز ، وناظرهم العلماء فكشف الله الستار عنهم وسلط عليهم إبراهيم باشا فكاد يفنيهم ويقطع دابرهم ، لكن الله إرادة في بقاء جرثومة من هذه الطائفة في بلاد نجد . وقد تصدى لتحرير مذهبهم وتقرير مقولاتهم والرد عليهم جمهور من علماء الحجاز ، منهم أحمد بن زين ، الملقب بدحلان ، ... »

١ - رد الشيخ سليمان بن سحمان على الكسم برسالة اسمها « النصاغي الرسالة الشهابية على شبه الداحضة الشامية » .

الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والحواري

وضع الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي ، كتاباً أسماه : « الفجر الصادق في الرد على مفكري التوسل والكرامات والحواري » ، طبع في القاهرة (١٣٢٣ هـ) .
وقد رد عليه ابن سحمان رداً موفقاً في كتابه المسمى : « الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق » .

.. وبما قاله الزهاوي :

« الوهابية فرقة منسوبة الى محمد بن عبد الوهاب ، وابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ هـ . وإنما اشتهر أمره بعد الحسين ، فأظهر عقيدته الزائفة في نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن سعود ، أمير الدرعية ، بلاد مسيلة الكذاب ، مجبراً أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا ، فتابعوه ، وما زال يتخدع له في هذا الأمر حتى بعد حبي من أحياء العرب حتى همت فتنه وكبرت شهرته واستفحل أمره فخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا إلى التوحيد وترك الشرك بالله تعالى في عبادته .

وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى ، حتى اتسع له الملك » .

جودت باشا

بعد « جودت باشا » في مقدمة المؤرخين الاتراك ، وكان من كبار الموظفين ، وله اطلاع واسع على الوثائق والتقارير والفرمانات والرسائل السياسية ، المتصلة بتاريخ نجد ، ولكنه لم يسلم من التعصب والحقن ، فأساء الى عمله ، ثمناً منه مع سياسة حكومته ، ومع هذا لا يخلو كتابه من كلمات حق ، وأخبار صدق .

طبع كتابه في استانبول عام « ١٢٩٢ هـ » ، ولقي رواجاً كبيراً ، واخذ عنه كثير من المؤرخين في الشرق والغرب ، وبما قاله :

« أساس العقيدة الوهابية التوجه الى الله مباشرة ، فلا يجوز التوسل اليه بأحد غيره ، ولا دعاء أحد ، ولا الاستغاثة بأحد ، والنذر للولياء وطلب الشفاعة منهم ،

هما عند مؤسس الوهابية ، من الشرك .

وبما أن الناس كلهم كانوا يفعلون ذلك ، فهم في نظره مشركون ، كلهم .
كان أهل نجد ، منذ ستائة سنة ، في جبل وخلال لا يعرفون من الاسلام سوى
اسمه ، ولما دهاهم الشيخ محمد الى مذهبه قبلوه ، لانهم لم يكن لهم دين يتمسكون
به ، ولم يعرفوا ان مذهبه يخالف المذهب الحنبلي الذي ينتسبون اليه ، شكلاً ، وبما
رغبهم في المذهب الجديد أن صاحبه أحلّ لهم دم المسلمين ومالههم ، وكانوا قوما
يتعشقون الغزو والسط ، فخرجوا يريدون ، في الظاهر ، احياء دين الله ، وهم
يريدون ، في الحقيقة ، عرض الحياة الدنيا .

أخذ الشيخ مذهبه عن ابن تيمية ، وابن القيم ، وكان هذان الشيخان من غلاة
الحنابلة ، وقد اسرفا في الانكار على الناس حتى اضطرت الدولة الى حبسها .
وبما قاله ابن تيمية في تبرير تشدده في مسألة البناء على القبور والنذور لها وطلب
الشفاعة من أصحابها ، ان الانبياء والاولياء لم يعبدوا احد في حياتهم ، ولكنهم
عبدوا بعد موتهم ، بسبب هذه القبور التي يعكف عليها اتباعهم ، ولذلك وجب
على المؤمنين إزالتها ، حتى لا تكون وسيلة الى الشرك .

وكان ابن تيمية يقول : خير لمن ينذر الطعام للقبور ، ان يتصدق به على
الفقراء ، وخير لمن يرسل قنديلا الى الروضة ان يوزع منه على الفقراء الذين يعيشون
في جوار الروضة .

وخلاصة القول ان ابن تيمية ابتعد بأرائه الشاذة عن جمهور المسلمين ! .

أيوب صبري

ومن حمل على الوهابية من مؤلفي الأتراك القدامى : ايوب صبري ، مؤلف
« مرآة الحرمين » ، فقد وضع كتيباً اسماه « تاريخ الوهابية » ، طبع عام ١٢٩٦ هـ .
في استانبول ، ملاء بالكذب والافتراء ، وبدأه بقوله : ان اصول الوهابيين ترجع
الى القرامطة ، الذين كانوا يقولون ، فيما يزعم : « الصلاة هي ان تطيع الامام
المعصوم ، والزكاة ان تؤدي خمس ما لك اليه .

وكانوا يقولون في شهادتهم : أشهد ان محمد بن الحنفية رسول الله .
وأعظم ما يأخذه هذا المؤرخ السخيف على الوهابية محاربتها لكتاب دلائل
الحيوات .
فتأمل !!

كتب مختلفة

نشرت كتب كثيرة ، غير التي ذكرناها ، في انتقاد الوهابية ، ونحن إنما
أشرنا إلى عدد منها ، لقدمه أو شهرته ، وهناك رسائل كثيرة تافهة ، لا تستحق
حتى الإشارة إليها .

وصف الشيخ وعظمته

يقول المؤرخ الفرنسي مانجان :

« كان الشيخ يحسن فن الاقتناع ، وكان بأسر القلوب بخلاصة بيانه وحلاوة لسانه ، وكان صابراً محتسباً ، يتق بافقه تعالى فلا يهن ولا يجزع قط .
وكان سياسياً من الطراز الأول ، ولولا ذلك لانهارت دعوته وزالت دولته .
ومع كل كماله الخلقي ، يقول الشيخ عن نفسه في بعض رسائله : وأنا امرؤ في بعض الحدة ..

وهي حدة لا تبطل حقاً ولا تثبت باطلاً ، ولا تخرج بصاحبها عن الجادة .

جمال في الجسم وكمال في العقل

ويقول ندوة مطران ، رواية عن الجرجيري :

« كان الشيخ قوي البنية ، جميل المنظر ، شجاعاً ، صبوراً على الشدائد ، له فكر نفاذ ، يحسن الكلام ويحسن الاصغاء .
وكانت له قدرة عجيبة على استيعاب الأمور ، وتجربة مستنيرة يستعين بها على حل المعضلات .

فكر ، وخلق ، وعزم

ويقول بلقرين :

« كان ينبغي لمن يتصدى لتطهير الدين من البدع التي أدخلت عليه ، خلال عصور طويلة جداً ، أن يكون صاحب فكر نير ، وخلق خير ، وعلم واسع ، وعزم كالخديد .. »

وكان محمد بن عبد الوهاب يملك كل أولئك ، .

فضل الشيخ وعظمته

ويقول محب الدين الخطيب :

« كان رجلاً عظيماً ، لأنه ثبت في جهاده الى ان لقي ربه ، فعول الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها إلى أمة تقيم الصلاة ساعة الدعوة إليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضات فيها ما يشاهد في بلاد أخرى من الفضائح ، ويججون بقلوب لا متسع فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كفته بحمله مع سلاحه إذا ناداه الإمام للجهاد . ان تحويل هذه الأمة بما كانت عليه إلى ما صارت إليه ليس من الأمور السهلة ، وأنا كلما تصورت في ذهني عظمة ابن عبد الوهاب يتضاءل في نظري كثير من الشخصيات .. »

في ابن بشر

يقول ابن بشر :

« كان الشيخ .. كثير الذكر لله ، قل ما يغتر لسانه من قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله الأكبر . وكان اذا جلس الناس ينتظرونه ، يعلمون اقباله اليهم قبل أن يروه ، من كثرة لهجه بالتيسيع والتحميد والتهليل والتكبير . »

وكان عطاؤه عطاء من وثق بالله ، لا يخشى الفقر ، بحيث أنه كان يجب الزكاة والغنيمة في موضع واحد ، لا يقوم ومعه منها شيء ، ويتحمل الدين الكثير لاضافة وسائله والوافدين عليه .

وعليه الهبة العظيمة التي ما سمعنا بها اتفقت لغيره من العلماء والرؤساء وغيرهم ، وهذا شيء وضعه الله في القلوب ، والا فما علمنا أحدا ألين ولا أخفض جنابا لطالب علم أو سائل أو ذي حاجة أو مقتبس فائدة .

وكان له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت ، في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها ، .

في ابن غنام

ويقول ابن غنام :

« .. كانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة ..

لا يزال القرآن سميره في دجى الظلام ، ودأبه أحياء غالب الليل بالقيام .

« .. اليه بيت المال يجبى ويدفع .. من جميع بلدان المسلمين ، ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من الزهد مرضية ، وكان عن ذلك المال متكففا .. ولا يأكل منه الا بالمعروف ..

وكان سمعا جوادا كريما .. وكان لا يرد السؤال ، اما أتاب عاجلا أو بعد حال ..

وتوفي رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهما ، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير ، فأوفى الله عنه الجليل والحقير . ،

مهفة الشيخ .. ودرة عمر

ويقال ان الشيخ كان يجمع مهفة في يده ، أتى على ذكرها الشيخ محمد بن

أحمد الحفظي ، في قصيدة ينني فيها على الشيخ ، قال :

دعا الى الله وبالتهليله	يصرخ بين أظهر القبيلة
مستضعفا وماله مناصر	ولا له معاون مؤازر
في ذلة وقلة وفي يده	مهفة تغنيه عن مهنده
قد أذكر تني درة لعمر	وضرب موسى بعصاه الحجره

كتب الشيخ ورسائله وأجوبته وخطبه

أول كتاب ألفه الشيخ ، وكان « نقطة الانطلاق » ، أو « المنهاج » ، لحركته ، هو كتاب صغير ، يكاد يكون « رؤوس أقلام » ، أسماء : « كتاب التوحيد » . ثم ألف الشيخ كتباً غيره .

ولكن الشيخ لم يغير حالة نجد بكتاب التوحيد ، ولا بكتاب آخر من تأليفه ، وإنما غيرها بدعوته الموصولة الى التوحيد ونبيه عن الشرك ومكافحته للمنكرات ، وقيامه في ذلك قياماً عظيماً .

قد يقال إن « نظرية » التوحيد ، كما قررها الشيخ ، لا تختلف عن « نظرية » التوحيد في ابن تيمية ، وإن الشيخ لو لم يضع كتاب التوحيد واكتفى بالدفاع عن أفكار ابن تيمية في رسائله وأحاديثه وأعماله ، لما غيّر ذلك شيئاً كثيراً في انتشار حركته وأثرها في الناس ..

وربما كان هذا القول غير بعيد عن الحق ، لأن عظمة الشيخ ليست في كتبه وحدها ، ولكنها في شخصيته وأعماله فقد كان زعيماً ومصلحاً ومجاهداً ومحامياً عن الحق ، وقبل كل شيء : داعياً الى الله ، فمن قال إن كتبه لا تمثل جهداً علمياً أو فنياً كبيراً ، لا يستطيع أن يتنقص من قدره ، مع أن الكتب لا تقدر قيمها بحجمها ووزنها ! ..

لم يكتب الشيخ بتأليف الكتب - وسنذكر فيما بعد أسماء جملة من كتبه -

ولكنه كان يكتب الرسائل ويلقي الخطب ويعقد المجالس ويتحدث للناس في العقيدة والفقه والسياسة والادارة وأحوال المجتمع ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويعنى بالوفود وطلاب العلم وحاجات المجاهدين ، ويكتب البلاد القريبة والبعيدة ، الى غير ذلك من شؤون الحياة العامة التي تشغل أكثر وقته ، وزعم تخف به المسائل « والمشاكل » من كل جهة ، لا يجهد متعباً من الوقت لتأليف الكتب المستفيضة ، لذلك كانت رسائله أكثر من كتبه ، وأحاديثه أكثر من رسائله ، وكان في كتبه يميل في الغالب إلى الاختصار .

وقد يكون أسلوب ابن تيمية أوضح أثراً في رسائل الشيخ منه في « كتاب التوحيد » ، وفي سائر كتبه .

أسماء مكتب الشيخ

أول كتاب ألفه الشيخ ، هو :

١ - كتاب التوحيد

قدم له بآيات وأحاديث في بيان التوحيد وفضائل شهادة أن لا إله إلا الله ثم بين أنواعاً كثيرة من الشرك والمنكر ، وهذا الكتاب له شروح ، منها شرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ واسمه : فتح المجيد .

٢ - كتاب الأصول الثلاثة .

٣ - كتاب « المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية » وهو رؤوس أقلام ، شرحه الألوسي ، ويحتاج الى من يتبسط في شرحه بأسلوب علمي عصري ، ان أمكن .

٤ - كتاب كشف الشبهات .

٥ - كتاب مجموع الحديث على ابواب الفقه .

٦ - أصول الايمان .

٧ - فضل الاسلام .

٨ - كتاب الكبائر .

٩ - نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين .

وهذه الكتب الأربعة (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ظهرت في مجموعة الحديث النجدية ، ونحدث عنها الشيخ رشيد رضا في مقدمته على المجموعة فقال ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب راعى في جمعها أحوج ما يحتاج اليه جماهير المسلمين من السنة ، مع تلقينهم أحكام العبادات والمعاملات من كتب الفقه . وهو أربعة أقسام :

أ - أحاديث الايمان الاعتقادية .

ب - أصول الاسلام الكلية .

ج - كبائر الاثم والفواحش التي يجب تركها .

د - الآداب الشرعية التي يجب أو يستحب فعلها والتأدب بها وكلها ملخصة من دواوين السنة المشهورة ، كالكتب الستة والمسند والموطأ وغيرها .

ومنها ما ليس لدينا نسخ منه ، كالسنة الكبرى وشعب الايمان للبيهقي .

وقد ترك رحمه الله بعض الأحاديث غير مخرجة ، ولعل سبب ذلك أنه أراد أن يراجعها في غير الكتب التي نقلها منها ، ليبين جميع من خرجوها .

١٠ - كتاب آداب المشي الى الصلاة .

١١ - مختصر الشرح الكبير والانصاف .

١٢ - كتاب السيرة المختصرة .

١٣ - كتاب السيرة المطولة .

١٤ - كتاب مختصر الهدى العبوي .

وللشيخ فوق ذلك تفاسير كثيرة للقرآن الكريم أورد ابن غنام ، في تاريخه طائفة منها ، وله رسائل رائعة ، وأجوبة على المسائل ، وخطب ، تجدها في كتاب ابن غنام وفي المجموعة النجدية .

أشهر كتابات الشيخ: كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، وكشف الشبهات، وآداب المشي الى الصلاة ، وهي تدرس في المدارس السعودية .

خطب الشيخ

خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في جملتها ، مختصرة ، ولا يدعو فيها
للسلطان العثماني ، ولا لأمير نجد وإمام المسلمين فيها ، ويكثر فيها الترويج في الجنة
والتحذير من النار ، والحث على الاقتداء بالسلف الصالح كقوله :
« إعلموا أن الخير كله بجذافيره في الجنة ، فأدخلوا في السير إليها . والشر كله
بجذافيره في النار ، فاجتهدوا في الهرب منها . ألا وإن الدنيا عرض حاضر ،
ياكل منها البر والفاجر .. والآخرة وعد صادق . » الخ ..
وكقوله :

« وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والجماعة ، فخذوا بهديهم وما كانوا عليه في
المعتقد والعمل ، والسمت والطاعة » .

شيوخ دعوا إلى التوحيد المطلق قبل الإمام

يقول « صلاح العقاد » إن الشيخ عثمان بن أحمد النجدي ، سبق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة إلى التوحيد ومكافحة الشرك ، في نجد ، والشيخ عثمان هذا كان تلميذ ابن العماد الدمشقي ، وقد ألف « كتاب التوحيد » ، المنتخب من فتح الباري لابن حجر ، مخطوط في القاهرة . وله كتاب آخر مفقود الآن ، اسمه : « نجات الخلف في اعتقاد السلف » ، والعنوان نفسه ذو دلالة كافية !

وكانت وفاة الشيخ عثمان عام ١٠٩٦ هـ .

وعندنا أن الشيخ عثمان يشبه القائلين بوحدانية الله قبيل النبي محمد (ص) الذين لم يكن لهم جهد يذكر في سبيل الدفاع عن فكرة الوحدانية ونشرها بين الناس .. وعند قيام الشيخ بدعوته في نجد أو قبل ذلك قليلاً، ظهر في اليمن عالم جليل : هو الأمير اسماعيل الصنعاني ، كان يدرس في مسجد صنعاء ، وألف كتاب « تطهير الاعتقاد » ، ولا تختلف آراؤه في التوحيد ومكافحة الشرك ، المتجسلي في تقديس الأشجار والأضرحة ونحو ذلك ، عن آراء ابن عبد الوهاب .

ويقول ابن بشر إن الأمير الصنعاني لما بلغه ظهور الشيخ وما دعا إليه ، كتب إليه قصيدة يمدحه فيها ، ومطلعها :

« سلامي على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

أُسْمَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

نعني بأئمة الشيخ ، كبار العلماء الذين كان لهم أثر عميق في تكوين طريقته في الدين والسياسة الشرعية ، بعد النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

ابن حَنْبَلٍ

أول هؤلاء العلماء ، بالطبع ، الإمام ابن حنبل ، مؤسس المذهب الحنبلي ، الذي نشأ عليه الشيخ وقام بنصرته أعظم قيام ، وكان الشيخ شديد الإعجاب بابن حنبل ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

بأي لسان أشكر الله أنه لدونعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالاسلام فضلاً ونعمة علي ، وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى : اعتقاد ابن حنبل عليها اعتقادي ، يوم كشف السرائر
وابن حنبل ، هو : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، من بني شيبان ، من ربيعة ، ولد في بغداد عام ١٦٤ هـ . ومات فيها عام ٢٤١ هـ .

وقبل أنه ولد في « مرو » ، حيث كان أبوه جندياً مرابطاً ، وجاءت به أمه الى بغداد وليداً ، فعاش فيها واستفاضت شهرته ، ولكنه لم يكتف بعلم فقهاء

بغداد ، وانما رحل الى الأمصار ، كالكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومكة والمدينة .

جاء عنه في تاريخ بغداد ، لابن الخطيب :
« قال قتيبة : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال علي بن المديني : ان الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث : أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم الهتة .

.. وروي عن الشافعي انه قال : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أروع ولا أفتق - وأظنه قال ولا أعلم - من ابن حنبل .
قيل ان أحمد بن حنبل كان يحفظ مليون حديث .

وقيل : ان أحمد بن حنبل محنة ، به يعرف المسلم من الزنديق ..
.. وحزر من حضر جنازته من الرجال : (٨٠٠) ألف ، ومن النساء (٦٠) ألفاً .

وفي كتاب « أعلام المحدثين » ، لمحمد أبو شبة :
« كان أحد الأئمة المشهورين ، الذين ضربوا بسهم راجح في باب الفقه والاجتهاد ، وخالف بعضهم في عدة من الفقهاء واعتبروه من كبار المحدثين ، وقال ابن جرير الطبري : « انه رجل حديث لا رجل فقه » .

كان يتشدد في قبول أحاديث الأحكام ، ويتساهل في قبول أحاديث الفضائل .
أشهر كتبه : كتاب المسند ، فيه أحاديث صحيحة كثيرة توازي أحاديث البخاري ومسلم ، وفيه ، عدا الصحيح : الحسن والضعيف والمنكر ، بل والموضوع - على ندرة جداً .

والقول بأن مسند أحمد كله صحيح قول عار عن التحقيق ..
قال ابن كثير : « ان فيه أحاديث ضعيفة بل وموضوعة ، كأحاديث فضائل عقلائ ومرو والبرث الأحمر عند حمص وغير ذلك .. »
وقد ضعف الامام أحمد نفسه أحاديث فيه ، كحديث عن عائشة أن عبد

الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ..

وجاء بعض تلامذته وزادوا على مسنده أيضاً زيادات اندست فيه ..
ويقول الامام ابن تيمية انه ليس في المسند « موضوع » بمعنى مختلق مصنوع
يتعمد صاحبه الكذب ، فأحمد لا يروي ممن يعرف أنه يكذب ، ولكن يروي
ممن يضعف لسوء حفظه ، وان كان صاحبه لم يتعمد الكذب بل أخطأ فيه ، وهذا
الضرب في المسند منه .

ويقول « لاوست » في دائرة المعارف الاسلامية :
« رفض ابن حنبل فكرة أن القرآن مخلوق ، فاضطهده الخليفة « المأمون »
كثيراً وحجسه ..

وفي عهد « المعتصم » جلدوه ، ثم أطلقوه واعتزل التدريس ..
وفي عهد « الواثق » حاول الظهور ، ثم اختفى ..
وفي عهد « المتوكل » ، نصير السنة ، عام ٢٣٢ هـ . ، سمع لابن حنبل
باستئناف دروسه ، واختاره الخليفة ، في جماعة من العلماء ، للرد على الجهمية
والمعتزلة .

ومن الخطأ النظر الى ابن حنبل كجامع أحاديث فقط ، فهو « مجتهد مستقل » ،
كما وصفه ابن تيمية ، حين قال عنه : انه اختار لنفسه من هذا العدد الكبير من
الأحاديث والأقوال ما هو الأمل .

دافع ابن حنبل عن العرب ، ودعا الى حبهم ، لأن حب الرسول يوجب حب
قومه ، والذين يكرهون العرب هم المنافقون ..
وكان يدعو الى الطاعة والجماعة ويشجب الفتنة ،
وقد سمح لامام المسلمين بتقرير ما يجب عمله وفقاً للمصلحة والسياسة الشرعية ،
وقد توسع في ذلك ابن تيمية وابن القيم الجوزية .

ابن تيمية^٧

لا ضرورة للتوسع في الكلام عن أثر ابن تيمية في فكر الشيخ وأسلوبه ،
فذلك شيء واضح يعرفه كل واحد ، وكان الشيخ يحب ابن تيمية ويحله كثيراً
ويطلب كتبه وأقواله في كل مكان ، وربما نسخها بخط يده ، ويقال انه طلب من
الامام الصنعاني في اليمن ، عام (١١٨٠) كتباً لابن تيمية وابن القيم كانت عنده.
وابن تيمية هو :

تقي الدين ، أبو العباس : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد الله النميري الحراني .
ولد في بلدة « حران » بأرض الشام عام ٦٦١ هـ . وانتقلت به أسرته الى
دمشق ، وهو ابن ست سنين ، فعاش فيها ، ثم مات في قلعتها في ذي القعدة من
سنة ٧٢٨ هـ . فكانت سنه عند وفاته سبعاً وستين سنة .
وخرجه - وهو الذي كافح الصوفية وتقديس القبور - بين مقابر الصوفية ، في
دمشق يزار .

يقول « فيليب حتي » في كتابه : « تاريخ سورية » ان ابن تيمية ظهر في عصر
اشتدت فيه نفقة المسلمين على النصارى ، بسبب تأييد بعض النصارى للصليبيين ،
خاصة في انطاكية ، وان مؤلفاته تزرع بروح العصر الرجعية .
وقد يكون هذا الحكم ، من « وُرُخ عرف بسعة اطلاعه وانصافه ، قاسياً جداً ،
فابن تيمية إما أبغضه الجهال والمتعصبون من المسلمين ، لا من المسيحيين .
وقد يكون السبب الذي دعا مؤرخنا الكبير إلى هذا الحكم القاسي كتاب

ابن تيمية المسمى : « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » ، وهو كتاب يدعو فيه المسلمين الى عدم تقليد أهل الكتاب والفرس في أعيادهم ونحوها؛ ولكن حركة ابن تيمية الكبرى إنما قامت على الدعوة الى التوحيد ومكافحة الشرك والبدع والجهل ، حيثما كانت ، والجهال والمنعصبة من المسلمين كانوا هدفاً لحملات ابن تيمية ، أكثر من المسيحيين !

نقل الشيخ محمد حامد الفقي في مقدمته على كتاب الاقتضاء المذكور ، لابن تيمية ، طائفة بما قاله فيه بعض العلماء ، تقتطف منها هذه الفقرات :

« قال بعض أصحابه :

نشأ في حجبور العلماء .. ودوحات الكتب .. لا يلوي الى غير المطالعة والاشتغال بعمالي الأمور ..

سلفياً متألهاً عن الدنيا ، صيناً تقياً ، برأ بأمه ، ورعاً عفيفاً ، عابداً فاسكاً ، صواماً قواماً ..

لا تكاد نفسه تشبع من العلم ..

وقلّ أن يدخل في علم من العلوم من باب إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب ، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله .

وقال الشيخ عبد الهادي :

لم يبرح شيخنا في ازدياد من العلوم ، وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبل الخير ، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والشجاعة والكرم .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ..

.. وكان رحم الله سيفاً مسلواً على المخالفين ، وشجى في حلق أهل الأهواء المبتدعين ..

وقال الحافظ المزي :

ما رأيت مثله .. ولا رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ولا أتبع لهما ، منه .

وقال الحافظ أبو الفتح الأندلسي :

إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نخلته ولا أرفع من رايته ، برز في كل فن على أبناء جنسه .. ولا رأت عينه مثل نفسه !

ويتحدث الفقي عن المجتمع الجاهل، المسرف في عبادة الأوثان وتقديس القبور، الذي ظهر فيه ابن تيمية ، الى جانب الأعداء الذين تكالبوا عليه من كل جانب : الصليبيون يغزون السواحل، والتتار يعيثون فساداً ، وكثير من الصوفية يقومون بمهمة الأرصاد والعيون للعدو ..

نعم ، في هذا الجو المظلم بتكاثف سحب الصوفية ، وسحب الفلسفة الهندية والفارسية واليونانية ، وسحب التقليد الأعمى واتخاذ الأحبار والأنداد أرباباً من دون الله .. ظهر ابن تيمية ، فأبت عليه كرامته أن يكون له هدف إلا رضوان الله بالإيمان به ، والدعوة الى سبيله ..

« ودارت المعركة بين شيخ الإسلام ومعه ربه ، وبين حزب الشيطان ، ومعه الجماهير ورجال الدولة، والرؤساء والسادة ، فلم يرهب جموعهم ، ولم يخش سلطانهم ، ولم يهن ولم يحزن لما أصابه من أذاام وجسهم ، بل كان يزداد بذلك كله قوة على قوته ، وثباتاً على حقه ..

وقد حفظ الله « كتب شيخ الإسلام وفتاويه ، وحفظ قلبه ولسانه ، وحفظ جسمه وجنانه ، حتى أتاه اليقين وهو حبيس الظلم بقلعة دمشق في سنة ٧٢٨ هـ . رحمه الله » .

جهاد ابن تيمية ضد البدع ، واضطهاده ..
يقطع صخرة يتعبدونها لأنها قدم النبي في زعمهم ..
في السلوك للمقرئ :

في أخبار سنة ٧٠٤ :

.. قدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق

في الصخرة التي بسجد النارنج ، بجوار معلى دمشق ، وان الاثر الذي به ليس هو قدم النبي (ص) ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز ، وأنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة في سادس عشر رجب ، وقد أنكر عليه الناس ما فعله .
فاجيب : إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة ، وإن كان بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله !

يكافح الشعوذات

وفي أخبار سنة ٧٠٥ :

وفيهما أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدة فيما يفعلونه : من دخولهم في النيران المشتعلة ، وأكلهم الحيات ، ولبسهم الأطواق الحديد في أعناقهم ، وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم ، وعمل الأساور الحديد في أيديهم ولقهم الشعور وتلييدها ، وقام في ذلك قياماً عظيماً بدمشق ، وحضر في جماعة الى النائب وعرفه ان هذه الطائفة مبتدعة ، فجمع له ولهم الناس من أهل العلم ، فكان يوماً مشهوداً كادت ان تقوم فيه فتنة ، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيئات .

حبس في الطلاق .. وفي الشفاعة .

في أخبار سنة ٧١٨ : « حبس شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية بسبب مسألة الطلاق ، بسمى قاض القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي عليه وإغرائه السلطان به . »

سنة ٧٢٠ : « عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية ، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق ، ثم اعتقل بالقلعة الى يوم عاشوراء سنة ٧٢١ فأفرج عنه . »
سنة ٧٢٦ : في شعبان حبس أحمد بن تيمية وأخوه زين الدين بقلعة دمشق قبل لأنه تكلم في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء . وكذلك فعل بابن القيم الجوزية .

ينادون في الجوامع بالنهي عن ابن تيمية

ويذكر المقرئ ان ابن عدلان سعى بابن تيمية لدى السلطان ، فعقد مجلس برئاسة قاضي القضاة ابن مخلوف ، للنظر في بعض أقوال ابن تيمية في الاستواء ، ومسألة خلق القرآن ، وغير ذلك ، فأحضروه من دمشق ، « فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل ، - في القاهرة - وحضر الأمراء ، فادعى ابن عدلان على ابن تيمية ، فلم يجبه ، وقام بخطب !

فصاح عليه القاضي ابن مخلوف : نحن أحضرك للدعوى عليك ، ما أحضرك خطيباً ! والزمه بالجواب ، فقال له :

أنت عدوي ! لا يجوز حكمك عليّ !

فأمر باعتقاله ، فأخذ ، وسجن بحارة الديلم في القاهرة ، هو وأخوه ، وأرسلوا الى دمشق كتاباً « ليعرأ على منبر الجامع بالمنع من الكلام في العقائد والنهي عن اعتقاد شيء من فتاوى ابن تيمية ، وان يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك ، !

ابن تيمية في شعر سلامة

ويقول بولس سلامة في قصيدته : «ملحمة عيد الرياض» :

زُلِزْتُ من بيانه الأقلام	كان في غرة الزمان إمام
وتولت خنق الأسير الشأم	هز مصرأ فعضه القيد فيها
هام فالخبر في الطروس ضرام .	« ابن تيمية » ينور على الأو
جيال حرب وقودها الأنهام .	وأشد الثورات في خاطر الأ
لقحت من يراعه الأيام	مات ! ما مات في الغيابة شيخ
صاح : هبوا يا أمهـا النوم !	(بابن عبد الوهاب) عاش دفين

من تلامذة ابن تيمية

ابن القيم الجوزية

قال ابن رجب في الطبقات :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي النحوي المفسر ، المقتن في علوم كثيرة ، العارف بالحديث ومعانيه ، والفقه ودقائقه والاستنباط منه .

كان له عبادة ونهج إلى الغاية ، ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والاناة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار بين يديه .

حج مرات ، وجاور بمكة ، وانتفع به أهل عصره ، وله مصنفات كثيرة في فنون عديدة .

توفي بدمشق سنة (٧٥١ هـ) ... ودفن بقبرة باب الصغير ، وقبره مشهور الآن ... وبني عليه قبة الآن .

قلنا : دعا طول حياته إلى مكافأة البناء على القبور ونحو ذلك ، فلما مات جعلوا على قبره قبة .

وقد لقي ، رحمه الله ، في حياته أذى كثيراً من ظلم الحكام وحقد الخصوم من أدياء العلم ، ويقال أن حبسه آخر مرة كان بسبب أقواله في مسألة الشفاعة ، والتوسل بالأنبياء .

ومن أجل كتبه : اعلام الموقعين ، والطرق الحكيمة .

الحافظ الذهبي

هو العلامة حافظ العصر ، محدث الاسلام ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي . سمع من خلافتي كثيرة يزيدون على ألف ومتي شيخ ...

وصنف التصانيف الكثيرة البديعة المشهورة ، مع الدين المتين والورع والزهد ، وأذعن له أهل عصره في الحفظ والالتقان . توفي سنة « ٧٤٨ » في دمشق ، ودفن بباب الصغير .

العماد بن كثير

هو عماد الدين بن كثير البصري ثم الدمشقي .
تفقه على البرهان الفزاري والكمال بن قاضي شبة ، وأقبل على علم الأصول والحديث ، وحفظ المنون والتواريخ ، حتى برع وهو شاب .
له مصنفات كثيرة بديعة مشهورة ، وكان يميل إلى شيخه ابن تيمية ويناضل عنه .
مات سنة « ٧٧٤ » هـ . ، ودفن بمقبرة الصوفية ، عند شيخه ابن تيمية .

الكتب المعتمدة عند الحنابلة « الوهابية » ، في نجد

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، في إحدى رسائله :
« كتب التفسير : اننا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة ومن أجلها لدينا : تفسير ابن جرير ، ومختصره لابن كثير الشافعي .
وكذلك البغوي ، والبيضاوي ، والحازن ، والحداد ، والجلالين ، وغيرهم .
كتب الحديث : وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين ، كالعسقلاني ، والقسطلاني على البخاري ، والنووي على مسلم ، والمنائي على الجامع الصغير .
ونحرص على كتب الحديث ، خصوصا الأمهات الست وشروحها ^(١) .
سائر الكتب : ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون ، أصولا وفروعا ،

١ - كتب الحديث الستة ، غير البخاري ومسلم ، هي : الموطأ « للمالك » ، والمسند « لابن حنبل » ، والكتب المعروفة بـ « السنن » ، للترمذي ، وأبي داود والنسائي وابن ماجه .

وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الأمة .
ولا نأمر بالآلاف شيء من المؤلفات أصلا ، الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في
الشرك ، كـ «روض الرياحين» ، وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق^(١) ،
فانه قد حرمه جمع من العلماء ، وكالدلائل ، على أنا لا نفحص عن مثل ذلك .. الا
ان تظاهر به صاحبه معاندا ، أئلف عليه .
وما اتفق لبعض البدو من آلاف بعض كتب أهل الطائفة ، اما صدر من
بعض الجهة وقد زجر هو وغيرهم عن مثل ذلك .
ويجب علينا أن نضيف الى الكتب التي ذكرها الشيخ عبد الله ، على سبيل
المثال لا الحصر : كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكتب ابن تيمية وابن
القيم الجوزية ، وكذلك كتب موفق الدين بن قدامة ، وهو عندهم ، في الفروع ،
من المراجع المعتبرة جدا .
وموفق الدين بن قدامة ولد في دمشق سنة ٥٤١ هـ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ . ودفن
بسفح جبل قاسيون ، وقبره هناك يسمى الروضة ، لأنه دفن فيه ..
وهو صاحب « المغني » ، و « المقنع » وغير ذلك من المصنفات في الفقه
الحنبلي .

١ - انما يعني بالمنطق تلك الكتب القديمة المزروجة بالفلسفة الباطلة ، لا المنطق السليم .

وفاة الشيخ

من المؤسف أن مؤرخي نجد ، ابن غنام وابن بشر ، لا يتفقان على تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فابن غنام يقول :

« كان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى في شوال ، ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته ،

ويقول ابن بشر :

« وكانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة - ١٢٠٦ هـ . - رحمه الله تعالى وعفا عنه ، وكان قد ثقل في آخر عمره ، فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام في الصف ، وله من العمر اثنتان وتسعين سنة . »

ويزعم صاحب « لمع الشهاب » أن الشيخ توفي عام ١٢١٢ ، ولعل هذا التاريخ نتيجة خطأ مطبعي ، وبما قاله أيضاً :

ان الشيخ ، لما بلغ الثمانين من عمره ، اعتزل عن التصرف في الأمور ، واتخذ الخلوة والزهد والورع .

ثم وصف حزن الناس الشديد عليه ، وخصوصاً الإمام عبد العزيز ، ثم قال :
« أخرجت جنازته إلى المسجد الجامع فجاء الناس فوجاً فوجاً للصلاة عليه ، ودفن في مقبرة معبودة لآل سعود من قبل ، » .

تركة الشيخ

ويقول صاحب الملع إن الشيخ « لم يخلف من المال إلا أرضاً قد اشتراها في حياته في بدء الأمر ذات نخل وزرع وأشجار وفواكه تسوى خمسين ألف ذهب - كذا - .

وترك مائتي كتاب ، وقيل ستائة كتاب .

فأما الكتب فإنها باصطلاح أولاده أجمع جعلت وقفاً لكل عالم يتولى مسند القضاء والفتيا .

وأما الأرض فقد بقيت غير مقسومة ، كما هي قبل موته ، ولكن الحاصل منها كل سنة يقسم بين الورثة

زوجات الشيخ

تزم صحيفة الخليج الفارسي أن الشيخ كان مزواجاً ، تزوج نحو عشرين مرة ، وكان له ثمانية عشر ولداً بين ذكور وإناث .

وليس بين يدينا ، في الكتب العربية ، إثبات لهذه الرواية ، ولكننا لا نملك نفيها أيضاً !

والمعروف أن الشيخ تزوج ، في أول شبابه ، في العينة ، في حياة والده ، وقبل رحلته .

ويقال أيضاً - وتلك رواية الملع - إنه تزوج في بغداد امرأة غنية .

ولما انتقل إلى العينة ، من حريلا ، تزوج « الجوهرة » بنت عبدالله بن معمر ، وهي التي نزل محمد بن سعود بأمانها من مكان كان صعد إليه وتحصن فيه ، بعد مقتل زيد بن مرخان ، أمير الدرعية .

أبناء الشيخ

كانوا ، في نجد ، اذا قالوا : الشيخ ، مجردا من كل اسم أو لقب ، عرف كل انسان ان المقصود بذلك ، هو : الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولذلك سموا أولاده : أولاد الشيخ

وتعرف ذرية الشيخ الى اليوم في البلاد باسم : آل الشيخ .

وأولاد الشيخ الذكور ، هم : حسن وحسين وعبد الله وعلي وابراهيم وعبد العزيز .

وقد مات ابراهيم وعبد العزيز ، في حياة والدهما ، ولم يعقبا .

وستحدث قليلاً عن أولاده الأربعة الأوائل .

١ - حسن

لا يذكر ابن غنام ولا ابن بشر شيئاً عن ابن الشيخ : « حسن » ، ولكن ابنه عبد الرحمن بن حسن كان أكبر علماء نجد في زمانه ، وكذلك ابن ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، كان أجمل علماء نجد في وقته .

٢ - حسين

يقول ابن بشر ، في أخبار سنة « ١٢٢٤ هـ . » :

« وفيها اشتد الوباء والمرض ، خصوصاً في بلد الدرعية ، ومات في الدرعية خلق كثير ..

وتوفي في هذا الوباء من الأعيان :

العلامة المفيد ، مفتي فرق أهل التوحيد ، الشيخ القاضي حنين ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كان له معرفة في الأصل والفرع والتفسير وغير ذلك ..
كان الشيخ حنين هو القاضي في بلد الدرعية ، والخليفة بعد أبيه في القضاء والامامة والخطبة .

كان اماماً في مسجد البجيري الكبير الذي في منازل الدرعية الشرقية ، وكان صيماً بحيث أنه يسمع تكبيره في الصلاة أدنى المسجد وأقصاه .. وهو الخطيب والامام يوم الجمعة في مسجد الطريف الكبير ، الذي تحت قصر آل سعود في المنازل الغربية .

وكان ضريراً بصراً . .

.. وله عدة بنين ، ومعرفتي منهم : علي وحسن وعبد الرحمن ومحمد وعبد الملك .

ومن مشاهير ذرية حنين : ابن ابنه : عبد الله بن حسن بن حنين ، قاضي قضاة المملكة العربية السعودية ، في وقته .

٣ - عبد الله

يقول ابن سحمان ، في كتابه : « كشف غياهب الظلام » :
« كان للقائم بعد الشيخ بهذه الدعوة : ابنه عبد الله ، لما خصه الله تعالى به من العلم والمعرفة ، وكان اخوانه من آل الشيخ معاضدين له .
وكان الامام عبد الله هو الامام الذي ترجع اليه الأمور في وقته ، ثم لما نقل ابراهيم باشا آل سعود وآل الشيخ الى مصر ، مكث عبد الله بهامدة طويلة ثم مات بمصر . »

وهذا الكلام قد يبدو مناقضاً لقول ابن بشر إن الخليفة بعد الشيخ محمد هو

ابنه حسين ، والراجع أن الشيخين عبد الله وحسين توزعا الأعمال ، فكان الشيخ حسين خطيباً مع القضاء ، وكان الشيخ عبد الله يقوم مع القضاء بسائر الشؤون الدينية ، المتفرعة عن الدعوة .

تولى الشيخ عبد الله القضاء لعبد العزيز وسعود وعبد الله بن سعود . ولما استولى إبراهيم باشا على الدرعية نفى عبد الله ، مع من نقام ، الى مصر ، فمات فيها .

وكان لعبد الله ولدان مشهوران : سليمان وعبد الرحمن أما سليمان ، فمات قبل أبيه ، شهيداً ، وذلك أن إبراهيم باشا أمر باحضاره الى مجلسه ، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر ليغضبه - وكان إبراهيم باشا أحضر معه الى الحجاز ونجد المغنيات وآلات اللهو والمسكرات - ثم أمر جنوده باطلاق الرصاص عليه فأردوه قتيلاً^(١) .

وأما عبد الرحمن بن عبد الله ، فقد عاش منفياً في مصر ، ومات فيها سنة ١٢٧٤ هـ .

وكان عبد الرحمن هذا عالماً يشار اليه بالبنان ، وكان يدرس في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر بالقاهرة ، واستوطن أولاده في مصر . ويظهر أن المؤرخ الفرنسي « مانجان » اخذ أكثر معلوماته عن نجد من الشيخ عبد الرحمن ، خلال أقامته في مصر ، بمهمة علمية .

١ - انظر مقدمة « تيسير العزيز الحميد في شرح التجويد » ، للمفتي الاكبر سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم .

تلامذة الشيخ

ذكر ابن بشر من تلامذة الشيخ المشاهير أحد عشر شيخاً ، وهم :

- ١ - أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .
- ٢ - عبد العزيز بن عبد الله الحصين .
- ٣ - سعيد بن حجي .
- ٤ - محمد بن سويلم .
- ٥ - عبد الرحمن بن خميس .
- ٦ - عبد الرحمن بن فامي .
- ٧ - محمد بن -لطان العوسجي .
- ٨ - عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا الحسين .
- ٩ - حسن بن عبد الله بن عيدان .
- ١٠ - حمد بن راشد العربي .
- ١١ - عبد العزيز بن سويلم .

الوهابية في بعض الكتابات الغربية الحديثة

هنري لاوست

Henri Laoust

يقول المستشرق الفرنسي « هنري لاوست » إن « السلفية الجديدة » لقب يطلق على حركة الإصلاح والتجديد الديني التي نادى بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومن يقول بقولهما ، وقد سبق لهذين الزعيمين أن اجتمعا في باريس عام (١٨٨٣) ووضعاً معاً أسس حزب ديني عضري متحرر .

ويطلق لقب السلفية أيضاً على الحركة الوهابية ، لأنها أرادت إعادة الاسلام إلى صفائه الأول ، في عهد السلف الصالح ، ولكن كلمة السلفية ليست خاصة بالوهابيين أو الخنابلة ، ففي كل المذاهب السنية سلفيون .

كان ابن تيمية يستعمل كلمة السلف (أو السلفية) ، ولكنه كان يستعمل أكثر من ذلك كلمة « محمديين » ، وأما الوهابيون فيرجحون استعمال كلمة « الموحدين » .

وهناك فرق واضح ، في الحقيقة ، بين الوهابية والسلفية الجديدة .

فالوهابيون حنابلة ، في العقيدة والفقه ، وهم في الفروع يتبعون أفكار موفى الدين بن قدامة أكثر مما يتبعون ابن تيمية وابن القيم الجوزية .

ولكنهم، لشدة تمسك بعضهم بأقوال علماءهم السابقين، خالفوا الفكرة التي شاعت
عندهم - بفضل مؤسس الحركة الوهابية الإصلاحية - والتي تتلخص في أنهم ثاروا على
التقليد، ورجعوا بالاسلام الى صفاته الأول .
ان السلفية الجديدة « تتميز » عن غيرها ، بأن نظرياتها أدنى الى العقل ، وأنها
تفتح باب الاجتهاد ، وتكافح الحرافات ، والغلو في الدين ، وتجتهد في التوفيق بين
الدين وبين مطالب العصر .

لامانس

Henri Lammens

يقول المستشرق ، البلجيكي الأصل ، الأب «لامانس» في كتابه: «الاسلام»،
ان محمد بن عبد الوهاب «بنى» كل أفكار ابن تيمية، وفهم «القرآن» كما يفهمه
أهل الظاهر ، ولم يكن راضياً عن آراء الأشعرين ، وكان عدواً لكل جديد، منها
يكن شكله .

وكان يرى أن تكون المساجد في منتهى البساطة ، فلا فيسفاء ولا طلاء ...
ولا منارة ولا محراب .

والوهابية و«السوسية» في المغرب تتشابهان من حيث دعوتها المشتركة
للعودة الى بساطة الاسلام الأولى ، ولكنها مختلفتان الآن .. فالسوسية هادنت
«الصوفية» - أو حالفتها - فنشأت في ظلها الطرق والزوايا ، التي يسمونها
«الحوان» - ولعلها تحريف الاخوان - كما نشأت طرق «الحلوتية» و«الرحمانية»
و«التيجانية» ، التي ينتمي اليها أكثر من مائتي ألف رجل ..

القبور - وبما أخذته الوهابية عن ابن تيمية مكافحتها لتقديس الموتى ، والبناء
على القبور ، ومن المفارقات العجيبة ان (ابن تيمية) له ضريح في دمشق، وبين
الأضرحة الصوفية ، المبنية ا

مسألة الإجماع - أخطر ما عند الوهابيين مسألة : « الإجماع » ، فهم يعرفون الإجماع بأنه إجماع الصحابة والتابعين فقط .. بينما قبل « الغزالي » إجماع الأمة ، الممثلة في علمائها المجتهدين ، ولو كان ذلك في العصر الحاضر . وهذه الوسيلة مُقبِلَت أمور كثيرة ، لم تكن موجودة في عهد الصحابة وتابعيهم ، كالولادة النبوي ، وأخيراً .. التصوير « الفوتوغرافي » .

وكذلك خلافة العثمانيين ، مع أنهم ليسوا من العرب ولا من قريش ، قبل بها الناس ، فاعتبر إجماعهم كافياً لجعلها شرعية .

قد يكون الوهابيون على شيء من الحق في مناهضتهم للإجماع الذي يقول به غيرهم من أهل السنة ، ولكنهم يحصرهم الإجماع بالصحابة والتابعين فقط ، ضيقوا الدائرة .. أمام « التطور » الذي يستوجبه انتشار الإسلام في العالم وتغير الأزمنة .. والوهابية في هذا الموقف تشبه الكنيسة اليونانية الشرقية التي لا تقبل إلا « تعريفات » الجامع « الأوكومونية » السبعة الأولى ، وتقف عندها !

الأتراك والحنابلة

شجع السلاجقة ، ثم الأتراك ، المذهب الحنفي ، الذي كان يدعى بحق مذهب الرأي ، وكانوا يسمون مؤسسه أبا حنيفة : « الإمام الأعظم » . وهكذا ضعف شأن الحنابلة .

ثم ظهر في الشام ابن تيمية ، وقاوم الصوفية ، وكافح البدع وأعطى الحنبلية رواء جديداً ، ولكنه اضطلع وعذب ومات مقهوراً . وجاء بعده ، بأربعة قرون ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فسار على نهجه ، ولعله إنما بدأ بقراءة كتبه أثناء إقامته في « المدينة » فأحبه وأعجب به - وجدد أفكاره وبعضها بعضاً قوياً ووفق في حركته ..

ويندر

R. B. Winder

ويقول ر. ب. ويندر في كتابه : « العربية السعودية في القرن التاسع عشر » :

كما سماوا أريسطو : « المعلم »

هكذا سماوا محمد بن عبد الوهاب : « الشيخ . »

وبما قاله : إن الشيخ علم الناس المباديء الوهابية في وقته ، ولم يدخل عليها أتباعه من بعده إلا تغييرات قليلة .

ثم قال : إن رئيس الحكومة الوهابية - أو الإمام - يجب عليه تنفيذ أحكام الشرع .

.. وعندهم (مطوعة) يكرهون الساس على الصلاة في المساجد ونحو ذلك . ونحن لا نعرف إن كانت الوهابية تستطيع مواجهة عصر الذرة والفضاء ، ولكن أحداً لا ينكر قيمتها وأثرها في الفكر الاسلامي الحديث ، وأنها استطاعت الانتقال من « الواقعية » الى « المثالية » ، وبما كان عليه الاسلام الى ما يجب أن يكون عليه ، وبقيت محتفظة « بمحيويتها » وفكرتها التحريرية .

لقد صدم الوهابيون الأوائل بتشدد سائر المسلمين ، ولكن الوهابية في الحقيقة كانت نعمة على المسلمين بمسامحتها الواسعة في تنبيه المسلمين الى مظاهر الوثنية وتحذيرهم منها .

ولم يقتصر فضل الوهابية على خدمة الدين بتطهيره من آثار البدع ، وإنما كانت لها ناحية قومية ، لأنها وقفت أيضاً في وجه الدولة العثمانية وحررت منها قسماً من جزيرة العرب ودعت الشعوب العربية بذلك الى التحرر أيضاً .

ولا شك ان الوهابية حققت فكرة ابن خلدون القائلة ان العرب البدو يستطيعون ان يؤلفوا قوة لها شأنها متى انتقدوا الى الدين .

ومن يقارن بين مراحل ظهور الدين الاسلامي وانتشاره ، وبين مراحل ظهور الحركة الوهابية وانتشارها وما سبق ظهورهما من جاهلية يجد أوجه الشبه واضحة.

ماسه

H. Massé

ويقول هنري ماسه في كتابه « الاسلام » :
ولدت الوهابية من نزعة مضادة تماماً للنزعة التي نشأت عنها حركة « أكبر » ،
لأنها أرادت الرجوع الى الماضي ، وزادت (أو زابت) على توحيد المسلمين ،
وكلهم في الحقيقة ، موحد .

رأت الوهابية في كثير من العادات والأعمال الممارسة منذ وقت طويل نوعاً
من الشرك : كتقديس الأنبياء والأولياء والقبور ، وفي نظرها ان الأنبياء والأولياء
لا يملكون معرفة الأشياء الغيبية ، واعتبارهم شفعا أو وسطاء هو اعطاؤهم سلطاناً
لا يملكه إلا الله وحده ، ومحمد نفسه لا يعطى حق الشفاعة إلا في الدار الآخرة .
إن الوهابيين لا يميزون تقديس شيء مخلوق ، مثلاً السجود أمام القبر ، ولو
كان قبر النبي ، ولا الطواف حوله بخشوع ، ولا تقبيل حجر يعتبر مقدساً ، وهم
ينكرون الطيرة (كالاعتقاد بأيام سعد وأيام نحس) وتصديق الكهان ، وهم
كذلك ينكرون الحلف بالنبي أو بأهل بيته ، كما أنهم يحرمون المشروبات الكحولية
والدخان والموسيقى والرقص واللهو ..

والوهابية تستعير اسمها من ابن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧ م ، ولم تنشأ
عن أفكار كافكار الحوارج - كما يتوهم بعض الجهلاء - وإنما نشأت عن الأفكار
الحنبلية .

ولقد بعثت الحنبلية عملياً في أوائل القرن الرابع عشر بفضل فقيه عظيم هو ابن

تيمية ، الذي هوجم كثيراً ومات في السجن . ولكن في القرن الثامن عشر ، ظهر ابن عبد الوهاب ، وتشبع من أفكار ابن تيمية ، واستخرج منها « الوهابية » التي تلخص في أنها رد فعل عنيف جداً ضد فكرة « التقدیس » المسيطرة يومئذ .

معلمة الإسلام

كُتبت معلمة الإسلام ، في نسختها الأنكليزية ، تحت عنوان « الوهابية » ، ما يأتي :

غاية الوهابية تطهير الإسلام ، ونجريدته من البدع التي أدخلت عليه بعد القرن الثالث الهجري ، ولذلك نراهم يعترفون بالمذاهب الأربعة وبكتب الحديث الستة . أما أعظم الأشياء التي ينكرونها ، فهي الأمور الآتية ، نستعيها من كتاب « المع » :

- ١ - كل أنواع العبادة ، ما عدا عبادة الله ، باطلة ويستحق فاعلها القتل .
- ٢ - من الشرك إدخال اسم نبي أو قديس أو ملك في الصلاة ..
- ٣ - من الشرك طلب شفاعة أي إنسان عند الله .
- ٤ - من الشرك الدعاء لغير الله .
- ٥ - من الكفر تأويل القرآن .
- ٦ - من الكفر اتباع رأي لا يستند إلى القرآن أو الحديث أو القياس .
- ٧ - من الشرك تقدیس الأولياء والصالحين وتعبد القبور .
- ٨ - إنكار القدر في كل الأفعال إلحاد .

ويختلف الوهابية ، مع انهم حنابلة ، عن ابن حنبل بما يلي :

- ١ - حضور الصلاة في المساجد إجباري .
- ٢ - لا يكفي التلفظ بالشهادة لجعل الإنسان مسلماً وجعل ذبيحته حلالاً ، وإنما

يجب استقصاء أحواله .
 ٣ - الزكاة تؤخذ عن الأرباح الخفية ، كإرباح التجارة ، بينما يستوجبها ابن حنبل على الأرباح الظاهرة .
 ٤ - التدخين محظور (ويجلد) صاحبه (٤٠) جلدة على الأكثر ومن يخلق لحيته (يعزر) ..
 وزاد « زوير » : انهم لا يستعملون « المسبحة » وإنما يذكرون اسم الله على أصابعهم ، وأن مساجدهم بسيطة وليس فيها ماذن .

معجم هاستنغ

وجاء في معجم « هاستنغ » الشهير ، المسمى « الدين والأخلاق » في بحث « الوهابية ما يأتي :

إن أصحاب هذا المذهب يقولون :

١ - ان الله له شكل جسماني ، أي له وجه ويدان الخ ..

٢ - لا موضع عندم للرأي في المسائل الدينية ، وإنما يجب حل هذه القضايا بالرجوع إلى القرآن والسنة وحدهما .

٣ - لا يعترفون « بالإجماع » ، مصدرًا للأحكام .

٤ - لا يعترفون كذلك « بالقياس » .

٥ - المسلمون الذين لا يدخلون معهم في جماعتهم يعتبرون كفاراً .

٦ - لا الرسول ولا أي ولي يستطيع أن يكون واسطة بين الخالق والعبد .

٧ - يحرمون زيارة قبور الأولياء .

٨ - لا يجوز الحلف إلا بالله وحده .

٩ - النذور محرمة إلا لله ، ولا يجوز تقديم الذبائح إلى أضرحة الأنبياء أو الأولياء .

لوثرروب ستودارد

Lothrop Stoddard

يقول لوثرروب ستودارد ، في كتابه : « حاضر العالم الاسلامي » ، الذي نقله الى العربية عجاج نويض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان :
« في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعمق دركه .. وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فالبست الوحداية التي علمها صاحب الرسالة الناس سجعاً من الخرافات والقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات ..
وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجته اذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه جزيرة العرب ، مهد الاسلام ، ويوقظ المؤمنين ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل ، فكان صاحب هذا الصوت الصارخ اما هو : المصلح المشهور محمد ابن عبد الوهاب ، الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واندلعت السنّها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامي ، ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القديم والعز التليد ، فتبدت تبشير صبح الاصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الاسلام .

تشدد الوهابيين في أول الأمر

.. قام عدد من النقدة ، اتخذوا الوهابية دليلاً لكلامهم ، وقالوا ان الاسلام بجمهره وطبائعه غير قابل للتكيف على حسب مقتضيات العصور وبمباشرة أحوال الترقى والتبدل ، وليس الفا لتطورات الأزمنة وتغيرات الأيام .
بيد ان تقدم هذا فاسد باطل ، ولا مسوغ له ، اذ قد فاتهم أن الدور الأول لكل اصلاح ديني اما هو الرجوع الى حالة أصل ذلك الدين المراد اصلاحه ، والاستمساك به على حالته الأولى استمساكاً لا بمحتمل نقد ناقد ولا انهمام منهم ،

فالمصلح الديني لا يرى سبيلا للقيام بالاصلاح وبلوغ الغاية الا بنسخ جميع البدع والأوهام اللاصقة بالدين دون اعتبار صفاتها وماهيتها .
ليعتبرن العاقل القريب : انه لما بدأ الاصلاح البروتستانتي عندنا اما كان مبداء على هذه الطريقة .. فقد نبذ المتعصبة المتشددة من البروتستانت المعروفين باسم « المتطهرين » المصلح الكبير « أراسيموس » ، واتهموه بالباطل وشددوا عليه التكبر متعابن قائلين ان الحركة الاصلاحية اما هي افتراء على الدين الصحيح ، ولا شأن لها سوى ابدالها « البابا » المعصوم بالتوراة .. المعصومة .

جان ريفوار

Jean Rivoire

كتب « جان ريفوار » ، الذي أسلم وتسمى باسم : « حيدر بامات » ، في كتابه « مجالي الاسلام » ، الذي نقله الى العربية المرحوم عادل زعيتو :
« نعمل أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر طابع أعظم سقوط مني به الاسلام ، وكانت الامبراطورية العثمانية وفارس وامبراطورية المغول بالهند في دور الانحلال ..

وعاد الدين ، الذي أثقل بالخرافات الخزية ، لا يمت الى توحيد محمد (ص) بغير صلات بعيدة ، فقد حلت محله باطنية باطلة وعبادة للأولياء والأضرحة ، استغلت بمهارة من قبل مشايخ جاهلين موزعين لتائم وتعاوين ..
وكان البلدان المقدسان ، مكة والمدينة ، يعرضان مظهراً مكدرأ من الفسق والفساد في موسم الحج من كل سنة ..

وفي هذه الأحوال المنكدة للاسلام كثيرا ، حين كان يظهر أن روحه تهجره ، حدث رد فعل شاف ، وقد انطلق رد الفعل هذا من جزيرة العرب ، ..
وكان محمد بن عبد الوهاب ذاك النذير ..

وتحف بتعاليم هذا الرجل ، الذكي الفؤاد ، والمتين الخلق ، والذي يشبه
بـ « كالفين » ، أحيانا ، قلوب بني قومه ، فقد نفخ فيهم حماسة الأيام الأولى من
الهجرة .

وما قام به من دعوة للعودة الى نقاوة الاسلام الأولى دوتى حتى أقاصي العالم
الاسلامي ، فكان خميرة فعالة أحييت جميع حركات الإصلاح التي حدثت منذ ذلك
الحين .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن رحلة الشيخ ومكافحته للبدع ، ثم يقول ان الوهابية
هي الحنبلية نفسها ، ولكنها في مظهر أكثر تشددا ، وان جماعة من النقاد رأوا أن
الوهابية ستحول دون سير البلاد في طريق النهضة لتمسكها بالحالة التي عليها القوم
وتخوفها من روح العصر ، ولكن نهضة المملكة العربية السعودية الحاضرة أثبتت
فساد أقوال هؤلاء النقدة ، وبعد ما حققته حتى الآن « دليلاً بيناً على أهلية الوهابية
الملاءمة لمقتضيات الأزمنة الحديثة » ، ولقادة المملكة في سياستهم الإصلاحية قاعدة
حكيدة وهي الأخذ بالجواهر والمفيد ، وطرح العرض وكل ما كان فاسداً ، وقد
أحسن الضابط « أرمسترونغ » بقوله :

« عزم ابن سعود على ألا يقتبس من الأوربيين غير أصلح ما يقدمون اليه ، فهو
لا يريد أن ينتحل غير ما يحققونه عمليا ، من سيارات وطائرات ونحو ذلك ،
ولكنه يضرب ببادئهم عرض الحائط ..

وهو سيعمل رعاياه على الطريق السوي ، ولكنه لن يعجزهم مطلقا ..
وهو يفضل تحولا في المزاج الذهني وفي طراز العيش على انتحال الأزياء
الأوربية .. »

مَا كُتِبَ عَنْ الوَهَابِيَّةِ حَدِيثاً فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

كثرت الكتابات عن الوهابية قديماً وحديثاً .
وفيهما ثناء ، وفيها تجريح !
وكانت الكتابات في زمن العثمانيين كلها تقريباً حملات جائرة ظالمة ، ثم أخذ
الناس بتشككون في حقيقة هذه الكتابات ، ويتفهمون الأسباب السياسية
والدوافع الشخصية التي كانت تملئها على أصحابها .
وأخيراً بدأ العلماء المنصفون يعطون الحركة الوهابية حقها من الانصاف
والتقدير ، وإن لم يكونوا من أتباعها وأنصارها ، وإذا اختلفوا معها في أشياء ، فهم
يعرفون لها فضلها ومزاياها ، ولكنهم انما يجشون عليها من الغلاة الذين يريدون
فرض آرائهم « المتطرفة » على الآخرين ، لتوهمهم أن الحق معهم وحدهم !
وها نحن نكتطف شيئاً مما كتبه المؤلفون العرب عن الوهابية ، وبما توجع من
كتب الغربيين الى اللغة العربية :

طه حسين

الوهابية أيقظت النفس العربية

قال طه حسين ، في محاضراته « الحياة الأدبية في جزيرة العرب » :

« يعني من هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب ، وقد كان هذا الأثر عظيماً خطيراً من نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ، ووضع أمامها مثلاً أعلى أحبه وجاهدت في سبيله بالسيف ، والقلم ، واللسان ، وهو قد لفت المسلمين جميعاً ، وأهل العراق والشام بنوع خاص، الى جزيرة العرب » .

عباس محمود العقاد

أثر ابن تيمية واضح

ويقول عباس محمود العقاد في كتابه : « الاسلام في القرن العشرين » :
« المنبع الذي صدرت عنه الحركتان : حركة ابن تيمية وحركة ابن عبد الوهاب واحد : هو مذهب ابن حنبل ..

ولكن ابن عبد الوهاب تأثر كذلك بحركة ابن تيمية ، وقرأ كتبه ورسائله وفتاواه ، وتفهمها وأخذ عنها ، وترسم خطاه ، وأخذ بآرائه ، كما تأثر كذلك بكتب تلميذه ابن القيم الجوزية وآرائه ، وبما يثبت هذا كله أن بعض رسائل ابن تيمية الموجودة في المتحف البريطاني مكتوبة بخط محمد بن عبد الوهاب ، فهي مما كان ينسخه لنفسه ، وهو في رسائله التي كتبها لشرح دعوته أو لمناقشة معارضي يعتمد كثيراً على آراء ابن تيمية وابن القيم الجوزية ويستشهد بأقوالهما » .

ويرجع العقاد أسباب فشل حركة ابن تيمية الى كثرة الفرق الدينية في الشام وكون العالم الاسلامي يومئذ كان في عنفوان ثورته على الصليبيين ، ثم لم تكن له قوة سياسية وحربية تسانده .. بل كان هناك العكس ، وكان القضاء والولاة ضده .. بعكس مما كان الحال مع محمد بن عبد الوهاب .

كانوا مخطئين في مسألة التكفير

وقال العقاد أيضاً : « وبما أخذه المعارضون على الحركة الوهابية كذلك ترمتها

الشديد واتهامها لكل من لا يأخذ بمبادئها بالكفر والمروق ، ثم يقول : إن الاجتماع منعقد أو يكاد على استنكار البدع والخرافات التي ذكرها ابن عبد الوهاب ، ولكن الخلاف على الشرك والتكفير أو على درجة الشرك الذي يخرج صاحبه عن الملة .

وأكبر من خالف الشيخ في ذلك أخوه الشيخ سليمان صاحب كتاب « الصواعق الإلهية » وهو لا يسلم لأخيه بمنزلة الاجتهاد والاستقلال بفهم الكتاب والسنة ويقابل تفسيراته بتفسيرات تذهب في غير مذهبها ، ويعتمد على ابن تيمية وابن القيم في مناقشة أخيه ، فيقول إن من أصول أهل السنة المجمع عليها ، كما ذكرها : « أن الجاهل والمخطئ من هذه الأمة يعذر بالجهل والخطأ حتى تبين الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحاً لا يلتبس على مثله أو ينكر ما هو معلوم بالضرورة من أركان الاسلام مما أجمعوا عليه إجماعاً جلياً قطعياً يعرفه كل من المسلمين » .

ويرى أن البدع التي يرمي بها الأئمة جيلاً بعد جيل ولا يكفرون أصحابها ، لا يكون الكفر فيها من اللزوم الذي يوجب القطع به ويستباح من أجله القتال .

أحمد أمين

تحدث المرحوم الأستاذ أحمد أمين ، في كتابه : « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » ، حديثاً طويلاً عن المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بدأه بالكلام عن نشأته ورحلته ، فقال إنه « طوّف في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، فأقام نحو أربع سنين في البصرة ، وخمس سنين في بغداد وسنة في كردستان وستين في همدان ثم رحل الى اصفهان حيث درس الفلسفة والتصوف » ، ثم تحدث عن التوحيد الذي قامت عليه حركة ابن عبد الوهاب ، وعن شدة تأثره بأراء ابن تيمية في مكافحة البدع ، وفسر نجاحه بأنه نتيجة التعاون الوثيق بينه وبين الأسرة السعودية ثم انتقل الى الحديث عن موقف الحكومة السعودية الراهن من رجال الدين ، وكان الأجدر به أن يفرق بين رجال الدين وبين الغلاة الذين لا يخلو منهم بلد ، فقال :

طريق وسط بين تيارين

رأت « الحكومة » نفسها أمام قوتين قويتين لا معدى لها عن مسايرتها : قوة رجال الدين في نجد المتمسكين أشد التمسك بتعاليم ابن عبد الوهاب والمتشددين أمام كل جديد فكانوا يرون أن التلغراف السلكي واللاسلكي والسيارات والعبلات من البدع التي لا يرضى عنها الدين .

وقوة التيار المدني ، الذي يتطلب نظام الحكم فيه كثيراً من وسائل المدنية الحديثة ، كما يتطلب المصانعة والمداواة .

فاختطت لنفسها طريقاً وسطاً وشافاً بين القوتين ، فقد عدلت نظرها الى الأقطار الاسلامية الأخرى وعدتهم مسلمين ، وبدأت تشر التعليم المدني بجانب التعليم الديني ، وتنظم الادارة الحكومية على شيء من النمط الحديث ، وتسمع للسيارات والطائرات واللاسلكي بدخول البلاد واستعمالها وما الى ذلك ..

وما أشقه عملاً : التوفيق بين علماء نجد ومقتضيات الزمن ، وبين طبائع البادية ومطالب الحضارة .

محمد عبده .. تلميذ ابن عبد الوهاب

وينتهي أحمد أمين بحجته بالتحدث عن أثر الوهابية في الحركات الإصلاحية الحديثة ، فيقول ، على سبيل المثال :

« .. في مصر شب الشيخ محمد عبده فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب مملاً الجو ، فرجع الى هذه التعاليم في أصولها من عهد الرسول الى عهد ابن تيمية الى عهد ابن عبد الوهاب ، وكان أكبر أمل أن يقوم في حياته بعمل صالح ، فأداه اجتهاده وبحجته الى هذين الأساسين اللذين بنى عليها محمد بن عبد الوهاب تعاليمه ، وهما :

١ - محاربة البدع ، وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد بإشراك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى .

٢ - فتح باب الاجتهاد ، الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين .

أبو زهرة

تحدث الشيخ محمد أحمد أبو زهرة في كتابه « المذاهب الاسلامية » الذي ظهر في سلسلة « الألف كتاب » بمصر ، عن الوهابية حديثاً مستفيضاً، بدأه بالكلام عن جهود العقل وتقديس الفقهاء والصالحين، قال :

الوهابية ضد تقديس الأشخاص ..

« لقد اتسمت العصور التي جمد فيها العقل بتقديس آراء الأئمة المجتهدين كما أشرنا ، وكان من مظاهر ذلك : تقديس الصالحين في حياتهم وبعد مماتهم ، وزيارة أضرحتهم والطواف حولها بما يشبه الطواف حول بيت الله الحرام ، وكان من أثر ذلك أن قامت طائفة تحارب هذا وتشدد في محاربته متبعة في ذلك آراء ابن تيمية ، وقد أخرجتها من مرقدها ، بعد أن طمرتها السنون .

ظهرت الوهابية في الصحراء العربية ، نتيجة للافراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم ونتيجة لكثرة البدع التي ليست من الدين ، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية والأعمال الدينية . فبعاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأحييت مذهب ابن تيمية .

ومنشئ الوهابية .. درس مؤلفات ابن تيمية فراقت في نظره ، وتعمق فيها ، وأخرجها من حيز النظر الى حيز العمل ، وانهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية ، ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد ، ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية ، لأنها لم تشتهر في عهده ، ويتلخص ذلك فيما يأتي :

١ - لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الاسلام في القرآن والسنة وكما ذكر ابن تيمية ، بل أرادوا أن تكون «العادات» أيضاً غير خارجة عن نطاق الاسلام، فيلتزم المسلمون ما التزم ، ولذا حرموا الدخان وشددوا في التحريم حتى ان العامة

منهم يعتبرون المدخن كالشرك ..

٢ - وكانوا في أول أمرهم يحرمون على أنفسهم القهوة وما يائثلها، ولكن يظهر أنهم تساهلوا فيها فيما بعد .

٣ - ان الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة بل عمدت الى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم يحاربون البدع وهي منكر فجب محاربته ..

٤ - انها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً ونحرياً، حتى لقد أطلق بعض الكتاب الأوروبيين على الوهابيين وصف : « هدامي المعابد »، ولعل ذلك الوصف فيه بعض المبالغة ، لأن الأضرحة ليست معابد ، ولكن يظهر أنهم كانوا يهدمون المسجد مع الضريح أخذاً من الخبر الذي استنكر فيه النبي (ص) عمل بني اسرائيل إذ اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد .

ولم يقف عنفهم عند هذا فانهم جاؤوا الى القبور الظاهرة فهدموها ... وتعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية ولا ما يؤدي الى الوثنية وأعلنوا استنكارها ، مثل التصوير الفوتوغرافي ، ولذا وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي يكتبها علماءهم وان كان أمراؤهم لا يلتفتون في هذا الى أقوالهم ويضربون بها عرض الحائط .

وانه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ ، وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب بل أنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً من الوثنية ..

ولقد كان ذلك لا ضرر منه أيام أن كانوا قابعين في الصحراء لا يتجاوزونها .. وليس الأمر كذلك الآن .. وقد تصدى لهم الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ، وجعل آراءهم لأنفسهم دون غيرهم ، وسار في هذا شوطاً بعيداً .

قلنا : وهنا أيضاً كان الأحرى بالمؤلف أن يتكلم عن الغلاة ، الذين يوجدون في كل مكان ، وفي كل مذهب ، لا عن جمهور العلماء .

عبد الكريم الخطيب

وقال عبد الكريم الخطيب ، في كتابه : « محمد بن عبد الوهاب . العقل الحر والقلب السليم ، المطبوع في مصر عام ١٩٦٠ ، في مقدمة الكتاب :
« ان الدم الذي أريق في سبيل الدعوة الوهابية دم عزيز عزيز على الاسلام والمسلمين ..

.. غير أن الحروب الوهابية .. قد كان جانب الربح فيها أكثر من جانب الخسارة ، فيما عاد على الاسلام والمسلمين بسببها من خير كثير .
لقد أبقت هذه الحروب مشاعر الأمة الاسلامية التي كانت قد خمدت ، وفتحت منها العيون التي عاشت زمنا طويلا في وطأة نوم ثقيل ..

كانت الحروب الوهابية معركة رأي

فما قاتل أصحابها وما قتلوا الا دفاعا عن رأيهم الذي لم يحتمله العالم الاسلامي يومئذ فرمام بالكفر والمروق عن الدين ، ورموه بالكفر والمروق عن الدين أيضا ...

ولقد برئت الدعوة الوهابية من أن يختلط بها هوى أو يطف بها زيف أو تمويه انها دعوة باسم الدين والدين ، ما كان صاحبها ولا كان مناصروه يطمعون في شيء أكثر من تحرير العقل الاسلامي ، وتنقية العقيدة الاسلامية من شوائب الشرك والضلal .

ويقول المؤلف ، في أواخر كتابه :

« دعوة محمد بن عبد الوهاب من الدعوات الناجحة بغير شك ، اذا كان مقياس النجاح مقدراً بالنتائج التي تجنى ، والثمرات التي تقتطف ، دون نظر الى الأخطاء التي وقعت عبر الطريق الى الغاية ...

.. اذ خلقت في المجتمع الاسلامي وعيا كان ضائعا ونبت احساسا كان خامدا

وفتحت بصائر كانت مغلقة ..

... ثم ان الدعوة الوهابية من جهة أخرى حملت الناس على أن يلقبوا وجوه الرأي وان يرجعوا الى ما خلف السلف من آراء وسنن فكان أن انتهوا آخر الأمر الى الينايع الأولى للإسلام يصدر عن عنها جميعاً فبدأت وجهات النظر تتلاقى على حين أخذت شقة الخلاف تضيق ، حتى صار الأمر الى ما نراه اليوم من وحدة تتلاقى عندها جميع الأنظار .

وغير خفي أن الدعوة الوهابية قد اشتطت كثيراً في حملتها على جمهور المسلمين وفي تسفيه كل ما كان عليه المجتمع الإسلامي مما يتصل بالعقيدة ، ونستطيع أن نقول إن هذا الشطط ربما كان شيئاً لازماً ، بل ربما كان أمراً مقصوداً دعا إليه الحال التي بلغها المسلمون يومذاك ، وربما كان صاحب الدعوة قد أدرك أنه اذا أخذ بدعوته طريقة الاعتدال لم ينتبه إليه أحد ممن غشيتهم الغفلة وران عليهم الجهل ..

وأنه لكي يلفت أنظار المسلمين في كل مكان ، كان عليه أن يبالغ في مقررات الدعوة ... وأن يشتط في تغليظ البدع والمنكرات .. ، ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن أسباب نجاح الدعوة ، فيلخصها في إيمان صاحب الدعوة ، وثبات أنصاره ، وبيئة الدعوة .

لويس شيخو

كتب الأب لويس شيخو ، مقالا في مجلة « المشرق » ، التي يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، عام ١٩٢٠ ، تحدث فيه عن نجد ، وبما قاله :

« .. كان الدين بينهم في انحطاط حتى أضحي اسماً فارغاً . وبقوا على ذلك ردحاً من الزمن حتى قام بينهم « محمد بن عبد الوهاب » .. ينفخ في مواطنه روحاً جديدة ، اقتبسها من أصول الدين الإسلامي مجرداً مما نسبوه إليه من التوافل

والبدع .

وينحصر مذهب الوهابيين في الاقرار بوحداية الله ، واتباع سنة النبي ، وهم في مسائل الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج كسائر المسلمين .
ثم تحدث الأب شيخو عن الأشياء التي انفرد بها الوهابيون فجاء بالعجب العجيب ، مع أنه عربي ويعيش في القرن العشرين ، فقال ان الوهابيين يمنعون عن ذكر النبي في الشهادات ، ويحظرون على الناس اكرام النبي والأولياء ، وينعوت شرب القهوة .. ثم قال :

« كان » الشيخ ، اغتذله شورى متألفة من ٢٤ صاحباً يتجولون في أحياء البلد ويوقفونه على أدنى مخالفة لهذه الفرائض ، فيوجب على المذنبين الحد ويضربهم بالسياط ويغرمهم الغرامات الطائلة ^(١) .

ولما رأى ما قام في وجهه من العوائق لبأوغ غايته .. عرف أنه لن يفوز الا بامتناع الحسام ومراعاة أخلاق العربان .. بالحض على شن الغارات ونهيج المطامع في اغتنام الغنائم .. »

جمال الدين الشيال

وتحدث الدكتور جمال الدين الشيال عن الحركة الوهابية حديثاً غير قصير في كتابه: « محاضرات عن الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث » .

وبما قاله :

« الحركة الوهابية أولى الحركات الإصلاحية التي ظهرت في الدولة العثمانية ، أو

١ - يعني الكاتب بالشوري : الطوعين ، ولا رجه لتسميتهم بهذا الاسم .

بمعنى أصبح بين الشعوب العربية الخاضعة للدولة العثمانية وستلوا حركات إصلاحية أخرى تبث في أجزاء أخرى من العالم « الاسلامي » ، بعضها مشابه للحركة الوهابية وبعضها متأثر بها آخذ عنها ...

وظاهرة أخرى تميز هذه الحركة هي ظهورها في إقليم نجد ، في تلك المنطقة الصحراوية المباركة حيث انبثق نور الاسلام الأول ، والبيئة الصحراوية كانت دائماً أصح البيئات لظهور الدعوات الإصلاحية وخاصة تلك التي تدعو الى دين جديد ، أو التي تقوم على أساس من الدين ، فهذه البيئة تكون عادة بعيدة عن مؤثرات المدنية ، وعن حياة الحضر التي أفسدها الانغماس في الترف ، وسكان هذه البيئة يكونون عادة - لبساطتهم وبدائيتهم - أكثر تقبلاً لمثل هذه الدعوات الإصلاحية التي تدعو الى التقشف والبساطة والجهاد والمثل العليا .

أمين سعيد

ويقول الاستاذ أمين سعيد ، في كتابه : « هذا هو كتاب سيرة محمد بن عبد الوهاب » :

« حققت الدعوة لنجد آمالها ، وقد بدأت في محيطها ، أول ما بدأت ، فأنشأت لها مجتمعاً إسلامياً سليماً ، يؤمن بالتوحيد ويعظم شأنه ويسير على هداية ولا يدعو مع الله أحداً .

ولا يزال هذا حاله ، لم يتبدل ولم يتغير منذ عهد الشيخ حتى يومنا هذا ، فهو يصعد بالحق ويؤمن به .

وانبثقت عن هذا المجتمع دولة عربية كريمة ، نشأت في ظل الدعوة وآمنت بها ، فكانت أول دولة عربية كبرى يؤسسها العرب في داخل جزيرتهم بعد دولة الخلفاء الراشدين ، فاتبعت طريقهم وترسمت خطاهم ، فسادت وشادت .. »

ملاحق الكتاب

المُحقق الأول

رواية "لمع الشهاب"

عن قبائل نجد وبلدانها وعاداتها

نورد في الصفحات الآتية نص الفصلين اللذين تحدثت
فيهما مخطوطة « لمع الشهاب » في سيرة محمد بن عبد
الوهاب عن قبائل نجد ، وبلاد نجد ، وحدودها .

فصل في ذكر القبائل النازلين بنجد

قال مؤلف «لمع الشهاب» :

«منهم من لها شعب في الحجاز وشعب في نجد ، فمن ذلك :

عنزة

وهي ترجع الى وائل من ربيعة ، وهم في اصطلاح اليوم اكبر قبائل العرب كما يقال : كل «قوم دون عنزة» ، مثل مشهور ، وهي ثلاث فرق ، تحت كل فرقة واحدة شعوب وفخوذ وعشائر ، وعدد الكل يبلغ قريباً من ستين ألفاً ، وعنزة قبيلة معروفة رجالها في ركض الحيل والفراصة ، وليس في أرض نجد أحد يقاومهم ، فأحد طوايفهم تسمى «بني وهب» ، وهي تقترب الى فرقتين ، احدهما يقال لها : «ولد علي» وفيها رئيسان كبيران ، وهي تسكن هذا الزمن بيرة الشام بين البلقاء وحوران ، والآث بعدونهم من نوابع دمشق وحالمهم في النزول والارتحال هذه اذا وقع البرد والثلج خرجوا بابلهم وخيلهم وبقية مواشيهم وتزودوا من الحنطة ما يموتهم أيام البرد ونزلوا مواضع بين دومة الجندل والشام ، تسمى «وادي السرحان» ، والحمد ، فاذا دخل الصيف ارتحلوا راجعين الى مساكنهم المعهودة .

والفرقة الثانية من «بني وهب» يسمون : «المنابة» ومشايخهم أهل قدر وشأن ، يقال لهم «آل فاضل» ، فهذه الفرقة ينزلون الآن أيام الصيف في مواقع الى

جهة حلب وحص و حماة وتعرف تلك الارض عند بادية الشام بالشنبل ، وكثيرا ما ينزلون على نهر العاصي الذي عليه «حماة» المعمودة ، وأما زمان البرد والشتاء فيذهبون شرقي منزلم من أطراف العراق والحماة المذكور سابقاً ، وأيام الصيف يرجعون الى الشنبل ، وهاتان الفرقتان من بني وهب لهما تعيينات وخرج من ولاية الشام وحلب يعطون من الدراهم والجوب لمشايخهم وانما يعطون ذلك لحفظهم السبل وأرض الفلاحة والزرع عن أن يمسها أحد قومهم وقبائلهم والمترددون هناك ويمنعون أيضا بعض قبائلهم من غزاة الساكنين نجدا الآن الآتي ذكرهم عن «التعارضات» والغارات في أطراف الشام وحلب ، وأيضاً بعض بني وهب يكن خيبر من أرض الحجاز ولهم فيها نخيل بقدر بنصف نخيل خيبر ، اذ خيبر مشهورة بكثرة النخيل جاهلية واسلاما ، وهذه الفرقة زمن الربيع يرعون ماشيتهم من شمر الى تياء الى حجر ثمود الى مناهل من أرض الشام الى جهة قرب «ينبع» .

وطائفة أخرى من غزاة بن وائل من ربيعة تسمى «الجلال» ، وطائفة ثالثة تسمى «الرولة» ، وهم شجعان جزيرة العرب ، وهم أهل إبل كثير ، ربما يملك الشخص منهم أربع مائة أو خمسمائة ، وهم في الصيف يقطنون في بصرى والازرق وقد ينزلون «النقرة» الواقعة بين بقاء وحوران ، وهم يجلبون أبلهم للبيع الى حلب فيبيعونها على التركمان ، يأتونهم من طريق ديار بكر ، ثم ان طائفة الجلجال اذا تم الصيف وبدأت أيام حصول التمر ساروا الى اطراف كورة القصيم ثم استكالموا تمرا وحنطة .

وطائفة رابعة من غزاة من وائل من ربيعة يقال لهم : «بشر» ، وعدد رجالهم اكثر من بقية غزاة ، وهم يفترون الى شعوب : الشعب الاول يسمى : «العمارات» وشعب يقال له «آل جبل» ، والعمارات عشيرتان : الصقور والمطارفة ، ومشايخ العمارات أهل بيت يقال لهم : آل هذال ، كان لهم قبل أيام دولة آل سعود شأن عظيم وقوة غربية ، وكانوا يرعون جميع أراضي نجد ابنا شأوا ، ولا أحد يمكنه معارضتهم ، الا «مطير» خاصة ، فانهم يمانعونهم ، نعم اذا قامت غزاة كلها ذلت مطير حينئذ .

وأيا شعبان من بشر ، أحدهما « الدمامشة » وفي عرف أهل نجد يقال لهم « الدمامشة » ، وهم يملكون الحايط والحويط المسمى بفدك ، في سابق الزمان ، وهم عدد كثير ، وغالب سلاحهم البندق .

وشعب آخر من بشر يقال لهم « السبعة » وهم غير السبيع الآتي ذكرهم . ثم شعب آخر من بشر يقال له « ولد سليمان » ، وشعب آخر « البجايدة » ثم عشيرة منهم اسمها « آل شملان » ، وهم يملكون نصف أرض خيبر ونخيلها ، ولهم هناك فلع تتولى الزراعة وهم أنفسهم أهل بيت شعر يسكنون ديار نجد ، وأما آل هذال الذين هم مشايخ بشر من عنزة ، فلهم أرض « الحناكية » .

واعلم أن هذه الطوائف التي قدمنا ذكرهم على التفصيل من عنزة ومن سكن اليوم بحوالي الشام ومن هو باق بنجد خاصة ، إذا قحطت أرض نجد ، التجأوا إلى اخوانهم الذين ينزلون ديار الشام فيقومون لهم بالواجب ولا يساومونهم ، فلا يتركونهم فقراء أصلا ، وتلك للشيمة معهودة في عنزة أكثر من بقية قبائل العرب وإذا أخصبت نجد رجعوا بأهاليهم إليها لأن أرض نجد مع الحصب لا يساويها في المرعى وطيب المشرب واعتدال الهواء أرض من غيرها .

واعلم أن عنزة كلها دخلت تحت طاعة آل سعود أكثرهم بغير حرب ، بل رأوا أحقية هذا الدين فقبلوه شوقا .

ثم إن طائفة من بشر من عنزة من وائل يقال لها « الفدعان » ارتدت عن حكم آل سعود وتعلقت ببني خالد أيام دولتهم فجعلت من نجد وسكنت أرض الحوالد ثم عادت إلى نجد بعد ذهاب ملك بني خالد .

هذه أحوال عنزة من وائل .

وأما قبيلة ثمر ، فهي عدداً عشرون ألفاً ، ولكنهم تحت طاعة ابن سعود ، وقع من بعضهم بعض الخلاف آخر أيام عبد العزيز فأجلاهم من أرض طي إلى العراق ، وكبير تلك العشيرة يقال له مطلق الجربا ، ولم تهرج الآن هناك أيضاً ، وثمر نسبهم يرجع إلى قططان ، وهم من طي القدماء ، تغير اسمهم .

وأما قبيلة حرب فهي قبيلة منها بدو وحضر ، أما الحضر فينزلون مواضع

مخصصة من أرض الحجاز بين مكة والمدينة وهو غير فرع نجد ، ولهم بادية تسكن «العوالي» من توابع المدينة المنورة، والعوالي على فرسخ من المدينة جنوباً شرقاً، وبعضهم سكن نجد أعني البداة ، فيصل الى أطراف القصيم ، وأولئك أهل الحيل والابل الكثيرة ، لأن أرض نجد للغيل والابل أعفى من غيرها ولأن عشبها دائم، ومياها كثيرة بين مصانع وآبار .

وقبيلة حرب بكليتها تبلغ ثلاثين ألفاً .

وأما قبيلة «مطير» ، فهم من سكان نجد أيضاً ، وعددهم يبلغ أربعة عشر ألفاً ، وهم يرجعون نسباً الى قحطان ، وهم فرسان نجد ، وشجاعتهم معروفة بين أهل نجد ، وليس لمطير قرى وحضر بل هم بداءة صرف ، ويسمون أهل «الردات» عند الانهزام لانهم مها انكسروا وتبعهم العدو ، ردوا عليه وغلبوه .

ومطير هذه تتبع جميع قصبان نجد في مرعى وايس لها اراد عن ذلك ، الا غزاة ان اجتمعت عشايرها كلها ، وغالب مساكنهم بين العارض ومكة في الفيافي المسماة حزم الراجي والنيو ، وأهل الغنم منهم ينزلون غالباً قريب «الحرا» عندما يسمى «العتق» وهناك قصر صغير يسمى «صفينة» وأكثر كيلهم من حبوب وتمر من العارض والقصيم والاحساء وفخذ مشايخ مطير يقال لهم «الدوشان» ، واليوم كبيرهم : فيصل بن وطبان الدويش .

وأما قبيلة «عتيبة» فهي قبيلة كبيرة ، سابقاً تسمى «هوازن» ، وكانت تسكن حينئذ باطراف مكة موضعاً يقال له «حنين» وهي تبلغ اليوم أربعين ألفاً وهي ترجع الى قحطان نسباً فاما أهل الابل الكثير والحيل كذلك فينزلون غالب السنة نجداً الى أطراف القصيم ، وغالب أهل الغنم منهم من ينزل أرض الحجاز عن مكة ثلاث مراحل ولهم ثلاثون قرية عن الطائف بستة فراسخ الى جهة اليمين شرقاً قليلاً . واما قبيلة البقوم فهم بادية يبلغون أربعة آلاف وهم بداءة وسكان تربة وملاكها خدامهم ومن التحق بهم ، وتربة تقع شرقاً من حضن الآتي ذكرها ، وينحدر السيل الى تربة من أرض الحجاز .

واما قبيلة سبيع فهي قبيلة كبيرة منهم طائفة تسمى «بني عامر» .

وسبيع ينقسمون قسمين : قسماً منهم ينزل قبة عن العارض ولهم بلدة يقال لها : « رنية » تقع شرقاً من تربة بيومين ولها واد أعلاه في الحجاز وهي تحسب من نجد .

وعلى هذه القبيلة أمير من قبل ابن سعود يجلس في رنية أيام الصيف وفي الربيع يرحل مع جماعته والقسم الآخر من سبيع يسكن في نفس العارض ولهم فيه أملاك عديدة من نخل وغيره وهم في عين الطاعة والانقياد لآل سعود وهم معهم في الحمية والتعصب كاللحمة وأبناء العم ، ودائماً مها ركب أحد من آل سعود الحروب فهم معه ، ولا يأمنون أحداً مثلاً يأمنونهم ولهم شجاعة معروفة في نجد ، ولهذه الفرقة من سبيع عطايا كثيرة ومساكنهم أيام الربيع العرمة والدهناء ومجموع سبيع يبلغ اثني عشر ألفاً ، غير توابعهم وخدامهم وسبيع ترجع نسباً الى ربيعة .

وأما «السهول» : فهم طائفة برأسها ، وقيل إنهم يرجعون نسباً إلى سبيع وقيل غير ذلك ولكن الحق الذي نقله إلينا بعض المخبرين أنهم أصل على حدة ، يرجعون الى ربيعة أيضاً ، ولهم إبل وغنم عديدة وأكثر السمن الذي يجلب الى الدرعية منهم ، ولهم مناهل مياه على ثلاثة أيام من الدرعية ، وبلدهم جبل يسمى «العرض» ، كثير المياه والأودية ، وأراضيهم قريبة من «الشعرا» و «الدوادمي» وهم يقطنون في بلدة يقال لها « القويعة » كثير النخيل ، وأهل تلك البلدة اسمهم « بنو زيد » وعدد السهل يبلغ عشرة آلاف .

وطائفة كبيرة : « قحطان » ، وهي باقية على هذا الاسم ، لأنها من قحطان القدماء وهم خلق كثير ، يبلغ عددهم خمسين ألفاً ، بل أزيد ، ولهم قوة عظيمة ، وكانوا قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب لا يمكن أحد الحرب معهم ولهم أرض واسعة من حدود السراة وهو جبل عال بين بيشة ونجران ولهم واد يسمى « تثليت » يهبط سبله الى وادي الدواسر الآتي ذكره ، ومنهم من ينزل الهضب الذي هو شرقاً عن رنية ، وأكثر قحطان أهل الحيل والإبل يسكن نجداً بأطراف العارض ، ولهم نصح عظيم في هذا الدين الذي أخرجه محمد بن عبد الوهاب ولهم مبالغة تامة فيه ، وهم لما تبعوا آل سعود قالوا لهم : نحن علينا تطويع نهامة واليمن وأطراف

حضر موت والشجر وما ناسبنا من أرض الحجاز . وكان الأمر كذلك لانهم ما فتروا عن الغزو منذ دخلوا في الدين ، وكان آتئذ شيخهم وكبيرهم «هادي بن قرملة» واليوم ابنه محمد بن هادي بن قرملة ، وقحطان يتصرفون أبنا شأؤوا من بلاد نجد وتوابعها والاحساء .

وأما العجمان فهم في الأصل من طوايف اليمن ، ولكنهم منذ مائة سنة حلوا نجداً يشنون في أي موضع شأؤوا منها لقوتهم وشجاعتهم ، وعددهم خمسة آلاف رجل ، وهم يرجعون نسباً من « يام » وبداء بلدة نجران ، ويرجعون نسبهم أصلاً منتهى الى قحطان أيضاً .

وطائفة أخرى من يام يقال لهم : « آل مرة » ، تارة يسكنون اليمن وأخرى نجداً بحسب ما يصلح أحوالهم لمواشيهم وهم أهل إبل فقط وشجعان ولشجاعتهم لا ينازلهم أحد ولا يخالفهم وان كانوا قليلين وربما نزلوا أرض « الاحقاف » الربع الحالي ، من مشارق اليمن بما يلي عمان ، وهم يبلغون ألفي رجل أو أكثر ، وتلك الديار التي يسكنها هؤلاء أرض فيافي وقفار شديدة الحر جداً ، وأما الماء فيها فعزيز الوجود ، وربما وجد فيها ماء أملح من البحر ، ولكن يشربه هؤلاء ، وغالب قوتهم من لبن الابل ، وبينهم وبين الدرعية مسافة اثنين وثلاثين يوماً للراكب المجهد السير ، وهم في طاعة آل سعود .

وأما « بنو خالد » فهم قوم كرام ، أهل شيمة ومجد وصيانة عرض ، وحكامهم منهم وهي طائفة تسمى آل حميد وهم ولاية أرض كثيرة معروفة بما يلي نجد الى القبة حتى تمضي شرقاً الى البحر وشمالاً الى الجهرة وجنوباً الى أرض الصير من عمان ، وعدد بني خالد مع توابعهم ثلاثون ألفاً أو يزيدون .

وسياقي ذكرهم بكيفية حكومتهم مع عدد شعوبهم في الباب الخامس ان شاء الله .

ونسب بني خالد فيما حدثنا النسابون يرجع الى ربيعة ، والله أعلم .

فصل في بيان حدود ملك نجد وذكر بعض أسماء البلاد المشهورة فيها

قال مؤلف لمع الشهاب : (وفي ذكره للبلدان أخطاء كثيرة) .
« أخبرنا رجل ثقة من أهل الدرعية قد رأى تلك البلاد عياناً ، فقال :
أعلم أن أول نجد وحدها من جانب الشمال : جبلا طيء وهما المسميان أجأ
وسلمى ، وهما يشتملان على بقعة واسعة ، مسافة خمس مراحل من سير العرب ،
وهو بمشي يوم كامل بسير الذلول والمطية — وقد حدده الراوي باثني عشر فرسخاً —
وهذه الأرض مستوية ، طولاً وعرضاً ، وشمال هذه الأرض يقع رمل عالج متصلاً
بالدهناء ، وهي رمل يقع شرقي البجامة على ثلاث مراحل ، لكنها تعد من نجد
أيضاً .

وباقى بلاد طيء ، من المشاهير : حائل ، وفيها تسكن قبيلة شمر الحضرة
والبدو . وفيها مدينة أخرى تسمى : قفار ، وهي من حائل بمرحلتين - كذا - وفيها
بلد : موقق ، وهي عن قفار بيوم من جانب القبلة .
وبلد (المستجدة) ، وهي على ثلاث مراحل من حائل ، من جهة الجنوب قليلاً .

وغير ذلك من القرى التي لم يشتهر اسمها ..
وأرض طيء هذه كثيرة الخير من المزارع والفواكه ، لذلك تسمى عند أهل
نجد قاطبة : شام نجد ! وبين هذه الأرض وبين طريق الحاج الوارد على المدينة
خمس أيام ، تقع عنه شرقاً قليلاً إلى جهة الشمال ، وهذه المسافة مفازة لا غير .
ثم اعلم أنه يلي أرض طيء ، من جانب الشمال على خمسة أيام ، بلدة تسمى :
دومة الجندل ، وهي بلد أكيدر الجاهلي ، ويقال لها اليوم : جوف آل عمرو ،
وليست هي من نجد .
وبين أرض طيء ، وبين بغداد ، ثلاث عشرة مرحلة ، وبينها أيضاً وبين دمشق

خمس عشرة مرحلة ، وعرض رمل عالج أربعة أيام ، لا يوجد فيه ماء قط .
والأرض التي بين بغداد وبين أرض طيء تسمى الحاجر ، وهي أرض صماء ،
ليس فيها ، سوى المصانع والغداير التي عملتها زبيدة امرأة الرشيد العباسي .
وأما بلد « تياء » المعروفة ، فواقعة بقرب الأرض التي بين طيء وطريق الحاج
الشامي الوارد على المدينة ، فهي عن بلد حايل من طيء بأربعة أيام ، وعن طريق
المذكور يوم ... و « تياء » ، هذه بلد السموأل صاحب القصيدة الغراء ، كان
قبل بعثة النبي بسنوات قليلة .

القصيم

وأعلم أن في حدود أرض طيء مما يلي جهة الجنوب كورة ثانية من نجد ،
تسمى : القصيم . وهي تحتوي على بلدان كثيرة ، منها :
مدينتان كبيرتان جدا : هما « عنيزة » و « بريدة » .
وكذا من مشاهيرها : بلدا « الرس » و « الحبراء » وهما عن الرس مسافة يومين
غربا ، و « التنومة » و « قصبة » و « الشامية » و « الهلالية » .. و « المذنب » ،
وغير تلك من القرى .
والقصيم كورة كبيرة كثيرة الخير من حواصل التمر والجوب ، ومياه عذبة
لا تحصى كثرة ، ومقدار كورة القصيم سكنى وفيافي أربع مراحل طولا وعرضا ،
وفيها من القطن شيء كثير ، وفيها تلؤل رمل أكثر من بقية نجد .
الجنوب كورتان أحدهما « الوشم » والأخرى « سدير » وشرقا عن الوشم يوم إلى جهة
الشرق .

الوشم

والمعروف من كورة الوشم :
بلد « شقراء » ، وهي دار الإمارة ، وكذا : « وشيقر » .

وأيضاً بلد من الوشم تسمى « الفرعة » قريبة من وشيقر على أربعة فراسخ من جانب الشرق .

وبلدان بسميان « القرانين » لتقاربهما ، أحدهما يسمى « الوقف » والآخر « غسلة » .

وبلد أخرى تسمى « ثرمدا » .

وقريب منها يقال لها « مرأة » - مرات - على ثلاثة فراسخ من جانب القبلة . وكل الوشم بأجمعه مسافة أربعة أيام طولاً وثلاثة أيام عرضاً .

سدير

وأما كورة سدير فوادي بين جبلين ليسا بطويلين ، وطول أرض سدير قريب من مسافة يومين ، وهو يشتمل على بلدان كبار وقرى كثيرة ، ومن مشاهيرها :

بلد جلاجل « وهي بلد الامارة » .

و « الجمعة » ، و « حرمة » وهما قريتان بينهما ثلاثة فراسخ .

و « الزلفى » ، وأهلها مشهورة بالشجاعة والكرم بين جميع أهل نجد .

ما عدا ما ذكر من بلدان سدير في حدود الجنوب من جلاجل :

بلدة « الروضة » ، وكذا « الحوطة » و « الداخلة » و « الحصون » ،

و « العطار » وأيضاً بلد « العودة » ، ووادي سدير أحياناً لا يمطر ، فيسبب قحطاً

عظيماً بحيث يجلو أهل كافة ، وهي تعرف « بعريف نجد » لأجل ما تحتوي عليه

من الزروع والفواكه الطيبة ، وطيب الفلاة والعشب .

وأيضاً بلد كبيرة تسمى « رغبة » تقع منفردة عن سدير في جنوب الوشم

وبعدها عنه بسير نصف نهار .

وفي حدود سدير من جانب الجنوب مدينة يقال لها « حريملاء » وهي بلدة طيبة

الماء والهواء جداً وفي أسفل واديا إلى جهة الشرق ، قدر سير ساعتين ، بلد خراب

اليوم ، تسمى « ملهم » ، وفي القديم تسمى القرينة ، وهي بلدة أبي علي الخنفي

الذي ولاه كسرى أنو شروان العادل على قومه بني حنيفة ، وهو قد أسلم وصحب النبي ، و « حريملا » لها عدة قرى غير مشهورة .
وفي حدودها من الشمال قرية كبيرة تسمى « فادق » ، وهي ملحقة بسدير أيضاً .

العارض

ثم يلي ما ذكر من جهة الجنوب كورة « العارض » ، متوسطة في بلاد نجد ، وهي مقر إمارة ابن سعود اليوم ، وبلدانها معروفة مشهورة لأن رجالها خير رجال نجد وأدراهم وأغنام .

وفي حدود المارض من الشمال بما يلي حريملا : قرية حسنة كثيرة الفواكه والزروع تسمى « السدوس » نسبة إلى قبيلة من بني حنيفة ، كان يقال لهم بني سدوس .

ويليها من جهة سدوس : « العيينة » ، وهي بلد معروفة قديمة ، ولما تولى عليها آل سعود خربت ، ثم يليها جنوباً شرفاً بيوم « الدرعية » ، وهي منشأ آل سعود ومقر إمارتهم حتى اليوم فهي بلدة كبيرة كثيرة النخل والفواكه عذبة الماء وفيها خلق عظيم وكلهم متمولون ، ودار تجارة تقصدها الناس من أنحاء جزيرة العرب وغير تلك النواحي أيضاً . وفي وادي الدرعية هذه عدة من القرى والزروع والرساتيق شيء كثير ، وفي غربها مسير يوم بالدة كبيرة في وادي متسع طويلاً وعرضاً يحيط إليه من جبل العارض مع طريق طويل وهي تسمى « ضرمي »
وهناك أيضاً قرية كبيرة يقال لها « عرقة » ، والمسافة بينها وبين الدرعية مسير ساعة ولها وادي يشتمل على زروع كثيرة من البطيخ الذي لا يحصى وذلك أحلى ما يكون ...

ثم يلي الدرعية من الجنوب قليلاً إلى الشرق مدينة تسمى اليوم : « الرياض » ، وهي أكبر بلدان نجد كله ، وفيها سلف يقال لها « حجر البامة » .
ويلي الرياض من الجنوب بلاد كثيرة لها تبع قرى ورساتيق ، تسمى تلك البلاد « منفوحة » .

ثم يلي منفوحة من جهة الجنوب إلى الشرق قليلاً بسير نصف نهار كورة وادي الحرج ، وهو يحتوي على بلاد كثيرة ، ومشاهير بلادها :

« الدلم » و « السمية » ، وبلد تختص باسم « اليامة » ، وغير ذلك .

وفيه عيون جارية وزروعها عظيمة وخصبها كثير ، وفيها فلاة ، وفيها قيعان ، ورمل ، ومسيل وادي العارض يحيط إليها .

الفرع

وأيضاً مما يلي الدرية إلى جانب الجنوب غرباً عن الحرج المذكور : واديا « بريك » و « نعام » ، وفيها عدة رساتيق ومزارع ، وفيها مدينتان كبيرتان إحداهما : « الحريق » ، وبقرها مسافة ساعة بلدة تسمى : « نعام » ، وفي هذين الراديين المذكورين مدينة كبيرة تسمى « الحوطة » ، وهي كثيرة النخل ، وقريب من هذه بلدة تسمى « الحلوة » جنوباً عنها بأربعة فراسخ ، ومجموع هذه البلدان المسماة بالحريق والحوطة ونعام والحلوة تسمى : « بالفرع » ، وهي من أطول أرض نجد آباراً وأكثرها بركة .

الافلاج

ومما يلي الفرع من الجنوب بمقدار ثلاثة أيام كورة « الافلاج » ، ويليها أيضاً في الجبل المتصل إليها من العارض قبله عن الفرع عدة قرى في ذلك الجبل ، من مشهورها : « الفيل » و « الحمر » و « الهدار » وغيرها ، تلك من القرى .

وأما كورة الافلاج ، فهي أرض فسيحة واسعة كثيرة الآبار وفيها عدة عيون غزيرة عميقة غير جارية بل معطلة ولم يحجر منها اليوم إلا البعض ، لأن الحراب مستول عليها وقد صاحب أهلها القلة من مال ورجال ومن جملة مشاهير مدنها الكبار التي استولى الحراب عليها : « ليلي » و « البديع » ، وكانا في القرن العاشر

والخادي عشر في غابة القوة وفي زمن قوة الافلاج المذكورة ما جرت العيون
المشار اليها بل غالب قوتهم وحرثهم بقاء الآبار ، وكانت هذه تسقي المزارع في
الأيام السابقة من ملوك حمير ، وقد تعطلت بعد دولتهم وفي زماننا هذا قد وجد في
بعض الحرات بعض الدنانير ملقاة على وجه الأرض فيها مكتوب : « لا إله إلا
الله موسى كلم الله » ، وخط هذه الدنانير بالقلم الحيري . « ؟؟ »

الدواسر

وبما يلي نجد ، من جهة الجنوب : « وادي الدواسر » ، وهو كورة تشتمل على
مدينة تسمى « اللدام » ، وعلى قرى كثيرة وفيها من النخل شيء كثير ، وأما الزرع
فقليل فيها والقطن موجود فيها بكثرة ومن مشاهير بلدانها قرية تسمى « السليل »
فيها مقدار ألف رجل أو يزيد ، وهي تقع جنوب اللدام شرقاً مسافة يوم ...
ووادي الدواسر هذا آخر كورات نجد وقصباته من جهة الجنوب .

وجميع نجد بكليتها طولاً ست وعشرون مرحلة بالسير المذكور فيما مر ،
وعرضاً من أرض « حضرة » التي هي أول الحجاز من جانب الشرق إلى الدرعية
مسافة أربع عشرة مرحلة ، بما ذكرناه من السير ، وحضره أربع مراحل شرقاً
عن مكة .

العرمة

ثم نرجع إلى بيان ما هو شرقاً عن الدرعية ، وهو من نجد أيضاً ، وهذا بوية
طيبة العشب والكلأ ، تسمى « العرمة » ، وهي عن الدرعية ، شرقاً بنصف نهار ،
وعرض العرمة يومان وطولها خمسة أيام من الجنوب إلى الشمال .

وحدهود نجد بما يلي المدينة النبوية ، من طريق الدرعية ، موضع يسمى
« الحناكية » ، وفيها سلف كانت تدعى « بطن نخل » ، وعن الدرعية بخمس عشرة
مرحلة ، وفي حدود الحناكية من الشمال على أربعة فراسخ موضع يسمى « الرينة » .

في ذكر عامة أحوال نجد

الحضر والبدو

أما الحضر فلم أحوال تخصهم دون البدو ، فنذكرها أولاً .
أهل نجد الحضر ، بيوت سكانهم كلها جدران ، وليس بنيان بيوتهم طبقات عالية ، فانهم لا يحبون علاء البيوت ، بل إذا أحب الشخص منهم بناء غرفة بناها بأدنى علو ، وليس بناء الغرف للكل ، بل نادر ، يوجد في ألف بيت مثلاً عشرة بيوت للتمولين والعلماء وأهل المنصب ، فلو بنى غير المتمول والعالم وذو المنصب غرفة عابوا عليه ، لأنه خلاف عادتهم ، وبيوتهم لها فضاء كبيوت أهل فارس ، ومن عادتهم أنهم يجمعون أئاماً للبيوت كثيرة جداً من الفرش من الزوالي والبسط ، هذا ولو كان حال الشخص ضعيفاً بحسب المعاش فانه يقلل على نفسه من اللباس والمأكول ولا يرضى بقلة فرش البيت إلا ان عجز عن الكل كان يكون فقيراً مضطراً .

وأما لحافهم فقلما يوجد المضرب بالقطن عندم بل أكثر اللحف وغالبها هو الزل والبسط ولا يستعملون الاسرة ، الا الملوك منهم يتخذون أسرة من خشب تصنع عندم في أرض نجد ، تسطح من الليحان أيضاً ، وغالب ظروف ما كولاتهم : الصفر النحاس ، وظروف مشرهم القداح الحشوية وسفرهم التي يوضع عليها اكلمهم جلود ، تستعمل على هيئة مدورة ، وهي تصنع في نجد ، لكنه جلد مدبوغ .
ومن جملة أحوال نجد عامة أن غالب نساءهم لا يلبسون الا الكرباس الاخضر

أو الأسود ، وكثيراً ما يلبسون الخز الأحمر ، يجلب لهم الخز الأحمر من أطراف حلب وبغداد ، والكرباس من نواحي الأحساء والقطيف والبحرين وجوانب اليمن ، وأما لباس رجالهم فالغالب هو الكرباس يلبسونه قميصاً ، وقلماً يلبسون القباء ، وأكثر لون الكرباس الذي يلبسونه الاديبي اللون يجيء اليهم من نواحي عمان أيضاً .

وكل من الرجال والصبيان يلبس الكفية شتاءً وصيفاً ، وهي تصنع من غزل القطن ، وصناعتها في نفس نجد قليلون ، بل أكثر ما يوجد عندهم منها من جانب العراق ، ومن الأحساء والقطيف كذلك .

ومنهم من يلبس على الكفية أيام الصيف عمامة حمراء مخططة بلون أبيض تسمى « الرميلي » وهي تصنع كثيراً في نجد ، وكذا تجلب من الأحساء .
وليس العباءة عند أهل نجد واجب الرجال والنساء وهي العباءة القيلانية لكنها تختص للاغنياء منهم وسائر الناس يلبسون عباة شقراء تصنع من سائر الصوف أو عباة مخططة بأبيض وأسود ومثل هذه العباة تصنع في بلدان نجد ، لكن قليلاً وأكثر مجيئها من ملك العراق ومن الأحساء أيضاً قليلاً . وقد تلبس نساء الاغنياء منهم الحرير الهندي الذي يبلغ كل ثوب منه قيمته عشرين ريالاً وأكثر بالوان عديدة من أحمر وأصفر وأخضر ونحوها من الالوان ، وكذا يجيء لهم بعض البز من ملك العجم من يزد وهو حرير طيب خالص يبلغ الثوب عشرة ذهوبه أو أكثر فتلبسه نساء المتمولين .

وأما صيغهم في أمر حلي النساء فذلك شيء لا يضبط بالعدد لانهم يبالغون في ذلك جداً حتى الفقراء منهم لا بد أن يصيغوا شيئاً من الزينة الذهبية لنسائهم قطعاً ، وأغنامهم يطلبون الجواهر النفيسة مثال الباقوت والزبرجد والفيروزج يطلبونه طلباً حثيثاً وكل هذه الاحجار يستعملونها على نسائهم ، وأما الرجال فيزينون سيوفهم بكثير من الفضة ، وكذا بنادقهم يلبسونها من أطواق الفضة كثيراً ، وهكذا خناجرهم ورماحهم يطيبونها بالفضة ، وقد يجعلون بعض زينة السلاح من الذهب لان الذهب لا يباح في الشرع للرجال حتى القليل منه ، والمسألة فيها خلاف

بين أرباب المذاهب من المسلمين بخلاف الفضة للسلاح فجائز استعماله .
وأما اتخاذ الحيل فقد شاع بين أهل نجد ولو كان الرجل عديم المال
احترف وأتعب نفسه حتى يشتري له فرسا يركبها ، اذ عندهم ركوب الحيل ألد
من كل شيء ولا يتخذون للركوب الا الحيل النجاب ، ومن عاداتهم ان الفرس لا
يخدمها الا صاحب البيت بنفسه ، فلا يوكل بخدمة امرأته ولا جاريته أصلا الا ان
عجز ، واتخاذ ركض الحيل صار مثل الواجب عندهم ولا سيما لما أمرهم عبد العزيز
فانه تأكد بأمره ، وأيضا من جملة أحوالهم أن أكثرهم يستعمل النفق والبندق
لكن صفة « تفقههم » انه غير ذي خزنة وأن أخشابه كأخشاب تنفق «اروباني» على
هذا الطرز وله فتية ، وهذا يصنع في نجد وكان قبل ذلك يصنع لتق أدنى من
هذا في نجد ، وأخشابه متينة وطرحه غير حسن وله خزانة وكان قليل الوجود في
نجد ولكن لما استمر أمر محمد بن عبد الوهاب استخرج بعقله وخياله هذا التفق ،
وعلم الناس باستعماله له وحمله فشاع في جميع بلدان نجد حتى أنه اليوم جلب الى
بلدان اليمن والى أطراف بلديّة وكثير من أرض الحجاز بل أكثر الحجاز مولع
بجمله وصار له شأن عظيم فيما بين الحضرة والبداة وهو لطيف الصنعة سريع الرمي قليل
الخطأ بعيد الرمية خفيف الحمل بين افراط الطول وتقريب القصر وسط يبلغ قيمة
العالي منه عشرة أربل والداني ستة أو خمسة والوسط السائر ثمانية أربل واليوم ما
بقي أحد من الناس حمالة السلاح حتى الفرسان إلا وحمل تفقا واستعمله كذلك
لأنهم يقولون جربنا فعل التفق فوجدناه نعم الناصر الدافع ، واعلم أن رمي التفق
صار اليوم شعار أهل نجد في ما بين كافة العرب وهكذا غيرهم من عرب الحجاز
وتامة اليمن ومن سواهم أعراب عمان وبني خالد وأهل قطر قاطبة اتخذوا التفق
ورغبوا فيه وربما عرفوا صنعته فيصنع عندهم ، لكن صناعه في نجد أكثر .

وهكذا شأنهم كل يوم أو كل يومين من ليس في الحرب أو الغزو يجعلون لهم
خارج البيوت موضعا فيرمون به ويمرّون صبيانهم عليه ، فعندهم متى بلغ الطفل
الذكر خمس عشرة سنة أمروه بضرب التفق ومرنوه عليه جزما .
والبارود يصنع عندهم منه شيء كثير ، وبارودهم اطيب بارود ، فلا يحتاج أهل

نجد الى جلب البارود لهم من ملك آخر ، وكان فيما سلف قبل خروج محمد بن عبد الوهاب واشتجار عبد العزيز بالسلطان كان بارود نجد يأتيهم من أرض اليمن وبعض من عمان ، لكن بعد هذا علمهم الشيخ محمد بعض صفات البارود وأجزائه ، كل تعلمه هو من أرض الروم وفارس ، فصارت الحالة هذا الزمن بأن يذهب بالبارود من نجد الى بقية جزيرة العرب لانه أطيب بارود فيها .

ومن جملة عاداتهم أنهم لا تأكل نساؤهم ورجالهم معاً ، وكذلك الاولاد الذكور إذا وصلوا حد البلوغ لا يأكلون مع أمهاتهم بل مع آبائهم ، وأما البنات مها كبرن بأن وصلن حد البلوغ يجلسن مع أمهاتهن على الحوان وقبل ذلك إن شئن أكلن مع أمهاتهن أو مع آبائهن لا فرق حينئذ .

وغالب قوتهم الحنطة المبروشة تطبخ كالرز وتدهن بالدهن الكثير ، وأكلهم في الدهن والسمن مفرط لا يوصف وبأكلون اللحم كثيراً وهو أيضاً غالب قوتهم بعد الحنطة ، إلا أن أكثر لحومهم لحوم الجزور ، فانهم يفضلونه على سائر اللحوم ، فاعلم ان الابل التي تتحر عند أهل نجد وتباع لحومها ويرغب فيها الخاص والعام وهي العادة المستمرة في سائر الايام ، هي أبل مخصوصة ، تسمى في اصطلاحهم بالفطر يكون سنة واحدة سنتين أو سنة ونصف أتى تتخذ بالمرعى دائماً وتعلف علفاً جيداً ، وإنما سميت الواحدة فطرى ، لأنها متى نحرمت وسلخت ، نجد سنامها كله قطعة شحم وكذا غالب بدنها شحم ضخم كأنما تقصر لحمها بالشحم .

وقد يكون الخبز من دقيق الحنطة لكنهم يثردونه اما بمرق اللحم أو بالحليب أو الروب أو يعتونه ويجعلون عليه السمن والعسل عند من يوجد له ، أو بدل العسل الدبس ، وهو رب التمر .

ومن صفات أهل نجد التجارة ، فان كثيراً منهم تجار يسفرون إلى أطراف الروم وبقية جزيرة العرب ولا يذهبون بسلعة من نفس نجد إلى ملك الروم وإنما يحملون معهم الدراهم النقدية خاصة ويأتون من حلب أو الشام بالبز الحرير وغيره وكذا بالنحاس ظروفاً وغيرها ، والحديد والرصاص أكثر ما يجلبونه من أرض الروم وقد يسير أهل نجد بحمل عتاق إلى أطراف ملك الروم بالتجارة لأن خيلهم

مرغوب فيها عند الاروام لشدة عدوها وهكذا يجلب أعراب نجد إبلًا كثيرة إلى حلب والشام للبيع وقد قال لي بعض الناس أنا شاهدت تجار أهل نجد أهل القصيم منهم يبيعون تمرًا في دمشق الشام وعرفت أنهم يجلبونه من بلادهم وقد يسافرون إلى مصر لكنهم لا يشترون منها إلا السلاح والمرجان .

واعلم أن تجارتهم في بقية بلاد العرب كذلك غالب ما يذهبون إلى هذه النواحي هو الدرهم ويأتون من اليمن بالقهوة كثيرًا وبالورس والميعة والبسات ، واعلم أن ليس عند تجار أهل نجد خانات معينة للبيع والشراء بل جميع أموال التاجر في بيته ، لكن بيت على عدة عن حرمة في جانبه ، وأما أهل بيع القليل منهم فلم يداكين وليس سوقهم مسقف مثل سوق أهل فارس ولا ضيق كضيقه بل سوقهم مكشوف لا سقف له ، والطريق واسع جداً بحيث تمر القوافل المحملة بمحمولاتها فيه واعلم أن أجناس الهند مثل سكر وبلوج وهيل وقرنفل وقرقة وفلفل وكرم ونحو ذلك الأجناس كلها مرغوبة عند أهل نجد وأكثر هذه يجلبونها من بنادر اليمن ، وقلما يأتون به من ساحل عمان ، نعم يأتيهم من طريق القطيف والبحرين شيء كثير .

واعلم أن أنواع هذه التجارات كلها الغالب في جلبتها هم أهل نجد خاصة فانهم تغية النفوس والابدان وأهل أشغال كثيرة وقلما يوجد فيهم من يحب الراحة ولم اشتياق ، يمكن الشخص منهم أن يتغرب عن أهله ووطنه مدة عشرين سنة أو أكثر أن يسافر إلى ملك الصين مثلاً كما أن كثيراً من تجارهم اليوم جلوس وتزول في حلب وفي دمشق الشام ومنهم من هو في مصر ولكل واحد مدة عشرين سنة بل أكثر .

وأيضاً من جملة أحوال أهل نجد الحضر منهم أنهم يتعاطون الزروع كثيراً ويستعملون غرس الأشجار والنخيل ويتعبون أنفسهم عليها جداً ، وكذلك لأهل الحضر منهم غم وبقر وابل وإن لم تكن كثيرة لكن لا بد لهم منها بقدر ما يبيع المعاش لأجل الحليب واللحم والركوب .

وأما أحوال بدو نجد فانهم أهل بيت شعر خاصة وليس لهم غير المواشي شيء

ولا يردون البلاد بأهاليهم البلاد أصلاً ، ولا يأتي الرجال منهم لأجل التجارة إلا إذا قحطوا فانهم يدخلون المدن والقرى بأهاليهم نعم بعض العرب منهم من يذهب بامراته أو أخته أو أمه أو بنته معه إلى حيث شاء في السفر لأجل استكالة الطعام وبيع بعض سلفهم من السمن والصوف والحيوان لأنهم يقولون نظر المرأة في ذلك أقوى .

ولا يحبون أن يفعلوا شيئاً بغير رضا نسايم من أمور البيت والمعاش لا غيرها . وأيضاً اعلم أن أكل البدو لا فرق فيه عن أكل الحضرة وشرهم كشرهم بتلك الالة .

وأما لباسهم فانه كلباسهم ، إلا أن بعض نساء البدو يلبس درعاً من الصوف ، والحضر لا يستعملونه أصلاً ، وأما أحوالهم من حيث الصناعات فان السيف يصنع عندهم ، وغالب ما يصنع في الدرعية اليوم وفي بريدة وبلاد سدير ، وهكذا أستاذ الرماح يصنعونها ، والتخاير كذلك ، ومن جملة صناعاتهم الذين يصنعون سروج الخيل ومنهم من هو نجار الابواب ونحوها ، ومنهم صاغة الذهب والفضة ، ومنهم خياطون للعباء وغيرها من الثياب ، لكن العادة جرت بينهم حسب الاصطلاح أن لا يخطط ثياب النساء إلا النساء خاصة ، وأما بعض النساء فيخطط ثياب الرجال كما هو الشأن عند كل العرب بل العجم والروم ، ونقل لنا أن كافة المسلمين على ذلك ومن بعض صناعات أهل نجد الحياكة ، إذ فيهم حياك للعباءة والكرباس أيضاً ولكنهم قليلون .

هذا ما تبين لنا من أحوالهم والله أعلم .

المسحوق الثاني

أقوال مع الشباب عن أفكار محمد بن عبد الوهاب

ومناقشتها

الدعاء لله مثل ان يقول الشخص : اللهم إني أسألك بحق محمد أو علي أو جبرائيل ونحوه . والدليل عليه قوله عز من قائل : « إنما الحكم آله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً . » وجه الاستدلال أن الله هو المعبود الحق ، والعمل الصالح هو العبادة ولا يرضى الله تلك العبادة إلا بأن تتمحض له فإذا ذكر غيره في دعائه فقد أشرك بعبادته لأن الدعاء من العبادة لقوله تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » ، أي تعبدوا كما قال المفسرون .

المسألة الرابعة . قال : ومن الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره والدليل على ذلك قوله تعالى « من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه » الآية . وقوله جل وعلا « لا يلكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً » وجه الاستدلال بهاتين الآيتين ان تعالى نفى أن يشفع أحد من خلقه للعصاة منهم الا بعد أن يأمره بالشفاعة ، ولم يتحقق أمره لأحد بها في الدنيا ، فطلبها إذاً ممن لا يملكها إشراك لله في ملكه .

المسألة الخامسة . قال : ومن الشرك بالله النذر لغيره ، لقوله تعالى : « وايقفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » بيان هذا الدليل ان الله سبحانه قرن الأمر بإيقاع النذر بالأمر بالطواف ، والطواف بالكعبة عبادة لا تكون الا لله ، فكذا النذر يتمحض له ، لحل المقارنة المذكورة ، فمن أضاف النذر لأحد من الخلق فقد أدخل في عبادة الله غيره قطعاً .

المسألة السادسة . قال : مما يوجب الكفر ادعاء علم لا دليل عليه من الكتاب والسنة أو قاطع من العقل بالضرورة فإنه غيب ولا يعلم الغيب الا الله ، قال الله تعالى : « ولا يظهر على غيبه أحداً » وقال عز من قائل : « والله غيب السماوات والأرض » فقد جعل نفسه شبيهاً لله في علمه ، ومن صيرته شبيهاً فقد كفر .

المسألة السابعة . قال : منكر القدر في جميع الأشياء كافر ملحد ، والدليل عليه قوله تعالى « وكل شيء عنده بمقدار » وقوله عز شأنه « وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين » فقد دلت هاتان الآياتان صريحاً على ان الله مقدر الكائنات في الأزل الى وقتها فمن نفى ذلك فقد أنكر صريح القرآن ، ولا ريب في كفره جزماً .

المسألة الثامنة ، قال : كل من يذهب الى تأويل القرآن فقد كفر لقوله تعالى « ولا يعلم تأويله إلا الله » فإذا قال أنا أعلم تأويله فقد كذب القرآن وكفر .

ردود صاحب اللع

رد صاحب « اللع » على أقوال الشيخ في « كتاب التوحيد » ، ونسب إليه أنه يكفر عامة المسلمين ، وذلك محض افتراء ، فالشيخ لم يقل بتكفير المسلمين ، ووضع للتكفير شروطاً يصعب توافرها إلا في النادرة .

ويقول صاحب اللع ان الذين يدخلون اسم نبي أوولي في الدعاء لله لا يقصدون بدعائهم إلا الله وحده ، وليس توسلهم بالنبي أكثر من طلبهم التقرب الى الله بذكر بعض أحبائه ، كما توسل يوسف الى ربه بأبائه يعقوب واسحق - كذا - . ويتكلم عن النذر ، فيقول إنه يجب النظر إلى قصد صاحبه ، فمن نذر لرجل أوولي بعينه فهو مشرك ، وأما من ينذر لله ويريد جعل ثواب نذره لولي أو نبي فلا يعد مشركاً .

وقال في ادعاء علم لا دليل عليه ، ان ادعاء علم الغيب حرام ، لا شك فيه ، إلا ادعاءه ممن أطلعه عليه الله سبحانه - كذا - . وقال عن منكري القدر ، إنه لا يجوز اتهامهم بالشرك ، وأقصى ما يقال فيهم إنهم مبتدعة ..

وقال في تأويل القرآن ، إن الأئمة الثلاثة ، ماعدا الإمام أحمد ، يقولون بتأويل المتشابه من آيات القرآن الكريم .

وأنتهى صاحب اللع كتابه بفصل خاص سماه « الحائطة » ذكر فيه مسائل انفرد فيها على زعمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم رد عليها .

بدأ صاحب « اللع » بالرد على المسألتين الأولى والثانية فقال إن المسلمين كلهم موحدون وليس بينهم من يعبد غير الله ، ثم قال :

(وأما زيارة قبر الصالح تقرباً الى الله فحق يطلب به الزائر التقرب الى الله أي طلب الثواب من الله لا من القبر وصاحبه بل جعل زيارته وسيلة لزيادة الأجر عند الله من حيث تعظيمه تربة وليته أو نبيه ولا ريب في أن تعالى يحب أوليائه وأنبياءه فإذا عظمها أحد لوجه الله لا غير فماذا عليه ليستوجب الدم عند الله من عظم حبيبه لأجله مع أنه لم ينه عن الزيارة والأصل في الأشياء الحلية والإباحة حتى يرد النهي ، على أن رسول الله (ص) كان يزور قبور أصحابه . والسلف كذلك ، وأما قوله ولأنهم يدعوا بعضهم بعضاً بما هو مختص بالله تعالى : فليس أحد من المسلمين يدعوا أحداً من الصالحين بما اختص الله به بل يطلب عله من الله خاصة ! قوله ومن الشرك المحرم ادخال اسم نبي أو ولي في دعاء الله . فجوابه : لا يتصور عاقل أن ادخال اسم نبي أو ولي في الدعاء والطلب من الله : شرك ، لأن إدخاله على وجه التوسل به الى الله تعالى لمحض إجابة الدعاء منه عز وجل فالمدعو هو المقصود بارادة الخير منه لا الوسطة في الاجابة ، ومن المعلوم أن الدعاء تضرع وخشوع لمن هو بالغ في العزة ، وهو الله تعالى وكلما جعل واسطة من أحبائه إليه كان الدعاء أقرب للإجابة مع أنه جاء في شرع نبي اسرائيل من قبل موسى . ان يوسف بن يعقوب لما أنزل الحب وسجن ، دعاربه متوسلاً بأبائه يعقوب واسحق و ابراهيم عليهم السلام فلو كان التوسل بذكر عباد الله الصالحين في الدعاء إليه شركاً لما فعله نبي الله يوسف لأن الشرك محرم قبيح في كل شرع على الإطلاق وإن الأنبياء عليهم السلام ائـما بعثوا لتقرير التوحيد وإفراد الله بالعبادة فهم متحدون بأصول الشرايع وان اختلفوا في فروعها كما هو الواقع ولنا أيضاً أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يدعون الله متوسلين إليه بنبيه محمد (ص) في عهده وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام وهذه كتب الأحاديث والسير ناطقة بذلك .

قوله : ومن الشرك بالله طلب الشفاعة من غيره ، أعلم أن الشفاعة طلب العفو ممن وقعت في حقه الجزاية وقد أجمع أمة محمد على ثبوتها ، ووقعها للنبي محمد (ص) وجواز طلبها منه في الدنيا في حياته وبعد نماته عليه الصلاة والسلام كما أن طلبها منه

جائز يوم القيامة بالاتفاق ولم يخالف في ذلك الا المعتزلة لنفيهم الشفاعة عقلاً وردتهم مبسوط في كتب الكلام وإجماع أهل كل عصر حجة على أهل عصر بعده الى انقراض الدنيا كما تحقق في فن أصول الفقه على الصحيح وقد دلت الآية الشريفة على وقوع الشفاعة لمحمد وإعطائها له وهو قوله تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضى» ، وخبر الله محقق لا انتفاء الزمان عنه لكن حصول أثرها موقوف الى يوم الدين اذ لا مؤاخذه عندنا في غيره كما تضافرت به النصوص كتاباً وسنة .

قوله ومن الشرك بالله النذر لغيره ، هذا محل تفصيل في الجواب ، فنقول النذر لغة الوعد بشرط ، وشرعاً التزام قرينة لم تعين في أصل الشرع ، اذا عرفت هذا فالنذر هو الله لأن القرينة له لا لغيره بالإجماع فإذا نذر الشخص نذراً لمخلوق نظر الى قصده ونيته اذ الأعمال بالنيات ، فان قال قصدت بهذا النذر وجه الله لكنني أريد ثوابه لهذا الولي أو النبي مثلاً ليشيني الله أعظم من ذلك لحصول نفع دنيوي أو أخروي فمثل هذا لا يكون نذره لغير الله اذ النية معتبرة أولاً وبالذات ، وإن أطلق ولم ينو النذر لله بل قال عليّ نذر أو قال لفلان انصرف لله تعالى جزماً لأن القرب اذا أطلقت ولا تعبد انصرفت إليه اذ لا قرينة الا لله ، وإن قال الشخص قصدت بنذري هذا لفلان تقرباً اليه فنذره على ذلك التقدير حرام شرك باطل لا بنعقد وتجب توبته في الحال اتفاقاً ولكن هذه الحالة لا تختص بالنذر بل كل عبادة نص عليها في الشريعة كذلك .

قوله مما يوجب الكفر ادعاء علم لا دليل عليه الخ .. لا يخفى على من له مسكة ان ادعاء علم الغيب حرام نهى الشارع عنه الا ادعاه من اطلعه الله عليه من رسول أو ولي لقوله عز من قائل : «الا من ارتضى .. الخ» الآية ، فإذا عرف من حال الشخص بقرائن عقلية ودلائل نقلية انه من أهل الله عز وجل علم قطعاً أن ما يقوله حق وان لم يسنده الى دليل وحجة ، ان الكشف والإلهام والإطلاع وراء ما تطلع عليه عقول الأنام ثابت شرعاً بغير كلام لقوله تعالى «وعلمناه من لدنا علماً» وقوله «اتقوا فإني انظر بنور الله» ، فإذا كان المؤمن هذا شأنه أن يرى بنور الله ما لا يراه غيره فما بالك بالولي المقرب .

قوله منكر القدر في جميع الاشياء كافر الخ .. القدر في عرف الشرع هو ارادة الله الاشياء في الأزل على وجه مخصوص وقدر معين مثل القضاء ومنكره إن كان عن شبهة اسنده إليها فلا يكفر على الصحيح بل هو مبتدع بالإجماع وإن لم يكن عن شبهة اعترته بالنظر في الأدلة الشرعية ، بل أنكره عناداً ، أو جحده لما عرفه من الأقيسة العقلية المحضة ، فقد كفر لمخالفة الشرع الشريف بغير متمسك منه ولا اشتباه فلا يعذر إذن بالاتفاق ، فتعميم الكفر لمنكر القدر لا يطابق ما عليه علماء الإسلام كما تقرر في علم الكلام وقد نبه على هذا التفصيل الشيخ ابراهيم اللقاني في الجوهره ، وقد كانت المعتزلة تنفي كثيراً من القدر مع ذلك لم يكفرهم المسلمون وإنما نهاية ما قالوا فيهم أنهم مبتدعة .

قوله كل من يذهب الى تأويل القرآن الخ . التأويل لغة تفعيل من الأول بمعنى الرجوع وعرفاً صرف اللفظ عن ظاهره لما يحتمله عقلاً لقرينة ، وقد جوز تأويل ما ليس بظاهر الدلالة في الحديث بلا خلاف لتوقف الجميع بين الأحاديث عليه عند التعارض ، وأما التأويل في القرآن فلا يخلو إما تأويل المحكم منه وهو ما دلالة على معناه ظاهرة أو تأويل للمتشابه وهو ما دلالة على المقصود غير ظاهرة فالأول ممنوع بالإجماع ولهذا قبح أصحابنا على الباطنية وقالوا ببدعتهم ، بل قالت الحنابلة بكفرهم قطعاً ، والثاني اختار الأئمة الأربعة عدم التأويل فيه وتبعهم البعض على ذلك وسموا بالمفوضة ، وكانوا يجرمون التأويل ويتعاشون عنه جداً ، ولكن أتباع الإمام أحمد كلهم على ما كان هو عليه من نفي التأويل والحكم بتحريمه وتبديع مرتكبه ، هكذا اشتهر عنهم ، وأما جمهور تبعة الأئمة الثلاثة فقد أخذوا بتأويل المتشابه وجوزوه بل أوجبوه للتوفيق الواجب بين الأدلة اتفاقاً مع الإمكان فلا ينبغي لمسلم عرف قواعد الشريعة وأصول الله أن يحرمها والله المستعان .

رأي محمد بن عبد الوهاب في إلزام الناس بالصلاة في المساجد وتحريم الدخان

ويختتم صاحب المصباح كلامه بالقول إن إلزام محمد بن عبد الوهاب للناس بالصلاة جماعة ، لا ضرورة له ، مع إقراره بأنها هي الصلاة الأفضل بالإجماع .
ثم هو ينكر عليه تحريمه شرب التن ، وضرب شاربه بالسياط وحلق لحته وسبه - كذا - .

ويزعم صاحب المصباح أن الجمهور على أن التن حلال .. أو مع الكراهة .
وينكر عليه كذلك إلزامه الناس بزكاة أموالهم الباطنة كالنقود ومال التجارة ..
وسنورد في الصفحة التالية نص كلام « المصباح » .

الفصل الثاني

في بعض المسائل التي مشى فيها خلافاً لمذهب الإمام أحمد

قال صاحب «اللمع» : « بما أوجبه محمد بن عبد الوهاب على الناس عيناً الصلاة جماعة ، ولم ينقل هذا من مذهب الإمام أحمد ولا غيره .

وبما أفق به تحريم شرب التن ، ووضع له حداً أن يضرب الشارب قدر أربعين سوطاً أو أقل وأن تخلق لحينه أو يسب حسباً يقتضي رأي القاضي من أحد هذه الثلاثة ، وهذه بدعة ما حكيت عن مذهب أحمد ولا عن غيره ، نعم اختلف العلماء في شرب التن فقال بعضهم حرام ولم يرتب له حداً بل زجراً ونصيحة ، وقال جمهورهم بحلّينه إما مع الكراهية أو مطلقاً .

وكان يوجب على الناس دفع زكاة أموالهم الباطنة كالنقود ومال التجارة الى الإمام ، أي سلطان المسلمين وهو يفرقها لمستحقها .

وكان يأمر بالتجسس عما عند الناس من الأموال الباطنة ليأخذ الإمام زكاتها قهراً منهم مع ان هذا غير المعهود من مذهب الإمام أحمد ، بل المندوب فيه هو دفع زكاة الأموال الظاهرة خاصة للإمام ليصرفها لأهلها إذ هو أجدر بالتفحص ، والأموال الظاهرة : الجبوب المحصلة من الزروع والثمار الحاصلة كل عام من الأشجار والابل والبقر والغنم .

وقد حكم بتحريم ذبيحة من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأحلها أحمد بن حنبل وأصحابه اكتفاء بظاهر الاسلام عملاً وهو الحق .

انتهى ما في الحاشية ونسأل الله حسن الحاشية .

المُلحق الثالث

في جغرافية جزيرة العرب والميثاق ونجد

جزيرة العرب

جزيرة العرب ، هي ، في الحقيقة ، « شبه » جزيرة ، لأن أمواج البحر تضربها من ثلاث من جهاتها فقط ، ولكنها سميت « الجزيرة » اختصاراً ونجوزاً^(١) .
تبلغ مساحة الجزيرة العربية مليون ميل مربع ، ويتبعها عدد من الجزائر الصغيرة في البحر الأحمر وفي الخليج العربي . ويحدّها :
غرباً : البحر الأحمر . « أو بحر القلزم » .
جنوباً : المحيط الهادي . « أو بحر الهند » .
شرقاً : بحر عمان « أو بحر العرب » والخليج العربي . « أو الخليج الفارسي » .
شمالاً : العراق والشام .
ويدخل فيها القلقشندي قطعة من بادية الشام وقطعة من بادية العراق .

تقسيم الجزيرة عند الأغريق والرومان

كان اليونان والرومان القدماء يقسمون الجزيرة العربية الى ثلاثة أقسام :
١ - العربية السعيدة Arabia Félix - أي اليمن وحضرموت وعدن الخ ...
٢ - العربية الحجرية أو الصخرية Arabia pétra وهي شبه جزيرة سيناء « ولا يعدونها الآن من الجزيرة » .

١ - كان الأتراك يسمون جزيرة العرب : عربستان .

٣ - العربية القفرية أو الصحراوية Arabia Deserta وهي سائر بلاد الجزيرة العربية ، كالحجاز ونجد .

ولم يعرف المؤلفون العرب ، القدامى ، هذا التقسيم ..

تقسيم الجزيرة عند العرب

منى تصفحنا كتب التاريخ العربي ، وجدناها ، في كثير منها ، تقسم الجزيرة العربية ، الى خمسة أقسام :

١ - اليمن .

٢ - الحجاز .

٣ - تهامة .

٤ - نجد .

٥ - البادية .

ويجمع الهمداني « البادية والبحرين » باسم « العروض » ويجعلها أحد الأقسام الخمسة ، فيقول ، في كتابه : « صفة جزيرة العرب » :

« .. فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوا بها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب ، وفي أشعارها : تهامة ، الحجاز ، نجد ، العروض ، اليمن . وذلك أن جبل السراة ، وهو أعظم جبال العرب وأذكرها ، أقبل من قفرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب « حجازاً » ، لأنه حجز بين « الغور » وهو هابط ، وبين « نجد » وهو ظاهر ..

١ - تهامة :

فصار ما خلف ذلك من الجبل في غريبه الى أسياف البحر ، من بلاد الأشعرين وغيرها ، ودونها إلى ذات عرق والجحفة ، وما صاقبها وغار من أراضيها ، الغور ، غور تهامة ، و « تهامة » تجمع ذلك كله .

٢ - نجد :

وصار ما دون الجبل من شرقيه ، من صحارى نجد إلى أطراف العراق
والساوة وما يليها نجداً ، و « نجد » تجمع ذلك كله .

٣ - الحجاز :

وصار الجبل نفسه ... وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر الى ناحية
فيد وجبلي طيء الى المدينة الى أرض مذحج من تليلث وما دونها الى ناحية فيد :
الحجاز ..

٤ - العروض :

وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها : « العروض » ، وفيها نجد وغور ،
لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها ومسائل أودية فيها ، و « العروض »
يجمع ذلك كله .

٥ - اليمن :

وصار ما خلف تليلث وما قاربها الى صنعاء وما والاها الى حضرموت والشحر
وعمان وما يليها : « اليمن » ، وفيها التهام والنجد ، واليمن تجمع ذلك كله .

تاريخ اليمامة القديم

وجغرافيتها

يقول دوفرجه ، في كتابه « الجزيرة العربية » :
« .. اليمامة جزء من نجد .. وهي اقليم لم يعد يذكره الجغرافيون الجدد ، مع كثرة الاشارة اليه في الكتب القديمة ، ولعل السبب في ذلك أن اليمامة اندمجت في الدول التي جاءت بعدها ، وهي تشمل ، فيما نظن ، منطقتي العارض والخرج .
ويقول الادريسي ان واديا يقسم اليمامة الى قسمين ، وعلى جانبيه قرى معمورة ونخيل وشجر وارض مزروعة . وكانت بلدتا حبر والحضرة من أشهر بلدان اليمامة ولكنها تهدمتا وضاعت معالمها . » .

ويقول القزويني : « اليمامة ناحية بين الحجاز واليمن ، أحسن بلاد الله ، وأكثرها خيرا ونخلا وشجرا » . ويقول الطبري ان اليمامة من « أخصب البلاد وأمرها وأكثرها خيرا ، فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشائعة » .

أعراض اليمامة

يعدّد « خرداذبة » ، في كتابه « المسالك والممالك » ، أعراض اليمامة - أي قراها وأوديتها - كما يأتي :
« حبر ، الحضرة ، العرض ، منفوحة ، وبرة ، عرقة ، غبراء ، مهشة ،

العامرية ، فيشان ، برقة ضاحك ، توضح ، المقرأة ، الهجاءة ، قران .
ويذكر « الحمداني » ، بالإضافة الى هذه الأسماء « أباض ، الهدار ، القرية ،
ماوان ، عقرباء ، السدوسية ، الملحاه ، الحرج ، النقيرة ، العويند ، الدخول .. »
ويقول البيهقي ان اليامة « يحدّها من جهة الشرق : البحرين ، ومن الغرب :
أطراف اليمن والحجاز ، ومن الجنوب : نجران ، ومن الشمال : نجد والحجاز .
وأرضها تسمى العروض ، لاعتراضها بين الحجاز والبحرين » .

أقسام اليامة

يتوسع بعضهم في مدلول « اليامة » ، بحيث تساءل : وأين بقيت نجد ؟
فالهمداني ، مثلاً ، لا يكتفي بالعارض والحرج ، ولكنه يعدّ الوشم والقصيم
من اليامة أيضاً .

أما باقوت فيوافق الهمداني في الوشم ويخالفه في القصيم ..
وهكذا تعني اليامة عند بعضهم : العارض والحرج ، وعند بعضهم : العارض
والحرج والوشم ، وهي ، عند الهمداني : العارض والحرج والوشم والقصيم ..

هل اليامة اقليم مستقل؟

اختلفوا في اليامة : هل هي اقليم مستقل .. أم هي جزء من اقليم ؟
اقليم مستقل - يقول البيهقي ان اليامة « ملك منقطع بذاته » .
ويقول ياقوت ، في كلامه عن البحرين : « وربما عدّ بعضهم اليامة من أعمالها ،
والصحيح أن اليامة عمل برأسه .
وربما ضمت اليامة الى المدينة ، وربما أفردت ، هذا كان في أيام بني أمية ، فلما
ولي بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليامة عملاً واحداً .. »
جزء من الحجاز - ويقول القلقشندي : « اليامة قطعة من جزيرة العرب ،
من الحجاز ، وعليه جرى الفقهاء ، فحكموا بتحريم مقام الكفر بها ، كما بسائر
أقطار الحجاز . »

جزء من نجد - وقال ياقوت : تسمى اليمامة : جوا والعروض .. وهي معدودة من نجد ، وقاعدتها : حجر . . .

قاعدة اليمامة

كانت قاعدة اليمامة قديماً تعرف باسم « جر » أو القرية ، ولما خربها « حسان » ملك حمير ، كما روى ذلك ابن الكلبي ، أطلق عليها اسم اليمامة .
وبقيت اليمامة خراباً وبقايا قصور دوائر ، حتى جاءها بنو حنيفة فعمروها وأعطوها اسماً جديداً ، هو : « حجر » .

وكان اسم اليمامة يطلق على الإقليم ، وأما اسم حجر فيطلق على قصبة الإقليم وقاعدته - « أي عاصمته ، في لغة هذه الأيام » .

اشتهر اسم حجر كثيراً ، وكانت لها سوق عظيمة في الجاهلية ، وبقيت إلى أواخر العصر الأموي ، فإن كانت سوق حجر لا تساوي في الشهرة سوق عكاظ ، فقد تأني بعدها .

قال الهمداني : « أرض اليمامة : حجر » ، وهي مصرها ووسطها ومنزل الأمراء منها واليهما تجلب الأشياء .. »

ويقول الأستاذ سعيد الأفغاني ، في « أسواق العرب » ، عن حجر إنها : « ذات شهرة في العرب .. اشتهرت منها زرقاء اليمامة .. واشتهر أيضاً عرافها .. قال الشاعر :

« جعلت لعراف اليمامة حكمه وعرفاء نجد ، إن هما شفياني ،
ثم صار لها في الإسلام ذكر .. وكانت في مأمن من السلطان لبعدها .. »
وكانوا يطلقون على حجر نفسها اسم اليمامة ، كما يقال اليوم ، مثلاً ، الشام ، ويريدون بذلك عاصمتها : دمشق ، وربما أضافوا إليها اليمامة ، فقالوا : حجر اليمامة .
وقد زار ابن بطوطة ، الرحالة المشهور بلدة حجر ، فسماها اليمامة وحجرا ، قال :

« .. سافرنا إلى مدينة اليمامة ، وتسمى أيضاً بـ « حجر » ، مدينة حسنة خصبة ،

ذات أنهار وأشجار ، ويسكنها طوائف من العرب ، أكثرهم من بني حنيفة ، وهي بldم قديماً .

ظهور الحضرة ، وكسوف حجر

استطاعت حجر الحفاظ على شهرتها أو بعض شهرتها حتى استيلاء الأخيضريين على السلطة في اليمامة . وذلك أنهم جعلوا قاعدة ملكهم ، في اليمامة : « الحضرة » . ويقول الممداني إن الحضرة تقع على يوم وليلة من حجر ، وانها كانت لبني عبيد من حنيفة ثم لآل أبي حفصة ، ثم غلب عليها الأخيضر بن يوسف العلوي فسكنها ، وهي مدينة وقرى وسوق .

ويقول ابن حوقل ، في كتابه « صورة الأرض » : « أما اليمامة فواد ، والمدينة به تسمى الحضرة ، دون مدينة الرسول ، وهي أكثر نخيلاً من المدينة وسائر الحجاز . »

وقد ذكر الممداني ان الحضرة كانت ديار « هوفة بن علي السجيمي الحنفي » ، الذي توجه الفرس ملكاً على العرب في اليمامة ، قبيل ظهور الاسلام ، ومن المعروف ان مقامه كان في اليمامة ، بالخرج ، وهي طبعاً غير بلدة اليمامة التي في العارض ، وقامت على أنقاضها مدينة حجر .

زوال أسماء اليمامة وحجر والحضرة

واليوم لا يعرف اسم اليمامة علماً على إقليم ، فقد غاب هذا الاسم وظهرت مكانه أسماء جديدة متعددة : كالعارض والخرج .

وكانوا في زمن محمد بن سعود ، مثلاً ، يسمون أنصاره وأنصار محمد بن عبد الوهاب : أهل العارض ، لا أهل اليمامة !

والعارض هو جبل اليمامة ، ولم يعرفوه ، في القديم ، اسماً لإقليم أو منطقة .. نعم ، بقيت في الخرج بلدة صغيرة تحتفظ باسم اليمامة ، ولكنها ليست الاقليم

المعني بكلامنا ، ولا قصته التي عرفت باسم حجر .
ولا نعرف على التحقيق متى اختفى اسم اليامة ، واسم قصبتها حجر ، ولكننا
رأينا ابن بشر يذكرهما عند كلامه عن تأسيس الدرعية عام ٨٥٠ ، وكانت حجر ،
يومئذ ، ملكا لأحد رجال عشيرة الدروع .. وهذا دليل واضح على أن حجراً
خربت وانكملت وأصبحت قرية أو مزرعة .. وهي اليوم جزء مندمج في
الرياض .

نجد

نجد في اللغة والاصطلاح

قال الأصمعي : يقول الأعراب : إذا خلفت « عجلزا » مصعداً ، فقد أنجدت .
ونجد ، في اللغة ، الأرض المرتفعة ، وفي « معجم البلدان » : النجد ...
لا يكون إلا قفاً أو صلابة من الأرض ، في ارتفاع من الجبل ، معترضاً بين
يديك ، يرد طرفك عما وراءه .
فقد أنجدت .

... وسمعت الباهلي يقول :

« كل ما وراء الخندق الذي خندقه كسرى ، فهو نجد ، إلى أن تميل إلى
الحرة فإذا ملت إليها فأنت في الحجاز ! »

وقيل : نجد ، إذا جاوزت « عذيبا » ، إلى أن تجاوز « فيد » وما يليها .
وقيل : نجد ، هو اسم للأرض العريضة التي أعلاها نهامة واليمن ، وأسفلها
العراق والشام .

قال السكري : حد نجد ذات عرق من ناحية الحجاز كما تدور الجبال معها
إلى جبال المدينة .

وقال عمارة بن عقيل : ما سال من ذات عرق مقبلاً فهو نجد ، إلى أن يقطعه
العراق ، وحد نجد أسافل الحجاز وهودج وغيره .

والذي قرأه في كتاب « جزيرة العرب » : ما ارتفع عن بطن الرمة فهو نجد .
وفي تاريخ نجد ، للألوسي :
« أعلى نجد تهامة واليمن ، وأسفل العراق والشام ، وأوله من جهة الحجاز
ذات عرق ، فهو بين تهامة واليمن والعراق والشام والحجاز .

أول غربي يتحدث عن نجد

ذكرنا ، قبل ، أن الرحالة « نيبهر » كان أول من تحدث عن نجد بعد ظهور
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهذا ما يقوله عن نجد :
« تمتد نجد من الأحساء والعراق غرباً ، إلى الحجاز ، ومن نجران وقحطات
« أو اليمن » في الشمال ، إلى بادية الشام .

والقسم الأكبر من هذه المنطقة مأهول بالبدو ، أو العرب الرحل .
ان الجزء المعروف الآن باسم « نجد » ، خاصة ، منطقة كثيرة التلال ،
ممتلئة بالمدن والقرى والإمارات الصغيرة ، بحيث أن كل بلدة صغيرة ، تقريباً ،
يحكمها شيخ مستقل .

وفي الفترة التي كان فيها شرفاء مكة أقوياء ، كان بعض هؤلاء الشيوخ الصغار
يدفعون اليهم الأموال « أو الزكاة » .

وأراضي نجد خصبة جداً ، وفيها كل أنواع الثمار ، وخصوصاً التمور ، وفيها
قليل من الأنهار ، وهي في حقيقتها وديان أو سهول لا ترى فيها المياه إلا في أعقاب
الأمطار الغزيرة ...

وأهالي نجد مضطرون ، بسبب قلة الماء عندهم ، إلى حفر آبار عميقة ، ولذلك
كانت الزراعة عندهم صعبة جداً .

وفي منطقة نجد ، بالمعنى الخاص أو الضيق ، مقاطعتان ، وهما : العارض
والحرج .

وفي العارض تقوم « الدرعية » ، قصبة وادي حنيفة ، الذي يعرف حتى اليوم
بهذا الاسم ، وفيها « العينة » ، التي أصبحت مشهورة ، بفضل ظهور عبد الوهاب

فيها . ،

ويذكر نبيهر ، بعد هذا ، أسماء بلاد العارض والخرج كما سمعها ، فيخلط بها
أسماء بلدان ليست منها ، لكننا ننقل ما قاله بنصه ، قال :

« وفيه : المنفوحة ، وأشقر ، والغساط ، والزلفي ، والتويم ، والقصب ،
وبريدة ، والمجمعة ، وحرمة ، والجلجل ، والروضة ، وثرمداء ، وشقراء ،
والمذنب ، وجبرين ، وهذه الأخيرة على حدود هجر .

و « الخرج تقع في القسم الجنوبي الغربي من نجد على حدود اليمن ، وتمتد إلى
شرقي الحجاز ... وتقع فيها : البامة ، التي كانت مشهورة في زمن النبي محمد ،
بسبب ظهور مسيلة ، مدعي النبوة ، فيها ... وتشتمل الخرج على الدلم والحريق
والأفلاج وليلى والبديع والحوطة والسلمية ...

وهناك مجرن « أي : مقرن » ، و « معكال » ، وهما في القسم الشمالي من
نجد ، ويقع جبل ثمر على بعد عشرة أيام من بغداد ، ويشتمل على حاييل ومقيق
وقفار وغيرها . ،

وبعدون من نجد منطقة جبلية تسمى « الجوف - السرحان » ، بين جبل
ثمر والشام ، وتشتمل على : سكاكة ، دومة ، ويسمى أبو الفداء « دومة الجندل » ،
ويقول بوشنغ إن هذه المدينة تستعير اسمها من اسم ابن لاسماعيل .

ليس عرب نجد أقل « انسانية » في معاملة الغرباء من سائر العرب ، وليسوا
أقل منهم اكراما للضيف ، ولكن نجد موزعة بين دول كثيرة صغيرة مستقلة ،
ولكل دولة منها شيخها ، وبسبب ذلك لا يجد المسافرون في نجد الا قليلا من
الأمان ، لأن كل أمير يريد أن ينتزع منهم أقصى ما يستطيع انتزاعه ، وأول
أمير يظفر بالمسافرين الأغراب هو أول من يسلبهم ، حتى لا يترك لجيرانه المعادين
له فرصة للانتفاع منهم .

لا يجازف التجار الأغنياء والغرباء بحمل بضائعهم الى هذه المناطق ، وقوافل
الحجاج التي تذهب كل عام من عمان والأحساء الى مكة ، تتألف في كثيرتها من
الفقراء أو من أشخاص يظهرون خلال هذه الرحلة أنهم فقراء ، أما القافلة التي تسافر

كل سنة من بغداد الى مكة وفيها عدد من الأثرياء فيؤخذ منها في نجد من الرشوات والهدايا والتكاليف مثل الذي تدفعه القوافل التركية والمغربية والمصرية في الحجاز نفسها .

ومع ذلك كله ، يمكننا القول إن تجارة عظيمة تقوم بين بلدان نجد ، كما تقوم تجارة كبيرة بين بلاد نجد وبين الحجاز واليمن ، ومن مصلحة الرحالة الأوروبي أن يعرف هذا القسم الداخلي من جزيرة العرب .

وقد قيل لي في البصرة إن الفتي العربي لا يسمح له بالزواج إلا بعد أن يقيم البرهان على رجولته وشجاعته بقتله واحداً من الأعداء ..

ويبدو لي أن هذا الزعم مبالغ فيه ، إلا إذا اعتبرنا الحيوانات المتوحشة من الأعداء ، وهذا الشرط على كل حال ليس نظاماً متبعاً .. ،

دراسات مانجان عن نجد

نشر المؤرخ الفرنسي «مانجان» دراسة عن نجد، استمدّها من المصادر الآتية:
أولاً - أقوال الشيخ عبد الرحمن ، حفيد الامام محمد بن عبد الوهاب .
ثانياً - تقارير طوسون باشا و ابراهيم باشا عن مسيرهما في الحجاز ونجد .
ثالثاً - تاريخ الوهابيين لكورانيز .
رابعاً - وثائق وزارة الخارجية الفرنسية .
خامساً - رحلة بركلوت ووصف البلاد العربية لنيسوهر .
وبما قاله :

« إن مناطق نجد هي : الحساء وسدير والعارض والقصيم والافلاج والوشم والحريق والخرج وجبل شمر ، والأودية الأربعة : وادي الدواسر ، وادي سبيع ، وادي ثلث ، وادي شهران . ومن بلدان الحساء : العيون ، الشعبة ، الشقيق ، حفير ، الجفر ، الجشه ، غريميل ، حنيد ، الكوت ، المبرز ، العمران ، القطيف ، سيهات ، وقاعدتها : المفوف .

ومن بلدان العارض : الرياض ، العيننة ، الدرعية ، «منفوحة» ، حريلاء ، العمارية ، ابا الكباش ، عرقة ، الحابر ، سدوس ، بنبان .

ومن بلدان القصيم : عنيزة ، بريدة ، البكيرية ، الهلالية ، الحبرا ، الرس ، الحجنوي ، الشنانة .

ومن بلدان سدير : جلالجل ، الحوطة ، الجنوبية ، الجمعة ، الروضة ، العودة ، الزلفي .

ومن بلدان الحرج : الدلم ، نعبان ، السامية .

ومن بلدان الوشم : ضرمي ، الشقراء ، الحريق ، ثرمدها ، أشيقر .

احصاء السكان

المنطقة	عدد المقاتلين	النساء والشيوخ والاطفال العاجزون
الحساء	١٥٠٠٠	٧٠٠٠٠
العارض	٥٠٥٠٠	١٧٠٠٠٠
الحرج	٢٠٠٠٠	٧٠٠٠٠
الوشم	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠
سدير	٦٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠
القصيم	٣٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠
جبل شمر	٢٠٠٠٠	٧٠٠٠٠
الأفلاج	٣٠٦٠٠	١٠٠٠٠٠
الحريق	٣٠٠٠٠	٩٠٠٠٠
وادي الدواسر	٦٠٠٠٠	٢٢٠٠٠٠
بيشة	٧٠٤٠٠	٢٦٠٠٠٠
سبيع	٨٠٠	٢٠٤٠٠
تثليث	٥٠٠	١٠٧٠٠

وكانت الدوعية ، مركز العارض ، تستطيع تقديم (٣٠٠٠٠) مقاتل ، وفيها (١٠٠٠٠٠) غير مقاتل . وفي مدينة ضرمى (١٠٢٠٠) مقاتل ، و (٦٠٥٠٠) غير مقاتل .

وجملة السكان القادرين على القتال: (٥٠٠٠٩٤٥) وعدد غير المقاتلين (٢٣١٠٠٢٠) ويلاحظ أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال ، فجملة سكان نجد (٣٠٠٠٠٠٠) تقريباً !

ويجب أن يضاف إلى سكان المدن : أفراد العشائر ، وهؤلاء يعطون نحو (٩٠٠٠٠) فارس ، وأكثر من أربعين ألفاً من المشاة .

عدد الفرسان	عدد المشاة	اسم القبيلة
٢٤٠٠٠	٢٤٥٠٠	بنو خالد
١٤٦٠٠	٣٤٠٠٠	مطير
٣٠٠	٤٤٠٠٠	عنية
٢٠٠	١٤٥٠٠	حرب
٢٥٠	٢٤٠٠٠	السهول

(هذه العشائر الخمس كانت موالية للترك)

٨٠٠	٧٤٠٠٠	قحطان
٢٠٠	٣٤٥٠٠	العجمان
٢٠٠	٥٤٠٠٠	الدواسر
٦٠٠	٣٤٠٠٠	عنزة
٨٠٠	٢٤٤٠٠	ظفير
١٠٠	١٤٢٠٠	سبيع العارض
٢٤٠٠٠	٢٤٥٠٠	سبيع القبلة
١٢٠	١٤٥٠٠	مرة
جملة الفرسان : ٨٤١٧٠	جملة المشاة : ٣٩٤٠٠٠	

الجيش

كان شعب نجد - وملحقاته - في عهد سعود ، خاضعا كله لخدمة الجيش . وكان هو الذي يقدر عدد المقاتلة الذي يجب على كل منطقة أن تقدمه ، فيقوم احد رؤساء المنطقة بقيادة مقاتليها الى المكان المحدد لهم ، ويبقى قائداً لهذه الفرقة طول مدة الحرب ، وهكذا تتجمع الفرق المحاربة تحت قيادات أمرائها ، ومع كل فرقة إمامها وعدد من الكتبة والحسبة يأتي كل محارب بأسلحته ومؤناته وذخيرته . والفقير يعينه الغني ، وقد ينب

الرجل المدعو الى القتال شخصاً آخر مكانه ، فيقوم بتجهيزه .
لا يأخذ المشاة وراكبو الجمال شيئاً ، وأما الفارس فله وفروسه مخصصات شهرية ،
توزع الغنائم بين المقاتلين بالتساوي . والخمس لبيت المال .
وكان لمقاتلة الدرعى المكان الأول ، وكان رئيسهم هو الذي يتولى القيادة في
المدن .

وكانت صيحتهم في الحروب : الله أكبر ، ونحوها ..
وكان أكثر طعامهم التمر ، وربما غمسوه في لبن النوق ، وقلمياً كلون لحماً
وخبزاً ..

وكانت بندقياتهم من ذوات الفتائل ، وهم « يحشونها » بسرعة ، وكثيراً ما
يحمل المقاتل الى ذلك ، خنجراً ورمحاً وسيفاً ، وأحياناً مسدساً أيضاً ..
وحينما يقيمون مخيماً أو معسكراً ، يعرف كل واحد مكانه ، أما القائد ففي
الوسط ، والفرسان حوله .
ولهم شعارات يتعارفون بها في الليل ، وغالباً ما ينامون في النهار ويقضون الليل
في السهر والسر .

نجد الجنوبية

تقول صحيفة الخليج الفارسي إن « القصيم » هي نجد الوسطى ، وقد استقلت أحياناً عن سائر بلاد نجد ، وأما جبل شمر فيستحق اسم « نجد الشمال » ، وكان مستقلاً أيضاً .

وأما بلاد نجد التي بقيت دائماً تحت ظل الأمراء السعوديين فنستطيع تسميتها بـ « نجد الجنوبية » ، وإن كان العرب ينكرون هذه التسمية ! إن حدود نجد ، من جهة الشمال ، كانت تتغير دائماً . أما حدودها الجنوبية ، فهي حدود طبيعية ثابتة ، لأنها تنتهي مع نهاية الصحراء الكبرى أو الربع الخالي ! وفي الشرق : يفصل نجد عن مقاطعات الخليج الفارسي شريط من صحراء الدهناء ضيق ، طويل ، واضح المعالم تماماً ..

وفي الغرب : يحدها وادي السر ووادي الرمة .. ونستطيع تقسيم هذه المنطقة إلى ثلاثة أقسام : أولاً - المنطقة التي تمتد من جبل طويق إلى الدهناء شرقاً ، وفيها العارض (الذي يخترقه وادي حنيفة ، الوادي الوحيد العظيم في العربية الوسطى) وسدير ، والحريق والحوطة والخرج . ثانياً - المنطقة التي تمتد ما بين جبل طويق والصحراء الكبرى الجنوبية ، وهي : « الافلاج » . ثالثاً - المنطقة التي تمتد على الطرف الثاني الشرقي من طويق ، وفيها : (الدواسر .. والوشم ..)

منتوجات الإقليم - هذا الإقليم صحي في الأراضي المرتفعة ، والمرعى فيه كثير ، وشجره قليل . ومحصولاته : التمر والقمح والذرة ، وربما زرعوا القطن . وتنتج مناطق منه أثماراً ، كالتين والخروخ والليمون والبطيخ والبصل والملوخيا الخ .

وقد اشتهر نخيل وادي حنيفة بضخامته وجودة ثمره . وأما نخيل الحوطة فرقيق ولكنه كثير الحبل ، فقد تحمل النخلة الواحدة أحياناً (١٤,٠٠٠) باوند من التمر ! والخيل يربها البدو ويرسلونها إلى بريدة وعنيزة في القصيم .
والجمال كثيرة ، وهي في بعض المناطق أصغر من جمال جبل شمر .
وعندهم ماعز ، وبعض الأغنام ، خاصة في الحرج ، وهناك غزلان أيضاً ..

السكان

القبائل العربية التي ينتمي اليها السكان المقيمون في هذه المناطق هي :
عنزة ، الدواسر ، سبيع ، وبنو تميم .
ويضاف اليهم الفضول والسهول .
الدواسر: توجد في كثير من المناطق ، وتتجمع في وادي الدواسر والأفلاج ، ولا أثر لها في وادي السر ، وتثليث .
السبيع : موزعة كذلك .
بنو تميم : غير موزعة في كل مكان ، وأكثر تجمعها في سدير .
وهناك قبائل أقل عدداً وشأناً ، مثل : الأشراف ، عتيبة ، بقوم ، بني هاجر ، حرب ، حاتم ، بني خالد ، مطير ، قحطان ، شمر بن زيد . وعدد الأشخاص المنتمين اليهم قليل .
وكثرة نجد الجنوبية الكثيرة : وهابية .
والسكان يعيشون إجمالاً طويلاً ، وأكثرهم تعميراً بنو تميم .

البدو

بدو نجد الجنوبية هم :
— عتيبة : في القصيم ووادي سبيع ووادي السر والوشم وسدير .
— مطير : في سدير ، الوشم ، وادي الدواسر ، والدرعية .

– قحطان : في وادي تليلث ، وادي سبيع ، الوشم ، سدير .
 سبيع : في وادي سبيع ، الحرج ، العارض .
 ويمكن ان يضاف اليهم البدو الذين أتوا من جهات أخرى ، مثل :
 العجمان ، الذين ينزلون في الحرج .
 والبهوم ، الذين يأتون إلى وادي سبيع .
 والصلبة ، الذين تجردم في نجد الجنوبية .

احصاء نجد الجنوبية

المنطقة	عدد السكان
الأفلاج	٢٢٠٠٠
العارض	٣٠٠٠٠
وادي الدواسر	٢٧٠٠٠
الحريق	٤٠٠٠
الحوطة	٦٠٠٠
الحرج	٣٠٠٠
وادي سبيع	١٦٠٠٠
سدير	٢١٠٠٠
وادي السر	١٠٥٠٠
الوشم	٦٠٥٠٠
المجموع :	١٣٧٠٠٠
قحطان	٨٠٠٠
عتيبة	٦٠٠٠
سبيع	٥٠٠٠

٥٠٠٠٠	دواصر
٤٠٠٠٠	مطير
١٠٠٠٠	عجمان
١٠٠٠٠	بقوم
٣٠٠٠٠	صليب وغيرها
<u>٣٣٠٠٠٠</u>	المجموع :
١٧٠٠٠٠٠	المجموع العام للحضر والبدو :

يلاحظ أن البدو أقلية صغيرة .

ومساحة المنطقة : (٥٠٠٠٠٠) ميل مربع . فنسبة السكان هي : ٤ في الميل
المربع .

التجارة

صادرات المنطقة قليلة ، ومنها الخيل ، يصدرونها الى الهند بصورة خاصة .
ويستوردون الأسلحة والذخائر عن طريق الأحساء والكويت والحجاز ، وربما
ذهب تجارهم الى « قطر » لشراء الأسلحة . وقد يجلبون الأدوية الأنكليزية من
الهند ، وكذلك بعض منتجات الهند .

وحدة الوزن عندهم هي الوزنة ، وتساوي : ٣ ليبرة وأنصة وستة أعشار
الأنصة .

وحدة الكيل : المد والصاع .

وحدة القياس : النراع .

فضيلة نجد وجهاد أهلها في سبيل الاسلام والرد على من قال : انها مصدر الفتنة

قام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، بالرد على خصوم الوهابية في كثير من خطبه ورسائله ، وقد لحص لنا « الألوسي » في « تاريخ نجد » مناظرة جرت ، تحريراً ، بين الشيخ داود بن سليمان بن جرجيس صاحب كتاب « صلح الأخوان » وبين الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، مؤلف كتاب « منهاج التأسيس والتأسيس » ، في كشف شبهات داود بن جرجيس . وتدور المناظرة حول ثلاث مسائل :

أولاً - تكفير أهل نجد للمسلمين واستباحتهم قتالهم .
ثانياً - جعل الحرمين الشريفين دار حرب ... واستباحتهما .
ثالثاً - جعل دار مسيلة الكذاب دار هجرة وإيمان ، مع ما ورد فيها من الحديث : انها مواضع الزلازل والفتن .
وقد ذكرنا أجوبة المسالتين الأوليين في موضع آخر من هذا الكتاب ، وأما السؤال الثالث ، فأجاب عنه الشيخ عبد اللطيف بما يأتي :
« أيها السائل . إنك لممتعت أن المراد من مواضع الزلازل والفتن هي أرض نجد وبلادها ... »

أما الحديث فهو قوله (ص) في الدعاء : اللهم بارك لنا في شامنا وفي بيننا .

قالوا : وفي نجدنا يا رسول الله ؟
فكرر ثلاث مرات يدعو للشام واليمن .
وم يقولون : وفي نجدنا .
فقال في الرابعة : تلك مواضع الزلازل والفتن !
وقد استجيب دعوته (ص) وحصل من البركات بسبب هذه الدعوة في الشام
واليمن ما هو معروف ومشهور ...
ولكن لا يحتاج به على صلاح دين أهلها ، إلا من عزبت عنه الحقائق ، وعدم
الفهم لأصول الدين فضلاً عن الفروع والدقائق .
وقد تقدم قوله تعالى : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض
ومغاربها .

وجهور أهل نجد كتمهم وأسد وطى وهوازن وغطفان وبني فهر بن
شيبان ، صار لهم من الجهاد في سبيل الله والمقام بالثغور ، والمناقب والآثار ، لا سيما
في جهاد الفرس والروم ، ما لا يخفى ... ولا يشك عاقل أنهم أفضل من أهل
الأ. صار قبل استيطان الصحابة وأهل العلم والإيمان .

وأما بعد ذلك فالفضل والتفضيل باعتبار الساكن مختلف وينتقل مع العلم
والدين ، فأفضل البلاد والقرى في كل وقت وزمان أكثرها علماً وأعرقها بالسنة
والآثار النبوية ، وأشر البلاد أقلها علماً وأكثرها جهلاً وبدعة وشركاً .. وأقلها
مكاً بأثار النبوة وما كان عليه السلف الصالح ، فالفضل والتفضيل يعتبر بهذا في
الأشخاص والسكان ، وقد قال تعالى :

« واذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهله من الثمرات من آمن
منهم بالله واليوم الآخر ، قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار
وبئس المصير ! »

وكما أن الحسنات تضاعف في البلد الحرام ، فكذلك السيئات تضاعف لعظيم
حرمة وفضيلته ..

وقد جاء في فضل بعض أهل نجد كميم ما رواه البخاري عن أبي هريرة :

« أحب بميا لثلاث سمعتن من رسول الله (ص) ، قوله لما جاءت صدقاتهم :
هذه صدقات قومي .
وقوله في الجارية التيمية : أعتقها ، فانها من ولد اسماعيل .
وقوله : هم أشد أمتي على الدجال .
هذه في المناقب الخاصة .
وأما العامة للعرب فلا شك في عمومها لأهل نجد ، لأنهم من صميم العرب » .

*

ثم قال :
ليس المراد في الحديث بنجد القطعة المعروفة الآن بنجد ، وإنما المراد العراق
« لأنه مجازي المدينة من جهة الشرق ، بوضعه أن في بعض طرق هذا الحديث :
« وأشار إلى العراق »
... وفي مسلم عن ابن عزوان ... عن ابن عمر ، قال : يا أهل العراق ما
أسألكم عن الصغيرة وأر كبكم للكبيرة ! سمعت رسول الله (ص) يقول إن الفتنة
تجيء من هنا ...
وأوما بيده إلى المشرق .
فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل العراق !..

المسحوق الرابع

نجد في الشعر العربي

ما قيل في نجد من الشعر شيء لا يحصى كثرة ، وسنذكر هنا بعض ما
وجدناه من هذا الشعر في الأغاني ومعجم البلدان والحماة وتاريخ نجد للألوسي
وغيرها من الكتب .

تمتع من شميم عرار نجد

قال الصمة بن عبد الله التشيري

بنا بين المنيفة فالضمار	« أقول لصاحبي والعيس تهوي ^(١) »
فأبعد العشة من عرار	تمتع من شميم عرار نجد
وربنا روضه بعد القطار	ألا يا حبيذا نفحات نجد
وأنت على زمانك غير زاري	وأهلك اذ يحل الحمي نجدا
بانصاف لمن ولا سرار ،	شهور ينقضين وما شعرنا

بكل تدأويننا فلم يشف ما بنا

وقال عبد الله بن الهمينة الخثعمي

لقد زادني مسراك وجدا على وجد	ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
على فتن غصّ النبات من الرند	إن هتفت ورقاء في رونق الضحى
جليدا وأبديت الذي لم تكن تبدي	بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن

١ - . وفي رواية : تحدي . والعرار بهاء البر ، نبت طيب الريح ، قال ابن بري هو الترجس
البري .

يلّ وأن النأي يشفي من الوجد
على أن قرب الدار خير من البعد
إذا كان من تهواه ليس بذى ود ،

يبيجه للشوق شتى يرابعه . ،

فيلتمّ التهائم والنجد

لطول الليالي هل تغيرتا بعدي
على عهدنا أم لم تدوما على العهد
بريح الحزامي هل تهب على نجد ؟
إذا هو أسرى ليلة بثرى جعد

وقد جزن غوراً واستبان لنا نجد
علي فضا ب أن صددت كما صدوا
أقام بها الأحلام والحب العدّ
وفو الجد من لانوا اليه ومن ودّوا
فان غضبوا جاء الحفيظة والجد
من اللوم ، أو سدّوا المكان الذي سدوا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا !
من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا !
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد !

وقد زعموا ان الحب اذا دنا
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار ليس بنافع

وقالت رامة بنت حصين الأمدية

« ألام على نجد ومن يك ذا هوى

وقال جرير بن عطية بن الخطفي :

هوى بتهامة وهوى بنجد

وقال مجنون ليلى :

ألا ليت شعري عن عوارضي قبا
وهل جارتنا بالنيل إلى الحمى
وعن علويات الرياح إذا جرت
وعن أقحوان الرمل ما هو فاعل

وقال الخطيئة :

ألا طرقتنا بعد ما هجعوا هند
وان التي نكبتها عن معاشر
أنت آل شماس بن لأي وإمّا
فأن الشقي من تعادي صدورم
يسوسون أحلاماً بعيداً أأنها
أقلوا عليهم ، لا أباً لأبيكم ،
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البناء
وان كانت النعمى عليهم جزوا بها ،
وان قال مولايم على كل حادث
مطاعين في الهيجا ، مكاشيف للدجى

وقال الصمة بن عبدالله :

حننت إلى « ريا » ونفك باعدت
قفا ودعا « نجدا » ومن حل بالحمى
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى
ولست عشبات الحمى برواجع
ولما رأيت البشر أعرض دوننا
تلفت نحو الحي حتى وجدني
مزارك من ريا ، وشعبا كما
وقل لنجد عندنا أن يودعا
وما أحسن المصطاف والمتربعا
عليك ، ولكن خل عينك تدمعا
وحالت بنات الشوق يحزن تزعأ
وجعت من الاصفاء لينا وأخذعا

وقال جرير :

أحب ترى نجد ، وبالغور حاجة
وقال المرار الفقعسي :

إذا تركت وحشة النجد^(١) لم يكن
لعينيك بما تشكوان طيب

أشعار الأعراب في نجد

أورد « معجم البلدان » بعض ما قاله الأعراب من الشعر في نجد ، وهو شيء
لا يحصى كثرة .

قال أعرابي :

أكرر طرفي نحو « نجد » وانني
حنينا إلى أرض كأن ترابها
بلاد كأن الأقحوان بروضه
أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي
وما نظري من نحو « نجد » بنافع
إليه وإن لم يدرك الطرف أنظر
إذا أمطرت عرد ومسك وعنب
ونور الأفاحي وشي يرد محبتر
خيام « بنجد » دونها الطرف يقصر
أجل لا ، ولكني إلى ذلك أنظر

١ - استشهدوا بهذا البيت على أنهم يستعملون كلمة « نجد » معرفة بآل : النجد .

أني كل يوم نظرة ثم عبدة
متى يستريح القلب أما مجاور

وقال أعرابي

فيا حبذا «نجد» وطيب ترابه
وريح صبا «نجد» إذا ماتسمت
بأجرع هراع كأن رياحه
وأشهد لا أنساه ماعشت ساعة
ولا زال هذا القلب مسكن لوعة

وقال أعرابي آخر :

رأيت بروقاً داعيات إلى الهوى
إذا ذكر الأوطان عندي ذكرته
ألا حبذا نجد ومجرى جنوبه
أجيدك لا ينسبك نجداً وأهله

وقال أعرابي آخر :

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي
ألم ترَ أن الليل يقصر طوله
وقال أعرابي من بني طهية :

سمعت رحيل القافلين فشافني
أحنّ إلى نجد وإني لآيس
تعزّ فلا نجد ولا دعد فاعترف

وقال نوح بن جرير الخطفي :

ألا قد أرى أن المنايا تصيبني

لعينيك مجرى مائها يتحدّر
بمجرى ، وأما فاذح يتذكر؟!

إذا هضبه بالعشي هواضبه
ضحى ، أو سرت جنح الظلام جناضبه
سحاب من الكافور ، والمسك شائبه
وما انجاب ليل عن نهار يعاقبه
بذكره حتى يتروك الماء شارببه .

فبشرت نفسي أن نجداً أشيمها
وبشرت نفسي أن نجداً أقيمها
إذا طاب من برد العشي نسيمها
عياطل دنيا قد تولى نعيمها !

ومجلى ذرى الظلماء ذكرتني نجداً
بنجد وتزداد الرياح به برداً

فقلت اقرأوا مني السلام على دعد
طوال الليالي من قثوث إلى نجد
بمجرى إلى يوم القيامة والوعد

فما لي عنهن انصراف ولا بُدّ

فذا العرش لا تجعل ببغداد ميتي
بلاد نأت عنها البواغيت والتقى

وقال اعرابي آخر :

ألا هل لحزون ببغداد نازح
كأنني ببغداد وإن كنت آمناً
فيا لائم في حب نجد وأهله

وقال اعرابي آخر :

تبدلت من نجد ومن يحمله
وأصبحت في أرض البنود وقد أرى

وقال اعرابي آخر :

خليلي هل بالشام عين حزينة
وهل بائع نفساً أو الأمل
وأسلمها الباكون إلا حمامة
تجأوها أخرى على خيزرانة
نظرت بعيني مؤنين فلم أكد
فكذبت نفسي ثم راجعت نظرة
ألا يا هذا «نجد» وطيب ترابه

وقال اعرابي آخر :

سقى الله «نجداً» من ربيع وصيف
بلى إنه كان للعيش ميرة

ولكن بنجد حبذا بلداً نجد
بها العين والآرام والعفر والربد

إذا ما بكى جهد البكاء مجيب
طريد دم فائي المحل غريب
أصابك بالأمر المهم مصيب

محلة جند ، ما الأعراب والجند ؟
زماناً بأرض لا يقال لها بند !^(١)

بكى على «نجد» لعلني أعينها !
إليها فأجلاها بذاك حينها
مطوقة قد بات عنها قرينها
يكاد يدتها من الأرض لينها
أرى من سهل نظرة أستبينها
فبيح لي شوقاً «لنجد» يقينها !
وغلظة دنيا أهل نجد ، ودينها .

وماذا ترجى من ربيع سقى «نجداً»
وركناً بها والبيض منزلة حمداً

١ - البنود بأرض الروم كالأجناد بأرض الشام والكور بالعراق والمخالف في اليمن .

وقال اعرابي آخر :

ومن فرط إشفافي عليك يسرني وأشفق من طيف الخيال اذا سرى
وأرضى بأن تغدبك نفسي من الردى مذاهب شتى للمحين في الموى
سألوك عني خوف أن تجدي وجدي مخافة أن يدري به ساكنو نجد ،
ولكنني أخشى بكاءك من بعدي ولي مذهب فيهم أقول به وحدي

وقال اعرابي آخر :

لعمري لكاء يغني بفترة بعلياء من نجد علام شرقا
أحب إلينا من هديل حمامة ومن صوت ديك هاجه الليل أبلقا

وقال عبد الرحمن بن دارة :

خلي لي ان حانت بمجمص منيتي فلا تدفنا في وارفعاني إلى نجد !

وأدخل على عبد الملك بن مروان عشرة من الخوارج فأمر بضرب رقابهم وكان
يوم غيم ومطر ورعد وبرق ، فضربت رقاب تسعة منهم ، وقُدّم العاشر ليضرب
عنقه فبرقت برق ، فأنشأ يقول :

تألق البرق نجدياً فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول
بذلة العقل حيران بمعتكف في كفه كجباب الماء ملول
فقال له عبد الملك : ما أحسبك إلا وقد حننت إلى وطنك وأهلك ، وقد
كنت عاشقاً !

قال : نعم ، يا أمير المؤمنين !

قال : لو سبق شعرك قبل أصحابك ، لو هبناهم لك ! خلوا سبيله !
فخلوه .

وقدم بعض أهل هَجَرَ إلى بغداد فاستوبأها فقال :

أرى الريف يدنو كل يوم وليلة وأزداد من نجد وصاحبه بعدا
ألا إن بغداداً بلاد بغضة إليّ وإن كانت معيشتها رغدا
بلاد نهب الريح فيها مريضة وتزداد خبثاً حين مطر أو تندى

اليامة في الشعر

ورد اسم اليامة كثيراً في الشعر . فالأعشى يذكر قصة زرقاء اليامة . وعمرو ابن كاثوم يذكر بلاد اليامة في معلقته فيقول:

تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلاً حدينا
وأعرضت «اليامة» واشمخرت كأسياف بأيدي مصليتنا
وقالت شاعرة بدوية ، لما ذكر لها اسم اليامة :

تذكرني بلداً خير أهلي بها أهل المروءة والكرامة
ألا فسقى الإله أجش صوبا يسع بدره بلاد «اليامة»

ومن قصيدة لبراهيم بن علي بن هرمة يمدح فيها السري بن عبد الله^(١):

(فقل للسري، الواصل البرذي الندي مدحاً إذا ما بثّ صدق قائله
نفى الظلم عن أهل اليامة عدله فعاشوا وزاح الظلم عنهم وباطله
وفاموا بأمن بعد خوف وشدة بسيرة عدل ما تخاف غوائله
وقد علم المعروف أنك خدنه ويعلم هذا الجوع أنك قاتله
بك الله أحبا أرض حجر وغيرها من الأرض حتى عاش بالقبل آكله
وأنت تترجى للذي أنت أهله وتنفع ذا القربى لديك وسائله .)

وقال يحيى بن طالب الحنفي ، وهو من اليامة ، اضطر الى النزوح عنها الى

بغداد :

أقول لموسى والدموع كأنها جداول فاضت من جوانبها تجري
الاهل لشينخ وابن ستين حجة بكى طرباً، نحو «اليامة» من عذري؟
إذا ارتحلت نحو اليامة رفقة دعاك الهوى واحتاج قلبك للذكر
تغربت عنها كارهاً وهجرتها وكان فراقها أمراً من الصبر^(٢)

١ - الأغاني .

٢ - معجم البلدان ، تحت اسم « قرقرى » .

شعراء نجد في الجاهلية وأول الإسلام

الحديث عن شعراء نجد في الجاهلية ، وأوائل الإسلام ، حديث طويل ، لأنه يكاد يكون حديثاً عن الشعر العربي كله ، أو جلّه .
وليس يتسع هذا الكتاب لمثل هذا الحديث الطويل ، فليرجع من أراد التوسع فيه إلى كتب الأدب العربي . وحسبنا أن نقول ، هنا ، إن الشعر العربي يبدأ في نجد واليامة ، منذ عهد طسم وجديس ، وقد رأينا في الفصول السابقة شعراً لعفيرة وزرقاء اليامة ، ولكننا نشك كثيراً في صحة هذا الشعر ، لأنه لا يختلف في شيء عن الشعر الأموي أو العباسي ، إلا أن يكون كلام « طسم وجديس » العاربة ، فجازموا ، ككلام من يسميهم المؤرخون : « المستعربة » .. ولغتهم كلفة القرآن ، وبذلك تتقلب الآية فيصبح العاربة هم : المستعربة !

شعراء المعلقات العشر

أول ما يلفت النظر ، بل ويبهز .. ان شعراء الجاهلية الأوائل ، أصحاب المعلقات العشر ، كلهم من نجد ، فان كان اثنان أو ثلاثة منهم لم يولدوا في نجد فقد عاشوا فيها وتغنوا برباعها .
وأولهم : امرؤ القيس ، ابن حجر ، ملك كندة ، الذي أخاع العرش ، ولكنه لم يضع عرش .. الشعر ، فلقبوه : بأمير الشعراء .
يقولون إن امرأ القيس يمني ، قحطاني ، لأنه من كندة . ويقول « ابن بلید » إن بلد امرئ القيس : ذو جرة ، قرية بخلاف « السكاسك » في اليمن !
والحقيقة هي أن امرأ القيس « نجدى » ، بكل معاني الكلمة . فقد ولد في

نجد ، وأبوه ولد في نجد ، وجده ولد في نجد ، وأمه في أصح الروايات ربيعة ، من نجد ، فماذا يريدون من الرجل ، أكثر من هذا ، حتى يكون نجدياً ؟
 فإن قيل : أصل قبيلته من خارج نجد . قلنا : ما أكثر القبائل التي جاءت إلى نجد ، من خارج نجد ، وأصبح أبناؤها نجديين !
 إن لغة امرئ القيس لغة أهل نجد ، والبلدان والمياه والمواضع التي ذكرها في شعره هي أماكن معروفة في نجد ، أما ما نسب إليه من الشعر اشدّه إلى اليمن ، فهو أضعف الشعر شهاً بشعره ، وأقله ، وأدناه قيمة ، كقوله :
 (دمون ، اننا معشر يمانون وإننا لأهلنا محبوبون) ..!!
 وسواء أصبح هذا الشعر أم لم يصح ، فانه لا يخرج امرأ القيس من نجديته ،
 لمجرد أن آباءه : قحطانية الأصل ، بل هناك من يذهب الى القول ان « كندة »
 نفسها عدنانية !

اشتهر امرؤ القيس بعلاقته المشهورة ، التي مطلعها :
 « فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل »
 وكان شعره أول الأمر ، في الغزل والخمر والوصف ونحو هذا ، فلما بلغه مقتل
 أبيه ، حرم على نفسه الخمر حتى يدرك ثأره ، وقال في رواية ، قوله المشهور :
 اليوم خمر ، وغداً أمر . لا صحو اليوم ، ولا شرب غدا .
 وأنشد في رواية ثانية :

« خليلي ما في اليوم مصعى لشارب ولا في غد ، اذا كان ما كان ، مشرب »
 وأصبح أكثر شعره ، بعد ذلك ، مفاخرة ومدحاً وهجاءً ونحو ذلك . وانطلق
 امرؤ القيس يجمع الجفوع ، ويستنصر العشائر على قتلة أبيه ، فنصرته قبائل بكر ،
 وحميم ، فقال في هيم :

« هميم بن مر ، وأشياها وكندة حولي جميعا صبر
 اذا ركبوا الحيل واستلأموا نحرقت الأرض واليوم قر ،
 ولما أدرك ثأره من بني أسد وحلفائهم رضي ، فقال :
 قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

حلت لي الحمر وكنت امرأة عن شربها في شغل شاغل
وطلبه المنذر بن ماء السماء ليقتله كما قتل لإخوته ، فهرب منه ، ولجأ أول الأمر
إلى زعيم من « عجم » هو المعلّى ، فأجاره ، فقال فيه :

« كافي اذ نزلت على المعلّى نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلّى بهتدر ، ولا الملك الشامي ! »

ثم لجأ إلى الروم ، وهناك أصيب بمرض ، ومات في طريق عودته ، وقيل إن
قيصر الروم قتله لتشبيهه بزوجته ، وسموه : ذا القروح ، لقروح انتشرت في بدنه
وسببت وفاته ، وقيل إنها الجدري .

ويأخذ عليه بعض المؤرخين التجاءه إلى الروم واستنصاره بهم ضد قومه العرب ،
ويعدون ذلك خيانة ، ويقول قاموس « المنجد » ، إن « جوستنيان » ولاء إمارة
فلسطين ..

وأرجح الظن أن قصته مع جوستنيان ما تزال غامضة ، وإن امرأة القيس الذي
ولاه جوستنيان على فلسطين هو رجل آخر ، يحمل اسم امرئ القيس ، ومن هناك
حصل الالتباس !

وأما استنجاد امرئ القيس بالروم ، فذلك لأن خصمه المنذر كان بنصره
الفرس .

إن شعر امرئ القيس مشهور ، ومنزلة صاحبه بين الشعراء معروفة ، ولم
نذكره هنا إلا للتنويه « بنجديته » ، ولتصحيح بعض أخباره التي يكثر فيها الخطأ
والتشويه .

وشعراء المعلقات العشر ، غير امرئ القيس ، هم :

١ - طرفة بن العبد ، صاحب معلقة :

« لحولة أطلال ببرقة نهد تلوح كباقي الرشم في ظاهر اليد ،

٢ - الأعشى - ميمون بن قيس - صاحب معلقة :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟

٣ - الحارث بن حنزة الشكري ، صاحب معلقة :

آذنتنا بينها أسماء رب ثاورٍ يُملُّ منه الثواء .

وهؤلاء الشعراء الثلاثة من بكر بن وائل .

وطرفة عند بعض النقاد ، أشعر الناس ، وعند بعضهم أشعرهم واحدة ، أي بمعلته . وقد قتله الملك عمرو بن هند ، وكان عمره عند وفاته ستاً وعشرين سنة . وكانت أخته شاعرة ، قامت برثائه ، وخاله هو الشاعر الكبير : المتلمس .

٤ - عمرو بن كلثوم ، صاحب معلقة :

ألا هي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وهو من تغلب بن وائل ، وكان من فرسان العرب وفناكها ، ومن أشهر

أبياته :

وقد علم القبائل غير فخر إذا قبب بأبطحها بنينا

بأنا العاصمون إذا أطعنا وأنا الغارمون إذا عصينا

وإنا المانعون إذا قدرنا وإنا المهلكون إذا أتينا

*

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطنينا

إذا بلغ الفطام لنا وليد نخزّ له الجبابر ساجديننا

وبذلك يكون أربعة من شعراء المعلقات من ربيعة :

٥ - عنتر بن شداد العبسي ، صاحب معلقة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم ؟

٦ - لبيد بن ربيعة ، صاحب معلقة :

عفت الديار محلها فقامها بنى تأبد غولها فرجامها

٧ - النابغة ذرّاد بن عمرو ، صاحب معلقة :

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

٨ - زهير بن أبي سلمى ، صاحب معلقة :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بمحومانة الدراج فالتلم

٩ - عبيد بن الأبرص ، صاحب معلقة :

أقفر من أهله ملحوب فالتقطيات فالذنوب

وهؤلاء الشعراء الخمسة ابتداءً من غنوة هم : مضربون . أربعة من قيس عيلان ،
وواحد من أسد بن خزيمه . (وهو عبيد) .

وأشهر هؤلاء الشعراء : غنوة ، وقد بلغ من شهرته أن سيرته ، وهي قصة
شعبية ، بل ملحمة طويلة جداً ، تتخللها أبيات من شعره ، كانت تنشد في الندوات
الخاصة والعامة ، في مجالس متعاقبة يقبل عليها الناس مثل إقبالهم اليوم على حضور
المسرحيات الكبرى وأكثر ، وقد ترجمت « سيرة غنوة » إلى أكثر اللغات
الأوربية ووضعت مسرحيات وقصص وأغان باسم غنوة . وغنوة يستحق هذا
التقدير ، لأنه كان فارساً وشاعراً وجواداً كريماً ، بلغ الفروية في ولائه لقومه ،
وحبه الرفيع « لبلعة » ، ويعتبر غنوة أول ناثر كبير على « شبه اللون » أو ما
نسميه اليوم « التمييز العنصري » .

وقيل ان النبي (ص) قال : ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا غنوة !
ولغنوة أبيات مشهورة ، ذهب بعضها مذهب الأمثال ، لكثرة ما يستشهد بها
الناس في كلامهم ، ومنها :

لا يحمل الحقد من تلوه به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

*

ان كنت تعلم يا نعمان أن يدي قصيرة عنك فالأيام تنقلب

*

خلقت من الحديد أشد قلباً وقد بلي الحديد وما بليت

*

إذا بلغ الفطام لنا صبي نخر له أعادينا سجودا

*

وسلمي كان في الهيجا طبيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا

*

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الخنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

*

ولقد ذكرتكَ والرماح نواهل مني وبيض الهند تشرب من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

شاعرات نجد

ليس شعراء المعلقة ، الذين يدرس شعرهم في البلاد العربية كلها ، هم وحدهم رؤساء الشعر في نجد قديماً ، فهناك شعراء غيرهم كثير ، ولدوا وعاشوا في نجد ، يسمونهم أو يأتون بعدهم في المرتبة ، ومن أشهرهم ، في الجاهلية : « المهمل » ، وفي الإسلام : « جرير » .

ولم يكن الشعر في نجد قاصراً على الرجال ، فقد كان فيها شاعرات مجيدات ، منهن : صفية الشيبانية - التي أجارت « هند بنت النعمان » على كسرى ، ولها ذكر في موقعة « ذي قار » - ومناضر السلبية ، وصمية العبيدة ، وغيرهن كثيرات ، ويلاحظ أنه كانت في نجد أسر « شعرية » أو شاعرة ، كان الشعر سليقة في رجالها ونسائها على السواء ، كأم الأغر أخت المهمل ، وسلمى بنته ، والحرنق أخت الشاعر طرفة .

ومن الشعر الذي يتغنى به حتى اليوم لامرأة من نجد ، ما قالته لبلى العفيفة بنت لكيز ، وكانت فتاة بارعة الجمال ، فذهب بها أبوها إلى فارس ، فأعجب بها ملك من ملوك الفرس ، فأراد بها سوءاً ، فتمنعت ، فاضطهدها وجبها ، فكتبت إلى ابن عم لها بكري يدعى « البراق » ، قصيدة تصف فيها حالها لينقذها ، ففعل ، وبما جاء فيها :

(ليت البراق عيناً فتري ما ألقى من بلاء وعنا
يا كلياً وعقلاً اخوتي يا جنيداً أسعدوني بالبكا
عذبت اختكم يا ويلكم بعذاب النكر صبحاً ومساء

غللوني ، قِيدوني ، ضربوا ملمس العفة مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني ومعني بعض حشاشات الحيا
فأنا كلهم بغيركم ويقين الموت شيء يرتجى (النخ .

وللشاعرة كرمة بنت ضلع هذه الأبيات المشهورة ، التي تنسب أحياناً الى
غيرها :

نحن بنات طارق مشي على النمارق
مشي القطبي البارق المسك في المفارق
والدر في الخانق ان تقبلوا نعايق
أو تدبروا تفارق فراق غير وامق
عرس المولتي طالق والعار فيه لاحق !

وكانت النساء ينشدن هذه الأبيات في الحروب للتحريض على الثبات والإقدام .

أيام العرب وبلدان نجد وامكنتها في الشعر

كما تغنى الشعراء بنجد في جملتها ، تغنوا كذلك بكثير من بلدانها وأماكنها
التي لا يزال أكثرها معروفاً بأسمائها القديمة حتى اليوم .

وهذا الحديث يسوقنا الى الكلام عن « أيام العرب » ، التي خلدها في ملاحمهم
وأشعارهم ، فان أكثرها يدور في بلاد البامة ونجد ، ويحمل أسماء أمكنة فيها ،
ومن أعظم أيام القبائل العربية في نجد على غيرها : يوم « ذي قار » الذي غلبوا فيه
العجم ، ويوم « حزازي » الذي فضوا به جموع اليمن وهزموها .

ومن أشهر أيام القبائل العربية ، فيما كان بينها من الوقائع : الوقائع بين تغلب
وبكر ، وبين عيم وحيفة وبين عيس وذبيان ، النخ ..

حروب « البسوس »

عرفت الوقائع بين تغلب وبكر ، باسم حرب « البسوس »^(١) .
وكانت تغلب ظاهرة في أيامها الأولى - الذنائب ، واردات ، غنيزة - على
بكر ، ثم غلبتها بكر في يوم « قضة » ويوم « نخلق اللحم » .
والى ذلك بشير طرفة العبد بقوله :

سائلوا عنا الذي يعرفنا ما لقوا في يوم « نخلق اللحم » !
يوم تبدي البيض عن أسواقها وقل الحيل أنواع النعم
وقيل أن تغلب لو بقيت مستمرة في حروبها لأفنت الناس ، ولذلك قال بعضهم :
لو أبطأ الاسلام ، لأكلت بنو تغلب الناس !
لا نريد هنا التبسط في الحديث عن أيام العرب ، فليرجع الى كتب الأدب
والتاريخ للوقوف عليها واستقصاء ما يتصل منها بنجد خاصة ، وهي تراث ملحمي
رائع جداً .
وحسبنا الآن أن نورد ، على سبيل المثال ، طائفة من الشعر القديم فيها ذكر
لأماكن وبلدان معروفة في اليمامة ونجد :

١ - كان السبب الذي هاج الحروب الموصولة بين تغلب وبكر ، فسيا دورا ، أنه كان
لكليب ، زعيم تغلب - ويقال له كليب رائل ، وكان يضرب به المثل في العزة والمنعة ، فيقال :
« أعز من كليب رائل » - حتى لا يجرؤ أحد على استباحته ، بل كان يحير الوحش والطير فلا
يتعرض أحد لصيده ، حتى لقبره يحير الطير ، فنشرت ناقة لامرأة من نيم تدعى « البسوس » ،
كانت نازلة عند أخت لها متزوجة في بكر ، فدخلت حتى كليب وقيل انها كسرت بيض حمامة
هناك ، فرأى كليب فرماها « أي الناقة » بسهم فقتلها ، فذهبت البسوس الى بكر شاكية باكية ،
فخرج ابن اختها « جساس بن مرة » الى كليب فجأه وقتله ، فقام أخو كليب « عدي » ،
الفارس الشاعر المشهور باسم « المهلهل » بالثار له ، واتصلت المعارك بين تغلب وبكر عشرات
السنين ، بسبب ناقة .. البسوس .
وكان جساس قاتل كليب ، من بني شيبان ، ولم تنصره قبائل بكر أول الأمر ، لظلمه ، ثم
تجمعت ضد تغلب ، بعد أن كثر بغيتها ...

فن إياهم التي ورد ذكرها في شعرهم :

« يوم القصيم »

قال زيد الحيل الطائي :

(ونحن الجالبون سباء عبس الى الجبلين من أهل « القصيم »
فكان رواحها لحمي كعب وكانت غدوها لبني تميم)
وقيل في القصيم ذماً :

ان القصيم بلاد محمة أنكد ، أفنى أمة فامة !

« يوم فلج »

وقال القحيف :

سلوا « فلج الأفلج » عنا وعنكم وأكمة اذ سالت مرارتها دما

« يوم ملهم »

وقال داود بن منمم :

ويوم أبي حر (ملهم) لم يكن ليقطع حتى يدرك الزحل فائره
لدى جدول النيرين حتى تفجرت عليه فخور القوم واحمر حائره

*

ومما قيل في بعض بلدان نجد وأمكنتها :

لعمرى لنور الأقحوان « بمائل » ونور الخزامى في آلاء وعرفج
أحب إلينا يا حميد بن مالك من الورد والحيري ودهن البنفسج

وقال جرير :

أنظر خليلي بأعلى « ثرمداء » ضحى والعيس جائلة أعراضها جنف
وقال ذو الرمة :

أيا ظبية الوعاء بين « جلاجل » وبين النقا ، آأنت أم أم سالم ؟
وقال ابن دريد :

لمن طلل كالوحي عافٍ منازل عفا (الرس) منه و (الرئيس) فعاقله
وقال شاعر :

يضربن بالأحفاف قاع « الحرج » وهن في أمنيّة وهرج
ويقول شاعر في أثنية - أثنية اليوم - وكان يقال لها أثنية وأثنيات وذات
الأثافي :

دعونا قلوبنا بأثنيات وألحقنا قلائص يعتلينا

وقال عقبة بن سوداء :

ألا يا لقومي للهموم الطوارق وربيع خلا بين (الليل) و (ثادق)
وقال امرؤ القيس :

تراءت لنا يوماً بسفع عنيزة وقد حان منها رحلة وقلوص
وقال جرير :

ان الفؤاد مع الذين نحمّلوا لم ينظروا بعنيزة الاشرافاً^(١)

١ - أكثر هذه الأبيات في « معجم البلدان » لياقوت .

السموأل والطائي

واذا اعتبرنا بلاد طيء - جبل شمر - من نجد ، وهي كذلك ، فيجب أن نضيف الى شعراء نجد في الجاهلية : اسمي حاتم الطائي ، والسموأل بن عاديا ، وهما من هما في الوفاء والكرم ، الى شاعريتهما .

وكان بين فرسان العرب وحكامها وكهانها عدد غير قليل من سكان نجد .

ولكن العرب يومئذ لم يكونوا ينتمون الى البلاد ، وإنما ينتمون الى القبائل ؛ ولم نسق هذه الأمثلة إلا قبديداً للوهم العالق ببعض الأذهان .. من أن « نجداً » كانت تعيش ، لبدائها وبعدها ، على هامش الحياة العربية ، مع أنها كانت في صميمها ، وكانت تحمل مثل غيرها بل أكثر : ألوية الشعر ، والفروسية ، والكرم .

أسماء ولاية اليمامة

قدمنا « ملازم » الكتاب بعد الفراغ من طبعتها ، وقبل جمعها وتجليدها ، الى العلامة الكبير ، الأستاذ حمد الجاسر ، لينظر فيها ، وتلفظ باعطائنا « قائمة » أعدتها لنفسه بأسماء ولاية اليمامة في العهدين الأموي والعباسي ، وأذن لنا بنشرها في كتابنا ، وها نحن نفعل شاكرين له فضله ، وقد ذكرنا في الصفحة ٢٨ من كتابنا أسماء عدد من ولاية اليمامة ، لم ترد في قائمة الجاسر .

قائمة ولاية اليمامة للاستاذ الجاسر

١ - في العهد الأموي

- ١ - في عهد عبد الملك : ابراهيم بن عربي .
- ٢ - في عهد الوليد : اقر ابراهيم بن عربي على ولايته .
- ٣ - في عهد سليمان بن عبد الملك : سفيان بن عمرو العقيلي ثم نوح بن هبيرة .
- ٤ - في عهد عمر بن عبد العزيز : زرارعة بن عبد الرحمن .
- ٥ - في عهد يزيد بن عبد الملك : رد عليها ابراهيم بن عربي .
- ٦ - في عهد هشام : ابراهيم بن عربي ثم المهاجرين ابن عبد الله الكلبي ثم ابنه علي .

٧ - في عهد الوليد : علي بن المهاجر ثم حدثت ثورة داخلية فغلب على اليمامة
المُهَيَّرُ بن سُلَيْمِي الحنفي ، وبعده عبد الله بن النعمان .

٨ - في عهد مروان بن محمد : يزيد بن هبيرة وقتله جيش بني العباس .

٢ - عهد بني العباس

١ - داوود بن علي بن عبد الله بن العباس .

٢ - زياد بن عبد الله بن عبد المدان خال السفاح .

٣ - السري بن عبد الله بن الحارث .

٤ - قثم بن العباس .

٥ - الفضل بن صالح .

٦ - جعفر بن سليمان .

٧ - عبد الله بن مصعب الزبيري .

وحدثت ثورة في البلاد عزلتها عن الخلافة برهة .

٨ - سويد القائد الحراساني .

٩ - محمد بن سليمان بن علي .

ثم اثناء الخلاف بين الأمين والمأمون استولى طاهر بن الحسين على اليمامة .

١٠ - وفي عهد المأمون داوود بن منجور

١١ - اسحق بن ابراهيم بن الحسن بن مصعب في عهد المعتز

١٢ - محمد ابو عون

١٣ - وفي عهد الموفق سعيد بن صالح الحاجب وبعده يارجوج

١٤ - اسندت ولاية اليمامة الى موسى بن بَغَا فولاهما عبد الرحمن بن مفلح .

١٥ - وفي عهد المعتضد عباس بن عمرو الغنوي

١٦ - وفي عهد الراضي استولى عليها القرامطة وانفصلت عن الخلافة منذ ذلك

العهد .

ملاحظات الشيخ حمد الجاسر

قدمنا « ملزم » الكتاب ، بعد الفراغ من طبعها وقبل جمعها ونجليدها ، إلى العلامة الكبير ، الأستاذ حمد الجاسر ، لينظر فيها ، ففعل ، وتلطف مشكوراً بكتابة هذه الملاحظات (وسندكر نحن رأينا في ملاحظاته في الهوامش) :

الملاحظة الأولى

جاء في الصفحة (٣٧) ، في وصف أهل نجد : « أهملوا القرآن وما عادوا يعرفون في أي جهة تقع القبلة ، وتناسوا الزكاة والصيام والحج » .

هذا الوصف غير صحيح !

إن نجداً منذ أن انتشر فيها الاسلام بعد وقعة الجامة بقيت محافظة على التمسك بالدين والتقيد بتعاليمه ، حتى انتشر الجهل في القرون الأخيرة وامتزجت في الدين عادات سيئة ليست منه من الحرافات وتقديس القبور .

ولما قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، بالدعوة إلى تعاليم الدين الصحيحة والرجوع إلى ما كان عليه الرسول « صلى الله عليه وسلم » وأصحابه والصدر الأول من الأمة عارضه من عارض اعتقاداً منهم ان ما يفعلون من دعاء الأموات هو من الدين ، وكان الخلاف بين الشيخ رحمه الله وبين مخالفيه على أساس التوحيد أما بقية أعمال الاسلام فانه لم يعارضه أحد بشأنها .

وعند قيام الشيخ وقبله كان في نجد عدد من العلماء الذين كانوا يتلقون العلم في

البلاد الاسلامية في مصر والشام والهند وغيرها منهم :
الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب المشرقي قاضي العيينة (توفي في ١١٢٥) .
والشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الوهاب قاضي العيينة سنة ١٠٣٩ .
والشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبد الوهاب الذي صاهر الشيخ محمد ابن
عبد الوهاب الامام المجدد وتزوج ابنته وانتقل عنده الى الدرعية (توفي ١١٩٤) .
ومن علماء نجد الشيخ عثمان بن حمد بن قائد (توفي ١٠٩٩) وله مؤلفات منها
شرح العمدة وحاشيته على المنتهى ، وكتاب التوحيد ونجاة الخلف في اعتقاد السلف
وقد درس في الشام ومصر .

والشيخ محمد بن أحمد بن سمعيل في أشير (توفي ١٠٥٨) .
والشيخ محمد بن عبد الله بن اسماعيل (توفي ١١٠٩) من أشير أيضاً .
والشيخ أحمد بن ناصر بن محمد بن ناصر المشرقي قاضي الرياض (توفي ١٠٤٩)
والشيخ عبد الله بن محمد بن ذهلان الخالدي قاضي الرياض (توفي ١٠٩٩) .
والشيخ أحمد بن محمد المنقور مؤلف المجموع وقاضي سدير (توفي ١١٢٥) .
والشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصير من أشير (توفي ١١١٤) .
هؤلاء لهم آثار في الفقه الحنبلي ، ول بعضهم صلات قوية بعلماء الشام ومصر مثل
الشيخ ابن العماد ، والشيخ مرعي الكرمي ، والشيخ الحجاوي ، والشيخ أحمد
ابن النجار ، والشيخ منصور البهوتي وغيرهم من العلماء .
وهناك علماء من أهل نجد غلب عليهم الشقاء فعارضوا الدعوة الإصلاحية التي
دها إليها الشيخ أمثال راشد بن خنين قاضي الحرج ومحمد بن سلوم وأحمد بن فيروز
ابن بسام والمويس وغيرهم من العلماء الذين لهم آثار في العلم إلا أنهم من حيث
العقيدة من مخالفي الطريقة السلفية الصحيحة .

ردنا : إن كلام الاستاذ الجاسر إما ينصرف إلى قول نقلناه عن بلغريف ، لا
نؤاخذ به ، وقد قلنا رأينا في كلمتنا المذكورة في توطئة الكتاب ، فليرجع إليها .
وعلى كل حال ، ففي استعراض أسماء هؤلاء العلماء الذين ذكرهم الجاسر نفع
غير قليل .

الملاحظة الثانية

جاء في الصفحة ٢٨ : (من أمراء اليمامة أبو حفصة من قبل مروان ، ومروان ابن أبي الجنوب) .

وفي عهد مروان بن الحكم ، لما كان خليفة ، كانت اليمامة خارجة عن حكمه ، تحت حكم ابن الزبير وقد تولى مروان المدينة في عهد معاوية ، وقد تكون اليمامة في ذلك العهد مضافة اليه ولكن لم ارفها اطلعت عليه نصا يدل على ولاية ابن حفصة والذي رأيت هو ان عبد الملك ارسل ابا حفصة ليكون على بيت المال في اليمامة وارسل ابراهيم بن عربي ليكون والياً ، وهذان الرجلان لهما يد على مروان عند وقعة الدار ولهما اثر كبير في حوادث اليمامة فقد استوطنت ذرية ابي حفصة اليمامة من عهد عبد الملك وبقيت معروفة بما نبغ منها من شعراء منهم مروان بن ابي الجنوب الذي لم ار من نص على توليه اليمامة مع شهرته وكثرة ذكره هو وآله .

ردنا : ولاية ابي حفصة أخذناها عن الأغاني ، وليس هذا الكتاب تحت يدنا لندل على الصفحة التي ذكر فيها الخبر .

أما ولاية مروان بن أبي الجنوب ، فوجدنا بين أوراقنا قطعة منقولة عن «معجم الأدباء» وهذا نصها :

« .. عقد المتوكل لأولاده الثلاثة ، فدخل «مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة» ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

«بيضاء في وجناتها ورد ، فكيف لنا بشمه ؟»

فسر المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً ، وأمر فنثر عليه بدرة دنانير .. وأمره بالجلوس ، وعقد له على اليمامة والبحرين . »

ملاحظات أخرى

وذكر الاستاذ الجاسر ملاحظات أخرى قيمة ، تؤيد أقوالنا في الكتاب ولا

تلقضها ، كقوله إن ابن بشر ، كتب في النسخة الثانية من كتابه ، أن ما ذكره في النسخة الأولى « عن أمر ابن معمر لتقبل الشيخ ، غير صحيح .
ويقول الشيخ الجاسر إن ما ذكر عن وجود قرية في القطيف باسم (الدرعية) إنما كان الاعتماد فيه على مصدر واحد ..

ويقول إن آل مشرف طارئین علی العينة ، وأصلهم من بلدة أشير .
ونحن لم نقل إنهم معرقون في العينة ، ولكننا قلنا إنهم كانوا أسرة الزعامة الدينية فيها ، بسبب إقامة سليمان بن علي وابنه عبد الوهاب فيها مع أسرهما .
ويقول أن بعض علماء نجد كانوا يعرفون التوحيد ، مثل الشيخ ، ولكنهم لم يقوموا بمثل عمله ، كالشيخ عثمان بن أحمد ، صاحب كتاب « نجات الخلف في اعتقاد السلف » وقد ذكرنا نحن أيضاً اسم هذا الشيخ ، نقلاً عن صلاح العقاد ، الذي زعم أن كتابه مفقود ، ويقول الجاسر إن كتابه موجود الآن في القاهرة .

وينكر الاستاذ ما جاء في كتابنا من أن الشيخ أمر بجلق لحية رجل ، وهي رواية للمع الشهاب ، لا نستطيع تغييرها ، ويقول إن الوهابيين لا يخالفون ابن تيمية إلا في مسألة طلاق الثلاث ، ورأيه كراهم في الوقف والنذر (وقد جاء ذلك في نص للشيخ عبد الله أوردناه في الصفحة ٢٣٩) .

ويقول أيضاً نقلاً عن كتاب مختصر تاريخ الكنيسة إنه كان في قطر أسقفية تشمل نجران والجماعة ، رداً على ما نقلناه عن المعجم الكنسي الفرنسي من أن المسيحية تسربت إلى نجد في القرن السادس الميلادي (صفحة ٢٢) والمعجم الكنسي يعني بالمسيحية ، على الأرجح ، الكنيسة الكاثوليكية ، ثم هو يعني وجود أعداد من المسيحيين تستحق الذكر ؛ وليس أحد هذين الكتابين أولى من الثاني بالتصديق !

ونحن ، على كل حال ، نشكر للاستاذ الجليل فضله الكبير ، وتقديره له الغزير ، وقد حرصنا على نشر ملاحظاته القيمة ، وإضافاته المهمة ، وتصويباته ، وهو في عمله وخلقه خير ناصح ومعين .

مصادر الكتاب^٨

سند ذكر أسماء جميع الكتب والمصادر التي رجعنا إليها ، عند تأليف الكتاب ، سواء أخذنا عنها أم لم نأخذ ، في آخر الجزء الخامس .
ونكتفي الآن بذكر بعض الكتب التي رجعنا إليها في هذا الجزء الأول .
فمن المصادر العربية :

اسم المؤلف	اسم الكتاب
عثمان بن بشر	عنوان المجد في تاريخ نجد
حسين بن غنام	تاريخ نجد
حسن الربيعي	لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب (مخطوط)
عثمان بن سند	مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (مختصراً بقلم الشيخ أمين المدني)
ابراهيم الجديري	عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد
عمود شكري الألوسي	تاريخ نجد
أحمد بن زبني دحلان	١ - الفتوحات الإسلامية
	٢ - الدرر السنية في الرد على الوهابية
عبد الرحمن الجبرتي	عجائب الآثار في التراجم والأخبار
إبراهيم بن صالح بن عيسى	١ - تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد .
	٢ - عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث
	في أواخر القرن الثالث عشر .
أحمد السباعي	تاريخ مكة .

- فؤاد حمزه
١ - البلاد العربية السعودية
٢ - قلب جزيرة العرب
٣ - في ربوع عسير
أمين الرجباني
١ - تاريخ نجد الحديث وملحقاته
٢ - ملوك العرب
محمد حامد الفقي
أثر الدعوة الوهابية
سليمان بن سحمان
١ - الضياء الشارق
٢ - الصواعق المرسلة الشهابية
٣ - كشف غياهب الظلام
٤ - الألسنة الحداد

- مجموعة الرسائل والمسائل النجدية
- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية
- كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- مجلة لغة العرب ،
- مجلة الأبحاث ،
- مجلة المشرق ،
- جريدة « أم القرى » الخ ...

- أمين سعيد
١ - تاريخ الدولة العربية السعودية الجزء (١)
٢ - سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب
أحمد عبد الغفور العطار
عبد الكريم الخطيب
طله حسين
عباس محمود العقاد
أحمد أمين
سليمان الدخيل
نبذة من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
محمد بن عبد الوهاب
الحياة الأدبية في جزيرة العرب
الإسلام في القرن العشرين
زعماء الإصلاح في العصر الحديث
تحفة الألباء في تاريخ الأحساء .

محاضرات عن الحركات الإصلاحية	جمال الدين الشيال
المذاهب الإسلامية	أبو زهرة
أعلام المحدثين	أبو شبة
قاموس الأعلام	خير الدين الزركلي
تاريخ العرب قبل الإسلام	جرمي زيدات
العرب في سورية قبل الإسلام « ترجمة »	دوسو
اكتشاف جزيرة العرب « ترجمة »	جاكلين بيون
حاضر العالم الإسلامي « ترجمة »	لوتروب ستودارد
العقيدة والشريعة في الإسلام « ترجمة »	غولد تسيهر
مجالي الإسلام « ترجمة »	ريفوار (حيدر بامات)
تاريخ نجد « ترجمة »	عبد الله فيلي
بقعة العرب	جورج أنطونيوس
جزيرة العرب في القرن العشرين	حافظ وهبة
تاريخ الأحياء (تحفة المستفيد بتاريخ الأحياء في القديم والحديث).	محمد آل عبد القادر الأحساني
تاريخ الكويت السياسي	الشيخ حسين خزعل
عشائر الشام	أحمد وصفي زكريا
عشائر العراق	عباس العزاوي
معجم القبائل	عمر رضا كحالة
الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب	المغيري

وهناك أيضاً الكتب العامة – الأمهات :

العقد الفريد ، لابن عبد ربه
معجم البلدان ، لياقوت
معجم ما استعجم ، للبكري
صبح الأعشى ، للقلقشندي
الأخبار الطوال ، لدينوري

صفة جزيرة العرب ، للهمذاني
تاريخ الدول والملوك ، للطبري
تاريخ القرماني
الأغاني ، للأصفهاني
فتوح البلدان ، للبلاذري
جهان نامه ، لحاجي خليفة ، كاتب حلبى .
كتاب الملوك ، للمقرئزى
بالغة التركية :

أحمد جودت باشا
أىوب صبرى
تارىخ جودت
١ - مرآة الحرمین
٢ - تاریخ وهابیه .

جدول الخطأ والصواب

وقعت في هذا الجزء أفلأط مطبعية بسيرة ، لا تغيب عن فهم القاريه
اللييب ، ولكننا نجب أن ننبه إلى أخطاء في أرقام التواريخ (السنوات) ،
ملتمين من كل قارئ أن يصححها في مواضعها من الكتاب ، وهي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٨	٣	في عام (١١٠٧)	في عام (١١٢١)
٥٨	٥	خمساً وعشرين سنة	إحدى عشرة سنة
١٣٥	٦	انتهى عام ١١١٤	انتهى عام ١٢١٤
وجاء عنوان الصفحة السابعة : « اليامة في الاسلام » ، والصحيح : « اليامة قبل الاسلام » .			
وهناك أخطاء أخرى يجسن الالتباه إليها وتصحيحها أيضاً ، نذكرها كما يأتي :			

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	١	حصر	حصن
١٣	٧	درسو	دوسو
١٥	١	العدانية	العدانية
١٥	١٣	جبر	حجر
٢٩	١	ونقوه من مصر	ونقوه إلى مصر
٥٢	٤	وأبناؤه	وأبناؤه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٣	٩	لا دي	لا دي بلنت
٦٨	٦	حنين	حنين
٧١	١٩	عجيل بن لجيم	عجل بن لجيم
٩٩	١٤	بتعلم الناس	بتعلم الناس
٩٩	١٥	بتعلم معن	بتعلم معن
١٢١	١٨	سيف محمد بن عبد الوهاب	سيف محمد بن سعود
١٤٢	١	قصة العينية وأميرها	قصة العينة وأميرها
١٨٠	٦	آل شرف	آل مشرف
٢٠٧	٦	ومفاتوها	ومفاتيا
٢٢٥	١١	كالزيارة	كالزيارة
٢٣٣	١	ودأبوا	وأدبوا
٢٤٠	٢١	السياسة الحكيمة	الطرق الحكيمة
٢٤٢	٢	وبعدها	وبعدها
٢٤٧	٢	عزلا	غزلا
٢٩٩	٧	كلرستك	كلرستن
٣٣٣	٢	قفي واسألني	قفي واسألني
٣٦١	١٥	الأدبية في جزيرة العرب	الحياة الأدبية في جزيرة العرب

تصويبات الاستاذ الجاسر

هناك أخطاء وقع أكثرها في أصول المصادر التي نقلنا عنها مقاطع في هذا الكتاب ، وخصوصاً « لمع الشهاب » ، وقد ثلطف الاستاذ الكبير حمد الجاسر بتصحيحها وتصويبها ، نشبها هنا شاكرين :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠	١٥	القصيب	القصب
١٠٠	٥	القصيم	الوشم
١٦٣	١١	ليس مججم	ليس مجسم
٢٥٠	٩	الزلازل	الزلال
٢٥٨	١٤	تعهدم بها	تعبدم بها
٣٢٧	٥	وضرب موسى العصا بالحجر	وضرب موسى بعضاه الحجر
٣٣٣	١٠	نجد	النجدى
٣٣٣	٢٠	مكة	المدينة
٣٣٨	١٦	عبد الهادي	ابن عبد الهادي
٣٤١	١٥	ملحمة عيد الرياحين	ملحمة عيد الرياض
٣٤٣	٥	عماد الدين بن كثير البصرى	العهاد بن كثير البصري
٣٥٠	٨	عبد المحسن أبا الحسين	عبد المحسن أبا حسين
٣٧٨	١٣	الحرا	الحرة
٣٧٨	١٦	الدوشي	الدويش
٣٧٩	٢١	التثليث	تثليث
٣٨١	١٢	القفار	قفار
٣٨١	١٤	المسجدة	المستجدة
٣٨١	١٤	الحايل	حائل
٣٨٢	٢	الحجر	الحجرة
٣٨٣	١٦	داخلة	الداخلة
٣٨٤	٩	السدوس	سدوس

وجاء في فقرة لرجي زيدان نقلناها من الصفحة العاشرة ، السطر السادس :
« وفي اليمامة بلد اسمه « جعدة » .
ويقول الامتاذ الجاسر ، وهو على حق ، إن جعدة اسم رجل ، هو جعدة بن

كعب ، والمقصود بلد جعدة .

وذكرنا في الصفحة (٢٣) السطر الثالث : إن مقر هوزة بن علي في موضع الحضرة أو اليامة ، ويقول الاستاذ الجاسر إنه في القرية ، وهذا ما ذكره « لمع الشهاب » ، ويضيف : وقيل في جو الحضارم ، شرقي اليامة ..

ونقلنا عن معجم البلدان لياقوت في الصفحة السادسة ، السطر ٩ : « قالوا : كان اسم اليامة قديماً جوا والقرية والعروض » .

ويقول الاستاذ الجاسر إن « جو » اسم موضع لا اسم الإقليم ، والقرية يراد بها « سدوس » ، والعروض تطلق على اليامة والبحرين .

أما العروض ، فإطلاقها على اليامة والبحرين معاً ، بحيث يغيب فيها هذان الاسمان أو يجتمعان ، لا يمنع من القول بأنها تطلق على اليامة .. ولو مجازاً .

أما « جو » فترجح أنها كانت اسم بلدة اليامة وجاء اسمها هكذا في الشعر ، والقرية .. بمعنى البلدة ، لا يتمتع إطلاقها على بلدة اليامة أيضاً وإث كانت بلدة سدوس اختصت بها .

ولسنا هنا في معرض الدفاع عن « ياقوت » ، بل نحن أميل إلى النزول عند رأي الاستاذ الجاسر ، وتصحيح السطر السابع من الصفحة السادسة ، الذي جاء فيه : « قالوا : كان اسم اليامة قديماً : جوا والقرية والعروض وكانت منازل ، بما يأتي :

« قالوا : كانت اليامة قديماً منازل لطسم وجديس » الخ ..

وقد قمنا بتصحيح كل هذه الأخطاء ، التي وقعت في كتاب « لمع الشهاب » وغيره .

مقدمات الكتاب

جعلنا صفحات القسم الأول التي تشتمل على كلمة المؤلف والمدخل حروفاً خاصة، وهذا فهرسها:

الموضوع	صفحة
اسم الكتاب	(أ)
كلمة المؤلف عن رحلته في طلب المصادر	(ب)
المملكة العربية السعودية	(و)
نجد	(ن)
رأي المؤلف في الحركة الوهابية	(ص)

الفرس

صفحة

١	تاريخ اليمامة القديم
٦	طسم وجديس
١١	عنزة وخيفة
١٢	دولة عربية نبطية
١٤	مملكة كندة
١٩	العرب والفرس . ربيعة ومضر
٢٣	اليمامة في الإسلام
٢٩	اليمامة وأشراف مكة
٣٥	مبدأ تاريخ نجد الحديث
٤١	مبدأ تاريخ الجزيرة العربية

صفحة

٤٥	مبدأ تاريخ الشرق الأدنى
٤٦	مؤسس الدولة السعودية الأولى
٤٩	أمراء الدرعية قبل الدعوة
٦١	رئاسة محمد بن سعود
٦٣	عشيرة محمد بن سعود . الدروع والمردة . آل مقرن
٦٧	نسب محمد بن سعود
٨٠	آل سعود
٨٧	اللقاء التاريخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود
٩٥	الدرعية في عهدها الجديد
٩٧	الدرعية بعد هجرة الشيخ
١٠١	وصف التغيرات التي طرأت على الدرعية
١٠٩	سيرة محمد بن سعود في الكتب العربية
١١٥	محمد بن سعود في كتابات الغربيين
١٢٣	وصف محمد بن سعود في كتاب لمع الشهاب
١٢٥	أساليب الحكم والسياسة في عهد محمد بن سعود
١٣٤	العلاقات بين نجد وأشراف مكة
١٣٧	مراحل انتشار الدعوة سلباً وحرباً
١٣٧	البلدان التي قبلت الدعوة وبابعت
١٤٢	قصة العيينة وأميرها
١٤٧	المعارك في عهد محمد بن سعود
١٥٠	مع أمير الرياض
١٥٦	مع صاحب نجران
١٦١	مع أمير الأحساء
١٦٥	وفاة محمد بن سعود

صفحة

١٦٧	سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٦٩	رؤيا سليمان
١٧٠	ولادة محمد بن عبد الوهاب
١٧٢	عبد الوهاب بن سليمان : والد الشيخ
١٧٤	سليمان بن علي : جد الشيخ
١٧٦	نسب الشيخ
١٨٠	نشأة الشيخ وتعليمه
١٨٣	رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٨٨	رواية للمع الشهاب عن رحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٩٥	نقد رواية المع
٢٠٢	شيوخ محمد بن عبد الوهاب
٢٠٤	متى عرف الشيخ التوحيد وأظهره
٢٠٧	عودة الشيخ إلى نجد
٢٠٨	الشيخ في حربلا
٢١١	الشيخ في العيينة
٢٢٠	رواية للمع عن حياة الشيخ في العيينة
٢٢٧	الرواية ، آثارها ، ما كتب عنها
٢٣١	تعريف أهل السنة
٢٣٢	الحنابلة والسلفية
٢٣٤	الروائيون حنابلة . والشيخ حنبلي
٢٣٥	الشيخ لا يدعو إلى فقيه أو صوفي
٢٣٦	فتح باب الاجتهاد
٢٣٩	صفة الدعوة الروابية
٢٤٢	الروابية في اللغة

صفحة

٢٤٥	عقيدة محمد بن عبد الوهاب
٢٥٣	أسباب الاختلاف بين الشيخ وبين العلماء في زمانه
٢٥٥	التوحيد
٢٧٤	التوسل والشفاعة
٢٧٧	التكفير
٢٨٠	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٨٧	أمور مفتراة على أهل نجد
٢٨٩	دفاع عن القهوة ، للشيخ عبد اللطيف
٢٩١	المولود النبوي
٢٩٤	المحمل
٢٩٩	أول كتابة ظهرت في أوروبا عن الوهابية
٣٠٣	أول كتاب ظهر في أوروبا عن الوهابية
٣٠٨	روسو
٣١٠	ميشو
٣١١	مانجات
٣١٢	بركلوت
٣١٥	كتابات خصوم الوهابية
٣٢٤	وصف الشيخ وعظمته
٣٢٨	كتب الشيخ ورسائله
٣٣٢	شيوخ دعوا الى التوحيد قبل الإمام
٣٣٤	أئمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب
٣٣٧	ابن تيمية وتلامذته
٣٤٥	وفاة الشيخ
٣٤٧	أبناء الشيخ

صفحة

٣٥٠	تلامذة الشيخ
٣٥١	الوهابية في بعض الكتابات الغربية الحديثة
٣٥١	هنري لاوست
٣٥٢	لامانس
٣٥٤	ويندر
٣٥٥	ماسه
٣٥٦	معلمة الإسلام
٣٥٧	معجم هاستنغ
٣٥٨	لوثر وب ستودارد ، جان ريفوار
٣٦١	ماكتب عن الوهابية حديثاً في اللغة العربية
٣٦١	طه حسين
٣٦٢	عباس محمود العقاد
٤٦٣	أحمد أمين
٣٦٥	أبو زهرة
٣٦٧	عبد الكريم الخطيب
٣٦٨	لويس شيخو
٣٦٩	جمال الدين الشيال وأمين سعيد
٣٧١	ملاحق الكتاب
٣٧٣	الملحق الأول
٣٧٥	رواية لمع الشهاب عن قبائل نجد
٣٨١	روايته عن بلاد نجد
٣٨٧	روايته عن أحوال أهل نجد ، بدوم وحضرم
٣٩٣	الملحق الثاني
٣٩٥	أقوال اللع عن أنواع الشرك عند الشيخ وردود صاحب اللع

صفحة

٤٠٣	الملحق الثالث
٤٠٥	جغرافية جزيرة العرب
٤٠٨	تاريخ البصرة القديمة وجغرافيتها
٤١٢	نجد
٤١٥	دراسات مانجان عن نجد
٤١٩	نجد الجنوبية
٤٢٣	فضيلة نجد ، للشيخ عبد اللطيف
٤٢٧	الملحق الرابع
٤٢٩	نجد في الشعر العربي
٤٢٧	البصرة في الشعر
٤٣٨	شعراء نجد في الجاهلية وأول الإسلام
٤٥٥	المصادر

كتب المؤلف

- | | |
|-----------------------------------|-------------------------------|
| الدستور السوري ، باللغة الفرنسية | كتب معدة للطبع أو قيد الإعداد |
| عبقريّة الإسلام في أصول الحكم | - أوراق الذهب |
| الحقوق الدستورية | - معاوية |
| الحقوق الرومانية | - الأسطول الإسلامي |
| الحقوق المدنية الفرنسية | - ابن خلدون |
| الحقوق الجزائية الخاصة | - خالد بن صفوان |
| أوراق | ديوان شعر |
| تاريخ البلاد العربية السعودية : | الصلات الدولية في الإسلام |
| ١ - عهد التأسيس | أيوب |
| ٢ - عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد | الخ . . |
| ٣ - عهد الإمام سعود | مسرّحات : |
| ٤ - عهد الإمام عبدالله بن سعود | - زنوبيا |
| - فيصل ، تاريخ مملكة في سيرة زعيم | - كليوباترة |
| - الإمام تركي بن عبدالله | - بلقيس - ملكة سبأ |
| - رجل في جلد آخر ، وقصص صغيرة | - المطلقات |

المؤلف

- ولد في دمشق، ونال الشهادة الثانوية في سن مبكرة جداً، وتكاد لا تصدق.
- نال شهادة الحقوق في دمشق، وشهادة الحقوق من كلية الحقوق في باريس، ودكتوراة الدولة في الحقوق العامة والخاصة من جامعة باريس، وشهادة في فقه اللغة، وشهادة في الاخلاق وعلم الاجتماع من السوربون، وشهادة في الصحافة من معهد العلوم الاجتماعية العليا بباريس.

مناصبه السابقة:

- نائب دمشق مراراً.
- وزير الشباب والدعاية (الإعلام)، ووزير العدل ووزير المعارف مراراً.
- استاذ ذو كرسي في كلية الحقوق بدمشق، ورئيس الجامعة بالوكالة مراراً.
- عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
- كبير المستشارين في وزارة المعارف، بالملكة العربية السعودية، ومستشار في دارة الملك عبدالعزيز.
- رئيس تحرير المجلة العربية.
- وقد أصدر في دمشق مجلة «الحياة الادبية» ثم جريدة «النضال» وترأس تحرير جريدة «الجزيرة» وكتب مقالات وبحوثاً أدبية في مجلات وصحف كثيرة في سوريا ولبنان ومصر.